مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العـــدد ٣٩

السنة الرابعة عشرة

ذو القعدة ـ ربيع الثاني ١٤١١ هـ

تموز ـ كانون أول ١٩٩٠ م

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العـــدد ٣٩

السنة الرابعة عشرة

ذو القعدة ـ ربيع الثاني ١٤١١ هـ

تموز ـ كانون أول ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس العدد ٣٩ لعام ١٩٩٠

أولا : البحوث

الذاهب
من
موادّ النحو القديم في العربية الحديثة

د. إبراهيم السامرائي

المقدمـــة

تميز المعجم الحديث في «عربيتنا الحديثة» بسعة ما جدّ فيه من المولّدات التي يدخل كثير منها في باب المصطلحات الفنية. إنك لتجد من ذلك طائفة كبيرة في كل علم من العلوم الحديثة، وفي كل فن من فنون الحياة. وإن هذا الجديد يؤلف معجماً في كل باب من أبواب العلم الحديث. وقد يكون الجديد في هذه العربية شيئاً آخر نقف عليه كل يوم في الصحف والمجلات والكتب. وهذا الجديد يندرج في وجوه القول مجازاتٍ وتشبيهات ، وشيئاً آخر أدّى إليه التوسع والنظر الجديد. إن جملة ذلك يندرج في باب ما ندعـوه بـ «التطور» الذي اقتضاه العصر. وهذا شيء لا بد منه في كل لغة حديثة.

ومن هنا كان لزاماً علينا أن ندخل جماع هذا في شيء ندعوه «المعجم الحديث». إن هذا المعجم، على كونه وثيق الصلة بالمعجم القديم، إلا أنه جديد في كل شيء، ذلك أن مـواده تختلف دلالة واستعمـالاً عن نظائـرها وأصولها القديمة. وأنت لا تجـد في المعجم الحديث طـائفة كبيـرة من الكلم القديم الذي ذهبت قيمتـه في عصرنـا، فأصبـح مادة تـاريخية نـواجهها في النصوص القديمة، وفي أبواب المعارف القديمة.

ومن هذا الذي زال في عربيتنا الحديثة شيء كثير من مواد النحو. وقد رأيت أن أعرض لهذا الزائل الذي لا نعرفه في لغتنا الجديدة، ولا يرد فيما نكتب وما نقول. وأنا أدرج هذا الذي سأعرض له في هـذا الموجـز من الصناعـة المعجمية بحسب ترتيب حروف المعجم(١)، وقد أفرغت ما لـديّ من مواد أودعتها حشداً من الجزازات.

إن عملي هذا يدفع إلى أن حاجتنا إلى نحو جديد في العربية يُقدَّم إلى الشداة المتعلمين في المرحلتين الدراسيتين، الابتدائية والثانوية ضرورية وهو بعيد عن تلك المواد التي لا يراها الدارسون في العربية الحديثة.

وهذا يعني أن النحو كما ورثناه يكون حاجة الدارسين للعربية في الأقسام الخاصة في كليات الآداب وغيرها.

بـاب الهمـزة

١ ـ الهمزة لنداء القريب حقيقة أو تصوّراً، نحو قول امرىء القيس:

أفـاطِمُ مَهلاً بعضَ هـذا التدلُّـلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صَرْمي فأجملِي

أقول: قد تستعمل هذه في عصرنا فتـرد في شعر الملتـزمين بـالقافيـة والوزن، والشاعر في فنه هذا محكوم بصنعته. وقد يرد منها شيء، على سبيل الندرة، في شعر أصحاب الشعر الجديد. ولكن أستطيع أن أقطع أن المترسلين نثراً في المقالة والقصة والرواية ونحو ذلك لا يجنحون إلى استعمال هذه الهمزة في باب النداء إلّا ابتغاء التفاصح لدى نفر منهم.

٢ ـ همـزة التسوية:

وهي الهمزة الداخلة على جملة يصح وقوع المصدر موقعها، وتكون بعد «سواء» أو «ما أبالي» أو «ليت شعري» أو «ما أدري» نحو قوله تعالى:

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ ٦ سورة البقرة

---

(١) أثبتُ الكلمة بحسب الحرف الأول غير ناظر إلى أصلها.

ويلي هذه الهمزة كلمة «أم» المعادلة.

وقول الشاعر:

وما أدري ولستُ إخال أدري   أقومٌ آلُ حِصْنٍ أم نساء

أقول: وتسقط هذه الهمزة بعد شيء من هذه الألفاظ، ثم تليها كلمة «أم» في العربية المعاصرة، يقال: سواء حضرتَ أم لم تحضر.

نعم، قد تسقط الهمزة في الفصيحة القديمة، ولكنها مقدّرة موجودة، كما في الآية السابقة، فقد قرئت بإسقاط الهمزة، وهي مقدرة لدى أهل اللغة، وسقوط هذا ليس كسقوطها في العربية الحديثة، ذلك أن المعربين يسقطونها، وليس على نية التقدير.

الألف:

١ ـ وأريد بها المبدلة مِنْ نون التوكيد الخفيفة، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ٣٢ سورة يوسف.

وهذه ترد كثيراً في الشعر القديم، كقول أحدهم:

وإياك والميتات لا تَقْرَبَنَّها   ولا تعبد الشيطان، والله فاعبدا(٢)

والتقدير: «فاعبدَنْ».

٢ ـ الألف عوضاً من المضاف إليه، وهي التي تزاد في «بين» كقولك: بَيْنا كنتُ أسير لمحتُك من بعيد.

أقول: لا نعرف هذه الألف في العربية المعاصرة، والمعربون يستعملون «بينما» وهم يصلون إلى ما يريدون.

٣ ـ الألف الزائدة في المنادى المستغاث أو المتعجَّب منه أو المندوب، نحو:

يا يزيدا لآمِلٍ نيلَ عِزٍّ   وغِنىً بعد فاقةٍ وهوانِ(٣)

---

(٢) مغني اللبيب ص ٣٧٢ (ط. دار الكتاب العربي).

(٣) مغني اللبيب ص ٣٧١.

وقال جرير:

حُمِّلْتَ أمراً عظيماً فاصطَبرتَ لَهُ ... وقُمتَ فيه بأمرِ اللهِ يا عُمَرا(٤)

وقد يرد هذا بعد «وا» في الندبة نحو قول المتنبي:

واحرَّ قَلْباهُ ممّن قلبُه شَبِمٌ ... وَمن بجسمي وحالي عنده سَقَمُ

وليس هذا خاصاً بالشعر فقد يقال: يا عجبا لكَ.

أقول: ولا نعرف هذا في العربية الحديثة، بل إن باب الاستغاثة والندبة قد أوشك جملةً أن يزول. وإن المعربين يعربون عن الاستغاثة وما يندرج في الندبة بأساليبهم فيظهرون توجعهم وتفجعهم وأسفهم في غير هذه «القوالب».

آمين:

قالوا: اسم فعل أمر مبني على الفتح، بمعنى استجبْ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ولا أريد أن أعرض لما ورد فيه من لغات، ولكني أقول إن بناء «فاعيل» لم يرد في العربية، ومن هنا فهو دخيل فيها من لغات سامية، وهو كذلك في العبرانية(٥) ويرد هذا على وجه الخصوص بعد تلاوة سورة الفاتحة.

وفي شواهد النحو قول الشاعر:

يا ربِّ لا تَسْلُبَنِّي حبَّها أبداً ... ويرحم الله عبداً قال آمينا(٦)

أقول: وبقي «آمين» في عصرنا مقصوراً على قوله بعد تمام تلاوة «الفاتحة» وربما تجاوز هذا الموطن في الكلام الدارج.

أقول: والكثير مما اصطلح عليه أسماء الأفعال قد أوشك أن يزول، بل

---

(٤) مغني اللبيب ص ٣٧٢.

(٥) وقد ورد من هذا «قابيل»، والبناء معروف في اللغة السريانية، فمن أعلام النصارى بابيل وقابيل، وناصيف.

(٦) شذور الذهب ص ١١٦.

زال بعضه ونسي، وسنرى في استقرائنا لمواد هذا المعجم شيئاً من ذلك.

آه :

قالوا: اسم فعل مضارع بمعنى «أتوجَّع» مبني على الكسر، وهي لغة في «أوَّه» وقد تنوَّن فيقال: آهٍ.

أقول: «آه» وجملة أخرى من كلمات هي في حقيقة الأمر أصوات يطلقها الإنسان للإعراب عن حال عاطفية خاصة من ألم وخوف ودهشة ونحو ذلك، وقد وضع لها النحاة معاني فعلية وأدرجوها في باب «اسم الفعل».

وهذه نادرة الحضور في العربية المعاصرة، وقد يأتي شيء منها في معرض القصص.

أب :

ترد بحرفين فتعرب بالحركات، وترد معربة بالحروف (الواو والألف والياء).

أقول: وهذه معروفة في العربية الحديثة إلا ما كان منها بلغة القصر، كقولهم:

إنَّ أباها وأبا أباها قد بَلَغا في المجد غايتاها(٧)

فإنها لغة قديمة لم يبق شيء منها في عربيتنا الحديثة.

أبْتَع :

من ألفاظ التوكيد المعنوي، ومؤنثها بتعاء، ولا تضاف إلى ضمير المؤكد، وتجيء لتقوية معنى «كلّ» في التوكيد التي تسبق ألفاظ التوكيد وهي: أبتَع، وأبصَع، وأجمَع، وأكتَع، نقول: جاء القومُ كلُّهم أجمعون أكتعون أبصَعون أبتَعون، وجاءت القبيلة كلُّها جَمْعاءُ كتْعاء بصْعاء بَتْعاء.

أقول: وهذا من النادر الغريب في العربية القديمة، والكثير منه لفظ

---

(٧) مغني اللبيب ص ٣٨.

«أجمع» كما في قوله تعالى: «فَسَجَدَ الملائكةُ كُلُّهُمْ أجْمَعُون» ٣٠ سورة الحجر.

ولم يبق شيء من هذا في العربية الحديثة إلا التوكيد بلفظ «أجمع وجمعاء» فقد يرد على وجه من القلة والندور.

أبصَـع :

انظر : أبتَع.

ابنـم :

قالوا: لغة في «ابن» وحركة الإعراب تظهر على الميم ويتبعه الحرف الذي قبله، فتقول: «ابنُم» رفعاً و «ابنَماً» نصباً، و «ابنِمٍ» جرّاً(٨).

أقول: و «ابنُم» تَرِدُ في جملة الأسماء التي همزتها همزة وصل نحو: «ابنٌ واسمٌ واسْت...».

وقد ورد في هذه الأسماء «أيمن» في قولهم: «أيمن الله» في القسم، ولكثرة تردادها تحولت إلى «أيم الله» وحذفت النون. وكأني أرى أن إدراج «أيمن» مع الأسماء التي همزتها همزة وصل غير صحيح، وذلك لأن «أيمن» في قولهم «أيمن الله» في القسم هو جمع «يمين» نظير «أشهر» جمع «شهر»، ولا يمكن أن تكون همزتها على هذا همزة وصل. والذي أرجّحه أن الكلمة «ابنُم» صارت تقال: «ابنُمن» وكتبوا التنوين نوناً، و «ابنُمُن» هذه قد تُصَحَّف فتكون «أيمن».

أقول: إن «ابنُم» بالميم كلمة نادرة، وهي مما زال من الاستعمال في عربيتنا الحديثة. وهي في تاريخها القديم تشير إلى ما انتقل من الكلم القديمة من لغة يمنية أو من لغة سامية أخرى كالأكدية، وفي هذه اللغات يكون ما ندعوه «تنوينا» في العربية «تمييماً» أي إلحاق ميم في آخر الكلم(٨) ولم يشعر العرب القدماء من غير اليمنيين أن هذه الميم تقابل نون التنوين، بل عدّوها من بنية الاسم.

---

(٨) أقول: ومثل هذا في زيادة الميم كلمة «فم»، وهي في العربية «فو» نظير «أبو»، ولكن الميم لحقتها في لغة يمنية وغيرها، ولم يعرف المعربون هذه الميم، وجمعها اللغويون على «أفمام» وهي «أفواه».

أجِـدَّكَ :

قالوا: مصدر نائب عن فعله المحذوف منصوب، وقالوا: معناه أَبِجِدٍّ منك.

أقول: وهذا من الكلم القديم الذي لا نعرفه في عربيتنا المعاصرة، وقد يتعذر وجوده في شعر الشعراء أصحاب القافية والوزن.

أجْـدَل :

قالوا: هو الصقر، وهي كلمة ليست صفة، وقد رأى فيها بعضهم القوة فمنعها من الصرف لوزن «أفعل» وما فيها مما يتخيّل أنه صفة، فقالوا: نظرت إلى أجْدَل، وأكثر النحاة يصرفونها لتعذر وجود الصفة.

ومثل هذا «أخيل» اسم طائر، فقد رُئي فيها معنى «التّخيّل» ولذلك جاء فيها الصرف والمنع.

أقول: وهذا كله من المواد النحوية التي زالت في العربية الحديثة، بل ربما كان قليل من أهل العلم اللغوي يعرف هذا.

أجْمَع :

انظـر : «أَبْتَع».

أُحــاد :

قالوا: لفظ صيغ من العدد على وزن «فُعال» وهو ممنوع من الصرف، معدول عن واحد واحد، نحو: جاء القوم أُحاد. والكلمة في الاستعمال تأتي صفة أو حالاً أو خبراً، وكذلك ما صيغ على بنائه نحو: ثُناء وثُلاث، ورُباع، وخُماس..

أقول: وليس شيء من هذا في العربية الفصيحة المعاصرة.

أَخْ :

قالوا: اسم فعل مضارع مبني على السكون بمعنى «أتوجَّع» وفاعله ضمير مستتر تقديره «أنا».

أقول: وهذا مما أدرجه النحاة في هذا الباب، وقد قلت في «آه» ما يصح أن يكون هنا أيضاً.

والكلمة مما لا يعرف في العربية الحديثة، بل إنها تحولت إلى كلمة عامية دارجة، وهي في العامية «آخ» مع المدّ.

أَخٌ :

وهي تستعمل على لغة القصر نظير أب، ولكن هذا قليل، والكثير فيها الإعراب بالواو والألف والياء، من الأسماء الخمسة.

أقول: وهذا كله معروف في العربية الحديثة، إلا لغة من ألزمها الألف، وهي لغة عربية يمنية. انظر «أب».

اخلَوْلَقَ :

قالوا: فعل ماضٍ مبني على الفتح من أفعال الرجاء، جامد لزم بناء الماضي، يدلّ على رجاء وقوع الخبر، يعمل عمل «كان» الناقصة، غير أن خبره جملة فعلية فعلها مضارع مقترن بـ «أن» الناصبة، نحو: اخلولق المطر أن ينزل.

أقول: وهذا من الكلم الذي لا نضبطه في نص قديم، ولكننا نجده في المثال النحوي المصنوع.

وهو على أيّة حال غير مستعمل في العربية الحديثة.

أخوَلَ أخْوَلَ :

قالوا: حال مركبة مبنية على فتح الجزءين تركيب «أحَدَ عَشَرَ» بمعنى «متفرِّقين» نحو: تساقطوا أخوَلَ أخوَلَ، أي متفرِّقين، واحداً بعد آخر.

أقول: وهذا من الكلم النحوي الذي زال من الاستعمال.

أخْيَل :

انظر : «أجْدَل».

إذْمــا :

قـالوا: حـرف شرط جـازم لفعلين مضارعـين غالبـاً، ومنه الشـاهد النحوي:

وإنَّكَ إذما تـأتِ مـا أنت آمـر به تُلفِ مَن إيّاهُ تـأمُرُ آتيـا(٩)

أقول: ولم أقف على شاهد غير هذا جاءت فيه «إذما».

و «إذما» هذه مما زال من مواد النحو في العربية الحديثة.

إذَن :

قالوا: إنها ناصبة عـلى أن تكون في صـدر الكلام، والفعـل بعدهـا مستقبل، وأن تتصل به ولا يفصل بينهما فاصل، ولكن الفاصل هذا إذا كان قسماً نصبت الفعل أيضاً.

أقول: ولم يرد شاهد لـ «إذَن» هذه الناصبة بهذه الشروط، في نص يعتَدّ به، آيةً أو بيت شعر قديم، وهم يمثلون لها بكلام مصنوع.

أقول: وهذا كله مما لا نعرفه في لغتنا العربية المعاصرة.

أرَى :

فعل ماض ينصب ثلاثة مفاعيل...

وللفعل أحكام:

١ ـ الإلغاء، وهو إبطال العمل لفظاً ومعنى ـ إذا تقدم أحد المفعولين الثاني أو الثالث، أو الاثنان معاً على الفعل، نحو: العلم أرى زيدٌ عمراً مفيد، أو العلم مفيد أرى زيد عمراً.

٢ ـ التعليق، وهو إبطال لفظاً لا معنى، لمانع ـ لاعتراض ماله الصّدارة في الكلام بينها وبين معموليهـا الثاني والثـالث، فيبطل كـونهما مفعولـين، ويصبحان مبتدأ وخبراً سدّا مسدّ مفعولي «أرى».

---

(٩) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤/٢٩.

والموانع معروفة ـ هي لام الابتداء، لام جواب القسم، الاستفهام سواء أكان بالحرف أم بالاسم، لا النافية، إنْ النافية، لعلّ، لو الشرطية، كم الخبرية . . . ومثل «أرى» في نصبها المفاعيل الثلاثة جملة أفعال هي: أعلَمَ وأنبَأ ونبَّأ وحدَّث وغيرها.

والإلغاء والتعليق يعرض للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر نحو: عَلِمَ ودَرَى وخال وغيرها.

أقول: إن الإلغاء والتعليق مما لا نجده في العربية المعاصرة، وهما إن وجدا فذاك لأن الكاتب أو الشاعر يَتَقَيَّلُ سبيل الأقدمين.

اسـتُهتِر :

قالوا فعل ماض أتى على صيغة المجهول، والمرفوع بعده فاعل.

أقول: وهذا الفعل كثير في العربية الحديثة، ولكنه بصيغة المعلوم «استَهْتَر» مثل «استَخْرجَ».

إضـون :

جمع «أضاة» ممّا ألحق بجمع المذكر السالم مثل: سنون وأرضون وعالَمون ومئون ووابلون وغيرها.

أقول: ولا نعرف في العربية المعاصرة «إضـون» وإن ما ألحق بجمع المذكر السالم من هذه المواد أكثره لا وجود له في العربية المعاصرة عدا سنين وعالمين وألفاظ العقود نحو: عشرين إلى تسعين، وربما كان «أهلون» من المستعمل نادراً.

أُفٍّ :

اسم فعل مضارع بمعنى «أتَضَجّر» والفاعل ضمير مستتر تقديره «أنا»، قال تعالى: «فلا تقُلْ لهما أُفٍّ» ٢٣ سورة الإسراء.

أقول: إن معنى التضجّر معنى إنسانيّ، ولكن المعربين لا يعربون عنه باستعمال هذه المادة، بل يذهبون إلى شيء آخر.

أفعِلْ بـه :

صيغة تعجب، فعل ماض جاء على صيغة الأمر، خالٍ من الضمير، جامد غير متصرف والجار بعده زائد، والاسم فاعل تقديراً. . نحو قوله تعالى:

«أسمِعْ بِهِمْ وأبْصِرْ» ٣٨ سورة مريم .

أقول: وهذا مما لا نجده في العربية المعاصرة.

أكْتَع :

انظر «أبتَعْ».

أل (الموصولة التي تدخل على المضارع):

وفيها الشاهد النحوي:

ما أنتَ بالحكم التـرْضَىَ حكـومتـهُ ولا الأصيل، ولا ذي الرأيِ والجَدَلِ(١٠)

أقول: ودخول هذا الموصول الحرفي على الفعل المضارع كثير في اللغة الدارجة وليس شيء منه في العربية المعاصرة الفصيحة.

الألى :

اسم موصول لجمع المذكر عاقلاً كان أو غير عاقل، مبني على السكون، قال الشاعر:

نحن الألـىَ، فـاجمـع جمـو عَـكَ ثـمّ وَجِّـهْـهـمْ إلـيـنـا(١١)

أقول: وهذا الموصول من لوازم العربية القديمة، وليس مما نجده مستعملاً في العربية الحديثة.

---

(١٠) شذور الذهب ص ١٦.

(١١) مغني اللبيب ص ٨٦، ٦٢٥.

الألاء :

وهـو موصـول أيضاً لجمـاعة العـاقلين، وهو المـدود من المقصور «الألىَ». وقيل فيه أيضاً: إنه اسم إشارة واستعمل موصولاً، قال كثيرٌ:

أبـىَ اللّهُ لـلشُّمِّ الألاءِ كـأنّـهـم   سيوفُ أجادَ القينُ يوماً صِقالهَا(١٢)

أقول: وهذا أيضاً مما لا نجده في العربية الحديثة.

الأولى:

اسم موصول لجماعة الإناث للعاقل، وهو اسم جمع، كقول الشاعر:

فـأمّـا الأولى يسكُنَّ غـورَ تِهـامـةٍ   فكل فتاةٍ تترك الحِجْلَ أقصَما(١٣)

أقول: وهذا موصول آخر لا نعرفه في عربية العصر.

ألا :

بفتح الهمزة مخففة ، حرف في عدة معانٍ:

١ ـ حرف استفتاح وتنبيه.
٢ ـ حرف عرض (وهو طلب برفق).
٣ ـ حرف تحضيض (وهو طلب بحث وشدة).
٤ ـ حرف توبيخ وإنكار.
٥ ـ حرف استفهام عن النفي.
٦ ـ حرف تَمَنٍّ بمعنى أتمنى.

أقول: ولم يبق من هذا كله إلا انصراف «ألا» إلى العَرْض كقولنا: ألا تأتي معنا، وقد تنصرف إلى التوبيخ المستفاد من المعنى كقولنا: ألا تستحي.

ألاّ :

---

(١٢) شذور الذهب ص ١٢٢.

(١٣) شرح الألفية لابن عقيل ١/٤٥، ومغني اللبيب ١/٤٥٣.

بفتح الهمزة وتشديد اللام وهي :

١ ـ حرف تحضيض، نحو ألاّ تتهيّأ للسباق.

٢ ـ أن الناصبة مدغمة في «لا».

أقول: إن الثانية معروفة في العربية المعاصرة بخلاف الأولى التي زالت ولم يبق شيء منها.

الّـذون :

اسم موصول جمع «الذي» لغة في «الذين،» وهي في قول الراجز:

«نحن الذون صَبَّحوا الصباحا»(١٤).

الـلاّءِ :

اسم موصول لجماعة الإناث للعاقل وغيره، قال الشاعر:

فـمـا آبـاؤنـا بـأمَـنَّ مـنـهـم   علينا اللاءِ قد مَهَدوا الحجورا(١٥)

أقول: لم تبق «اللاءِ» هذه في العربية المعاصرة، والذي من هذه هو «اللائي» بمدّ الكسرة. ومثل «اللاء» «اللاتِ» بالكسرة في عدم حضورها بعكس الممدودة «اللاتي» أو «اللواتي».

أمْ :

انظر : «الهمزة».

أمـام :

ومن أحوالها أنها تُبنى على الضم إذا أضيفت وحذف المضاف إليه ونُويَ معناه دون لفظه نحو: دخلت الغرفة فجلستُ أمامُ.

---

(١٤) مغني اللبيب ص ٤١٠.

(١٥) شرح ابن عقيل ١/١٤٥.

أمامَـكَ :

اسم فعل أمر بمعنى «تقدّم».

أقول: لم يبق في العربية المعاصرة «أمام» المبنيّة على الضم، ولا «أمامك» اسم الفعل الأمر إلا استعمـال الجند في التـدريب العسكري، فـالجندي يسمع من رئيسه «أمام» فيفهم التقدّم إلى الأمام، وهذا من باب الاختصار والاكتفاء بأقل عبارة تومىء إلى القصد.

أنْ :

بفتح الهمزة وسكون النون، وهي خمسة أنواع:

١ ـ الناصبة، وهي معروفة وتعمل ظاهرة أو مقدرة. .
وأما الزائدة فهي التي بعد القسم نحو: أقسم بالله أن لو جاء لأكرمنه، وبعد «لمّا» الحينية نحو قوله تعالى: «فَلَمَّا أَنْ جَآءَ الْبَشِيرُ» ٩٦ سـورة يوسف.
وهذه الزائدة قد زالت في الاستعمال في عصرنا.

٢ ـ والمخففة من الثقيلة بعد فعل اليقين نحو: علم ورأى، ويحذف الاسم بعدهما على أنه ضمير الشأن وجوباً وخبرهما جملة اسمية أو فعلية تفيد الدعاء. ولهذه أحوال أخرى كلها مبسوط في كتب النحو.
أقول: وهذه مما زال من مواد النحو القديم في العربية الحديثة.

٣ ـ والمفسرة، بمنزلة «أي» التفسيرية، ويغلب أن يليها فعل الأمر نحو قوله تعالى:
«فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ» ٢٧ سورة «المؤمنون».
وفي هذه شروط. . .
أقول: وهذه مما زال في العربية الحديثة.

إنْ :

بكسر الهمزة وسكون النون.

ومن هذه «نافية»، وهي حرف لها الصدارة فلا يتقدمها شيء، ومدخولها جملة اسمية، وتعمل عَمَل «ليس» نحو قولك: إن زيدٌ منطلقاً.

أقول: وهذه مما زال في العربية المعاصرة. والمعربون لا يتبين لهم النفي إلا إذا وليتها «إلّا» نحو قوله تعالى: «إنِ الْكَافِرُونَ إلاَّ في غُرورٍ»، ٢٠ سورة الملك.

أو وَليتْها «لمّا» بمعنى «إلاّ» نحو قوله تعالى: «إنْ كلُّ نفسٍ لَمّا عَلَيْها حَافِظٌ» ٤ سورة الطارق.

وهي في هذا الاستعمال الذي يأتي فيه «إلا» تدخل أيضاً على الجملة الفعلية، نحو قوله تعالى:

«إنْ أردنا إلاّ الحسنى» ١٠٧ سورة التوبة.

ومن عدم تبين المعربين لمعنى النفي لـ «إنْ» مع وجود «إلا» أو «لمّا» بعدها، تحولوا عنها إلى استعمال «ما» فقالوا: ما هو إلا شيء يسير، وفي هذا يبطل عملها. وعلى هذا لم يتّضح للمعربين في عصرنا معنى النفي فزال استعمال «إنْ» النافية.

ومن هذه المخففة من الثقيلة، وتدخل على الجملة الفعلية فتهمل، وأكثر ما يكون الفعل ماضياً نحو قوله تعالى: «وَإن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إلَّا عَلَىٰ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ» (سورة البقرة: ١٤٣). وقد يأتي الفعل بعدها مضارعاً ناسخاً نحو قوله تعالى: «وإنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ» ١٨٦ سورة الشعراء.

وندر أن يكون الفعل غير ناسخ، وهذا لا يقاس عليه نحو قول الشاعر:

شَلَّتْ يمينُـكَ إنْ قَتَلت لمسلماً حلَّت عليك عقوبة المتعمِّدِ(١٦)

وقد تدخل على الجملة الاسمية فتهمل، وهو الأكثر نحو: إنْ زيدٌ قادمٌ، وقد تعمل كالثقيلة فتلزم اللام المتأخر من معموليها، وهي اللام

---

(١٦) مغني اللبيب ص ٢٤، وشرح ابن عقيل ١/٣٨٢.

الفارقة للفرق بين «إن» المخففة من الثقيلة وبين «إنْ» النافية نحو قولهم: إن زيداً لقادم، وإنْ في الدار لزيداً.

أقول: وهذا كله قد زال من العربية الحديثة.

وتأتي زائدة للتوكيد بعد «ما» النافية كقول الشاعر:

مـا إنْ أتيتَ بشيءٍ أنـتَ تكـرهُـهُ ... إذَن فلا رفعت سَوْطي إليَّ يـدي(١٧)

وبعد «ما» المصدرية، نحو:

ورَجِّ الفتى للخيـر مـا إنْ رأيتـه ... على السنِّ خيراً لا يزال يَزيدُ(١٨)

وبعد «ما» الحجازية، نحو:

بني غُـدانـةَ مـا إنْ أنتُمُ ذَهَبـاً ... ولا صريفاً، ولكنْ انتمُ الخَزَفُ(١٩)

وبعد «ما» الموصولة نحو:

يُـرَجِّى المـرءُ مـا إنْ لا يـراه ... وتعـرض دون أدناهُ الخـطوبُ(٢٠)

وبعد «ألا» الاستفتاحية:

ألا إنْ سَـرَى ليلي فـبتُّ كئيـبـاً ... أُحاذرُ أن تنأى النّوى بغَضوبـا(٢١)

أقـول: وزيـادة «إنْ» في هـذه المـواضـع كلهـا ممـا لا يعـرض في لغـة المعاصرين.

إنَّ بمعنى «نَعَم»: كما في قول الشاعر:

بَـكَـرَ الـعـواذلُ فـي الصَّـبُـو ... حِ يَـلُمْـنَـنـي والـومُـهُـنَّـهْ

---

(١٧) مغني اللبيب ص ٢٥.
(١٨) الكتاب ٤/٢٢٢، المغني ص ٢٥.
(١٩) شذور الذهب ص ١٩٤، مغني اللبيب ص ٢٥.
(٢٠) مغني اللبيب ص ٢٥.
(٢١) المصدر السابق.

ويــقُــلْنَ شَــيْــبٌ قــد عــلا ك وقــد كَبِــرتَ فقـلتُ إنَّــهْ(٢٢)

أي: نَعَم علاني الشيب وما زلت كما كنت، وقيل: إن عبدالله بن الزبير سأله رجل فلم يعطه، فقال: لعن الله ناقةً حملتني إليك، فقال عبد الله: إنَّ وراكبَها. أي نعم، ولعن الله راكبها(٢٣).

أقول: ولم يبق شيء من هذا في عربيتنا الحديثة.

انبَرَى:

من أفعال الشروع بمعنى (بدأ)، وهذا يعني أنه يرفع الاسم وينصب الخبر، وخبره جملة فعلية فعلها مضارع نحو: انبرى الصبيُّ يلعبُ.

أقول: وليس أن يستعمل هذا انفعل في العربية الحديثة على هذا النحو فقد يكثر أن نسمع: انبَرَى فلان في عمله، والفعل يتجاوز معنى البَدء والشروع، فيكون بمعنى مضى وجَرَى.

أنشَــأَ:

من أفعال الشروع.

أقـول: وكأنَّ هـذا من المنسي في عصرنـا، وانصـرف الفعـل إلى معنى «الإنشاء» بمعنى البناء، ومن هذا قولهم: أنشأ مقالةً.

انفـكَّ:

من أفعال الاستمرار مسبوقاً بـ «ما» مثل «ما زال» و «ما بَـرِحَ» و «ما فَتِيء». واستعمال هذه معروف.

أقول: والكثير منها في الاستعمال «ما زال»، يقال: ما زال المطر ينزل، وأما «لا زال» فإنها تفيد الدعاء، قال الشاعر:

---

(٢٢) الكتاب ٣/١٥١، والمغني ص ٣٨.

(٢٣) خزانة الأدب ٤/٦٢.

« ولا زال مُنهَلاً بجَرْعائِكِ القَطْرُ »

وأما «ما انفك» و «ما بَرِح» و «وما فتىء» فشيء يكثر في الفصيحة القديمة.

أُهتِرَ :

فعل ماض مبني للمعلوم أتى على بناء المجهول، بمعنى «تعلَّقَ بالشيء».

أقول: وهذا نظير «استُهْتِر»، وقد سبق الكلام عليه. وأما «أُهتِرَ» فلا يعرف في عربية العصر، وقد استُغني بـ «استَهْتَر» مبنية للفاعل عن «أُهْتِرَ».

أُهْرِعَ :

فعل ماضٍ لزم صيغة المفعول، بمعنى «أسرَعَ».

أقول: والذي في العربية المعاصرة هو «هَرَعَ» بالبناء للمعلوم.

أهلون :

جمع «أهْل» وهو مما ألحق بجمع المذكر السالم. انظر: «أضُون».

أقول: ولم يشعر المعربون في عصرنا بالحاجة إلى جمع «أهل»، وكأنَّ المفرد يسدّ الحاجة. وربما استعار جماعة «الأهالي» من اللغة الدارجة، وإن جاء في المعجم القديم «أهالٍ» وكأنها تومىء إلى جمع الجمع. غير أنك قد تلقى «أهلون» هذه في كتابة المتفاصحين.

أو :

بمعنى «إلّا» أو «حتّى»، وينصب الفعل بعده بـ «أن» مضمرة وجوباً، فإن كان الفعل الذي قبلها مما ينقضي ويحصل دفعةً واحدة فهي التي بمعنى «إلّا» نحو قول زياد الأعجم:

وكنتُ إذا غَمَزْتُ قَناةَ قومٍ كَسَرتُ كعوبَها أو تستقيما(٢٤)

(٢٤) الكتاب ٤٨/٣.

أما إذا كان الفعل مما ينقضي ويحصل شيئاً فشيئاً، فهي التي بمعنى «حتّى» نحو قول الشاعر:

لأستَسْهِلَنَّ الصعبَ أو أُدركَ المُنَى   فما انقادَت الآمال إلّا لصابر

والفعلان «تستقيم» و «أدرك» منصوبان بـ «أنْ» مضمرة وجوباً بعد «أو».

أقول: وهذا مما لم يبق شيء منه في العربية المعاصرة.

أوَّلُ:

ومن أحوالها أنها تُبنَى على الضم إذا أضيفت وحُذف المضاف إليه ونُوِيَ معناه لا لفظُه ومنه قول الشاعر:

لعمـرُكَ ما أدري وإني لأوجَـلُ   على أيِّنـا تعدو المنيّةُ أوَّلُ(٢٥)

أقول: وقد زال بناء «أول» على الضم في العربية المعاصرة.

أولات:

اسم جمع لا واحد له من لفظه، والمعنى «صاحبات»، تلحق في الإعراب بجمع المؤنث السالم، قال تعالى: «وإنْ كنَّ أولاتِ حَمْلٍ فأنفِقوا عليهنَّ» ٦ سورة الطلاق.

أقول: كأن «أولات» قد زالت في لغتنا الحديثة بخلاف «أولو» وهو المذكر.

أُوّاه:

قالوا: اسم فعل مضارع مبني على السكون بمعنى أتوجَّع وأتضَجَّر.

أقول: وهي مع الكلمات التي عرفت في العربية وانصرفت إلى الأعراض العاطفية، ولم نجدها إلا في الندرة كأن يحتاج إليها شاعر يتحرى الكلمَ القديم فيستعملها كما قال الشاعر إسماعيل صبري من شعراء هذا

---

(٢٥) المقتضب ٣/٣٤٦.

العصر:

أوّاهْ مِن حُـرَقٍ أودَتْ بمعـظمهـا ولم تَـزَلْ تَتَمشَّى في بقـايـاهـا

غير أن المعربين أخذوا منها الفعل «أوَّهَ» و «تأوَّهَ» وشاعا في العربية الحديثة.

إي :

بكسر الهمزة وسكون الياء، حرف جواب بمعنى «نَعَم»، ويقع في الغالب بعد الاستفهام، وقبل القسم نحو قوله تعالى: «ويَسْتَنْبِئونَكَ أحقٌّ هُو قل: إي وربّي إنّه لحَقٌّ» ٥٣ سورة يونس. وليس شيء منها في الفصيحة الحديثة، غير أنها معروفة في الألسن الدارجة.

أيّ :

الموصولة التي تضاف إلى المعرفة ويحذف صدر صلتها، وهي بلفظ واحد للمذكر والمؤنث، مفرداً أم غير مفرد، عاقلاً أم غير عاقل، نحو قوله تعالى: «ثمّ لَنَنْزِعَنَّ من كل شيعةٍ أيُّهم أشَدُّ على الرحمن عِتِيًا» ٦٩ سورة مريم.

وكقول غسان بن وعلة:

إذا مـا لـقيـتَ بـنـي مـالـكٍ فـسَلِّمْ عـلى أيُّـهـم أفـضَـلُ(٢٦)

أقول: وهذا شيء من الكلم النحوي القديم الـذي عفا أثـره في العربيـة الحديثة.

أيـا :

بالتخفيف لنداء البعيد، أو ما في حكمه كالنائم والساهي.

لا يعرف المعربون في عصرنا هذه الدقائق الأسلوبية، وهم محتاجون

(٢٦) مغني اللبيب ص ٧٨، ٤٠٩.

إليها، ومن هنا فقد خلت كتاباتهم من هذه الأداة للنداء.

أيُّما :

وهي «أيّ» الشرطية و«ما» زائدة كما في قوله تعالى: «أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فلا عُدوانَ عليَّ» ٢٨ سورة القصص.

أقول: وهذه مما لا نجده في عربية العصر.

أيْمن :

انظر «ابنُم».

أينَما :

اسم شرط جازم.

وكقول كعب بن جُعَيل:

صَعْدةٌ نابتةٌ في حائرٍ أينَما الريحُ تُمَيِّلْها تَمِلْ(٢٧)

أقول: وهذه من أدوات الشرط التي لا تُرى في عربيتنا المعاصرة.

إيهْ :

اسم فعل أمر مبني على الكسر، بمعنى: امضِ في حديثك، قال ذو الرمة:

وقَفْنا فقلنا: إيهِ عَن أمِّ سالمٍ وما بال تكليم الديارِ البَلاقِعِ(٢٨)

أقول: وهذه من لوازم الأدب القديم، وقد ذكرت في المصادر النحوية، وليس شيء منها في العربية المعاصرة.

---

(٢٧) الكتاب ٣/١١٣.

(٢٨) المقتضب ٣/١٧٩.

بـاب البـاء

بَجَـــل :

حرف جواب، بمعنى «نَعَم»، مبني على السكون.

وقالوا: اسم فعل مضارع بمعنى «يكفي» والفاعل ضمير، نحو: بَجَلي، أي: يكفيني.

قال السيوطي: إن قولهم: «بَجَلني» بالنون نادر.

وقالوا: إنه اسم مرادف لـ «حسب»(٢٩) نحو: بَجَلي، أي: حَسْبي.

أقول: وهذا من غير شك من الكلم المنسيّ الذي لا يعرفه أهل العربية في عصرنا.

بَـخٍ :

اسم فعل مضارع، مبني على الكسر، بمعنى «استحسن»، وتستعمل مكررة بالكسر والتنوين.

أقول: وهذا شيء آخر من الكلم القديم الذي لا تعرفه عربية العصر.

بَـدارِ :

اسم فعل أمر مبني على الكسر بمعنى «أسرع».

أقول: وهذا مما لم يبق في عربية العصر، والمعربون يستعملون الأمر من «بادَرَ» في هذا الخصوص.

بَـرِح :

فعل ماض يفيد الاستمرار يلحق بـ «النواسخ» لا بد أن يتقدمها نفي أو نهي أو دعاء، نحو:

---

(٢٩) الكتاب ٤/٢٣٤.

ما برح الهواء بارداً، وقال الشاعر:

قلّما يبرح السليب إلى ما ... يُورثُ الحمدَ داعياً أو مُجيبا(٣٠)

أقول: كأن العربية الحديثة اجتزأت بواحدة من المواد المتشابهة، فقد عرفت «ما زال»، وهجرت فيها «ما انفكَّ».

و «برح» فعل تام متصرف في العربية المعاصرة، يقال: لم يبرَح الرجل مكانه، أي لم يتركه.

بَرْحَى:

كلمة تقال عند الخطأ في الرمي أو الكلام.

أقول: إنها من الكلم المهجور في عصرنا، في حين أن ضدّها «مَرْحَى» من الكلم المعروف، وتقال عند الإصابة استحساناً.

بَسٍّ:

اسم فعل أمر مبني على الكسر، بمعنى: اكتَفِ. وفي «القاموس» أنها بمعنى «حَسْبُ».

أقول: وهي من المهجور المنسيّ.

بَسْ:

اسم فعل بمعنى «حَسْب»، فارسية معرَّبة. وهذه أيضاً من الكلم الذي لا نجده في العربية المعاصرة، ولكننا نجده في اللسان الدارج.

بُصَع:

وزن «عُمَر» ممنوع من الصرف، يؤكَّد بها توكيداً معنوياً جمع المؤنث، ولا تأتي إلاّ بعد: كلّهنّ جُمَع كُتَع، نحو: جاءت النساء كلُّهنَّ جُمَعُ كُتَعُ بُصَعُ. وتأتي ندوراً بعد «كلهنّ» فقط، وهي جمع بَصْعاء مؤنث أبصع.

---

(٣٠) مغني اللبيب ص ٣٠٦.

أقول: وهذه من الكلم الذي لا نعرفه في عصرنا.

بُـطآن :

اسم فعل ماضٍ، مبني على الفتح، بمعنى «أبطَأ».

أقول: وهو من الكلم القديم الذي شُغل عنه المعربون بالفعل «أبطَأ».

بَـلْهَ :

اسم فعل أمر، مبني على الفتح، وأصله مصدر لا فعل له من لفظه، بمعنى «دَعْ» وقد يأتي مصدراً منصوباً «مفعول مطلق» وفعله محذوف ليس من لفظه، بمعنى «تَرْك» يضاف إلى الاسم بعده.

أقول: وليس لنا اليوم شيء من هذه الكلمة، ولا ترد إلا في ترسل الصفوة أصحاب التنقير.

بيتَ بيتَ :

حال مركّبة تركيب «أحدَ عشرَ» مبنية على فتح الجزءين، نحو: زيد جاري بيتَ بيتَ، أي ملاصقاً.

أقول: هذا من الكلم القديم الذي لا نعرفه في لغتنا الحديثة. إن الحال المركبة نعرفها مثلاً في قولنا: قرأت الكتاب فصلاً فصلاً أو باباً باباً، فأما «بيتَ بيتَ» فلا نعرفها.

بينـا :

ظرف زمان مبني على الفتح، والألف زائدة، وفيها ثلاثة أقوال مبسوطة في كتب النحو، قالت هند بنت النعمان:

فَبَيْنـا نسوسُ النـاسَ والأمرُ أمـرُنا إذا نحن فيها سوقة ليس نُنْصَفُ(٣١)

أقول: لا نشهد «بينا» هذه في العربية الحديثة والمعربون إذا أرادوا شيئاً من هذا الظرف قالوا: «بينما».

---

(٣١) الكتاب ١/١٧١.

باب التـاء

تـاء القسم :

ترد في لفظة الجلالة في قولهم «تاللهِ»، قال تعالى: «قالوا تاللهِ تفتأوا تَذْكُرُ يُوسُفَ» ٨٥ سورة يوسف.

وجاء في كتب النحو: تَحياتِك وتَرَبِّ الكعبة.

أقول: وكأن المعربين تجاوزوا هذه التاء إلى الواو، والباء من أحرف القسم.

تـا :

اسم إشارة مبني على السكون للمفردة المؤنثة، تدخل عليها هاء التنبيه فتكون «هاتا» وتلحقها الكاف للخطاب «تاك». وقالوا: «هاتاكَ»و «تالِكَ». وصُغِرت شذوذاً فقالوا «تيَّا».

أقول: وجملة هذا مما لم يبق في العربية المعاصرة.

تحـتُ :

ظرف مكان مبني على الضم لأنه أضيف وحذف المضاف إليه، ونوي معناه دون لفظه، قال طرفة:

ثم تَفـري اللجْمَ من تَعـدائهـا فِهي من تحتُ مُشيحاتُ الحُزُمْ(٣٢)

تَخِـذَ :

فعل ماض ناسخ من أفعال التحويل، بمعنى «صيَّر» ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، نحو: تخِذْتك صاحبي.

أقول: تحول المعربون في عصرنا إلى الفعل «اتَّخَذَ»، ولم يبق شيء من استعمال «تَخِذ». وأرى أنّ «تَخِذ» جاءت من «اتّخذ»، وقد استفيد من التاء

(٣٢) لسان العرب (شيح).

المدغمة التي هي في الأصل التاء التي أصلها همزة «أَخَذَ» ثم تاء «افتَعَل»، وقد اجتُزِىء بالتاء الثانية بعد إسقاط همزة «اتّخذ»، وغُيِّر بناؤه إلى «فعِل» بكسر العين ابتعاداً عن أصله الذي هو «أَخَذَ» ووزنه «فَعَلَ».

تَـرَكَ :

فعل ماضٍ ناسخ من أفعال التحويل بمعنى «صيَّرَ» ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، قال فرعان بن الأعرف:

وربَّيْتُـهُ حتى إذا مـا تـركتُـه ... أخا القوم واستَغْنَى عن المَسْح شاربُهْ(٣٣)

أقول: لم يبق من الفعل «ترك» إلاّ معناه التام الذي لا ينصب مفعولين، بل ينصب الواحد نحو: تركت الأمر...

تَعَلَّمْ :

فعل أمر ناسخ بمعنى: اعلَمْ، وهو فعل جامد لا يتصرف ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، قال زياد بن سيّار:

تَعَلَّمْ شِفاءَ النفس قَهْرَ عدوِّها ... فبالِغْ بلُطْفٍ في التَّحيُّل والمكْرِ(٣٤)

وقد يكون مدخولها جملة مصدرة بـ «أنَّ» تسد مسدّ المفعولين كقول أنس ابن زنيم:

تَعَلَّمْ، رسولَ اللّهِ، أنَّكَ مُدركي ... وأنَّ وعيداً منكَ كالأَخْذِ باليَدِ(٣٥)

أقول: وهذا مما ينذُر في العربية المعاصرة، وأن الفعل الأمر «تَعَلَّمْ» إن جاء فيها فهو أمر الفعل المتصرف «تَعَلَّم يتعَلَّمُ».

تِـهْ :

اسم إشارة للمفردة المؤنثة، بُني على الكسر أو السكون، وهو إشارة

---

(٣٣) شرح ابن عقيل ٢/ ٤١.

(٣٤) شذور الذهب ص ٣٦٢

(٣٥) المصدر السابق.

للقريب لا تلحقها كاف الخطاب ولا لام البعد.

أقول: كأن العربية ابتعدت عن هذه الأداة بالمشهور منها وهو «هذهِ».

تي :

اسم إشارة للمفردة المؤنثة مبني على السكون، تسبق بالهاء «هاتيك» وتلحقها كاف الخطاب، وأحياناً لام البعد «تلك».

وهذه أيضاً كسابقتها مما لم نجده في العربية المعاصرة، وربما قد يلجأ إليها أهل الشعر والنظم، والحاجة تدعو.

ومن العجيب أنّ الإشارة إلى المثنى المؤنث هي «هاتان» معروفة في العربية المعاصرة لعدم وجودِ شيءٍ يسد مسدّها.

تَيْدَ :

اسم فعل أمر بُني على الفتح، بمعنى «أمهِلْ»، يقال: تَيْدَ زيداً، أي أمهِلْه.

باب الثاء

ثلاثة :

وحكم المعدود معروف مع «ثلاثة»، إفراداً وتركيباً، وكذلك تعريف ثلاثة إذا اتصلت بالمعدود، وإذا أضيفت إلى معرفة، وما صيغ منها على «فاعل» في الإفراد والتركيب وفي هذا كله من الحدود والشروط والأحوال ما لا نجد الكثير منه في العربية المعاصرة. على أن اللغة الجديدة قد تتجاوز الحدود المنصوص عليها في كتب العربية، ونحن في هذا بين ممتَحَن بالقول بالخطأ، والرجوع عنه إلى الصواب، ولكن المسيرة ماضية، ولا يسمع هذا الذي ينبه إلى الصواب، وبين محتمل للجديد مع خروجه على الموروث، على أنه جديد فُرض على العربية المعاصرة أو قل: إنه «العربية المعاصرة».

ثُلاث :

كلمة معدولة عن «ثلاث ثلاث»، نحو قولنا: جاء القوم ثُلاثَ، وهي غير منونة للوصفية والعدل، نظير رُباع وخُماس. . .

انظر : «أُحاد».

ثُمَّتَ :

هي «ثَمَّ» من أدوات العطف زيدت التاء في آخر كما زيدت في «رُبَّ» فقالوا: «رُبَّتَ»، والتاء مفتوحة، و «ثُمَّتَ» هذه تختص بعطف الجمل، قال:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّني فمضَيتُ ثُمَّتَ قُلتُ ما يَعنيني(٣٦)

باب الجيم

جَرَمَ :

على «فَعَلَ» أو «فَعُل»، تسبقها «لا» وتكون «لاجَرَمَ» بمعنى: حقاً أو لابد. وكأنها عوملت معاملة أدوات القسم، ولذلك قد يأتي بعدها اللام في بعض استعمالها، يقال: لا جَرَمَ لأقومَنّ بالواجب. والكثير فيها أن تعقبها «انّ» وبعدها معمولاها، فإن كسرت الهمزة فإن «لا» نافية للجنس، وإنْ فتحت فإن «لا» زائدة و «جَرَم» فعل ماض بمعنى وَجَبَ والمصدر المؤوّل من «أنَّ» ومعموليها فاعل في محل رفع.

أقول: هذا كله في استعمال «لا جَرَم» وقول النحويين فيها، وهي لا ترد في اللغة المعاصرة، وإن كان قد يوردها متأدّب من المعاصرين، فمن باب التفاصح.

جَعارِ :

اسم للضّبع مبني على الكسر، قال النابغة الجعدي:

---

(٣٦) الكتاب ٣/ ٢٤.

فقلتُ لهـا عيثي جَعـارِ وجَــرِّري بلحم امرىءٍ لم يشهد اليومَ ناصرُهْ(٣٧)

أقول: هذا ما يرد في استشهاد النحاة على بناء «فَعالِ» وبنائه على الكسر علماً لأنثى أو سبّاً لها أو اسم فعل أمر. وهذا من غير شك يدخل في باب السبِّ للضبع.

وجميع هذا قد زال من العربية المعاصرة.

جَعَـلَ :

فعـل ماض نـاسخ متصـرف يلحق بـ «ظن» في الاستعمال، ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر نحو: جعـل الجبانُ السهـل صعباً، وهـو يفيد رجحان الخبر.

وقد يأتي للشروع بمعنى «أخذ» والذي يعمل منه هذا الاستعمال الماضي والمضارع فقط، نحو جعل زيد يجتهد.

وقد يأتي للتحويل بمعنى «صيَّر»، نحو: جعلتُ الطينَ إبريقاً.

أقول: وجميع هذا لم يرد في اللغة المعاصرة، والمعاصرون يذهبون إلى «ظنّ» و «خالَ» و «حَسِبَ» ونحوها، كما يذهبون إلى «صيَّر» ونحوه.

والكثير في استعمال «جعل» التصرف التام نحو: جعلته على وفق النظام المتبَّـع.

جَـلَل :

حرف جواب بمعنى «نعم».

وتكون اسماً بمعنى «عظيم» نحو قول الشاعر:

فـلـئن عَـفَــوتُ لأعـفـونْ جَـلَلاً ولئن سَـطَوتُ لأوهنَنْ عظمي(٣٨)

---

(٣٧) الكتاب ٣/٢٧٣.

(٣٨) مغني اللبيب ص ١٢٠.

وتأتي بمعنى «اليسير» من الأمر، كقول امرىء القيس لما سمع بمقتل أبيه:

«ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلَلْ»(٣٩)

ومن هنا، قال اللغويون: إن «جَلَل» من الأضداد.

وترد «جَلَل» بمعنى «من أجل» نحو:

رَسْــمِ دارٍ وقَــفْــتُ في طَــلَلِهْ كِــدْتُ أقضي الحياةَ من جَلَلِهْ(٤٠)

أي من أجله، وقيل: من عظمته في عيني.

أقول: وجملة ما ورد في «جلل» غير وارد في العربية المعاصرة إلا معنى «العظيم»، والمعاصرون يقولون في المصيبة العظيمة مثلاً: خطب جَلَل.

وأود أن أقول: إن مادة الأضداد أوشكت أن تزول أو زالت من العربية المعاصرة.

الجَمّاء الغفير:

وهي حال وردت معرَّفة بالأداة، وهو من الشذوذ، قالوا: جاءوا الجَمّاءَ الغفير، أي مجتمعين.

أقول: وليس في عربية اليوم شيء من هذا الاستعمال، واستبدلوا به مثلاً: جاءوا جمعاً غفيراً، وهم يريدون بـه الكثرة الكثيـرة لا أنهم مجتمعون ليس غير.

جُمَع:

من ألفاظ التوكيد المعنوي للمؤنث الجمع. انظر «بُصَع».

وهو لفظ معدول عن «جمعاوات» يقال: جاءت النسوة كُلُّهُنّ جُمَعُ.

---

(٣٩) مغني اللبيب ص ١٢٠.

(٤٠) شرح المفصل ٨/٥٢، وشرح ابن عقيل ٢/٣٨.

جمعاء :

من ألفاظ التوكيد المعنوي للمؤنث المفرد، وتجيء مثل «جُمَع» بعد التوكيد بـ «كلّ»، يقال: جاءت القبيلة كلُّها جمعاء.

أقول: وهذا كله قد تخففت منه العربية المعاصرة إلّا أن يقصد إليه من بعض المتفاصحين.

جَيْرِ :

حرف جواب بمعنى «نَعَم» مبني على الكسر، وقد يُبنى على الفتح، وقد ينوَّن. وقد يكون اسماً بمعنى «حقّاً» كما يكون ظرفاً بمعنى «أبداً».

ويجيء حرف قسم مبنياً على الكسر يليه اللام في الجواب نحو:

قالوا : قُهِرتَ فقُلتُ جَيْرِ ليَعْلَمَن   عمّا قليل أيُّنا المقهورُ(٤١)

أقول: وهذا كله من العربية القديمة التي لم يبق شيء منها في إعرابنا المعاصر.

باب الحاء

حار :

فعل ماض ناسخ، مبني على الفتح بمعنى «صار»، نحو:

وما المرءُ إلّا كالشهاب وضوئه   يحورُ رَماداً بعدَ إذْ هو ساطعُ(٤٢)

أقول: وليس لهذا الفعل من وجود في العربية الحديثة بهذا الاستعمال. إن الفعل «حار» في إعرابنا الحديث من «الحيرة» وهو فعل تام متصرف.

(٤١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، الكويت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م/ ٤/ ٢٥٧.
(٤٢) المصدر السابق ١/ ١١٢.

حَـبُّ :

وهي «أفعَل» للتفضيل، وحذفت همزتـه لكثرة الاستعمـال شذوذاً، ومنه قول الشاعر:

قـد زادَه كَلَفـاً بـالحب إذ مَنَعَتْ ... وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا(٤٣)

أقول: وهذا من النوادر الشوارد الذي زال من العربية الحديثة، وهو قليل في العربية القديمة.

حُـبَّ :

من أفعال المدح، وتفتح حاؤها أو تضم، وذلك حين يكون فاعلها غير «ذا» كما في «حبذا». وفاعل «حُبَّ» هذه قد يجرّ بالباء الزائدة، نحو قول الطرمّاح بن حكيم:

حُـبَّ بـالـزّور الـذي لا يُـرَى ... منـه إلاّ صفحـةٌ أو لِمـامُ(٤٤)

أقول: وهذا يدخل في الكلم الغريب النادر الذي قل استعماله في العربية القديمة، فما بالك به في العربية المعاصرة؟

حجـا :

فعل ماضٍ ناسخ متصرف يلحق بـ «ظنّ» في العمل، يفيد الرجحان ينصب المبتدأ والخبر فيكونان مفعولاً به أوّل، ومفعولاً به ثانياً، قال الشاعر:

قـد كنت أحجو أبـاعَمْرٍ أخـا ثقـةٍ ... حتى أَلَمَّتْ بنـا يومـاً مُلِمّـاتُ(٤٥)

أقول: وهذا الفعل مما لم يُرَ في العربية الحديثة.

إن سبيل العربية في هذه الأفعال الناسخة الخاصة أنها اجتزأت بالقليل

---

(٤٣) العقد الفريد ٣/٢٢٨.

(٤٤) شرح الأشموني ٣/٣٩.

(٤٥) لسان العرب (حجو).

المشهور فهجرت جملة أفعال، وربما جهل الكثير من المعربين معانيها وخواصها.

حِـــذاء :

ظرف مكان كأسماء الجهات الست، بمعنى إزاء أو قبالة، يقال: وقفتُ حذاء الباب.

أقول: إذا كان للمعربين المتفاصحين، على قلة منهم، أن يستعملوا هذا الظرف، فهم يقوّونه بالباء للإشعار بالظرفية، يقولون مثلاً: جلست بحِذاء فلان.

حَذارَيْـك :

من المثنّيات من المصادر المنصوبة نحو: لبيك وسَعْدَيك ودَوالَيك، وهذاذَيك وحَنانيكَ، وهي ملازمة للإضافة إلى كاف الخطاب، يقال: حَذارَيك الخَطَر، أي احذرْه.

أقول: وليس هذا في عربية حديثة، والذي لنا في إعرابنا الحديث هو «حَذارِ» على قلة، فقد يرد في كتابة الصفوة من أهل العلم بالعربية.

حـــرى :

فعل ماضٍ ليس له مضارع ولا أمر، غير متصرف، يفيد الرجاء لوقوع الخبر، من النواسخ، فهو فعل ناقص يعمل عمل «كان»، إلا أن خبره جملة فعلية فعلها مضارع مقترن بـ «أن» الناصبة نحو: حَرَى الغمام أن ينقشع.

أقول: وهذا مما زال في العربية المعاصرة، وربما جهله المعربون إلا قليلاً منهم.

حَـــرّون :

أرض ذات حجارة سوداء ملحقة بجمع المذكر السالم.

وهذه جملة ألفاظ جمعت هذا الجمع وهي من غير شك آثار باقية تدل على

أن هذا الجمع في عصور العربية القديمة كان جمعاً عاماً غير محدود بهذه الحدود الضيقة.

حَسِّ :

اسم فعل مضارع بمعنى «أتألَّم»، وهي مثل قولنا: أوَّه، للتوجّع، قالت العرب عند التوجع من لذعة النار وغيرها: «حَسٍّ بسٍّ»، وقد تكرَّر «حَسٍّ» فيقال: حَسٍّ حَسٍّ(٤٦).

حَسْب :

اسم مفرد لا يثنى ولا يجمع، بمعنى «كافٍ»، قال تعالى: «مَنْ يتوكَّل على اللهِ فهو حَسْبُهُ» سورة الطلاق: ٣
وله استعمالات خاصة تدخل في باب المبتدأ، وفي باب التمييز.

وقالوا أيضا: إنها اسم فعل مضارع بمعنى «يكفي».
وتأتي بمعنى «لا غير» مقطوعة عن الإضافة فتبنى على الضم، يقال: قرأت كتاباً حَسْبُ. وقد تدخل على هذه فاء للتزيين «فحسْب».

أقول: ولم يبق من هذه إلا استعمالها بمعنى «لا غير» مع لزوم فاء التزيين فيها، في العربية المعاصرة.

حَشُون :

الأرض الموحشة، ملحقة بجمع المذكر السالم.
وهذا كنظائره من الملحقات التي زالت من عربيتنا.

حَضارِ :

اسم علم لكوكب، مبني على الكسر.
وهذا أيضاً من الكلم الذاهب، لجهلنا بالكوكب نفسه.

---

(٤٦) لسان العرب «حسس».

حُمـادَى :

بمعنى «غاية»، وهو من الألفاظ الملازمة للإضافة لفظاً ومعنىً للظاهر والضمير، نحو: حُمادَى الشيء أو حُماداه.

أقول: وهذا من الكلم القديم الذي زال في عربيتنا.

حَنانَيْـكَ :

انظر : «حَذارَيْكَ».

حَـيَّ :

اسم فعل أمر مبني على الفتح بمعنى «أقبل، أو اعْجَلْ» نحو: حيَّ على الصلاة.

أقول: بقيت هذه الكلمة في نص «الأذان» والدعاء إلى الصلاة، وفيه أيضاً: «حيَّ على الفلاح».

حَيْثَ بَيْثَ:

حال مركبة مبنية على فتح الجزءَين، بمعنى «مبحوثة» كقولك: تركت البلاد حَيْثَ بَيْثَ.

أقول: إن الكثير من المركبات يدخل في بـاب «الإتباع»، وذلـك ان تتبع الكلمة المعروفة بكلمة على بنائها مما له معنى أو ليس له بقصد تقوية المعنى نحو: شذر مذر، وحَيْصَ بَيْص، وشَـغَرَ بَغَـر. وقولهم: بنصـه وفصّه وغير هذا.

وجملة هذه المواد اللغوية دخلت في باب المنسي من عربيتنا المعاصرة.

حَيَّهَـل :

مركبة من «حيّ» ومن «هل» إفادة للحثّ والاستعجال، وذلك للمبالغة في طلب الاستعجال، قال ابن مسعود:

إذا ذُكِرَ الصالحون فَحَيَّهَل بعمر(٤٧).

أقول: وليس لنا في العربية الحديثة شيء من هذا إلا ما يكون لأحد من الناس أن يتفاصح، كما عرض ذلك في نثر معروف الرصافي الشاعر العراقي في كتابه «رسائل التعليقات».

باب الخاء

خَباثِ :

صفة لمؤنث جاءت سبّاً وشتماً، مما بُني على «فعال».
أقول: وهذا مما ضاع وفني ولم يبق شيء منه في الإعراب الحديث.

باب الدال

دَوالَيْكَ :

انظر: «حَذارَيْكَ». وقالوا: معناها «تداولاً بعد تداول»
أقول: وهذا من الكلم الذي أوشك أن يزول في العربية المعاصرة.

باب الذال

ذَفارِ :

مما وَرَد على «فَعال» مبنياً على الكسر سبّاً لمؤنث، بمعنى «مُنتنة».
أقول: وهذا أيضاً مما هُجر ونُسِيَ.

ذو :

اسم موصول في لغة طَيِّء، ومنه قول الطائي للمفرد المذكر العاقل:

فقولا لهذا المرء ذو جاءَ ساعياً هَلُمَّ فإنَّ المَشرفيَّ الفرائضُ(٤٨)

(٤٧) الكتاب ٤/١٦٣.
(٤٨) شرح الأشموني ١/١٥٧.

وللمفرد المؤنث غير العاقل، نحو قول سنان بن الفحل:

فـإنَّ الـمـاء مـاء أبي وجَـدّي ... وبئري ذو حَفَرتُ وذو طَـوَيْتُ(٤٩)

أقول: وهذه من المواد النحوية التي لم نرها في شعر أو نثر في عربيتنا الحديثة.

ذَيْتَ ذَيْتَ:

كناية عن قول أو فعل لا يراد ذكره، سواء أكانت بالتكرار أو بالعطف، بنيت على فتح الجزأين.

باب الراء

رُبَّتَ:

هي «رُبَّ» وقد لحقتها التاء مفتوحة، وليس لي أن أحمل التاء على التأنيث، بل هي تاء زيدت في «ثَمَّ» و «أيّ» ونحوهما فقالوا: «ثَمَّةَ» و «أَيَّةَ».
أقول: لم نقف على «رُبَّتَ» هذه في نص حديث إلا أن يكون شعراً يضطر فيه الشاعر، وهذا قليل نادر.

ومثل «رُبَّتَ» «ربَّتما» التي زيدت فيها «ما»، وهذه أيضاً من الكلم الذي لا نقف عليه في العربية الحديثة ولكننا نجده في الشاهد:

مـاويَّ يـا رُبَّـتـمـا غـارةٍ ... شعـواء كـاللذعـة بـالـمِيسَمِ

أقول أيضاً: لعل هذه التاء قد سعى إليها الشاعر القديم، والشاعر القديم أحد صنّاع العربية، وفيه سطوة، يفرض ما يقول فيكون لغة.

رجـع:

فعل ماض بمعنى «صار»، وهو يعمل عمل «صار»، جاء في الحديث الشريف:

---

(٤٩) شرح المفصل ١٤٧/٣، ٤٥/٨.

«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

أقول: والفعل «رجع» في عربيتنا الحاضرة لا يتجاوز الرجوع، فهو فعل تام لازم، يقال: «رجع فلان إلى داره». ومثل «رَجَع» هذه «عاد» التي ذهب استعمالها فعلاً ناسخاً وبقيت بمعنى «العَوْد» فيقال: «عاد فلان من مكتبه».

ردَّ :

فعل ماض من أفعال التحويل، بمعنى «صيَّرَ» ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، نحو قول الشاعر:

فـردَّ شعـورهن السـود بيضـاً ورَدَّ وُجـوهَهُنَّ البيضَ سـودا(٥٠)

أقول: ويتعذر عليك أن ترى شيئاً من هذا في العربية المعاصرة، ولو كان شيء منه فذاك لدى الصفوة أهل التفاصح.

رقـون :

جمـع «رِقة» وهي الفضـة، من الكلم الذي ألحق بجمـع المذكـر السالم. انظر: «حرّون».

بـاب الـزاي

زَعَـمَ :

فعل ناسخ مثل «ظنّ» يفيد الرجحان، ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، قال أوس الحنفي:

زَعَمتني شيخـاً ولـستُ بـشيـخٍ إنمـا الشيـخ من يـدِبُّ دبيبـا(٥١)

أقول: إن استعمال «زعم» فعلاً ناسخاً لا يُرى في العربية الحديثة إلا على

---

(٥٠) شرح ابن عقيل ٢/٤٢.

(٥١) شرح ابن عقيل وسائر كتب النحو القديم.

الندرة، ولكنه معروف في استعماله الآخر الذي تليه فيه جملة اسمية مصدّرة بـ «أنّ» نحو قول كثيّر:

وقد زَعَمَت أنّي تغيَّرتُ بعدها ومن ذا الذي يا عَزُّ لا يتغيّرُ(٥٢)

ومثل هذا كثير في العربية الحديثة.

زُكِمَ :

فعل ماض ملازم للبناء للمفعول، وما بعده فاعل له، نحو: زُكِمَ الرجلُ.

أقول: وكأن المعربين في عصرنا ابتعدوا عن كثير من هذه الأفعال التي أتت على بناء المفعول، وهم تارة يتجاوزونها، كما في «زُكِمَ» إلى عبارة أخرى كأن يقولوا: فلان مزكوم، وهو الشائع الكثير مبتعدين عن «زُكِمَ فلان».

زُهِيَ :

وهو فعل مثل «زُكِمَ» السابق في البناء للمفعول.

والمعربون في عصرنا بعيدون عنه إلى صورة أخرى إلاّ أهل العلم من الأدباء واللغويين.

باب السين

ساء :

فعل ماض للذم مثل «بئس» في استعماله وأحكامه نحو: ساء الرجل فلان الكذّاب.

قالوا: ومثل هذا كل فعل ثلاثي بُني على «فَعُل» للمدح أو الذم نحو: شرف الرجل محمد..

---

(٥٢) شذور الذهب ص ٣٥٩.

أقول: وليس لنا في العربية المعاصرة شيء من هذا، بل إن الفعل «ساء» لا يبتعد عن معناه سواء أصاب الذم أم لم يُصب، يقال: ساء عمل السارق.

إن الذي ذكره النحويون من إفادة «ساء» للذم واستعمالها استعمال «بئس»، وكذلك ما بني من الأفعال على «فُعِل» في إفادة المدح والذم، شيء لا نراه إلا في كتب النحو، وفي أمثلتهم المصنوعة.

ومن المفيد أن أعرض لطائفة من الآيات الكريمة التي ورد فيها الفعل «ساء» منصرفاً إلى معناه بعيداً عن الجمل النحوية المصنوعة المثبتة في كتب النحو، ودونك الآيات:

«إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلًا» ٢٢ سورة النساء.

«مِنْهُم أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وكَثِيرٌ مِنْهُم سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ» ٦٦ سورة المائدة

«سَاءَ مَثَلًا القَوْمُ الَّذينَ كَذَّبُوا بآياتِنَا» ١٧٧ سورة الأعراف.

«أيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ في التُّرابِ أَلَا سَاءَ مـا يَحْكُمُونَ» ٥٩ سورة النحل.

«وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَطراً فَسَاءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ» ١٧٣ سورة الشعراء.

أقول: لم يرد شيء يشبه أمثلة النحويين في هذه الآيات. ولعلهم ذهبوا إلى إفادة الذم في «ساء» وأنها مثل «بئس» مما ورد من قوله تعالى:

«إنَّها سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقاماً» ٦٦ سورة الفرقان، وهذا في الكلام على «النار». ثم وجد النحاة حاجتهم بصورة تعينهم في قوله تعالى:

«بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً» ٢٩ سورة الكهف.

أقول: حتى هذه الآية لم يرد فيها استعمال «ساء» على غرار أمثلة النحويين المصنوعة، وإن جاءت معطوفة على جملة «بئس»(٥٣).

---

(٥٣) وقالوا في «عَلِمَ وجَهِلَ وسَمِعَ» أنها تحول إلى أسلوب المدح والذم مع بقائها على أبنيتها ومثّلوا لها بقولهم: عَلِمَ الرجل زيدٌ، وجَهِلَ الرجل أبو لهب، وسَمِعَ الرجل خالدٌ، أقول: وكله مصنوع لم يؤيّده نص قديم.

سَـحَر :

ظرف زمان منصوب على الظرفية، غير متصرف، وإذا حُلِّي بالأداة تصرَّف، نحو: خرجتُ ليلة أمسِ سَحَرَ. وهي ممنوعة من الصرف إذا أريد بها سَحَرَ يومٍ بعينه لشبه العلمية والعدل. وإذا لم يُرَد بها سحر يومٍ بعينه، فهي نكرة، ومنونة، قال تعالى: «إلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُم بِسَحَرٍ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا» ٣٤، ٣٥ سورة القمر.

أقول: على أن «السحر» معـروف في العربيـة الحديثة، ولكن الكلمة لا تستعمل على هذا النوع من الظرفية الزمانية.

سَـعْدَيكَ :

أي إسعاداً بعد إسعاد، انظر «حَذارَيكَ».

ســقياً لكَ :

مصدر، منصوب على أنه مفعول مطلق، والكلمة من ألفاظ الدعاء، ولمنزلة الماء في حياة العرب الأقدمين في مواطن تفتقر إلى الماء كان الماء أحب شيءٍ لهم، وكان «الغيث» رحمة لهم. ومنه جاء «الغَوْث» وهو الإغاثة والعون على دفع شدة.

أقول: ولما كانت الحاجة إلى الماء في عصرنا الذي توفَّرت فيه مصادر المياه، غير قائمة لم يكن لنا أن نحتفظ بهذه الأساليب في التحية والدعاء.

ســمع :

فعل ماض، ولكن النحاة ذكروا أنه يحول إلى المدح مثل «علم» كما حُوِّل «جَهِلَ» إلى الذم واستعملوا هذه الأفعال بأمثلة مصنـوعة فقـالوا في «سَمِعَ»: سَمِعَ الرجل خالدٌ. من غير أن يبدلوا بناءه إلى «فَعُـل» كما في «شَرُفَ».

أقول: وهذا مرفوض لأنه لم يرد في نص قديم. وهذه الأفعال على استعمالها

المقيّد بمعانيها في العربية الحديثة.

باب الشين

شتّان:

اسم فعل ماض مبني على الفتح بمعنى افترق. تزاد بعدها «ما» كثيراً وتكون أحياناً موصولة وقد ترد من غير «ما».

قال الشاعر:

جازيتموني بالوصال قطيعةً   شَتّانَ بين صنيعكم وصنيعي(٥٤)

و «ما» هنا محذوفة وهي موصولة.

أقول: ولم تستعمل «شتّان» في العربية الحديثة إلا على حذف «ما» هذه زائدة أو موصولة.

شُدِه:

فعل ماض ملازم للبناء للمجهول، وما بعده فاعل.

أقول: وهذا من القليل النادر في العربية الحديثة، وربما تحولوا عنه إلى اسم المفعول «مشدوه».

شَغَر بَغَر:

حال مركبة مبنية على فتح الجزأين، بمعنى منتشرين: تقول: تركت القوم شَغَرَ بَغَرَ.

انظر: «حَيث بَيْثَ».

أقول: وهذا من الكلم القديم الذي لا يقال في العربية المعاصرة.

---

(٥٤) شذور الذهب ص ٤٠٦.

بـاب الصـاد

صَقَبَـكَ :

ظرف مكان غير متصرف، بمعنى «قربك» يقال: الكتابُ صَقَبَكَ.
وهذا مما لم يُرَ في العربيـة الحديثـة، وإن كان الفعـل «صاقَبَ» معـروفاً مستعملاً.

بـاب الضـاد

ضحـوة :

ظرف زمان منصوب، يمنع من الصرف إن دلّ على وقت «ضحوة» ليوم معلوم، والمانع من الصرف أنه علم جنس مختوم بالتاء، فإن لم يقصد به ضحوة يوم معين صُرِفَ، تقول: لقيته ضحوة.
أقـول: «الضحوة» من الكلم المعـروف في العربيـة الحديثـة، ولكنها لا تستعمل للظرفية على النحو الذي عرفناه في كتب النحو.

بـاب الطـاء

طُـرّاً :

حال مؤكّدة لصاحبها، نحو جاء القوم طُرّاً.
أقول: لم يستعمل هذا في العربية الحديثة.

طـفِقَ :

فعل ماض من أفعال الشروع، ناقص يأتي منـه مضارع فقط يـرفع الاسم، وخبره جملة فعلية فعلها مضارع غير متصل بـ «أن»، نحـو قولـه تعالى:

«وطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّة» ٢٢ سورة الأعراف.

أقول: ولم يُرَ هذا الفعل في عربية حديثة، وفي شَرعَ وأَخذَ وقام ونحوها ما يغني عنه.

ثم إنّي لم أقف على مضارع له، وإن ذكره النحاة.

باب الظاء

ظِبُون :

جمع «ظُبَة»، وهي حدّ السيف، مما ألحق بجمع المذكر السالم.
أقول: هو جمع عزيز في العربية القديمة، وأكثر منه جمع التكسير «ظُبَى».
وليس لنا «ظُبون» في عربيتنا الحديثة.

باب العين

عاد :

انظر: «رَجَعَ».

عَتَمة :

ظرف زمان منصوب، غير منوّن لعلمية الجنس والتأنيث، وهي الدالّة على «عَتَمة» بعينها. فإن لم تدلَّ على وقت معين صُرِفَت.

عِزون :

جمع «عِزة» وهي الطائفة، مما ألحق بجمع المذكر السالم، قال تعالى:

«عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزينَ» ٣٧ سورة المعارج.

عِضون :

جمع «عِضة» بمعنى متفرقين، مما ألحق بجمع المذكر السالم، قال تعالى:
«الَّذينَ جَعَلوا القرآنَ عِضينَ» ٩١ سورة الحجر.

عَلُ :

ظرف مكان، بمعنى «فوق»، ولا تستعمل إلا مجرورة بحرف الجر

«من» وغير مضافة لفظاً وتبنى على الضم إن كانت معرفة، وهو دلالتها على علوّ مخصوص. والمضاف إليه يحذف وينوى معناه لا لفظه، ومنه قول الفرزدق:

ولقد سَدَدتُ عليك كلَّ ثنيّةٍ وأتَيتُ فوق بني كليبٍ من عَلُ(٥٥)

أي من فوقهم. وتعرب إن أريد بها النكرة أي دلالتها على مطلق علوّ، ويحذف المضاف إليه ولم يُنْوَ لفظه ولا معناه فتكون مجرورة بـ «من» مع التنوين أو من دونه، قال امرؤ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً كجُلمود صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِن عَلِ(٥٦)

أقول: و «عَل» هذه مما لم يُرَ في العربية الحديثة.

عليك:

اسم فعل أمر مبني، منقول عن جار ومجرور، قال الشاعر:

عليكَ نفسَك فَتِّشْ عن معايبها وخَلِّ عن عَثَراتِ الناس للناسِ(٥٧)

أقول: وليس في العربية الحديثة شيء من «عليك» بهذا الاستعمال إلا ما يكون عند المتفاصحين.

وكأني ألمح في هذه المواد التي تدعى أسماء أفعال منقولة عن الجار والمجرور أو الظرف أنها أسلوب من القول في الإيجاز، وهذا يعني أنه يصح تقدير فعل أمر قبل هذه المواد، ولكنهم اجتزأوا بهذه المواد إيجازاً عن طولها، فالتقدير في «عليك نفسك» «الزَم عليك نفسك» وفي «دونك الكتاب» «خذ الكتاب دونك» وفي «إليك عنّي» «ابتعد إليك عنّي».

---

(٥٥) شذور الذهب ص ١٠٧.

(٥٦) المصدر السابق.

(٥٧) قائله أبو نواس، الديوان ٢٩٥ (ط العمومية ١٨٩٨).

عِلّيّــون :

اسم جمع «عِلّي» لأعلى الجنّة، أو معانٍ أخرى أشير إليها في كتب التفسير، وهو مما ألحق بجمع المذكّر السالم نحو قوله تعالى:

«كَلّا إنَّ كِتَابَ الأَبْرارِ لَفي عِلّيينَ، وَمَا أَدْراكَ ما عِلّيُّونَ» ١٨ - ١٩ سورة المطفّفين.

بـاب الغـين

غــدوة :

تدل على أول زمان مبهم، ظرف منصوب، وجاءت شذوذاً بعد «لدن» منصوبة على التمييز، قال أبو سفيان بن حرب:

وما زال مُهْري مَزْجَرَ الكلب منهم لدن غُدوةً حتى دَنَتْ لغـروب(٥٨)

وهذا كله مما لم يبق لدى المعربين في العربية المعاصرة.

غَلْــوة :

ظرف منصوب على الظرفية المكانية، تقول: سرتُ غَلْوةً.
وهذا أيضاً من الكلم المنسيّ الذي لا وجود له في العربية المعاصرة.

بـاب الفـاء

فُــلُ :

بمعنى «رجل» ولا تجيء إلاّ في النداء، تقول: يا فُلُ، أي يا رجلُ، وجاءت في الشعر في غير النداء: قال أبو النجم العجليّ:

تضِـلُّ منـه إبلي بـالهَـوْجَـلِ في لُجّةٍ أمسِكْ فلاناً عن فُلِ(٥٩)

أقول: وليس لنا في العربية الحديثة إلا «فلان» وتُسْتَعْمَلُ في النداء وغيره.

---

(٥٨) الدّرر اللوامع للشنقيطي ١/١٨٥.

(٥٩) لسان العرب (فلن).

بـاب القـاف

قَعَـدَ :

فعل ماض مثل «صارَ» معنى وعملاً نحو: قعد المخلص نادراً.

وتأتي للشروع مثل «بَدَأ» نحو: قعد الطالب يتقدّم.

أقول: وكلاهما مما لا يعرف في العربية المعاصرة.

قِـلون :

بكسر القاف وضمها جمع «قُلَة» وهي عـود يلعب به الأطفـال، من خشبة يجعل في وسطها حبل، مما ألحق بجمع المذكر السالم.

أقول: لم يبق شيء من هذا في العربية الحديثة.

بـاب الـكاف

كأيِّن ، كأيٍّ :

من كنايات العدد، مركبة من كاف التشبيه و «أي» وفيها لغات: كأيِّن، وكائن، وكئن، وتعرب إعراب «كم» الخبرية، مبنية وتلزم صـدر الكلام، وتفتقر إلى تمييز مجرور بـ «من»، نحو: «وكأيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثيرٌ» ١٤٦ سورة آل عمران.

وقال الشاعر:

وكائن تَرَى من صامتٍ لكَ معجِبٌ   زيـادتـه أو نقصُـه في التكلُّمِ(٦٠)

أقول: وهذا ما لم يُرَ في العربية المعاصرة.

كُتَـع :

من ألفاظ التوكيد المعنوي، نحو جاءت النسوة كُلُّهُنَّ كُتَع. انـظر: «بُصَع».

---

(٦٠) شرح المفصل ١٣٥/٤.

أقول: وهذا أيضاً من الكلم المنسي الذي لا نراه في العربية المعاصرة.

كَثُرَ مـا :

فعل ماض، اتصلت بـه «ما» الـزائدة أو المصـدرية، وكـأنّه يقـابل «قلّما».

أقول: وهذا مما خلت منه عربيتنا المعاصرة.

كَـرَب :

من أفعال المقاربة، غير متصرف، يلزم صيغة الماضي، يدل على قرب وقوع الخبر، وخبره جملة فعلية فعلها مضارع مجرّ د من «أن».

أقول: وكأن المعربين وجدوا في «كاد» و «أوشك» ما يغني عن كرب.

أقول أيضاً: كان على النحاة أن يجدوا في الفعل «يريد» ضرباً من المقاربة يندرج في هذا الباب وذلك في قوله تعالى: «فَوجَدَا فيها جِداراً يُريـدُ أنْ يَنْقَضَّ فَأقامَهُ» ٧٧ سورة الكهف.

وكذلك الفعل «هَمّ» في قوله تعالى: «إذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أنْ تَفْشَـلاَ» ١٢٢ سورة آل عمران.

كَفَّـةَ كفَّـةَ :

حال مركّبة مبنية على فتح الجزأين بمعنى «مواجهاً» نحـو: لقيته كَفَّةَ كَفَّةَ.

أقول: وهذه من الكَلم الذي ضاع ولم نجده في لغتنا المعاصرة.

باب اللام

لُؤْمـانُ :

بمعنى عظيم اللؤم، وهو من الألفاظ التي لا تستعمل إلاّ في النداء.

لاتَ :

من الأدوات النافية مشبهة بـ «ليس» وتعمل عملها، ويشترط في عملها أن يكون معمولاها اسمي زمان وقد يحذف أحدهما، والغالب الخبر، نحو قول الشاعر:

نَدِمَ البُغاة ولاتَ ساعةَ مندَمٍ والبغيُ مرتَعُ مبتغيهِ وخيمُ(٦١)

أقول: وهذا مما لا نجده في عربية العصر، وأدوات النفي كثيرة أغنت عنه.

لاجَرَم :

انظر : «جَرَمَ».

لا يكون :

من أدوات الاستثناء بمنزلة «إلّا» نحو قولهم: حضر الإخوان لا يكون زيداً.

أقول: ولم نجد في أسلوب الاستثناء في عصرنا هذه الأداة، وفي «إلا» و «سِوى» و «خلا» و «عدا» وغيرها ما يسد مسدّها.

لَدُنْ :

ظرف مبهم مبني على السكون، ولم يأت إلا مضافاً للدلالة على مبدأ الغاية الزمانية أو المكانية، ويكثر دخول الجار «من» عليه، وهي كذلك في لغة التنزيل، قال تعالى: «لِيُنْذِرَ بأْساً شَدِيداً مِن لَدُنهُ» ٢ سورة الكهف.

وقال الشاعر:

صريع غوانٍ راقَهنّ ورُقْنَهُ لدُنْ شبَّ حتى شابَ سودُ الذوائبِ(٦٢)

---

(٦١) شذور الذهب ص ٢٠٠.

(٦٢) مغني اللبيب ص ١٥٧.

أقول: وليس في العربية المعاصرة هذا الظرف، والمعربون يتحولون في هذا إلى عند، ولا ينظرون إلى خصوصية «لدن».

لِـدون :

جمع «لِدة» والمعنى مَن ولـد في يوم ولادتـك، وهيَ مما ألحق بجمـع المذكر السالم.

أقول: وهذا مما لا يرى في العربية المعاصرة.

لعـاً :

اسم فعل للدعاء، يقال: لعاً له، بمعنى سلَّمه الله، ويقال أيضاً لا لَعاً له، بمعنى لا سلّمه الله أو لا أقامه الله من عثرته.

أقول: وهذا من الكلم القديم الذي لا نجده في العربية الحديثة.

لَعَمْـرُ :

بفتح اللام والعين، من ألفاظ القسم الصريح، و «عَمْر» بمعنى الحياة، واللام لام ابتداء، و «عمر» مبتدأ، والخبر محذوف وجوباً تقديره: قسمي، و «عمر» تضاف إلى الضمير وإلى الظاهر، قال عمر بن أبي ربيعة:

لعمـرك ما أدري وإن كنت داريـاً بسَبْـعٍ رَمَينَ الجمـر أم بثمـانِ(٦٣)

وقال القحيف العجلي:

إذا رَضِيَـت عـليَّ بنـو قُشَـيرٍ لعمـر اللهِ أعجَبَني رضـاهـا(٦٤)

أقول: وهذا الضرب من القسم مما لا يرد في عربيتنا المعاصرة.

لَـكاعِ :

صفة لمؤنث بمعنى «بليدة» مبنية على الكسر، قال الشاعر:

---

(٦٣) الكتاب ٣/١٧٥.

(٦٤) مغني اللبيب ص ١٤٣.

أطـوِّفُ مـا أطـوِّفُ ثـمَّ آوي إلى بيـتٍ قـعيـدتُـه لَـكـاعِ

أقول: وهذا مما بني على «فَعالِ» مبنياً على الكسر علماً لأنثى أو سُبّاً لها، وكله مما لا نجده في العربية المعاصرة.

لَـمّا:

حرف نفي بمنزلة «لم» تنفي المضارع وتجزمه وتقلبه إلى المضي، ويكون نفيه متصلاً إلى الحال متوقَّعا حدوثه، قال الشاعر:

فـإن كنت مأكـولاً فكن خير آكـلٍ وإلاّ فـأُدركـنـي ولَـمّـا أُمـزَّقِ

أقول: وهذا الجـازم مما لا نجـده في العربيـة المعاصـرة، وقد جهـل المعاصرون خصوصية نفي «لما» فتحولوا عنها إلى تركيب خاص فقالوا: لم يأت البريد بَعدُ.

لومـا:

حرف امتناع لوجود وتحضيض، يشبه «لولا» في الاستعمال والشروط.

أقول: ولا نجده في العربية المعاصرة.

بـاب النـون

نُتـج:

فعل ماض ملازم البناء للمجهول، وبعده فـاعل، كقـولهم: نُتِجَت الفَرَس، فهي نَتوج، وليس في الكلام «فُعِل» وهي فَعول إلا هذا.

أقول: وليس لنا شيء من هذا في العربية الحديثـة، وقد ذهب بـهذا الفعـل إلى البناء للمعلوم مـع زيادة الهمـزة «أنتجَ» وكـان من الأفعال ذات الحضور الوافي. إن المصدر «إنتاج» من المواد الجديدة التي دخلت في ميادين شتى من الشؤون الاقتصادية وغيرها.

نِعِمّـــا :

مركبة من «نِعْمَ» و «ما» قال تعالى: «فَنِعِمّا هِيَ» ٢٧١ سورة البقرة.

أقول: وهذا التركيب من الأداتين مما لا نعرفه في العربية الحديثة.

نَوْمــان :

اسم بمعنى: كثير النوم، تستعمل في النداء، كقولهم: يا نَومان.

أقول: وهذا أيضاً من الكلم القديم.

بـاب الهـاء

هَـــبْ :

فعل أمر ناسخ، جامد يلزم صيغة الأمر، وليس منه ماض ولا مضارع، بمعنى الأمر من الفعل «ظنَّ» يفيد رجحان وقوع الخبر، ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، نحو قول أبي همام:

فـقـلتُ: أجِـرني أبـا مـالـك وإلاّ فـهَبْـني امـرءاً هـالكـا(٦٥)

أقول: وهذا مما لم نجده، بهذه الشروط، في عربيتنا الحديثة. والذي في العربية هو «هب» غير هذا. والفعل «هَب» كأنه الأمر من «وَهَبَ» ويأتي في لغة الناس في عصرنا متبعاً بـ «أنّ» ثم معموليها.

والفعل القديم مثل «تَعَلَّمْ» بمعنى «اعلَمْ».

هذاذَيـك :

انظر : «حذاريك»

والمعنى: إسراعاً بعد إسراع.

أقـول: وهذا أيضـاً من مثنيـات المصـادر التي تجـاوزهـا الاستعمـال الحديث.

(٦٥) من شواهد «الكتاب».

هُـزِل :

فعل ماض، أتى على بناء المفعول، وبعده فاعله.

أقول: والمعربون يتحولون عنه إلى اسم المفعـول «مهزول»، ولم يـرد الفعل في ترسّـلهم.

هَيـا :

حرف نداء، قال الحطيئة:

فقـال: هيا ربّـاه ضَيفٌ ولا قِـرىً بحقِّـكَ لا تَحرِمْـهُ تا الليلةَ اللحـما

أقول: وليس في عربيتنا في هذا العصر شيء من استعمال هذه الأداة.

هَيْـتَ :

مثلثة التاء، اسم فعل أمر مبني على الحركات الثلاث، وسمع فتح أوله وكسره، وهو بمعنى «تعال» أو «هلُمّ» يستعمل في الإفراد والتثنية والجمع مذكراً ومؤنثاً، قال تعالى:

﴿وغَلَّقَتِ الأبْوابَ وَقَالَت هَيْتَ لك﴾ ٢٣ سورة يوسف.

بـاب الـواو

وا :

حرف نداء للبعيد، أو حرف ندبة ينادى بها المندوب، وهو المتوجَّع أو المتفجَّع عليه، وقد تأتي للاستغاثة...

أقول: وهذا مما لا نعرفه في عربيتنا وذلك لأن الندبة والاستغاثة يوصل إليهما بأساليب أخرى.

وقد تأتي «وا» اسم فعل مضارع بمعنى «أعجَبُ» كقول الشاعر:

---

(٦٦) الديوان ص ٣٩٧.

«وا بأبي أنتَ وفوكَ الأشنَبُ»(٦٧)

وهذا أيضاً مما لا نجده في عربيّة العصر.

وابـلون :

جمع «وابل» مما ألحق بجمع المذكر السالم.

وهذا شيء قديم لا يعرف في عصرنا.

واهٍ :

بالبناء على الفتح أو الكسر مع التنوين، اسم فعل بمعنى «أعجَبُ» أو «اتلهَّفُ»، نحو:

واهاً لسلمى ثم واهاً واها(٦٨)

أقول: وهذا مما لم يبق شيء منه في عربية عصرنا.

وراء :

ظرف مكان منصوب على الظرفية، ولكنه يبنى على الضم إذا أضيف وحذف المضاف إليه ونوي معناه، نحو:

إذا أنـا لم أُومَنْ عليـكِ ولم يـكن   لـقـاؤكِ إلّا مـن وراءُ وراءُ(٦٩)

أقول: وهذا مما لم يعرض في ترسل المعاصرين.

وُشْـكان :

بتثليث الواو، اسم فعل ماض بمعنى «سَرُعَ» مثل «سُرْعان».

أقول: كأن المعربين في عصرنا اكتفوا بـ «سرعان» عن «وُشكان» هذا.

---

(٦٧) مغني اللبيب ص ٣٦٩.

(٦٨) شرح الأشموني ١/٣٣.

(٦٩) شرح المفصل ٤/٨٧.

وَهَـب :

فعل ماض جامد، من أفعال التحويل، بمعنى «صيَّر»، نحو قولـك: وهَبَني الله فداك، أي جعلني وصيّرني.

أقول: وهذا مما لا يعرف في العربية الحديثة، والفعل فيها بمعنـاه أي العطاء، يقال وهبتُه درهماً، مثل أعطى.

وَيْ:

اسم فعل مضارع بمعنى «أعجب» قال تعالى: ﴿وأَصْبَحَ الّذينَ تَمَنَّـوا مَكَانَهُ بِالأمْسِ يَقُولُونَ وَيْ كأنّ الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمنْ يَشَاءُ مِنْ عبَادِهِ ويقدِرُ﴾، ٨٢ سورة القصص.

أقول: وهذه من لوازم الأدب القديم.

وَيْــب :

كلمة قالها العرب في الشتم أو التوبيخ، ثم عَمَّتْ في الدعاء بالشر مثل «وَيْل» استعمالاً وإعراباً.

وهذه مثل «وَيْح» في معنى الترحّم وإظهار الشفقة، ومثل «وَيْس» دعاء في الرحمة والرفق، وجميع هذا واحد في الاستعمال والإعراب.

وكذلك «ويك» مثل «ويل» معنى وإعراباً.

وهذا كله مما لم يبق شيء منه في عربية العصر.

ويلمًــه :

هي «ويل» رُكِّبَت مع «أمّه» دعاء بالشر.

وهذه أيضاً مما فني وزال.

وَيْـه :

ومثلها «وَيْهاً» للإغراء والتحـريض والحث، وهي كذلـك في التذكـير

والتأنيث، وهذه كنظائرها السابقات مما ضاع من عربية العصر.

خاتمــة :

هذا موجز من عمل معجمي أتيت فيه على الذاهب من النحو العربي القديم في عربية عصرنا.

إن جمع هذه المواد لتقدم فائدة لمن يضطلع في وضع موجز في النحـو للدارس غير المختص بالعلوم اللغوية.

على أن فيه شيئاً من مشاركة في علم اللغة التاريخي.

بسم الله الرحمن الرحيم

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة السادسة والخمسين ١٩٩٠

للدكتور عدنان الخطيب

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السادسة والخمسين بمدينة القاهرة، في المدة الواقعة من غرة شعبان، الموافق ٢٦ من شباط (فبراير) إلى ١٥ من شعبان سنة ١٤١٠هـ. الموافق ١٢ من شباط (فبراير) سنة ١٩٩٠م.

وفيما يلي عرض موجز لما دار في المؤتمر من بحوث ومناقشات، وما انتهى إليه من مقررات وتوصيات:

أولاً : جلسة الافتتاح .

عقدت جلسة الافتتاح العلنية برياسة الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع في قاعة المجمع الكبرى، وقد شهدها جمع من أهل الفكر والأدب

واللغة والإعلام، إضافة إلى أعضاء المجمع المصريين والوافدين، وإليك عرض كامل لما تمّ فيها.

١ ـ كلمة وزير التعليم في مصر

ألقى الدكتور أحمد فتحي سرور كلمة استهلها بالترحيب بالأعضاء الوافدين على مصر من الأقطار العربية أو الإسلامية، ومن سائر البلاد شرقية أو غربية، ثم قال:

«إن مؤتمركم المجمعي إنما هو مهرجان للغة العربية يقام كل عام، حيث تعرض فيه إنجازات المجمع من المصطلحات العلمية والفنية التي تتجاوز عدتها كل عام ألفي مصطلح . . .» إلى أن قال: «وغير ذلك مما يحفل به برنامج مؤتمركم من بحوث في مختلف الشؤون اللغوية التي تصدر بشأنها قرارات هدفها تيسير قواعد اللغة العربية، وتصويب بعض الألفاظ والأساليب الشائعة التي تتهم بالخروج على ضوابط العربية».

ثم ناشد السيد الوزير المؤتمرين بوضع مقرراتهم على مدى الست والخمسين دورة، بين يدي وزارة التعليم **لتفيد منها في تطوير مناهج اللغة العربية وكتابها المدرسي في مختلف المراحل التعليمية**.

ثم ختم السيد الوزير كلمته قائلاً: «إن مجمعكم الجليل بوضعه الفريد المتميز، حيث يضم أعضاء من البلدان العربية، **هو الأوحد والأقدر على معالجة قضية العاميات الفصيحة** في الوطن العربي، وإبراز الصلات المشتركة بينها.. وصولاً إلى التقريب بين العامية والفصحى في كل بلد عربي.. ثم التقريب بين العاميات العربيات في إطار الفصحى..».

٢ ـ كلمة رئيس المؤتمر

ثم ألقى الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المؤتمر كلمة، رحب فيها بالأعضاء الوافدين، مبيناً أن الموضوع الذي طرحه المجمع على أعضائه لهذه الدورة هو **«العامي الفصيح»** موضوع هام، ويتطلب تعاونا شاملا من

علماء الأقطار العربية كافة.

وتحدث الأستاذ الرئيس مطولا عن اللغة الدارجة في كل من المشرق والمغرب، مؤكدا أنها في طريقها إلى التلاقي والتقارب، بل إنها صائرة إلى التوحد، مبيناً أن الفضل في ذلك يرجع إلى انتشار التعليم من جهة، وإلى وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية من جهة ثانية، وأشاد السيد الرئيس بالدور الجسيم الذي كان لوسائل الإعلام، وبما قام به أعضاء المجمع لتنشيط التقارب المنشود.

٣ ـ كلمة الأمين العام للمؤتمر

وألقى الدكتور شوقي ضيف بعدئذ كلمة مطولة تحت عنوان «بين المؤتمرين» أوضح فيها الأعمال التي كان المؤتمر قد أنجزها في الدورة السابقة، والأعمال التي ستعرض عليه في دورته الحالية والتي أنجزتها لجان المجمع المختلفة وأقرها المجلس فيما بين الدورتين.

ثم عدد السيد الأمين العام المطبوعات التي استطاعت إدارة المجمع إنجازها، مشيراً إلى ما هو منها قيد الإنجاز، مبيناً ما قام به المجمع من صلات بمختلف المجامع والهيئات الثقافية في مصر والأقطار العربية والدول الإسلامية والأجنبية.

وأعلن السيد الأمين العام اسمي عضوين عاملين جديدين تم انتخابهما وسيستقبلان قريباً هما، الأستاذ الأديب إبراهيم الترزي والأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد، كما أعلن أسماء الأعضاء الذين اعتذروا عن حضور هذه الدورة.

وأنهى السيد الأمين العام كلمته بالترحيب بجميع الأعضاء الذين لبوا الدعوة إلى حضور المؤتمر، ثم شكر جميع الذين حضروا جلسة الافتتاح العلنية.

٤ ـ كلمة الأعضاء الوافدين من الأقطار العربية

ألقى الدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من (السودان) كلمة الأعضاء الوافدين استهلها بقوله: «من حسن حظي بعد تسعة وعشرين عاما عضواً في هذا المجمع، أن أخاطبه بكلمة الأعضاء الوافدين الضيوف، ولا أعدّ نفسي ضيفاً، إذ أنا ابن هذه الدار وأخو إخواني فيها الأبرار».

وتحدث الدكتور الطيب عن حصيلة ذكرياته في السنين التسع والعشرين التي خلت. وقد اجتمع بكبار أعضاء المجمع الراحلين، ملمحاً إلى الاتجاهات الجديدة التي نمت في العالم العربي، فأبرزت ازدواجية متناقضة: نفور من الغرب واستعماره، مع رغبة مغرضة في تقليده، وكلف بالقومية العربية وحبها، مع نفور شديد من لغتها الفصيحة.

وضرب الدكتور الطيب أمثلة على تلك الازدواجية والأخطار التي تمثلها، غير أنه أعقب كلّ ذلك قائلا: «إني متفائل... متفائل لماذا؟ متفائل لأنه قد ورد في الحديث، عن يوم يقاتل فيه المسلمون اليهود، إن الحجر يختبىء وراءه يهودي، فينطق ويقول:... يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله(١).

لقد رأينا تأويل ذلك في الانتفاضة الفلسطينية، إذ ينبغي ألا يؤخذ الحديث على ظاهر نصه إن كان ثم وجه لتأويله، وعسى أن يجيء ظاهر اللفظ بعد ذلك».

ثم تكلم الدكتور الطيب عن أثر الإسلام في أفريقيا، وكيف أن العربية تكون حيث يكون الإسلام، مؤكداً: «أن طريق العربية هو اللغة الفصيحة الرحيبة التي ترجع إلى الأصول لأن بها تستنير العقول» وختم كلامه بالثناء الشديد على جهود مجمع القاهرة من أجل بناء لغة عربية سليمة.

---

(١) الحديث مروي في الصحاح. انظر المعجم المفهرس للاتحاد الأممي للمجامع العلمية. ليدن ١٩٣٦ ج ١ ص ٤٢٥.

ثانياً : المصطلحات

درس المؤتمرون وناقشوا، أثناء جلساتهم اليومية، المصطلحات العلمية والفنية والاجتماعية، التي وضعتها اللجان المتخصصة وأقرها مجلس المجمع، وذلك بحضور الخبراء المتخصصين، **وقد وافقوا على أغلبها بالإجماع وعلى بعضها بالأكثرية أو بعد إدخال تعديل عليها أو على شرحها.**

وبلغ مجموع المصطلحات التي عرضت على المؤتمرين **٣٩١٢** مصطلحاً موزعة بين مختلف العلوم والفنون على الشكل التالي :

٣٤٦	مصطلحاً	من مصطلحات الفيزيقا
٥٤٨	مصطلحاً	من مصطلحات النفط
٤١٢	مصطلحاً	من مصطلحات الكيمياء والصيدلة
٣٦٢	مصطلحاً	من مصطلحات العلوم القانونية (قانون العقوبات)
١٥٨	مصطلحاً	من مصطلحات العلوم القانونية (القانون الدولي العام)
٨٠	مصطلحاً	من مصطلحات الآثار
١٢٦	مصطلحاً	من مصطلحات الجغرافيا
١٣٢٩	مصطلحاً	من مصطلحات العلوم الطبية
١٠٥	مصطلحات	من مصطلحات الهندسة
١٣٩	مصطلحاً	في مجال التربية الرياضية
١٩٨	مصطلحاً	من مصطلحات الألعاب الرياضية
٣٦	مصطلحاً	من مصطلحات الحركة الأولمبية
٧٣	مصطلحاً	في مجال الترويح الرياضي
٣٩١٢		

ثالثاً : البحوث والدراسات

استمع المؤتمرون، أثناء انعقاد المؤتمر إلى عدد من البحوث

والدراسات المتخصصة، ألقاها أعضاء وكانت غالبيتها تدور حول «العامي الفصيح»، وفيما يلي عرض موجز لما ألقي من بحوث ودراسات مسلسلة تبعا لزمن إلقائها، مع أهم ما دار حولها من تعليقات ومناقشات:

١ ـ حديث عن الإنسان في القرآن الكريم

بحث ألقاه الدكتور محمد رشاد الطوبي عضو المجمع من (مصر)، بدأه بذكر ما ميّز الله به الإنسان حتى أصبح بفضله سيد المخلوقات، وأصبحت له السيطرة الكاملة على مجريات الحياة في هذا العالم المتسع الأرجاء.

ثم بيّن الباحث دلالة ما جاء في القرآن الكريم من آيات فيها ألفاظ المخاطب بها هو الإنسان مثل الناس والبشر، مؤكدا أن لفظ «إنسان» بدون أداة تعريف لم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾(٢).

وتكلم الباحث بعدئذٍ عن شمول لفظة (إنسان) للذكر والأنثى، متعرضا للعرف السائد عند أغلب الشعوب من تفضيل الذكر على الأنثى، مستشهداً بالآيات القرآنية المتصلة بهذا الموضوع.

وتعرض الباحث إلى الأساس العلمي للذكورة والأنوثة مؤكدا عدم نجاح جميع المحاولات للتحكم في جنس الجنين، قائلاً: **بأن الأمر كلّه يظل في يد الخالق القدير** القائل: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ(٣)﴾.

ثم تحدث الباحث عن مراحل عمر الإنسان، ذاكراً أدوار نموه منذ يكون نطفة حتى يخرج طفلاً إلى أن يصبح غلاما مراهقا، وهنا تكلم عن

---

(٢) الإسراء: ١٧: ١٣.

(٣) الشورى: ٤٢: ٤٩.

مرحلة النضج الجنسي، وتابع حديثه عن صيرورة الإنسان كهلاً إلى أن تدركه الشيخوخة والهرم.

وختم الباحث حديثه بشرح قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلسِنَتِكُم وَأَلوانِكُم﴾(٤) مبيناً أن المقصود بالألسنة هو **(اللغات)** وبالألوان هو: **(لون الجسم من بياض وسمرة وسواد..)** شارحاً قوة هذا التمييز من الوجهة العلمية.

وشكر كل من الزملاء الأساتذة: علي رجب المدني ومحمد عزيز الحبابي ومحمد متولي الشعراوي وأمين علي السيد وحسن الفاتح قريب الله ومحمد نايل أحمد وعبد الله الطيب وعبد الكريم خليفة ومحمد مهدي علام، الباحث على حديثه الممتع، وأبدى كثير منهم بعض الملاحظات الجانبية كما ألقى بعضهم شيئاً من الضوء على ألفاظ وتفسيرات وردت في البحث.

٢ ـ العاميّة: عاميّات والوالجون حمآتها: أنماط

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع من (سورية)، قدّم له بنبذة عن تاريخ اللحن في العربية وتسربه إلى نطق الخاصة، مما أفزع علماء الدين واللغة، فهبّ الغيارى على الفصحى منهم يكتبون ويؤلفون ويحثّون خاصة المسلمين قبل عامتهم، **على وجوب التقيد بضوابط اللغة، والالتزام بالسليم من اللفظ.**

ثم تكلم الباحث عن عوامل **النهضة العربية في القرن التاسع عشر الميلادي،** وعن الدعوة التي رافقتها إلى نشر التراث العربي وظهور معجمات حديثة لغوية، والمناداة بوجوب التزام الفصحى في تعليم العلوم، وكان ذلك ردّ فعل لازدياد المطامع الأوروبية بالبلاد العربية وتشجيع أنصار العامية لحمل لوائها والدعوة إلى اعتمادها.

---

(٤) الروم: ٣٠: ٢٢

وأفرد الباحث بعدئذ نبذة خاصة بكل قطر عربي، مستعرضا فيها المؤلفات التي عنيت بموضوع الصراع بين العامية والفصحى وأمكنه الاطلاع عليها، مستخلصاً مما ورد فيها، **أن العامية في كل قطر إنما هي مجموعة عاميّات** على النحو التالي بيانه:

١ - ميّز مؤلف كتاب «تهذيب الألفاظ العامية» المصري(٥)، بين لهجة أهل القاهرة ولهجة أهل الإسكندرية، وبين لهجات أقاليم الوجه البحري ولهجات أقاليم الوجه القبلي.

٢ - يقول مؤلف كتاب «العاميّة الجزائرية وصلتها بالفصحى الجزائرية(٦)»: «.. الجزائرية يتمثل هيكلها اللغوي العام في هذه اللهجات الإقليمية، التي تختلف من جهة إلى جهة، بل أحياناً من قرية إلى قرية مجاورة لها».

٣ - يعرّف كاتب «عاميّتنا المعجمية» المغربي(٧)، العاميّة قائلا: «هي اللغة التي يتكلم بها الجمهور في أي بلد عربي، ويقال لها أيضاً الدارجة، لأن القوم درجوا على التفاهم بها(٨)، **وبما أنه لكل قطر عربي لغة من هذا القبيل..**».

٤ - يقول مؤلف كتاب «ردّ العاميّ إلى الفصيح» الشامي(٩): «.. وإنه لغني عن البيان أن أكثر ما ذكرته من العاميّ هو من اللهجة التي أسمعها كل يوم

---

(٥) هو الشيخ محمد علي الدسوقي المدرس بالمدارس الأميرية والكتاب طبع بمصر سنة (١٣٣١هـ - ١٩١٣م).

(٦) هو الدكتور عبد المالك مرتاض والكتاب طبع سنة ١٩٨١.

(٧) هو الزميل الراحل عبد الله كنون والمقال نشر في تطوان سنة ١٩٥٤.

(٨) مما اعترض عليه الزميل كمال بشر القول عن العامية: ويقال لها الدارجة، لأن العاميّة ليست دارجة علميا، وهذا صحيح، ولكن كاتب المقال لم يكن في بحثه راغباً في التسوية بينهما.

(٩) هو الزميل الراحل أحمد رضا صاحب معجم متن اللغة والكتاب طبع في صيدا سنة ١٩٥٢.

بل كل ساعة، وهي لهجة جبل عاملة وساحل دمشق وما يليه من سفوح لبنان».

٥ ـ ذكر مؤلف معجم «العاميّ والدخيل» اللبناني(١٠) في مقدمته العاميّات قائلا إنها «متشعبة الفروع لاختلاف لهجات الناطقين بها، فما تراه عامياً في لبنان لا تجده كذلك في دمشق وسائر أجزاء سوريا، بل إن كل قرية في لبنان لها لغة عاميّة خاصة ولهجة يعرف بها أهلها».

٦ ـ يقول مؤلف كتاب «معجم اللغة العامية البغدادية» العراقي(١١): «.. ولكن اللفظة العاميّة في بغداد غيرها في مصر والشام واليمن والمغرب، بل هي غيرها في بغداد والموصل والبصرة أحياناً بل هي في الرصافة غيرها في الكرخ».

وبعد أن عرض الباحث على المؤتمرين جملة من الكلمات التي توصف بأنها مولّدة أو محدثة أو دخيلة أو عاميّة وهي في حقيقتها فصيحة ولكنها مهجورة لعاميّتها، وكلها من المستحسن إقرار إثباتها في «المعجم العربي» مع إجازة المجمع استعمالها من قبل الطلاب أو من قبل الأدباء والكتاب إذا ما رغبوا في ذلك، قال:

«ها نحن قد عرضنا لمحات واضحة عن قصة العامية كيف نشأت إلى جانب الفصحى وكيف نمت جذورها، ثم أورقت أغصانها إلى أن طغى فيئها، وأصبحت لهجة تتحدث بها مجتمعات عديدة، وإذا بها تسيطر على مختلف الشعوب العربية، ويقوم نفر في كل شعب منها غريب الديار تارة ومن ذوي الأرحام تارة أخرى، يدعون لها ويشيدون بها وبعضهم يعمل لتحلّ محل الفصحى ليل نهار.

كما عرضنا وشلاً مما احتوته مؤلفات الذين حاموا حول العاميّة أو

---

(١٠) هو الشيخ رشيد عطية وقد طبع معجمه في سان باولو سنة ١٩٤٤.

(١١) هو الشيخ جلال الحنفي البغدادي وكتابه طبع في بغداد سنة ١٩٦٣.

ولجوا حمآتها في العصر الحديث، وكلهم وجد نفسه أمام عاميّات تتفاوت لا بين قطر وقطر من أقطار الوطن العربي، ولا بين بلد وبلد فحسب، بل تتفاوت أحياناً بين حيّ وحيّ».

ثم ختم الباحث حديثه بالكلام عن دوافع العلماء إلى الولوج في آفاق العامية، مؤكداً أن دوافع غالبيتهم كانت الغيرة على الفصحى، أما بواعث ركض الآخرين وراء العامية، فهي متعددة متباينة حيناً، مختلفة متعارضة أحياناً، متشابكة متنافرة في بعض الأحيان، مما يصعب معه تصنيفهم في فئات محددة، إنما هم أنماط أشتات تتراوح بين علماء فتنتهم الحضارة الغربية فتخيلوا أن التقدم الحضاري مرهون باتباع خطوات الغرب التي مشاها نفسها، ونفر من الحاقدين على ما ترمز إليه الفصحى يحلمون بالقضاء عليها إذا ما غدت العاميّة لغة معترفاً بها.

وأنهى الباحث حديثه بتوزيع أنماط الوالجين حمآت العاميّة على عشرة أصناف، تنقص نصفهم النيّات السليمة والأفكار الصحيحة.

وأثنى على البحث كل من الزملاء الأساتذة: كمال بشر ومهدي علام وإبراهيم السامرائي وعلي رجب المدني(١٢)، ومحمود علي مكي وأحمد السعيد سليمان وعز الدين عبد الله، ومحمد نايل أحمد(١٣)، وأمين علي السيد، وأبدى بعضهم ملاحظات جانبية، وعلق آخرون ناقدين بعض ما ورد في البحث أو أغفل الباحث ذكره.

٣ ـ المختصرات وطريقة أدائها باللغة العربية

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبد الكريم خليفة عضو المجمع من

(١٢) أبدى الزميل الكريم تحفظاً شديداً على ما سمعه من الباحث من فتح عين كلمة (العَلمانية) كلما وردت، وكأنه يرى رأي من أدخل في الطبعة الثالثة من المعجم الوسيط (العلمانية) مكسورة العين، وسبق لنا أن أثبتنا خطل هذا الرأي في البحث الذي ألقيناه في مؤتمر المجمع سنة ١٩٨٧.

(١٣) اعترض الزميل المحترم على طلب إقرار معنى لفظة (بطانة) العامي محتجاً بقرآنية الكلمة، وأعتقد أن قبول معنى (بطانة) السوء لدى الطغاة أي «حواشيهم» لا يتنافى وقرآنية الكلمة.

(الأردن)، استهله بترديد مقولة اختلاف اللغة الأدبية عن اللغة العلمية من حيث أساليب هذه ووضوح مدلولاتها وتحديد معاني مفرداتها، إلى أن قال: «**وأدّى تسارع الحركة العلمية منذ الحرب العالمية الثانية، إلى دخول فيض كبير من المصطلحات العلمية والتسميات بكلمات متعددة وعبارات طويلة في اللغات الأجنبية**، مثل: الإنكليزية والفرنسية والألمانية والروسية. وقد رأوا في مؤسساتهم اللغوية والعلمية أن ينأوا عن تكرار هذه العبارات الطويلة، توفيراً للوقت والجهد وتيسيراً للفهم والإفهام، فلجأوا إلى أسلوب المختصرات (Abbreviations)، وذلك بوضع أشكال معينة للتعبير عن المعنى بصورة رمزية مختزلة، وفق قواعد محددة ومتعارف عليها، فاختصروا الكلمات في حروف تكون عادة أوائل كلمات المصطلح».

وبين الباحث بعدئذٍ كيف جنحت أكثر اللغات نحو اختصار الصيغ. كما عرفته العربية فيما يسمى **بالنحت**، ثم استعرض المحاولات الفردية والمحاولات غير المدروسة التي شاعت في بعض الأقطار العربية مما يوجب وضع قواعد تحدد كيفية وضع «**المختصرات**» المقبولة عربياً تجنباً للفوضى والتناقض.

وضرب الباحث أمثلة عن الفوضى والتناقض في المختصرات التي ابتدعتها بعض المؤسسات العربية، مستخفة برونق اللغة وخصوصياتها، سالكة مسلك المختصرات التي ابتدعتها المؤسسات الدولية من أسمائها باللغة الإنكليزية.

وتابع الباحث حديثه عن شيوع أسلوب المختصرات داعياً إلى أن: «تأخذ المجامع والهيئات اللغوية العربية على عاتقها دراسة المشكلات التي تنشأ عن ذيوع استخدام المختصرات، **ووضع قواعد محددة تنظم كيفية صياغتها، وإضفاء رونق العربية عليها، ونظمها في سياق الجملة العربية السليمة**».

ثم ختم الباحث دعوته بذكر بعض المقترحات التي يراها تعين على

تحقيق ما يدعو إليه.

وتلقى الدكتور عبد الكريم خليفة تهاني زملائه على بحثه الجيد، وكان من المتكلمين كل من الدكتور إبراهيم مدكور والدكتور محمود الجليلي والأستاذ علي رجب المدني والدكتور أبو القاسم سعد الله والدكتور إسحق موسى الحسيني والدكتور عز الدين عبد الله والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح والدكتور شوقي ضيف، وقد أغنى كثير منهم موضوع البحث بملاحظات قيمة.

٤ ـ ألفاظ الحضارة بين العامي والفصيح

بحث أعدّه وألقاه الأستاذ أحمد شفيق الخطيب عضو المجمع المراسل من (فلسطين)، بدأه بالإشارة إلى قدم صلته بالمجمع بصفته رئيس دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مشيداً بإنجازات المجمع الفائقة، فقد أفادته في عمله كثيراً وأخذ بنشرها.

وشكر الباحث للمجمع انتخابه عضوا عن فلسطين، ثم استهل بحثه عن ألفاظ الحضارة بذكر تعريف المعجم الوسيط لها، وانتهى إلى القول: بأن كل لفظ ـ في كلامنا ـ هو لفظ حضاري يحمل في طيّاته قليلا أو كثيراً من الحضارة، تبعاً لخبرة السامع وثقافته وبيئته».

وتكلّم الباحث عن صلة اللغة العربية بألفاظ الحضارة، وكيف استوعبتها في القديم، وعن قدراتها في استيعابها في العصر الحديث. وجاء الباحث بأمثلة توضح كيف استوعبت العربية ألفاظ الحضارة قديماً، ثم ذكر تاريخ أشهر معجم في اللغة الإنكليزية ـ وبستر الثالث الدولي الذي صدر عام ١٩٦١ ـ مبيناً كيف استوعب هذا المعجم وملحقاته التي تصدر تباعاً كل خمس سنوات، وهو يستوعب ألفاظ الحضارة المعاصرة جميعها، مؤكداً بأنه لم ينقل إلى العربية حتى اليوم نصف ما في ذلك المعجم الإنكليزي من ألفاظ.

ثم تحدث مطولا عن ألفاظ الحضارة بين العامية والفصاحة، مؤيداً التوسع في الأخذ بالعامي الفصيح وبالمولّد والمحدث، والتوسع في تعريب الأعجمي والدخيل دون عائق وبلا اشتراط.

وأنهى الباحث حديثه بقوله: «الألفاظ الحضارية الدخيلة السابق منها الذي هضمته العربية، والمستجد الذي تقبله اللغة بالاستخدام والشيوع والغربلة السليقية، هي جزء مهم من اللغة ينعشها ويثريها، كما أن ملحقها المعرّب بنطقه لاستخدام العلماء، يجعلها قادرة على استيعاب العلوم المتطوِّرة الحديثة، ويقرّبها إلى لغة العلم العالمية، ويسد الطريق على معرقلي مسيرة التعريب في مختلف مراحله» إلى أن قال: **«والغنى الصحيح، لا يتأتى إلا حين تصبح العربية وسيلة المتعلم والعالم،** وإلا باستنبات العلم بيئياً عندنا، لتصبح العربية لا لغة التعليم في كافة مراحله فقط، بل أيضاً لغة البحث العلمي والتأليف العلمي والإبداع العلمي، وهذا بحث يطول وأمل يرتجى».

وقوبل حديث الأستاذ الخطيب بتقدير جمّ مع حذر شديد، وأُبدي، بتعليق خاطف، الأسف لعدم سماح الوقت بالتعليق عليه، كما ذكر الدكتور محمود الجليلي، كما علق الدكتور محمد يوسف حسن قائلا: **إن هذا البحث جديرٌ منا بالاهتمام لخطورته**(١٤).

٥ ـ الخرائط المنسوبة إلى بطليموس

بحث ألقاه الأستاذ فؤاد سيزكين عضو المجمع المراسل من (تركيا)، وقد حضر مؤتمر هذا العام متأخراً، فدخل قاعة الجلسات لأول مرة في اليوم المحدد لإلقاء حديثه الملمع إليه في جَدْول الأعمال.

بدأ الباحث موضوعه الهام محاولاً إيضاح دور الراهب البيزنطي

(١٤) قامت مكتبة لبنان في بيروت بطباعة البحث طباعة متقنة وأهدته إلى المهتمين بالموضوع.

بلانيوديس مكسيموس(١٥)، في صنع خرائط العالم الجغرافية، ونسبتها إلى عمل (بطليموس صاحب المجسطى(١٦)، بحجة أنه نقلها عن كتاب العالم المذكور، **مغفلاً أي إشارة إلى فضل العرب والمسلمين في إبداع الخرائط الجغرافية** التي تفوق ما صنعه بطليموس دقة وقربا من الحقيقة(١٧).

وعندما انتهى الباحث من كلامه، حاول بعض الزملاء مناقشته في بعض ما ذكره، وفي مقدمة هؤلاء كان الدكاترة: محمود الجليلي وعبد الله الطيب والسعيد أحمد سليمان وشوقي ضيف، غير أنه اعتذر لاضطراره إلى ترك الجلسة، وبالفعل انسحب من قاعة الاجتماع، **دون أن يترك نسخة عن محاضرته** ـ إن كان سبق له أن أعدّها ـ على أنه كان يحمل أثناء حديثه كتابه الموسوم «مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم(١٨)».

وهكذا اضطرت هيئة تحرير ضبوط الجلسات إلى **إغفال ذكر البحث برمته**، وأنه أُلقي في الجلسة الرابعة المنعقدة بتاريخ الثالث من آذار (مارس) وكانت برياسة الدكتور ناصر الدين الأسد.

---

(١٥) عاش الراهب بلانيوس مدة بين سنتي ١٢٦٠ ـ ١٣٣٠ ميلادية، وكان عالماً باللغة الإغريقية القديمة وله فيها مؤلفات متعددة، وتجد شيئا من ترجمته في الموسوعة العربية الميسرة ـ القاهرة ١٩٦٥ ـ واسمه باللاتينيةPlanude Maximos

(١٦) عالم يوناني ولد وتوفي بمصر بعد سنة ١٦١ للميلاد. وقد ذكر أمين المعلوف صاحب المعجم الفلكي في تعريفه بكتاب المجسطىAlmagest ما يلي:
كتاب في الفلك ألفه بطليموس ونقله العرب إلى لغتهم، والميم في بطليموس قبل الياء فيقال بَطْلَميوس أو بَطْلَميوس لا بطليموس. والمجسطى بكسر الطاء فلا يقال: المجسطَى بل المجسطِى (تحقيق نلينو) القاهرة ١٩٣٥.

(١٧) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ترجمة صلاح عثمان هاشم ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥

(١٨) الكتاب من منشورات سلسلة تاريخ العلوم العربية والإسلامية تأليف فؤاد سزكين طبع فرانكفورت (ألمانيا الغربية) سنة ١٩٨٧.

٦ ـ من الشعراء المغمورين : خارجة بن فليح المللي

بحث أعدّه وألقاه الأستاذ عبد العزيز الرفاعي عضو المجمع المراسل من (العربية السعودية) استهله بقوله: «خارجة بن فُليح الملَلي شاعر حجازي مجيد، عاش في القرن الثاني للهجرة، لم تتحدث عنه كثيراً كتب الأدب الشهيرة. . وقد رأيت في شعر هذا الشاعر سمات من الجودة أغرتني أن أتتبع أخباره ما استطعت. . مؤملاً أن تكون هذه بداية بحث أستكمله أو يستكمله غيري. . .».

ثم ذكر الباحث أن أقدم من ذكر الشاعر هو (الزبير بن بكار) في كتابه (جمهرة نسب قريش وأخبارها) وقد حقق بعضه الأستاذ محمود شاكر، وذهبت الأيام ببعضه الآخر.

وجمع الباحث أخبار خارجة من كتب اطلع عليها فيها البيت أو عدة أبيات منسوبة إليه، أو معلقاً على كلمة أو لفظ جاء في بيت من شعر خارجة.

وكأن الباحث ارتضى ما ذكره ابن الجراح في كتاب الورقة، من أن الشاعر هو: خارجة بن فُليح الملَلَي. **مولى أسلم، حجازي، شاعر مجيد، كثير الشعر، وأن ملَلَ التي ينسب إليها الشاعر موضع بين مكة ويثرب لا اسم رجل أو قبيلة.**

وتحدث الباحث بعدئذٍ عن تصحيف نسبة خارجة في بعض المصادر، وعن عصره وأخباره ومكانته الشعرية وساق الرواية التالية:

«أخبرني أحمد بن يحيى النحوي قال: أخبرني عبد الله بن شبيب قال: حدثني محمد بن إسماعيل قال: جئت عبد العزيز بن عمران الرهوي يوماً، فلما كنت عند خوخته سمعته يقول: **عليّ أيمانُ البيعة إن لم يكن أشعر الناس.** فدخلت عليه، فقلت: من هذا؟ فقال: خارجة المللي. فقلت: حين يقول ماذا؟ قال حين يقول:

تخايلها طرفُ السمو لعاشق　　　هفا هفوة ثم استفاق فأكذبا

ومن قوله :

فهمّ نيـاط القلب إذ نَشَرتْ بـه   بناتُ الهوى في الصدر أن يتقبضا

ومن قوله :

مـا تَـذْلُـك الشمس إلا حـذوَ مَنْكبـه
في غـايـةٍ تحتهـا الهـامـات والقُـصُـرُ
آل الـزبيـر نـجـوم يستـضـاء بـهـم
إذا دجى الـليـل من ظـلـمـائـه زَهَـروا
قـوم إذا شـومسـوا جـدّ الشّمـاسُ بهـم
ذات العنـاد، وإن يـاسَـرْتَـهـم يَسـروا
خُصَّ الـمـديـحَ أبـا بـكـر ووالِـدَهُ
وعُمَّهـمْ منـك إن غـابـوا وإن حضـروا

ثم جاء الباحث بما عثر عليه، في مختلف المصادر التي اطلع عليها، من شعر خارجة مرتباً إياه على حروف المعجم.

وشكر للباحث ما أتحف به المؤتمرين من بحث وشعر، كل من رئيس الجلسة والزملاء الدكتور أحمد السعيد سليمان والدكتور شوقي ضيف.

٧ ـ ما هجر في العربية الفصيحة واحتفظت به العامية

بحث أعدّه وألقاه الدكتور إبراهيم السامرائي عضو المجمع من (العراق) جاء فيه بمعجم للعامي الفصيح في لهجات العراقيين، أدرجه على حروف الهجاء واستهله بهذه المقدمة:

«هذا باب خاص من العامية، وخصوصيته تتأتى من كونه عامياً دارجاً تخلو منه العربية الفصيحة المعاصرة، إلا أنه كان فصيحاً في عربية القرون الماضية. وهذا يعني أن اللفظ قد تدنّى في مستواه ودرجته فصار عامياً لا يلتزم به المعربون في كلامهم وكتاباتهم.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن تحوّل الفصيح إلى العامي، وخلو الفصيحة المعاصرة منه يرجع إلى أسباب منها:

١ ـ إن الفصيح القديم مما قلّت الحاجة إليه، وذلك لأنه يتعلق بدلالة بعدت عن اهتمام المعربين منها.

٢ ـ أو أنها مما زالت من حيّز الفصيح فقبعت في العامية، وأن غيرها يسدّ مسدّها.

٣ ـ أو أنها كانت لغة خاصة في بيئة معينة، فلم يكن لها من الشمول وهي فصيحة، فتحولت لخصوصيتها إلى عامية، ثم اكتسبت في عاميتها بناء جديداً، أو قلْ عرض لها شيء من القلب والإبدال، وزيد في أحرفها أو نقص حتى ابتعدت بذلك كله عن سمتها الفصيح».

وأردف الباحث يقول: «إن هذه العامية ذات الأصول الفصيحة مما استقريته في عامية أهل العراق، وإني لواثق أن في كل بلد من بلدان العربية مادة لغوية عامية أصولها فصيحة، أو أنها تحولت لسبب ما إلى العامية، وهذا يختلف في كل بلد عنه في البلد الآخر».

ثم عرض الباحث على المؤتمرين معجمه، نقتطف منه الكلمات التالية:

١ ـ أب و

إن الفعل أبىَ يأبىَ قد عُرف في الفصيح، وما زال فيها معروفاً مستعملاً، غير أن العامية ذهبت فيه إلى المزيد (تأبَّى) على (تفعَّل) وهو في عامية أهل العراق بمعنى (امتنع) مع خصوصية دلالية، وهي أن الذي (يتأبَّى) هو ممتنع كاره، ومن هنا كان الامتناع عن السلب أو قلْ الشرّ.

وبناء الفعل لا تعرفه العربية الفصيحة.

٢ ـ ب ح ث ر

في فصيح العربية: بحثر الشيء: بحثه وبدّده كبعثره.

أقول: وليس في الفصيحة المعاصرة هذا الفعل، ولكنه واضح في استعمال العامة بدلالته نفسها.

٣ ـ ب ش ر

جاء في فصيح العربية: أبشرت الأرض إذا أخرجت نباتها، وبَشَرة الأرض: ما ظهر من نباتها.

أقول: وليس شيء من هذا في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نجد في لغة عامة العراقيين من أهل القُرى: بَشَّرت النخلة أو الشجرة: أي أعطت باكورتها من التمر والثمر.

٤ ـ ج ل ب

جاء في معجمات اللغة (الجَلَب) بفتحتين، بمعنى ما جُلب من خيل وإبل ومتاع، وهذا ما لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نعرفه في عامية أهل العراق، وعندهم الجَلَب: لما يجلب من البقر والغنم والإبل للذبح.

وختم الباحث حديثه بقوله: «هذا موجز ما انتهى إليه حفظي واستقرائي وبحثي في لغات العراقيين العامية. وأنا واثق أن لدى أهل الأمصار الأخرى شيئاً نظير هذا».

وشكر للباحث جهوده في وضع المعجم المنوه عنه، كل من الزملاء الأساتذة: السعيد أحمد سليمان وشوقي ضيف وعبد الله بن خميس مع تعليقهم على بعض الكلمات التي وردت في البحث.

٨ ـ تراجم أدبية من مخطوط مجهول
(تاريخ عبد الحميد بك)

بحث أعدّه وألقاه الأستاذ أبو القاسم سعد الله عضو المجمع المراسل من (الجزائر).

ذكر الباحث بأنه يحقق كتابا في التراجم يظن بأنه لم ينشر بعد، وأنه اختار منه نماذج من الشخصيات الأدبية التي ترجم لها فيه. وأن عنوان الكتاب مبتور ومجهول، وأنه وجد أحمد تيمور (باشا) يترجم في كتابه (أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، لمؤلف كتاب (تاريخ أعيان القرن الثالث عشر وبعض الثاني عشر) ويسميه (**عبد الحميد نافع بك**)(١٩).

وكانت أول ترجمة ذكرها الباحث ترجمة المؤلف لوالده واسمه خليل ابن مصطفى آغا، وكان المؤلف يطلق عليه لقب (الأمير خليل أفندي) وهو من مواليد بلدة (قوالة) اصطحبه محمد علي باشا مدة **وكانت بينهما مصاهرة**، ولما تولى محمد علي خديوية مصر لحقت به عشيرته وفيها خليل هذا، **وفي مصر تولى مناصب كثيرة**، منها محافظات كل من: رشيد والغربية والبحيرة وبني سويف والدقهلية.

ثم وصف الباحث للمؤتمرين المخطوط وما حواه من تراجم رجال ونساء القرن الثالث عشر، مؤكدا أنه ما زال مسوّداً غير كامل وغير مرتب وفيه تشطيب كثير، وهو يحتوي على حوالي مائة ترجمة متفاوتة في تفصيلاتها.

وعدّد الباحث بعدئذٍ بعض أسماء المترجم لهم ومنهم: أحمد راشد المصري وأحمد المسيري وعلي الصيرفي ومحمد أمين الزللي ومحمد كاشف البحاري ومحمود نوار الإسكندري ومصطفى أبو الفضل.

---

(١٩) يتعجب زميلنا الباحث قائلا: ولا ندري من أين أُضيفت كلمة (نافع) لاسم عبد الحميد ما دامت لم ترد في المخطوط! وأقول: وفيمَ العجب ما دام المخطوط الذي وقع عليه مبتور ومجهولا ـ على حد تعبيره ـ وما دامت ترجمة أحمد تيمور للمؤلف تنطبق عليه تمام الانطباق!

وختم الباحث حديثه قائلا: «نحن عاملون على تحقيق هذا المخطوط الخصب في معلوماته المتنوع في شخصياته، رغم عدم استيعابه وإحاطته، لوفاة صاحبه في شبابه وقبل إتمامه. . . »(٢٠).

وشكر الرئيس للمحاضر جهوده في البحث والتحقيق، وكذلك الدكتور شوقي ضيف، وكان مما علق به الدكتور السعيد أحمد سليمان أن النسبة إلى مدينة قَوَلة هي (قللي).

٩ ـ حفظوا اللغة في عصر الأميّة
وأضاعوها في عصر العلم

بحث أعدّه وألقاه الشيخ عبدالله بن خميس عضو المجمع المراسل من (العربية السعودية).

---

(٢٠) من اطلاعنا على الترجمة التي أثبتها أحمد تيمور باشا لعبد الحميد نافع في الصفحة ٢٠٤ من كتابه الذي أشار إليه الزميل في بحثه، لاحظنا أنها تحتوي على مداخل كثيرة كان على الزميل المحترم ولوجها قبل البدء بالتحقيق، ما دام المخطوط الذي وقع عليه كان مبتورا وغير كامل ويظن أنه المسوّدة التي كان المؤلف يعمل فيها، ومن تلك المداخل ما يلي:

أولا: إن ما ذكره تيمور باشا من أن التاريخ الذي ألّفه عبد الحميد نافع كان قد بيع بعد وفاته مع ما بيع من كتبه، وأنه موجود في (ليدن) بهولندة، يوجب على من يريد تحقيق الكتاب أن يبدأ بالبحث عن مصير تلك النسخة التي بيعت بعد وفاة المؤلف، وأن يعمل على استنساخها.

ثانيا: إن ما ذكره تيمور باشا من أن عبد الحميد نافع اشتغل بالموسيقى وله فيها رسالة، يوجب على من يريد تحقيق مؤلف لعبد الحميد الاتصال بمن يهتم بتاريخ الموسيقى في مصر لمعرفة مصير تلك الرسالة، لعل هذا الاتصال يفيده.

ثالثا: ذكر تيمور باشا أن الشيخ أحمد الفحماوي جمع في رسالة كبيرة ما كان يجري في ندوة عبد الحميد بينه وبين صديقه الحميم الشاعر إبراهيم طاهر من طرائف أدبية، ومن غريب المصادفات أن تيمور باشا ترجم للفحماوي هذا ترجمة عجيبة فهو فلسطيني من بلدة أم الفحم، درس في الأزهر وعاش ومات في مصر، وترك ولدين أحدهما وهو كاتب ترجمة والده كان صاحب صيدلية في شبرا، ولعل في البحث عن مصير رسالة الفحماوي، وعن مصير أسرته ما ينير السبيل للزميل فيما يحققه.

رابعا: مما ذكره تيمور باشا أيضا أن عبد الحميد كان في حياته جمع ديوان صديقه صفوة الساعاتي، ولعل البحث عن مصير هذا الديوان فيه ما يفيد.

بدأ الباحث كلامه بوصف العرب في عصرهم الجاهلي عصر الأمية والبعد عن الثقافة والعلوم بأنهم كانوا «أشد حرصاً على لغتهم وأعظم غيرة عليها من أن تغمز أو تخدش أو ينال منها» لأنهم «كانوا ينطقونها سليقة ويتحدثون بها فطرة ويستعملونها طبعاً» إلى أن قال: «وكانت عاميتهم ـ إن كان هناك عامية ـ لا تبعد عن فصحاهم ولا تنأى عن لسانهم الصحيح الفصيح».

ثم تحدث عن السليقة كيف «بدأت تضمر وبدأت الفطرة تتحول إلى خليط من عامية لم يعد يفرق المتتبع لهذه اللغة وأساليبها بين شتى اللهجات» إلى أن قال: «ونحن الآن في عصر اشتدت فيه حماية الأمم للغاتها.. وأرادوا لها السيادة والريادة.. بينما لغتنا تعيش وضعاً لا تحسد عليه من التفكك والتذبذب والانحطاط. تعيش عامية طاغية يستعملها المدرس والممثل والمدرسة والشارع وربما المذيع...».

وقارن المتحدث بعدئذ بين ما كان يلقاه اللاحن قديما من الإنكار، وبين سيادة العامية في عصرنا، داعيا إلى العناية بالفصحى وجعل القرآن ركيزة في تعليم الصغار وأهاب بمجمع اللغة أن يبادر إلى تحمل المسؤولية والعمل على ردّ العامية إلى الفصحى.

وشكر الرئيس وثلة من الزملاء للباحث غيرته على الفصحى وبيانه الصريح.

١٠ـ بين العلم والأدب عندنا
برزخ لا يبغيان

بحث أعدّه وألقاه الدكتور أحمد سليم سعيدان عضو المجمع المراسل من (الأردن).

بدأ الباحث حديثه بعرض صورة من تضافر العلم والأدب في العالم المتقدم قائلا: «بأن العلم والأدب توأمان للفكر الإنساني طبيعتهما وطبعهما

أن يكونا متضامنين متكافلين، يسند كل منهما أخاه ويغذيه، سلاحهما الكلمة المكتوبة أو المسموعة، وهدفهما العمل من أجل مستقبل أفضل، لنا وللإنسانية جمعاء».

وتحدث الباحث عن نهضة الغرب الفكرية وكيف كان العلم ركنا هاما من أركانها، كما كان همّ الدول المتقدمة أن تقيم تفاعلا قويا مستديما بين العلم والناس وبين العلم والأدب، وكيف أن المواطن في العالم المتقدم يعتز بماضيه كما يعتز بحاضره لأنه يمده بالثقة بالنفس، فيعمل على تحقيق أمجاد تضاف إلى ما حقق آباؤه وما يحقق زملاؤه.

وبعد أن عرض الباحث حالة الأقطار العربية المعاصرة، ختم بحثه قائلا: «علينا بالإضافة إلى تيسير نشر العلم بين العلميين والإنسانيين على السواء، خلق الجو المناسب لأن ينمو العلم ويشيع ويصبح طابع حياتنا والموجه الفعال لتفكيرنا وتصوراتنا.»

وتلقى الباحث الشكر على بحثه من الرئيس وعدد من زملائه المؤتمرين.

١١ـ اللغة العربية
بين المشافهة والتحرير

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عضو المجمع المراسل من (الجزائر).

بدأ الباحث حديثه بتعليل إعجاب المثقف العربي بالاهتمام الكبير الذي يوليه اللغويون الغربيون بلغة المشافهة وقلة اعتدادهم بلغة التحرير، مؤكدا أن ذلك الاهتمام ناتج عن ردّ فعل عنيف ضد الأجيال السابقة من النحويين والمربين الذين كانت لا تهمهم إلا اللغة المحررة.

ثم تساءل الباحث عن الموقف الذي يجب أن يقفه العلماء العرب إزاء النظريات اللغوية الغربية؟ مؤكدا أنه لن يتم أي تغيير جذري للوضع الراهن

ما لم يعالج هذا الوضع بالبحوث العلمية الدقيقة المنتظمة والوسائل التكنولوجية المفعول، وأن هذا ما سيتعرض له في بحثه.

ثم أخذ الباحث، وهو من أكبر المشتغلين باللسانيات في الوطن العربي - يعرض المشاكل التي يثيرها علم اللسان الحديث واحدة واحدة مثل التصدي للأخطاء اللغوية وعدم نجاعته إزالة الأخطاء، ومثل اتهام اللغة الدارجة بأنها ليست من الفصحى في شيء.

ثم ساوى الباحث في البغض بين نزعتين: قبول الخطأ الشائع والتعسف في التخطئة، وأنكر على المتمادين في الخطأ أن يحتجوا بالقول: إن الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور.

ثم تحدث الباحث عن لغة التخاطب اليومية الفصيحة العفوية ومميزاتها كاختزال المصوتات وإسقاط الحركة والتنوين في آخر الكلام، واختلاس الحركات غير الموقوف عليها وإرغام بعض الحروف، وتخفيف الهمز، وحذف وإضمار بعض الحروف أو الكلمات اختصارا.

وختم الباحث حديثه بالدعوة إلى التعمق في الدراسة وتنظيم دورات تدريبية لإطارات التربية لتوعيتهم بخطورة الثنائية المطلقة التي تؤدي إلى الفصل المطلق النهائي بين المشافهة والتحرير بل وخطرها على مستقبل العربية وأهمية التمييز بين مستويات التعبير وتدريب الجميع على تعليم قواعد اللغة العربية، والتمييز بين مختلف أنواع الأداء التي يستلزمها المقام.

وشكر الرئيس وعدد من المؤتمرين للباحث جهوده ودعوا إلى دراسة البحث والتعمق بما جاء فيه.

١٢ - عود إلى ابن النفيس

بحث ارتجله دفاعا عن نفسه الشاعر الأديب الدكتور الطبيب حسن علي إبراهيم عضو المجمع.

عاد الباحث بالمؤتمرين إلى حديثه في الدورة السابقة للمؤتمر عن

الطبيب العربي ابن النفيس نافيا بشدة أن يكون قصد به الإساءة إلى الطبيب العربي الفذّ الذي يكنّ له الباحث والعالَمُ كل الإجلال والتقدير، ولكنه كمفكر عظيم كان فيه عيب الأطباء القدامى أصابوا كثيراً وأخطأوا مرات، ومن الواضح أنه لم يشرِّح القلب ليكون دقيقاً في وصفه ومعرفة مسير الدّم فيه.

وأخذ المتحدث يترجم لزملائه وصف وليم هارفي الإنكليزي - مكتشف الدورة الدموية في اعتقاد الإنكليز - ويقارن بهذا الوصف بما قاله ابن النفيس وما في أقواله من غموض وأخطاء.

وانبرى الدكتور عبدالله الطيب للدفاع بقوة عن معلومات الأطباء العرب. ولحقه الدكتور محمود الجليلي ليدافع بشدة عن ابن النفيس وما تركه من آثار طبية قيمة. وعلّق زملاء آخرون على البحث بأن ما تركه الأطباء القدامى إنما يتناسب مع الوسائل التي استخدموها والظروف التي عاشوا فيها. وهنا وقف الدكتور محمود حافظ قائلا: أخشى ما أخشاه أن يكون زميلنا الباحث المحترم ضحية مراجعه فأرجو منه بيان مصادر بحثه. فقام الباحث يعدد مصادر بحثه، **فإذا بها كلها إنكليزية ليس بينها لا فرنسي ولا ألماني ولا أمريكي ولا عربي ولا مصري!!**(٢١).

١٣ - القرآن الكريم وتعريب الإنسان

بحث أعدّه وألقاه الأستاذ علي رجب المدني عضو المجمع من (ليبيا).

بدأ الباحث حديثه عن مجموعة المسلمات التي أرسى قواعدها القرآن قائلا: «إن حكمة الله شاءت أن يختار صاحب رسالة القرآن من العرب المستعربة التي تنحدر من صلب إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام، وتتصل بالدم العربي من طريق زوج إسماعيل الجرهمية القحطانية

---

(٢١) أظن أن ما أثبتناه في وقائع الدورة السابقة يغني عن كل قول.

«دعلة بنت مضاض» التي أنجب منها اثني عشر ولداً من بينهم عدنان الذي ينتهي إليه نسب الرسول محمد ﷺ، ووصله بالدم المصري عن طريق الأميرة المصرية الجدة هاآجار زوج إبراهيم وأم إسماعيل عليهما السلام، وبذلك وصل خاتم رسله بعدد من الأعراق ليكون مؤهلا للرسالة العظمى الجامعة التي تخاطب جميع الناس دون نظر إلى الأعراق والانتماءات ومهّد بكل ذلك لفكرة الدمج المستهدف برسالة محمد **تحت لواء قومية واسعة مشتركة هي قومية العقيدة الإيمانية التي تنحدر عن تعاليم القرآن** المنزل بلسان عربي مبين».

واسترسل الباحث في حديثه ليثبت بأن اللغةالعربية قد رشحها الله ضمنا لتكون لغة الإنسانية كافة مستهدفا وحدة الشعوب الإنسانية في أمة واحدة أبناؤها متآخون لا تمييز بينهم بسبب عرق أو لون، داعياً إلى نشر الفصحى بين الشعوب مقترحاً إنشاء صندوق عالمي لتعميم لغة القرآن.

ولما ختم الباحث حديثه شكر له الرئيس جهده فيه وأعلن حرية التعليق لمن أراد فتكلم الدكتور السعيد أحمد سليمان شاكرا مؤيدا ما جاء به الباحث، ووقف الدكتور عز الدين عبدالله محتجا على قبول إلقاء مثل هذا البحث في جلسات مؤتمر مجمع اللغة العربية وهو بحث ذو صبغة دينية، وصاح بأنه يعترض على ما ورد في البحث من اقتراح التوصية بإنشاء صندوق عالمي لنشر العربية.

قال الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع: **إن المجمع لا شأن له في المسائل الدينية ولا يمكن أن يصدر توصية فيها.**

١٤ ـ حقوق إنسان الغد

بحث أعدّه وألقاه الدكتور محمد عزيز الحبابي عضو المجمع المراسل من (المغرب).

تساءل الباحث في مطلع حديثه قائلا: «لماذا حقوق إنسان الغد؟» ثم

أجاب بنفسه قائلا: «الجواب جدّ يسير: أولا: لأن حقوق إنسان اليوم غير مستوفية لشروط الأنسنة والتأنسن من حيث التنظير ومن حيث التطبيق. ثانيا: لأن بنيات الحضارة الراهنة وقوانينها وقيمها ومقاصدها باءت بالفشل، فكبار المفكرين العالميين يعترفون بحصيلة الإفلاس ويبحثون، بإلحاح، عن البديل، أي عن حضارة ـ ما بعد ـ التصنيع تقوم على أسس إنسانية ومبادىء شمولية مشذّبة من مساوىء الحاضر، وعلى رأس تلك المساوىء «حقوق الإنسان» في نسبيّتها وتقلص مفعولها، وتغيراتها وفي علاقاتها مع واجبات الإنسان».

وعرض الباحث ما يسمى بوثائق حقوق الإنسان في العالم، في فرنسا وفي الولايات المتحدة وحتى الصادرة عن الأمم المتحدة، فإذا بجميع وثيقات حقوق الإنسان المعروفة تقوم ـ كما يقول الباحث: على أساس توصيات، والفرق شاسع بين التوصية وبين ما ينبع من القلب وعن الضمير ليحمل خطابا مشتركا شموليا.

وانتهى الباحث إلى القول: «فالحقوق الملائمة لإنسان الغد، هي التي تضمن المساواة التامة بين مجموع البشر، ولن يتم ذلك إلا إذا كانت متعالية من حيث المصدر والغاية». إلى أن قال: «إن مبدأ كهذا لن يتحقق إلا بعالمية شاملة، والإسلام بطبيعة نشأته عالمي (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً)(٢٢)»

١٥ ـ التربية المثلى للشباب في ضوء الإسلام

بحث أعدّه وألقاه الدكتور حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله عضو المجمع المراسل من (السودان).

---

(٢٢) سبأ ٣٤: ٢٨.

بدأ الباحث حديثه قائلا: «حرص الإسلام على تربية النشء من الذكور والإناث فهيأ لهم، ولما يزالوا في بطون أمهاتهم، الرعاية التامة، وجعل لميلادهم فرحة في الأسرة فسنّ لهم النسك أو العقيقة إعلانا له، وأوصى باختيار أحسن الأسماء للأبناء. وشارك النبي عليه السلام في تسمية بعضهم حيث سمىّ ابنا لأسماء بنت أبي بكر بعبدالله بن الزبير، كما وضع إطارا عاما لتسمية المولودين في عصره وبعده فقال: إن أحب أسمائكم إليَّ عبدالله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة، وقال: لا تسمين غلامك يساراً ولا رباحاً ولا نجيحاً ولا أفلح؛ فإنك تقول أثمَّ هو؟ فلا يكون، فيقول: لا. أما هنّ أربع، فلا تزيد من عليها».

وتابع الباحث حديثه عن رعاية الإسلام للطفل وهو في مهده ثم في يفاعته إلى أن يبلغ الشباب فأوجب إكرامهم والعمل على بناء شخصياتهم، مفسحا لهم المجال لمشاركة كبار الصحابة في حلقات البحث العلمي، موكلا إلى النابغين منهم الإمارة والقضاء وحتى قيادة الجيوش. فكان الإسلام برعايته للشباب فتحاً إيجابياً على الإنسانية وطاقة دافعة لها نحو الرقي والكمال والرفعة. . إلى أن قال: «لقد سمت تشريعاته الإلهية على كل تشريع فاستأصل بحكمته جذور الجرائم، ونشر ألوية العدل، وساوى في الحقوق والواجبات بين كل الأفراد، **بل لقد هيّأ لغير المسلمين من العدل والرحمة والمساواة** ما لم يكونوا يتصوّرون حدوثه في مجتمعهم الدنيوي ومن ثم كان حرص غير المسلمين على دولة الإسلام يماثل حرص المسلمين عليها».

وشكر الرئيس للباحث حسن عرضه للموضوع، كما شكر له جهوده مع تعليقات حول بعض نقاط البحث كل من الزملاء أبو القاسم سعد الله وعلي رجب المدني وعبدالله الطيب.

١٦ - بين الفصحى والعامية المصرية

بحث أعدّه وألقاه الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع.

بدأ الدكتور شوقي ضيف بالكلام عن نشوء فصحى عصرية في مصر منذ أواسط القرن التاسع عشر، فصحى وسطى بين لغة الخاصة وكلها سجع وفيها شيء من الغريب، ولغة العامة وفيها المبتذل والركيك من الأساليب.

ثم تكلم عن تلك الفصحى كيف تمكنت واستقرت عن طريق الكتاب ورجال السياسة والصحافيين الكبار إلى أن نشأت الإذاعة فأخذت بدورها في الاتساع بنطاق الفصحى العصرية.

ثم عرض الباحث أسماء بعض من كتبوا في الفصحى المعاصرة، إلى أن قام مجمع اللغة العربية بدور فعال في تنشيط حركة التفصيح اللغوي، ثم أخذ يعدد ما نشأ في العامية المصرية من تحريف في الألفاظ الفصيحة، بادئاً بما يرجع منها إلى لهجات القبائل النازلة بمصر أو إلى مجيئة في بعض الصيغ القبلية، مثنيا بالتحريفات التي لا أصل لها في اللهجات العامية، منهياً بحثه بالتحريفات الناشئة عن إبدال بعض الحروف.

وختم الباحث حديثه بقوله: «في رأيي أنه ينبغي أن تحصر كل هذه الفروق بين الفصحى العامية المصرية وبينها وبين العاميات في بلداننا العربية، ولا بأس أن تكتب فيها كتب تعليمية للناشئة حتى نسرع الخطى في رفع الحواجز بين عامياتنا وبين الفصحى، وحتى تمحى هذه الازدواجية أو الثنائية بين لغة لنا عامية نتداولها في حياتنا اليومية ولغة فصيحة نتداولها في حياتنا الأدبية والعلمية».

شكر الرئيس للباحث حديثه الوافي وأعطى الكلمة لمن يريد التعليق على البحث فعلق كل من الزملاء إسحق الحسيني ومهدي علام وعبدالله بن خميس وعبدالله الطيب وعبد الهادي التازي ومنير البعلبكي وعلي رجب المدني وكادوا يجمعون على تحبيذ فكرة محاصرة العامية بتفصيح مختلف العاميات واقترح الكثيرون منهم ترك موضوع العامي الفصيح مفتوحاً إلى دورة المؤتمر القادمة.

١٧ ـ اهتمام المغاربة بالتأليف حول العامي والفصيح

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع المراسل من (المغرب).

بدأ الدكتور التازي حديثه بقوله: «لم يقلّ اهتمام المغاربة عن اهتمام إخوانهم بالمشرق من الذين ألّفوا أو كتبوا في موضوع «العاميّ والفصيح».

وعدّد بعض مؤلفات المشارقة وعدداً من مؤلفات المغاربة ثم قصر حديثه على مؤلَّف وضعه الشيخ أحمد الصبيحي السلاوي في النصف الأول من هذا القرن.

وعرّف الباحث بالشيخ الصبيحي المولود بمدينة سلا في سنة (١٣٠٠هـ ـ (١٨٨٢م) والمتوفى بها في سنة (١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م) ثم عدّد مؤلفاته مشيراً إلى اتصاله بأحمد زكي (باشا) وإلى الكتب التي عالجت الموضوع واسترعت انتباهه.

وأعطى الباحث المؤتمرين لمحة عن كتاب الشيخ الصبيحي مؤكداً أن الكتاب سيرى النور قريباً.

وشكر الرئيس للباحث جهوده وعلق الزملاء السعيد أحمد سليمان وعز الدين عبد الله وإبراهيم السامرائي تعليقات هامشية.

١٨ ـ العاميّ الفصيح
شذور من وحي هذا العنوان

بحث أعدّه وألقاه الدكتور أمين علي السيد عضو المجمع من (مصر) استهله بالقول: «من الحقائق التاريخية التي لا يجهلها أحد أن الإسلام دخل إلى مصر قبل فتح عمرو بن العاص لها، وأن تجار العرب المسلمين كانوا دعاة لدينهم قبل أن يكونوا دعاة لتجارتهم، وأنهم كانوا يعبرون أرض مصر ليذهبوا إلى السودان، وكانوا يتركون الأثر المحمود والقدوة الصالحة في كل مكان ينزلون به، ويغلب على الظن أنهم كانوا يعرفون شيئاً من لغة الناس

الذين يتعاملون معهم، أو أن هؤلاء الناس كانوا يعرفون شيئاً من اللغة العربية، أو أن الترجمة والمترجمين والوسطاء كانت وسيلة التفاهم بين الفريقين، ومما يستأنس به هنا كتاب الرسول ﷺ إلى المقوقس ورده الكريم عليه.

ومهما يكن من أمر فإن الإسلام قد انتشر في السودان عن طريق التجار المسلمين الذين وفدوا على أهله لترويج تجارتهم، فراجت تجارتهم. وسبقها إلى الرواج دينهم الذي يتمسكون به ويحافظون على تعاليمه في كل أرض يحلون بها».

وتابع الباحث حديثه إلى أن قال: **«ومن المسلم به عند كل من درس تاريخ الإسلام في مصر والسودان أن القادمين من المسلمين لم يكرهوا أحداً على أنّ اللغة العربية لغته، كما أنهم لم يكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام»**.

ثم تكلم الباحث عن علاقة الدين باللغة وعن الصراع بين لغتين، وما يلحق بإحداهما أو بكليهما من ضيم، وعن العامية التي نشأت في مصر بعد أن تعربت وعن مصادرها وأسباب الانحراف في عدد من ألفاظها، وعن ضرورة وضع معجم يقرب المسافة بين العامية والفصحى. وعن خير الوسائل التي يراها لتحقيق المعجم المنشود.

وأنهى الباحث حديثه باقتراح أن يكون **موضوع المؤتمر القادم هو موضوع هذا العام نفسه**، على أن تعد العدة لإخراج معجم كامل عنوانه «العامي الفصيح».

وشكر الرئيس للباحث جليل اقتراحاته كما شكره عدد من الزملاء وعلق بعضهم على بعض ما ورد في البحث من آراء.

١٩ ـ حول العامي الفصيح

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من

(السودان).

استهل الباحث حديثه ببيتين من شعر أبي العلاء المعري في «سقط الزند» يودِّع فيهما بغداد قال:

أُوَدِّعُـكـمْ يـا أهـلَ بـغـدادَ والـحَـشـا
عـلَى زفـراتٍ مـا يَنِـيـنَ مـن الـلَّذعِ
ومـا الفُصـحـاءُ الصِّـيـدُ والبـدوُ دارُهـا
بـأَفـصـحَ قـولاً من إمـائكـمُ الـوُكْـعِ

وكان مما قال الباحث: «نص العلماء القدماء على أن حياة الحواضر ومخالطة بلاد العجمة كل ذلك مما يدخل على أهل اللغة اللين واللحن. وكان أهل حواضر العرب الكبرى في الجاهلية يرسلون بنيهم إلى البادية ليألفوا هواءها وماءها وتهرت أشداقهم بفصاحتها. ذكروا ذلك عن قريش وعن ملوك الحيرة ووصفوا الطائف بلين الأشعار واستثنوا المدينة...» إلى أن قال: «أكثر العامي الذي في المدن الآن ليس بفصيح».

وتابع الباحث حديثه فقال: «اللغة الفصيحة والعامية شيء واحد. وكان يفرّق بينهما دوي نطق الكلام. فالنّاس حين يتكلمون تغلب عليهم أساليب من العجلة، فربما بتروا الكلمات أو أدخلوا بعضها على بعض».

وأتى الباحث بروايات وأقوال وأشعار توضح مقالته وتبين الجذور التي نشأت منها العاميات المعروفة. وأنهى حديثه بتأييد من يرى تفصيح العاميّ دون إجازة ما هو لحن صريح كقولهم مدراء جمع مدير وهو لحن فاسد أو قولهم أثرانا وفعل أثرى لازم أي صار ذا ثراء وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾(٢٣).

---

(٢٣) النجم: ٥٣ : ٤٨.

٢٠ ـ العامي الفصيح
وحاجته إلى معجم يرده إلى أصوله

حديث أعدّه وألقاه الشيخ الدكتور محمد نايل عضو المجمع من (مصر).

بدأ الشيخ حديثه بقوله: «قد يظن بعض المثقفين من أبنائنا، حين يروننا نهتم بالعامية، وندرس أصولها، أننا نزاحم بها الفصحى وهي لغة القرآن الكريم والتراث القديم، وهذا الظن بعيد عن الحقيقة والواقع، لعدة أمور. .» وذكر الشيخ أمرين ثم قال: «وثالثها: أننا حين نهتم بهذه العامية الفصيحة إنما نرد المغترب إلى موطنه. . لنرد إليه اعتباره. . على أننا نهدف من وراء ذلك أهدافاً لها قيمتها وأثرها:

أولاً: رفع الوهم القائم بين الناس: أن ما ينطقه العامة في شعوبنا خطأ كله، ترفضه الفصحى وينأى عنه الأدباء والكتّاب والمثقفون.

ثانياً: ما يؤدي إليه رفع هذا الوهم من بث الشعور في نفوس العامة بأنهم لم يبعدوا في لغتهم كثيراً عن اللغة التي كان عليها آباؤهم، وفي هذا ما فيه من رفع معنوياتهم وإيقاظ فضيلة الانتماء في أعماقهم.

ثالثاً: أن هذا الشعور بالانتماء قد يولد فيهم نزعة الطموح والتطلع إلى تقويم ألسنتهم، ومعالجة النطق بالكلمات كما ينطقها المتعلمون».

وأخذ الشيخ يسرد الأدلة على ما يتمناه مِن ارتفاع ملحوظ في لغة العامة بلغة وسائل الإعلام المختلفة، إلى أن ختم حديثه عن مؤلفات تفصيح لغة العامة قائلاً: «إن هذه المؤلفات تبعث في نفوسنا كثيراً من الارتياح والاطمئنان إلى أن لغة العامة لا تزال قريبة من الفصحى، وأن التغيير اليسير الذي أصاب بعض ألفاظها من اليسير تداركه، حين نعقد العزم، ويقينا ربنا شرّ المعوقات والمثبطات».

٢١ ـ الإطار التاريخي لسورة « براءة »

بحث أعدّه وشافه به المؤتمرين، دون تقديم مخطوطته، الدكتور حسين مؤنس عضو المجمع من (مصر).

بدأ الباحث حديثه عن «غزوة تبوك» وهي آخر غزوة اشترك فيها النبي عليه الصلاة والسلام وكانت في السنة التاسعة للهجرة عندما بلغه أن الروم يحشدون جيوشهم لقتال المسلمين، وقد نزلت سورة «براءة» آمرة بالجهاد رافعة الأمان عن الروم غير مفتتحة بالبسملة لأن فيها الأمان وقد رفعه الله عزّ وجلّ.

وأخذ الباحث بعد أن وضع المؤتمرين في الجو التاريخي لغزوة تبوك يبين أحكام الجهاد المفروض على المسلمين وتطورات معناه.

وشكر الرئيس للباحث جهوده في إعداد حديثه، وما كاد يفتح باب المناقشة حتى هبّ الدكتور عز الدين عبد الله محتجاً على الرئيس لسماحه بإلقاء بحث ديني يؤصّل معنى الجهاد، وكلمة الجهاد تصمّ أسماع الناس في هذه الأيام، وأعلن انسحابه من الجلسة احتجاجاً.

قال الرئيس: نحن لا نوجه أحداً، يقتصر عملنا على سماع البحث ولا قرار لنا في موضوعه. ثم سمح للباحث بالردّ على زميله المعترض عليه، وتابع المؤتمرون أعمالهم.

٢٢ ـ العلاقات الثقافية بين القاهرة وتونس من خلال رسائل الزبيدي صاحب تاج العروس

بحث أعدّه وألقاه (دون توزيع نسخ عنه) الأستاذ أبو القاسم محمد كرو عضو المجمع المراسل (من تونس).

كشف الباحث في حديثه عن أن السيد المرتضى الزبيدي الفقيه المحدث واللغوي الكبير صاحب تاج العروس في شرح جواهر القاموس

للفيروز أبادي عندما استقر بمصر بعد تركه اليمن في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة، أقام صلات ودٍّ مع علماء من تونس، ثم جرت بينه وبينهم مكاتبات وتبادل للرسائل.

وقد عثر الباحث على بعض تلك الرسائل، فأحب كشف النقاب عنها لزملائه المؤتمرين تصويراً لما كان من علاقات ثقافية بين مصر وتونس في القرن الثاني عشر الهجري.

٢٣ ـ الترجمة وحسن الاختيار

بحث أعدّه وألقاه (دون توزيع نسخ عنه) الدكتور مجدي وهبة عضو المجمع من (مصر).

بدأ الباحث حديثه بالكلام عن أهمية الترجمة من لغة إلى لغة في نشر الثقافة والعلم، ثم تكلم عن الشروط التي يجب أن يتحلى بها المترجم وعن أهم شروطها وهو حسن اختيار ما تجب ترجمته. ثم وصف الترجمة بأنها فن، ومن مقتضى كل فن الإعداد له وامتلاك وسائله وممارسته بصدق واستقامة.

وتحدث الباحث عن حركة الترجمة في الأقطار العربية فوصفها بأنها عشوائية، لا برنامج لها ولا دراسة فيها، ولا مراقبة عليها، مؤكدا أن الأمر يدعو إلى إقامة سلطة تخطط للترجمة من العربية وإليها ووضع برنامج لها يتقيد به المترجمون والناشرون.

رابعا : بحوث اعتذر عن عدم إلقائها

لم يتسع الوقت المخصص للعمل لسماع بحثين وزعت نسخ منهما على المؤتمرين فاعتذر عن عدم إلقائهما، والبحثان هما:

١ ـ جهود بعض المحدثين في العامي الفصيح:

بحث أعدّه الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع من (الأردن).

٢ ـ الفكر العلمي العربي وحضارة الغرب:

بحث أعـدّه الدكتـور يوسف عـز الدين عضـو المجمع المـراسل من (العراق).

خامساً: بحوث اضطرّ أصحابها للغياب عن المؤتمر

حالت ظروف صحية وقاهرة بين زميلين والاشتراك في المؤتمر فاعتذر عن عدم اشتراكهما وهما:

١ ـ الدكتور علي عبد الواحد وافي عضو المجمع من (مصر) وكان عنوان حديثه:

النزعات الاجتماعية الفطرية عند الحيوان.

٢ ـ الدكتور مهدي محقق عضو المجمع المراسل من (إيران) وكان عنوان حديثه:

العلاقة بين اللغة الفارسية والعربية.

سادساً: محاضرة عامة

لبّى المؤتمرون وجمهرة غفيرة من أهل العلم والأدب، الدعوة العامة التي وجهت إليهم لسماع المحاضرة التي ألقاها الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع مساءً في قاعة الاحتفالات وعنوانها:

منهج طه حسين
في الدراسات الأدبية

وكانت جلسة من جلسات المؤتمر علنيـة افتتحها الـرئيس الدكتـور إبراهيم مدكور وقدّم الدكتور شوقي ضيف ليلقي محاضرته.

استهل المحاضر حديثه بقوله: «**يعد طه حسين الرائد الفذّ للدراسات الأدبية العربية في القرن العشرين**، وعوامل مختلفة تضافرت في إحلاله هذه

المنزلة الرفيعة، ولكي تتضح لنا ينبغي العودة إلى تكوينه الأدبي في نشأته الأولى حين كان طالباً بالأزهر. . وكان يختلف إلى دروس الشيخ سيد المرصفي. . ».

وتابع المحاضر كلامه عن مراحل تكوين طه حسين فذكر انتسابه سنة ١٩٠٨ إلى الجامعة المصرية الأهلية فحضر دروس أساتذتها من المستشرقين وفيهم جويدي ونالِّلينو وسانتللانا وليتمان، بينما ظل يستمع إلى الشيخ المرصفي في الصباح ويذهب في المساء لاستماع أولئك المستشرقين.

ورأى المحاضر أن فكر طه حسين اتجه في هذه المرحلة إلى الاعتقاد بأنه لا بد في دراسة الأدب من الأخذ بطريقة المرصفي التي تساعد على فهم النصوص الأدبية وتذوقها ثم الأخذ بطرق المستشرقين لاستنباط التاريخ الأدبي لتلك النصوص ومن أنتجها من الشعراء والكتّاب.

واستشهد المحاضر بالرسالة التي حصل بها طه حسين على درجة العالمية من الجامعة المصرية الأهلية، وكان موضوعها دراسة أبي العلاء المعري حيث أعلن في التمهيد لها أن مؤرخ الأدب الذي لا يؤمن بالمذاهب الحديثة ولا يصطنع في البحث طرائقه الطريفة. . ولا يطمئن إلى أن الحركة التاريخية جبرية ليس للاختيار فيها مكان لا يستطيع أن يوفي دراسة أبي العلاء حقّها.

ثم تحدث المحاضر عن الاستعداد العلمي عند طه حسين الذي وضح للجامعة المصرية من رسالته عن أبي العلاء فقررت سنة ١٩١٤ إيفاده إلى فرنسا في بعثة حصل بموجبها على الدكتوراة في فلسفة ابن خلدون، كما حصل بعد دراسة الإغريقية واللاتينية على دبلوم الدراسة العليا في القانون المدني الروماني.

وواصل المحاضر حديثه عن مسير طه حسين بعد تعيينه في الجامعة المصرية أستاذاً للتاريخ القديم اليوناني والروماني، ثم أستاذاً للأدب العربي

وتاريخه، فنشره كتابه (في الشعر الجاهلي) وما أحدثه من ضجة هائلة في الأوساط الدينية والعلمية والسياسية وقيام السلطة بمصادرة الكتاب.

ثم تحدث المحاضر عن إصدار طه حسين طبعة جديدة من كتابه باسم «في الأدب الجاهلي» معدلا بعض آرائه السابقة، مضيفا إليه شوارد من أسس سبق له نشرها، فألف منها نسقاً واضح المعالم لمنهجه في دراسة الأدب.

وفصل المحاضر الكلام عن أسس المنهج المشار إليه، ومصادر طه حسين في كل أساس منها، وعن الكتب التي كان يصدرها تطبيقاً لمنهجه، وخص كتابه «مع المتنبي» بلمحة بيّن فيها كيف درس المتنبي محللاً نفسيته وشخصيته وشعره، وكيف حمل عليه مراراً بحجة أنه كان متهالكاً على المنافع العاجلة وطلب المال من ممدوحيه الكثيرين، ثم كيف صب عنايته في الكتاب على شخصية المتنبي لا على شعره، وعلى جوانبه التاريخية لا على جوانب فنه.

ثم ختم الدكتور شوقي ضيف محاضرته بقوله: «إن طه حسين يعد الرائد الموجه الفذّ لدراسات الأدب العربي وتاريخه ودراسات شعرائه المبدعين في القديم والحديث».

وشكر الرئيس للمحاضر طرافة موضوعه ودقة إحكامه كما شكر له جهوده نفر من المستمعين، وكان أهم تعليق على المحاضرة ما جاء به الزميل الدكتور سليمان حزين وهو خريج أول دفعة درسها طه حسين فكان حواره مع تلامذته نمطاً جديداً يقوم على توسيع أفق الطالب دون أن يطغى على تفكيره وبذلك كان من تلامذته رواد افذاذ أمثال محمد عوض محمد ومحمد كامل حسين ومصطفى شرفة.

سابعاً: في الشعر

اشترك في دورة المؤتمر هذه، ثلة من الشعراء المجمعيين، وقد سعد

المؤتمرون بالاستماع إلى ما جادت به قرائح زملائهم التالية أسماؤهم:

أولا: شاعر الحجاز الأستاذ حسن عبدالله القرشي عضو المجمع المراسل من (العربية السعودية) فقد ألقى قصيدته التالية:

في آفاق لغة الوحي!

هَفَا النجمُ، يعنو لأعتَابها … وغنَّى الزمانُ على بَابِها
ودانَ لها المجدُ وهْو العصيُّ … وأرخى العنانَ لِخطَّابها
ترقْرقَ منها الضياءُ البهيجُ … وَشعْشَع في أُفْقِ أصْحابها
وتوَّجَها الله - يا لَلجلالِ - … بوَحْيٍ تجلَّى بِمحْرابها
غمائِمها ثَرَّةٌ بالحيَاة … وَوَشْيُ الربيعِ بأهْدابها
هي (الضَّادُ) ما ظَفِرتْ أُمةٌ … بمثلِ جَنَاها، وأطْيابها
تَعهَّدهَا رَبُّها بالبَقاءِ … فَهلْ مُجْدِبٌ فَيْضَ إخصَابَها؟
تَألَّقُ في صَفَحاتِ الخُلُودِ … فَتنجابُ ثَوْرَةُ حُجَّابها
وَمَاشَفَّ عن شُرُفَاتِ الوُجُودِ … كَمِثْلِ سناً شَعَّ من غَابها
وكَمْ يحفِر الصخرَ صَبٌّ بها … ليحظى بِتَرشَافِ أكْوابَها
فَما عِشْقُها غَير موْتٍ بها … غَراماً لِتَهنَا بِتَرْحَابِها
لينقادَ منها النُّفور الشُّموسُ … وَيُسْتَعْذَبُ المُرُّ من صَابِها
وينهمرُ الدُّرُّ من بحرِها … ويحلُو الرحيقُ لِشُرَّابها
أَنُوفٌ هي (الضادُ) أن تُجتنى … لِغير صَبُورٍ لأتعابها
لغيرِ مُلحٍّ شَديدِ المِراسِ … عميق المعاناةِ وَهَّابها
يجوبُ الدُّروبَ احتفاءً بها … لِيُسْلكَ في سِمْطِ أقْطابها
وأعرضَ عنها قصيرُو الأداةِ … وَمَا مِنْهُمُو من تَغنَّى بِها
فَما عَبأَتْ بالأُلى أعرضُوا … وَمَا وَصَلتهُم بأسْبابها
بني (الضادِ) يا جَمراتِ الحياة … لأعدائِها.. ولِسُلَّابها

ويـا شُهُب الـحق كـفّـوا الأذى   وَرُدّوا الـبَـقَـاةَ لأَعْـقـابـهـا
هــو الـدَّمُ نـادى (بني يَعـرب)   فَـهـلّا تـحِـنَّ لأنْـسـابـهـا
عَتـاَ الـظّلمُ من متحـدِّي الكِـرام   حُـمـاةِ (يَـهُـوذا) وأذْنَـابـهـا
أسُـودٌ عـلينـا ومـا مِـنْـهُـمُـو   سِـوى خَـائِـرِ النفس هَيَّـابِهـا
وأرغَـم جـورُ الـطغـاةِ الأُبـاةَ   لـتعـنـو لِصـولَـةِ إرْهَـابـهـا
فَمـا من (مُثنّى) يَسُـوق الحُتُوفَ   و (مـعـتـصِـمٍ) دونَ أنْـيـابـهـا
ومَا مِن (صَلاحٍ) يرصُّ الصّفوفَ   ويُقصي العـروبـةَ عن عَـابهـا
تـفـرُّقُـهـا قَـادَهـا لـلكَـلالِ   وطُـول الـتـنـاحـرِ أوْدَى بـهـا
تَـمـادَى الـعَـدوُّ نَـكـالاً بـهـا   فَـجُـنَّ الـهَـوانُ بـألـبَـابـهـا
وَلا مـن نَصِـيـر وأينَ الـنصيـرُ   لِـخـاذلِ نَفْسٍ فَـأزْرى بـهـا؟
تَنـاسَتْ مع الذُّلِّ تـاريخَهـا   لِلَهْـو الـحَـيـاةِ، وألْـعـابهـا
فَلم تَستَجِبْ لِصُـراخ الـنَّـذيـرِ   ولَـم تَسْـتَـشِـفُ لَـظَى مَـابهـا
فَـلجَّ الصـديقُ بتجـرِيـحـهـا   وهَـامَ الـعَـدوُّ بـأغْـضـابـهـا
ومـا هِي إلا جَنَى التـضحـيـاتِ   وإن لَـبسـتْ غَـيـرَ أثْـوابِـهـا
فَهـل يـا بني (الضّـادِ) من وثبةٍ   تَـرُدّ الـكُـمـاةَ لأسْـرابـهـا؟

ويـا (مَجمـع الضـادِ) من صَفْـوةٍ   تَـغَـارُ الـنجـومُ لأحْـسَـابـهـا
عَلَت بـالنّهى فَـوق هَـام الـدّنى   وعَـزَّتْ بـجَـوْهَـرِ آرابـهـا
تسـامتْ على تُـرّهـات الـزّمـانِ   فـلـم تَـسْـتَـرِقَّ لأوْصَـابـهـا
وقـدَّمتِ الشُّهْـدَ، كم غـادرتْ   حُـطامَ الـحـيَـاة لأنْـصابهـا
وكَم قـد أراقَتْ ضيـاءَ العُيُـونِ   فِـدَى (الضـادِ) قُـربى لأحْبـابهـا
ستُجـزى بمـا بـذلتْ في غَـدٍ   جـنـانـاً تـهَـشُّ لِـطُلّابـهـا
وتُـزهَى بهـا غُـرفَـات النّعيمِ   فَـدارُ الـبَـقَـاءِ لأرْبَـابـهـا!

ثانياً : الشاعر الطبيب الدكتور حسن علي إبراهيم عضو المجمع من (مصر) منذ سنة ١٩٧٨، وكان قد عوّد زملاءه أن يمتعهم سنوياً أثناء انعقاد المؤتمر برائعة من نظمه، تارة في مدح النبي عليه الصلاة والسلام ووقائع

تاريخ الإسلام في نشأته، وتارة في فصول من سيرته الذاتية وقصة حياته. وجاء في هذه السنة يبدأ سلسلة جديدة من قصائده في تاريخ مصر وقد افتتحها بالقصيدة التالية:

مصر (الجزء الأول)

وهي قصيدة يمجد فيها الشاعر بمصر، منذ عرف التاريخ حضارتها في العهد الفرعوني، وبدأ الشاعر يعدد مفاخر هبة النيل مشيراً إلى الأوابد التي أقامها عظماء فراعنتها والتي تمثل حضارة من أقدم حضارات البشر، متتبعاً خطواتها في الارتقاء متسلسلة مع الزمن.

وأنا اعتذر عن عدم نشر شيء من القصيدة، لأن هيئة التحرير لم توزع على المؤتمرين نسخاً عنها بحجة أنها لم تتلق بعد من الشاعر صورة عنها!

ثالثاً : الشاعر الدكتور إبراهيم السامرائي عضو المجمع من (العراق) فقد ألقى قصيدته التالية :

مع العربية ومجمع اللغة في القاهرة

رِيعَتْ فَضِيمَ بِرُزْئِها وَرِقُ ... ومَضَتْ بما تَشْقَى وتَأْتَلِقُ
بِبَقِيَّةٍ مِن سِحْرِ يانعةٍ ... فَنَنٌ يَشي بِنُضارِهِ أَلَقُ
تَرَكَتْ غَرِيضَ الرَّوْضِ ظامئةً ... رَوْحاتُه، واسْتَصْرَخَ الوَرَقُ
وذَوَى على أعلاقِها عَبِقُ ... لم يَخْلُ عنه وارفٌ أَنِقُ
لغةٌ سَعَيْتُ لِما شَقِيتُ لَهُ ... منها، كأنّي رُحْتُ أَسْتَبِقُ
وشُغِلْتُ منها شُغْلَ ذي أَرَبٍ ... أَضْناهُ في غَمَراتِهِ عَلَقُ
أنا بعضُ قَوْمٍ نالَهُمْ نَصَبٌ ... فيما سَعَوا لِعَلائها وشَقُوا
أَضْناهُمُ الدَّرْبُ الذي طَرَقُوا ... وهَداهُمُ الهَدْيُ الذي صَدَقُوا

* * *

يا خالدين! وقد سَعَيْتُ لكُمْ ... بأثارةٍ في طَيِّها عَبَقُ
أَكْبَرْتُ فيكُمْ كلَّ مُخْتَرِبٍ ... طالَعْتُهُ كالسَّيْلِ يَدَّفِقُ

وَوَجَـدْتُ فيكم كـلَّ مُـدَّرِعٍ   بـالعِلْمِ ، وَهْـوَ بِسِـرِّهِ حَـذِقُ
وقَبَسْتُ من «شَيْخٍ» سَماحـةَ مَنْ   يَـغْـنَـى بـأيِّ هُـدىً ويَـعْـتَـنِـقُ
وَلأنْـتُـمْ قَـدَرٌ لِـبـارِعَـةٍ   غَنِيَتْ، فـلا خَـوْفٌ ولا فَـرَقُ
أَسْـرَى بكمْ في كـلِّ مُـظلمـةٍ   فُـلْكٌ، فـلا عَـطَبٌ ولا غَـرَقُ

* * *

أَنـا بعضُ جَمْعٍ ليسَ يَجْمَعُهُمْ   إلاّ الّتي بِبَيـانِـهـا نَـطَقُـوا
وأَمَـضَّهُـمْ هَمٌّ لِـمـا بـغَـدٍ   تَـلْقَى، فـلا تَشْقَى وتَـخْـتَـنِقُ
مِمّـا حَـوَتْ من فَيْضِهـا مَـدَداً   تَـقْـوَى بـهِ، وتَـروحُ تَـرْتَـفِقُ
وضَمَـانَـةُ الضـادِ المُنيـرِ ومـا   «لِـلذِّكْـرِ» من نَفَحـاتِـهِ نَسَقُ
وذَخيـرةٌ كُنّـا بـحُـرْمَتِـهـا   بـأَجَـلِّ مـا نُمْنَى ونَفْتَـرِقُ
وبمـا تَحَـدَّرَ مِـن سَمـاحتِهـا   حِكَمٌ تُضـيءُ لنـا وتَتَّسِـقُ
وبمـا هُـدينـا من رَحـابَتِهـا   طَبْـعٌ مَشَى في سَمْحِـهِ خُلُقُ
وَسَعَتْ إلى أُمَمٍ أَضَـرَّ بهـا   خُلْفٌ، وعَمَّ سَبيلَهـا غَسَقُ
ودَنَـتْ إلـى رَشَـدٍ تَـلوحُ بِـهِ   فيمـا تَلي من خَـطْبِهـا طُـرُقُ
أَلْـوَتْ بـنـا غَيّـاً ونَـفْـتَـرِقُ   ومَشَتْ بنـا هَـدْيـاً ونَتَّـفِقُ
أَفَبَعْـدَمـا ضـاقَتْ بنـا حِيَـلٌ   وتَـوَزَّعَـتْ بِشَـتـاتِنـا فِـرَق
شِمْنـا الـرَّجـاءَ المُسْتَنيـرَ إلى   فَـجْـرٍ أضـاءَ بـنُـورِهِ أُفُـقُ

* * *

إِنّي، وقـد أَدْرَكْتُ من رَشَـدٍ   وأَرِقْـتُ فيـه ونـابَنـي أَرَقُ
لأُطيـلُ مِن نَفَسٍ لِعـافيـةٍ   وأَصُـدُّ مـا يُـومـي بِـهِ رَمَـقُ
وأُزيـحُ عَنّي كـلَّ غـاشِيـةٍ   لـولا الهُدَى، قـد كِدْتُ أَحْتَـرِقُ

* * *

عَـوْداً إلـى دَرْبٍ تَـهَـيَّـبَـنـي   مِمّـا دَجـا في وَعْثِـهِ لَثَـقُ
ومَـعَ الـذينَ بِبَـأْسِهِـمْ وَصَلوا   بـمَسيـرةٍ قـد رُحْتُ أَلْتَحِقُ
أُولاءِ مَنْ شَـرُفُوا بمـا صَدَقُـوا   ولأَنْتَ في هَـذي بمـا نَـطَقُـوا
بلِسـانِ صِـدْقٍ غَيْـرِ ذي عِوَجٍ   ولَـذاكَ أَوْفَـرُ مُـنَّـةٍ رُزِقُـوا

تَلْقـاهُمُ الساعين في حَـرَدٍ ... لِلْجِـدِّ، كُـلُّ مُـفْـصِـحٍ لَـبِـقُ
بحَماسةٍ ذَهَبَتْ بِهِمْ رَشَداً ... ولـهُـمْ بـذلِـكَ مِـقْـوَلٌ ذَلِـقُ
إنْ كـانَ ذاكَ فـأَنْتَ بَعْضُهُمُ ... ولأنـتَ فيـهِـمْ مُـعْـجَـلٌ تَئِـقُ

* * *

قَسَمـاً بـمـا ثَمَّـرْتُ مِـن قِيَـمٍ ... وبمـا انْجَلَى من هَـذْيِهـا فَلَقُ
مـا كُنْتُ أَعْـدِلُ عن هـوىً أبـداً ... لِـلْحَـزْمِ ، لا دَعْـوَى ولا مَـلَقُ
هَمٌّ شـقِيتُ بِـهِ وأَحْسَـبُـنـي ... أَنْ لـو صَبَـرْتُ لَـزُحْـزِحَ القَلَقُ
ولَنِـعْـمَ مـا يَلْقـاهُ ذو مِـقَـةٍ ... فـي سَعْـيِـهِ مِمّـا بِـهِ يَـثِـقُ

صنعاء في الأول من رَجَب سنة ١٤١٠هـ

رابعاً : الشاعر الدكتور حسين علي محفوظ، عضو المجمع المراسل من (العراق) وقد ألقى قصيدة ثلاثية المقاطع وبلغ عدد مقاطعها واحداً وأربعين نختار منها التالي وعنوانها:

٣٥ عاما في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

بدأ الشاعر يتغنى بأيام سلفت جاء فيها مصر بعد انتخابه عضواً مراسلا في مجمع اللغة العربية فقال :

ومنّ الـزمـان بفيض نعـ ... ـماه وأولانـا جـمـيـله
جـمـيـع الأحـبـة فـي ثـرى ... مِصـر، وسقى الصحب نيله
أبـداً، يـلـفـع بـالـنـدى ... أزهـارَ مـطلول الـخـمـيـله

* * *

فـي مجـمـع ضـمّ الأفـا ... ضـل رفـقـة شمّ الأنـوف
جـمـعـتـهـمُ الآداب بـا ... هـرة مـنـوّرة الـحـروف
والقـلم والضـاد الـمـبيـ ... ـن يفـلّ بـارقـة السيـوف

* * *

صِـرح نقضي فـي مـحـا ... نيـه الـربيـع من الفصـول
تـفـتـرّ فـي جـنـبـاتـه ... عن نـور فِكـرتهـا العقـول
هـذا بـمـقـولـه يـجـول ... وذا بـحـجـتـه يـصـول

* * *

صـاحبتهم، لاقيت أصـ ... ـحاب الفضائل والفواضل

والمنـطق الـجـزل الـرزيـ ـن تمدّه السحب الحوافل
و (العقـل أجمـل زينـة) (أغنى الغنى) رأس الفضائل

* * *

لاقـيت غـرّ الـفـاضلـيـ ـن أعـزّة شُمّ الشـوامـخ
أطـواد عـلـم طـاولـت أشـرافهـن ذرى الـبـواذخ
هـذا تـضيّـعـه المـشـيـ ـب وذاك غض الغصن شارخ

* * *

وذكر الشاعر كبار الزملاء الذين التقاهم في مؤتمر المجمع السنوي، فذكر من الراحلين، الشيخ الشبيبي الذي رشحه، والرئيس لطفي السيد، ومن بعده الرئيس طه حسين، فالرئيس إبراهيم مدكور مدّ الله بحياته، إلى أن بلغ عدد أعضاء المجمع (مائة) فقال:

سلّم على (المـائـة الكـرا م) أولي المـآثـر والمكـارم
المجمعـيـين الأفـا ضـل كـارم من بعـد كـارم
شـادوا الـرّواق المشمخـرّ يـطالـع الـزهـر النـواجم

* * *

حفـظوا اللسـان العبقـريّ وظـلـه ضـافٍ ضـلـيـل
الـسلسـل الـعـذب الـفـرا ت المعجب الزاهي الجميل
لـغـة الجـدود المـنجبـيـن و «منـطق العـرب الأصيـل»

* * *

أهـلي ورفـقـتـي الأجلّـ ـة حـافظي الضـاد المبين
صـحـبـي الأحبّة أنـتـم أثنـا قـوى الحبـل المتيـن
أنـتـم إيـاة الـشـمس تـحـ ـذي الصبح واضحة الجبين

* * *

جـاد الـزمـان بـوصـلكـم والـدهـر بـخّـال شحيـح
فـغـفـرت سـوء فـعـالـه ومنحتـه طـرف المـشيـح
وعـفـوت عـن فـتـكـاتـه وغضضت عيـن المستميـح

* * *

وذكر الشاعر بخير الأعضاء الذين التقى بهم من العراقيين والسوريين والأردنيين والفلسطينيين واللبنانيين والليبيين والتونسيين والجزائريين والمغاربة والسودانيين ومن أبناء الجزيرة والكويت واليمن ومن المستشرقين. وختم قائلاً:

يـا مجمـع اللغـة العـظيـ ـم وأهـله أهـل الـعـظائـم
سـقّـى ديـارك كـل حـيـ ـنٍ وابـلاً صـوبُ الغمـائم
وإلـيـك مـنـي مـا بـقـيـ ـتَ من التحيّـات اللطائم

* * *

ثامناً : تأبين مجمعي راحل

عقد المؤتمرون بدعوة من الرئيس وجهت إلى لفيف من العلماء والأدباء جلسة علنية مسائية(٢٤)، حضرها جمع من رجال الفكر والعلم والإعلام، لتأبين فقيد المجمع عبدالله كنون العضو العامل من (المغرب).

وفيما يلي عرض موجز لأهم ما دار في تلك الجلسة:

افتتح الرئيس الدكتور إبراهيم مدكور الجلسة بكلمة أشار فيها إلى التقاليد المجمعية التي تقضي بتأبين أعضاء المجمع العاملين من غير المصريين في جلسة علنية أثناء المؤتمر السنوي للمجمع.

ثم ذكر أن المجمع افتقد في نهاية العام الماضي أحد أعلام أعضائه العاملين من (المغرب) مشيراً إلى مكانة الفقيد العلمية في العالمين العربي والإسلامي، مقدماً أعضاء المجمع المؤبنين التالين:

أولاً : الدكتور عبد الهادي التازي: عضو المجمع المراسل من (المغرب)، الذي بدأ خطابه التأبيني بالإشارة إلى أن الدول الأوروبية كانت في مطلع هذا القرن تطمع في احتلال المغرب وقد تواطأت على اقتسام أراضيه، فلما سنحت لها الفرصة، قامت بسلب استقلاله وفرض الحماية عليه مناصفة بين فرنسا وإسبانيا، مما حمل بعض سكانه على التفكير بالهجرة منه.

---

(٢٤) عقدت جلسة التأبين العلنية مساء يوم الأربعاء في ١٠ من شعبان سنة ١٤١٠ الموافق ٧ من آذار (مارس) سنة ١٩٩٠.

وذكر الدكتور التازي بعدئذٍ أن الشيخ عبد الصمد كنون كان من الراغبين في الهجرة، وقد غادر مدينة فاس، مع أسرته وهي تحمل طفلاً في الرابعة من عمره اسمه عبدالله، قاصدين المدينة المنورة(٢٥). فلما وصلوا ميناء طنجة وهي منطقة دولية، حجزتهم عن الإبحار الحرب العالمية الأولى، فأقاموا فيها ثم استوطنوها.

وتحدث الدكتور التازي عن الطفل عبدالله وقد نشأ في طنجة، وفيها تلقى العلم وقد تمكّن منه، وفيها اشتغل بالتدريس والكتابة بالصحف والمجلات، ومنها أخذ يوثق صلاته مع صحفيين وأدباء في المشرق العربي.

وتابع الدكتور التازي حديثه عن الدور الذي قام به عبدالله كنون، عندما تجرأت السلطات الفرنسية في الرباط على إقصاء الملك محمد الخامس عن عرش المغرب سنة ١٩٥٣، مما حمل عبدالله كنون محتجاً على هذا الاعتداء الفرنسي الصارخ، إلى ترك طنجة، خوفاً من النفوذ الفرنسي فيها، فهرب لاجئاً إلى مدينة تطوان التي كانت تحت الحماية الإسبانية، فإذا بالحكومة الخليفية تسميه وزيراً للعدل فيها.

ثم تحدث عن عودة الملك إلى العرش وتوحيد شطري المغرب وإعلان سيادته على منطقة طنجة الدولية، كل هذا دفع الملك إلى إسناد ولاية محافظة طنجة إلى عبدالله كنون تقديراً لموقفه الرائع من الاعتداء على العرش المغربي.

---

(٢٥) هذا ما دونه الفقيد بموجز سيرة حياته التي قدمها إلى مجمع القاهرة عندما انتخب عضواً فيه سنة ١٩٦١، بينما كان سبق له أن ذكر في موجز ترجمته التي قدمها إلى مجمع دمشق عندما انتخب عضواً فيه سنة ١٩٥٦ أن والده كان ينوي الهجرة بأسرته إلى الشام، وهذا الاختلاف يحمل على أنه من قبيل السهو، أو يدل على أن نية والد الفقيد يومئذ كانت الهجرة بالإبحار نحو المشرق، أما الاستقرار في الحجاز أو في الشام فمتروك للظروف، يؤيد هذا التعليل ما جاء في ترجمة مطولة بعث بها الفقيد إلى مجمع دمشق ذكر فيها أن أباه وعمه قررا الهجرة إلى المشرق فوصلا طنجة للإبحار منها، فتعذر عليهما السفر فاستوطناها. . .

وعرّج الدكتور التازي بعدئذ على انتخاب عبدالله كنون سنة ١٩٦١ عضواً في مجمع القاهرة وكيف جعل تحيته للمجمع يوم استقباله جرداً كاملاً لمساهمة المغرب عبر التاريخ في دعم العربية وإغناء العلم والمساهمة في ازدهار الحضارة.

ثم سرد الدكتور التازي ما أسهم فيه عبد الله كنون في المؤتمرات السنوية للمجمع من بحوث أدبية أو لغوية أو تاريخية، معدداً مؤلفاته والكتب التي حققها والدواوين الشعرية التي نشرها، مشيراً إلى أهم المقالات التي دبّجها ونشرتها الصحف أو المجلات في كل من مصر أو سورية أو الجزائر أو المغرب مسلسلة حسب موضوعاتها مسجلاً كل ذلك في قائمة طويلة ألحقها بخطابه.

وأنهى الدكتور التازي خطابه بقوله: «وإذا كان الأستاذ كنون درج من غير عقب، فإنه مع ذلك ترك جمهوراً كبيراً من الأبناء الروحيين الذين يرددون صداه في كل مكان، وهذه لا تقدر بثمن، ومن حسن حظ الفقيد أنه وجد إلى جانبه سيدة فضلى توفر له كلّ أنواع الراحة، مما كان يساعده على الانصراف إلى ما هو بصدده!

هذا إلى أبناء أخته وخاصة الأستاذ مصطفى الريسوني والأستاذ عبدالله العشاب اللذين كانا إلى جانبه باستمرار، وهما المشرفان اليوم على مكتبته التي أصبحت لأبناء الشعب»(٢٦).

ثانياً : الدكتور عدنان الخطيب: عضو المجمع من (سورية) والأمين العام لمجمع دمشق، وقد استهل خطابه بذكر المكانة الإسلامية التي احتلتها مدينة فاس بعد سقوط إشبيلية وكثرة من نبغ فيها من العلماء. مبيناً أنه كان ممن نبغ في فاس من العلماء التهاميّ الذي ينتهي نسبه إلى محمد الملقب بكنون بن القاسم بن أدريس بن أدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

(٢٦) كان الفقيد رحمه الله حبس مكتبته القيمة في طنجة وقفاً على طالبي العلم والمعرفة.

وحكى الدكتور الخطيب قصة محاولة عبد الصمد بن التهامي كنون الهجرة إلى المشرق بعد أن احتلت دول أوروبية بلاد المغرب، وكيف حالت الحرب العالمية دون إبحاره إلى المشرق بعد أن وصل مدينة طنجة فاستوطنها مع أسرته وكان فيها الطفل عبد الله.

وتحدث الدكتور الخطيب بعدئذ عن نشأة عبد الله كنون في طنجة وعن تحصيله العلم وتمكنه منه وعن نبوغه فيه وعن تأليفه كتاب «النبوغ المغربي»، وقد أفاض في تقريظ أمير البيان في المشرق العربي الأمير شكيب أرسلان لهذا الكتاب، كما تحدث عن مصادرة الكتاب من قبل السلطات الفرنسية، مما زاد في قيمته وإعلاء اسم عبد الله كنون وشهرته في العالم العربي.

ثالثاً : الدكتور حسين علي محفوظ: عضو المجمع المراسل من (العراق) الذي تلا قصيدة كان قد ارتجلها عندما نُبِّيء بوفاة عبد الله كنون، منها الأبيات التالية:

كان أنموذج الفحول الأفاضل ... أريحيّ اللقا أغرّ الشمائل
جمع العلم والتواضع والأخـ ... ـلاق، محض الوداد، جمّ الفضائل
واستطالت أشعة منه في الآ ... فاق وهّاجة السراج الشامل
تلك آثاره على العلم والحكـ ... ـمة والفضل والذكاء دلائل
أنا ودّعت منه خلّاً وفياً ... وصديقاً بالحب واللطف حافل

* * *

لفعته في قبره رحمة اللـ ... ـه، وحفّ الرضوان تلك الجنادل
وسقت تربه الغوادي ملثّا ... تٍ وروى ثراه هامي الهواطل

وختم الرئيس الجلسة بالدعاء للفقيد بالرحمة والرضوان، شاكراً الحضور على مشاركتهم فيها.

تاسعاً : المعجم الكبير

عُرضت على المؤتمرين المواد التي أقرّها مجلس المجمع، مما أنهت لجنة المعجم الكبير تصنيفه، وهي المواد المبتدئة من أول مادة (ح و م) إلى آخر مادة (ح ش ي).

واستمع المؤتمرون إلى تقرير وشرح الدكتور مهدي علّام مقرر لجنة المعجم عن إنجازات اللجنة وأسماء من اشترك في الجلسات التي عقدتها وأسماء كل من عمل معها من الموظفين الفنيين أو الإداريين، مقدماً الشكر الجزيل لجميعهم، شاكراً باسمهم الزملاء الذين ساهموا أو سيساهمون بتقديم ملاحظاتهم مكتوبة.

قدم كل من الزملاء الأساتذة: عبدالله بن خميس ومنير البعلبكي وعدنان الخطيب وحمد الجاسر ملاحظاتهم، كما علّق على أعمال اللجنة كل من الزملاء الأساتذة؛ علي رجب المدني، ومحمود الجليلي وأحمد شفيق الخطيب.

عاشراً : أعمال لجنة الأصول

عُرِضَتْ على المؤتمرين أعمال لجنة الأصول التي أقرّ مجلس المجمع عرضها عليه، وهي المسائل الخمس التالية:

المسألة الأولى :

إلغاء قاعدة المبتدأ المستغني عن الخبر من النحو التعليمي للناشئة

قالت اللجنة: قسم النحاة المتأخرون المبتدأ إلى قسمين: قسم له خبر، وهو الأساسي المطرد مثل «زيد كاتب» وقسم له فاعل أو نائب فاعل يغني عن الخبر، وهو الوصف، مثل «أحاضر أخواك»؟ ورأت اللجنة ـ بعد دراسة متأنية ـ أن القسم الثاني، وهو المستغني عن الخبر ـ ليست له شواهد

في القرآن الكريم، ولا في الشعر الجاهلي والإسلامي واستشهد له النحاة بأربعة أبيات مجهولة القائلين، لذلك لا تصلح لكي توضع على أساسها قاعدة نحوية، فضلا عن أنها تحدث خَلَلًا كبيراً في قواعد المبتدأ والخبر وهي تنقض قاعدة المطابقة بين المبتدأ والخبر، إفراداً وتثنية وجمعا، فالمبتدأ فيها دائما مفرد، ويليه فاعله أو نائبه مفردا أو مثنى أو مجموعا، فيقال: ما مسافر الزيدان ـ ما مسافر الزيدون. كما يقال: ما معروف الرجلان ـ ما معروف الرجال، مما يدخل إخلالا واضحا على باب المبتدأ والخبر.

لذلك ترى اللجنة إلغاء قاعدة المتبدأ المستغني عن الخبر من كتب النحو التعليمي.

وقد تولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وتوضيح المقصود من قرار اللجنة، وبعد التصويت أعلن الرئيس **قبول قرار اللجنة بالإجماع**.

المسألة الثانية:

الفصل بين المضاف والمضاف إليه بنعت المضاف

درست اللجنة الأحوال التي يفصل فيها بين المضاف والمضاف إليه في الأساليب العربية، شعرا ونثرا، ورأت في نصوص القرآن الكريم والشعر والنثر أن الفاصل بينهما قد يكون مفعولا أو ظرفا أو جارا ومجرورا أو منادى أو نعتا، والفصل بالنعت أكثر الفصول المذكورة بين المضاف والمضاف إليه التصاقا بالمضاف، وهو بذلك أحق منها جميعا بأن يقبل استخدامه في الصيغ العصرية حين تشيع وتدور على الألسنة، في مثل:

وكيل أول الوزارة ـ مفتش أول اللغة العربية ـ أمين عام الجامعة... وفي ذلك تسويغ للأمثلة المذكورة وما يمتثلها.

وانتهى رأي اللجنة إلى إجازة هذه الأمثلة العصرية التي تدور في الألسنة والتي تفصل بين المضاف والمضاف إليه بالنعت قياسا على ما جاء

في النصوص الوثيقة.

وبعد أن تولى مقرر اللجنة الدكتور شوقي ضيف شرح المسألة اعترض كثير من الزملاء على قرار اللجنة وأعلنوا رفضهم له، وكان كل من الدكاترة: يوسف عز الدين وعبد الكريم خليفة وعلي الحاج صالح، وغيرهم من المعترضين الرافضين للقرار.

وعندما طرح الرئيس المسألة على التصويت، كانت أكثرية ضئيلة بجانب قبولها. فأعلن أنها قبلت بالأكثرية.

المسألة الثالثة :

جواز المطابقة وعدمها في اسم التفضيل المقترن بأل

درست اللجنة اسم التفضيل المقترن بأل، ورجعت في ذلك إلى قرار المجمع، الذي يقول بجواز جمع أفعل التفضيل المقترن بالألف واللام على الأفاعل ويلحق به في ذلك المضاف إلى المعرفة، وجواز تأنيثها على الفعلى.

كما رجعت إلى رأي النحاة القائلين بحتمية المطابقة في اسم التفضيل المعرف بأل (كالأشموني وابن عقيل والسيوطي وابن هشام والرضي. . .) والنحاة القائلين بجواز المطابقة وعدمها (كالمبرد والجزولي والزبيدي وابن يعيش والمجمع في المؤتمر الثالث والثلاثين. . .).

ورأت اللجنة الأخذ بقرار المجمع القديم في إجازة المطابقة وعدمها، تلبية لحاجة الاستعمال المعاصر، وتيسيرا لقواعد اللغة، وبخاصة عند استعمال اسم التفضيل من اللفيف المقرون فنقول: الهدف الأقوى، والمرأة الأقوى، والدولتان الأقوى، والدول الأقوى، شريطة ألا نعدو على الصيغ التي سُمعت فيها المطابقة، كالعليا بدلا من الأعلى، والعظمى بدلا من الأعظم.

وانتهت اللجنة إلى القرار التالي :

«يجوز الإفراد والمطابقة في استعمال اسم التفضيل المحلى بأل».

وتولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وتوضيح الغاية من قرار اللجنة، وعند انتهاء المناقشة وإجراء التصويت أعلن الرئيس قبول القرار بالإجماع.

المسألة الرابعة :

زيادة النون في «فَعْلَنَ» وما يشتق منها

درست اللجنة ما يشيع على ألسنة بعض الكتاب وأقلامهم من صيغ الفعل التي زيدت فيها النون، من نحو: يُعَلْمِن، ويُعَضْوِن، ويُعَقْلِن، واشتقاقهم صفات منها، فيقولون: مُعَلْمَن، ومُعَضْوَن، ومُعَقْلَن.

أو يجعلونها مصدرا فيقولون: عَلْمَنَةٌ، وعَضْونَة، وعَقْلَنَة. ورجعت اللجنة إلى ما قاله النحاة واللغويون في هذا الشأن، كما رجعت إلى ما سبق أن قرره المجمع من قبل، من إجازته النسب بالألف والنون في المصطلحات العلمية، وبعد دراسة متأنية رأت اللجنة زيادة النون في هذه الصيغ الثلاث استنادا على ما ورد في فصيح العربية.

وانتهت اللجنة إلى القرار التالي :

«ترى اللجنة قبول ما يشيع على ألسنة المثقفين، من نحو: علمن، وعضون، وعقلن، ومصادرها وما يشتق منها، على أن تعد النون زائدة، ويحمل ذلك على ما ورد من أشباهه في القديم، وما ذكره النحاة من زيادتها في ذلك».

وتولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وبعد التصويت على قرار اللجنة أعلن الرئيس قبوله بالإجماع.

المسألة الخامسة :

دخول «ربما» على الجملة الاسمية والاسم المفرد

أ ـ درست اللجنة موضوع دخول «ربما» على الجملة الاسمية، ولاحظت أن من النحاة من يمنع ذلك، ومنهم يجيزه، وهو ما رأته اللجنة وأخذت به تيسيراً لقواعد اللغة، وتسويفاً لبعض الأساليب التي تشيع على ألسنة الكتاب والمتكلمين، في مثل قولهم: «ربما زيد في البيت»، «ربما البرد الشديد صرفه عن الخروج».

ب ـ كما درست اللجنة ما يجري في اللغة المعاصرة من دخول «ربما» على الاسم المفرد، مثل قولهم: «تجاهل الموقف ربما تسليما للواقع» ـ «يستطيع التحكم فيها وربما التلاعب بها»، فتكون لفظا معترضا للدلالة على الاحتمال.

وانتهت اللجنة في ذلك إلى القرار التالي:

«يجوز دخول ربما على الجملة الاسمية، بغير تأويل، كما يجوز دخولها على الاسم المفرد فيما شاع في اللغة المعاصرة، على أن تكون لفظاً معترضاً للدلالة على الاحتمال».

تولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وتوضيح مآل قرارها، ثم أعلن الرئيس قبول القرار لعدم وجود مخالف.

حادي عشر: اختتام المؤتمر وتوصياته

عقد المؤتمرون جلستهم الختامية صباح يوم الاثنين في الخامس عشر من شعبان سنة ١٤١٠هـ الموافق للثاني عشر من آذار (مارس) سنة ١٩٩٠، واستمعوا إلى تقرير الأمين العام الدكتور شوقي ضيف عن الأعمال التي أنجزها المؤتمرون في هذه الدورة، كما قرأ عليهم مختلف الاقتراحات التي قدمها أعضاء المؤتمر مع ما ارتأوه من توصيات.

وبعد تداول الرأي ومناقشة جميع الاقتراحات، أقرّ المؤتمرون التوصيات التالية:

١ ـ يوصي المؤتمر أن يعنى في مرحلة التعليم الأساسي بحفظ قدر كاف من القرآن الكريم مع تفسيره في صفوف هذا التعليم، وأن تتلو الناشئة مجموعة من أجزاء القرآن موزعة على الصفوف حتى ترسخ الملكة اللغوية في نفوسهم، ويتمثلوا قيم القرآن الجمالية والسلوكية والاجتماعية.

٢ ـ يؤكد المؤتمر توصية الدول العربية التي لم يتم فيها تعريب جميع الإدارات والمؤسسات أن تستكمل ذلك لضرورته في التعامل مع أفراد شعوبها، ولأن ذلك جزء لا يتجزأ من عروبتها الخالدة.

٣ ـ يوصي المؤتمر الدول والحكومات العربية أن لا تعمل على إحياء اللهجات المحلية حتى لا تغض من العناية بالعربية لغتنا القومية والدينية، ولغة ثقافتنا على مرّ التاريخ ولغة هويتنا وشخصيتنا وإذا كتبت أي لهجة محلية أو جعلت صحيفة لسانا لها ينبغي أن لا تكتب بحروف سوى الحروف العربية.

٤ ـ يدعو المؤتمر الصومال حكومة وشعباً إلى العودة إلى الحروف العربية حتى تظل الأواصر قائمة بينها وبين شقيقاتها من البلدان العربية بحيث لا يمسها أي انفصام أو انفصال، ويهيب المؤتمر بالدول والحكومات العربية أن تعمل بشتى الوسائل على هذه العودة المنشودة.

٥ ـ يوصي المؤتمر ببذل الجهود العلمية لوضع معجم كبير للعامي الفصيح المشترك في البلدان العربية والذي يرجع إلى أصول فصيحة، حتى تتقارب تلك البلدان بعضها من بعض وتتعاون بلغة مشتركة. ويقرر المؤتمر أن يظل هذا الموضوع مفتوحا في المؤتمر القادم.

٦ ـ يدعو المؤتمر علماء العربية كُلٌّ في وطنه إلى محاصرة العامية وبيان الفروق الدقيقة بينها وبين الفصحى وما دخلَ الكلمات الفصيحة فيها من إبدالات في الحركات والحروف وتغيرات في البنية والهيئة، لعرض ذلك على الناشئة والإذاعيين حتى يتحاشوه في كتابتهم ونطقهم.

٧ ـ أخذ مؤتمر المجمع علما بقرار وزراء الصحة العرب بتعريب كليات الطب في الوطن العربي وهو ما أوصى به مؤتمر المجمع مرارا، وإن مؤتمر المجمع إذ يحيي هذا القرار يوصي الحكومات العربية بإصدار التشريعات اللازمة لتعريب التعليم الجامعي والعالي في مختلف الحقول والتخصصات العلمية.

٨ ـ يدعو المؤتمر اتحاد المجامع اللغوية والجامعات والهيئات العلمية إلى توحيد المصطلحات في جميع العلوم، حتى تنمحي انمحاء تاما البلبلة في وضع هذه المصطلحات، فلا تكون في أي بلد عربي مصطلحات في علم تغاير مصطلحاته في البلاد العربية الأخرى، وحتى يتعاون علماؤنا جميعا في نهضة العلوم ببلادنا نهضة جماعية عربية قويمة.

٩ ـ يوصي المؤتمر بزيادة عدد الساعات في تدريس قواعد العربية مع العناية في النصوص بالضبط والشكل الكامل، ومع تيسير القواعد على الناشئة والاستضاءة في ذلك بما قرره مؤتمر الدورة المجمعية الخامسة والأربعين من تبسيط لتلك القواعد، ولدى المجمع كراسة توضح هذا التبسيط وترسل لمن يطلبها من وزارات التعليم في الوطن العربي.

١٠ـ يوصي المؤتمر أن يعنى في التدريس للناشئة وفي جميع وسائل الإعلام وفي الإذاعتين المسموعة والمرئية ومسلسلات التلفزيون باستخدام الفصحى ومراعاة قواعدها وصياغاتها مراعاة دقيقة وينبغي إعداد المذيعين والمذيعات لغوياً بواسطة دورات تدريبية لهم تعرفهم ـ في دقة النطق العربي الفصيح، مع تصحيح ما يتردد في ألسنتهم من أخطاء لغوية.

١١ـ يوصي المؤتمر بما دعا إليه في مؤتمرات سابقة ـ حفاظاً على الهوية العربية والقومية ـ من إصدار تشريعات تحظر كتابة اللافتات على المحال التجارية والشركات والفنادق بغير العربية كما تحظر كتابة الأسماء الأجنبية ـ عليها جميعا ـ بحروف عربية.

١٢ـ يدعو المؤتمر رجال الدولة وجميع المسؤولين في الوطن العربي أن تكون خطبهم وبياناتهم الموجهة إلى الجماهير بلغة عربية سليمة، لما لذلك من تأثير عميق في نفوس الجماهير وتمثلها القويم للبيان العربي.

١٣ـ تبلغ هذه التوصيات للمؤتمر إلى المجامع اللغوية والعلمية والجامعات والصحف العربية وإلى وزارات التعليم والإعلام والثقافة في الوطن العربي.

وبعد هذا أعلن الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المؤتمر، ختام الدورة السادسة والخمسين، شاكراً للمؤتمرين جهودهم، متمنياً للمسافرين منهم السلامة، آملا اللقاء بهم جميعا في الدورة القادمة بمشيئة الله.

صورة عاد في الشعر الجاهلي

د. أنور أبو سويلم
جامعة مؤتة

رَبَطَ بعضُ المؤرِّخين العرب القدماء الأَحداث السياسيةْ والاجتماعية بمشاعر الإنسان وأفكاره وطموحاته، فَرَدَّدوا الأَشعار والخُطَب والأَمْثَال التي قيلت في المُنَاسبات والأحداث التاريخية، وتَنَبَّهوا إلى أهميَّة الإنسان الذي يَنْفَعِل بالحَدَث ويحسُّهُ ويتأثَّر به؛ فَسَجَّلوا كثيراً من حِكَمهم وأفكارهم ومشاعرهم شعراً ونثراً، لكنَّ هؤلاء المؤرخين اتَّخذوا من الأشعار والأمثال والقَصَص وثائقَ يمكنُ بوساطتها أنْ يُقْنعوا القارِىء بصِحَّة الخَبَر، لأَنَّ الشِّعْرَ اتُّخِذَ دَلِيلاً على الخَبَر وشَاهداً عليه يُسَاقُ معه ليُؤكِّده. ومن هذه الزاوية كَثُر النَّحْلُ على أَلْسِنة القُدماء، وَحَمَلَ رُواةُ الأَخبار غُثَاءً كثيراً من الشِّعر الذي يزيد الخبرَ ضَعْفاً أكثر ممَّا يزيده صدقاً وإشراقاً وإحساساً، وغاب دور الإنسان في صِنَاعة التاريخ. وهذه أول عَقَبة تواجه مَنْ يبحثُ في العلاقة بين الشعر والموروث الثقافي القديم؛ لأَنَّ الشعر أحياناً في كتب التاريخ ترجمة حرفية مُصْطَنَعة للرواية التاريخية.

والعقبة الثانية: أن الموروث الثقافي عند العرب مزيجٌ من التاريخ والمعتقدات الدينيَّة والخُرافية والقَصَص، والأَمثال والأساطير، والخرافات، والملاحم الشعبية، ومن خلال ذلك يبرز الشعرُ خافتاً باهتاً مُجْتَزءاً. وكثيرٌ من الأَحداث والأساطير والقَصَص لم يُدَوَّن إلاّ في فترة متأَخِّرة، ولقيَ من المؤرخين والمفسرين الإهْمَال والنَّقْد، وكانت الأَحداث ـ غالباً ـ تخضعُ لمنطق المفسرين وقِيَمهم خدمةً لكتاب الله العزيز، مُهْتَمِّين بالعِظَة والعِبْرة من مُجْمَل الأَحداث. ولا نستطيع أنْ نُؤكِّد أَنَّ الصورة القديمة للقَصَص التاريخي هي نفسها الصورة التي رواها المؤرخون المسلمون في القرن

الثاني الهجري والقرون التالية؛ فقد أُسْقِطَ منها ما يَتَنَافَى وقِيَم الدِّين الإسلامي الحنيف وما يتعارض ومبادئه، وبقي من تراث الإنسان الجاهلي قليلٌ من الأساطير والخرافات تكشف عن إنسان مُشَوَّهٍ لا ثقافةَ لديه ولا حَضَارة، فَوُسِمَ بالجَهَالة، ووُصِمَ بالانحطاط، ونُعِتَ بالأُمِّيَّةِ.

وجاء القرآن الكريم يتحدَّثُ إلى القوم عن عادٍ وثمود والأمم الماضية، وما أَلِفُوا من ثقافات وما وَعَوا من حَضَارات، ولم تكن طَرَافة أخبار الأمم القديمة مقصودة لذاتها، ولم يأتِ القرآن الكريم لِيُضِيفَ معلوماتٍ جديدةً إلى تاريخ العَرَب، وإنَّما كان الهَدَفُ العِظَة والعِبْرَة والتَدَبُّر، ولو جاءهم بأخبارٍ لم يسمعوا بها ولم يعرفوها لانْصَرَفَتْ عنايتهم إلى دَحْضِها ومناقشتها وإنْكَارِها، ولم نسمع أنَّ وثَنِيِّي العرب ناقشوا الرسول - ﷺ - في مدى صِحَّة الأخبار القرآنية؛ لأنَّهم يعرفونها بصورة مطابقة أو قريبة من التصوير القرآنيّ لها، ولديهم - في مواضع معينة - معلومات أكثر تَفْصيلاً مِمَّا جاء في الذِّكر الحكيم.

ولا شَكَّ أنَّ موروثاتهم عن الأمم القديمة لم تكن تَأْريخاً مَحْضاً، وكانت أشعارهم عندما يتحدثون عن الأمم السالفة يختلط فيها التاريخ بالخيال والمعتقدات الخرافية والأساطير والرؤى الشعرية. وهذه مهمة الشاعر الحقيقية كما يرى أرسطو(١): «صانع حكايات وخرافات أكثر منه صانع أشعار». والشاعر الجاهلي كان يَرْتَدُّ كثيراً إلى الموروثات الثقافية والحضارية فَيُعِيدُ صياغتها، ويُعَبِّرُ من خلالها عن رُؤَاه وتَصَوُّراته للحياة والكَوْن والوُجُود.

ونحنُ نُؤْمنُ بأنَّ الشاعر الجاهلي كان يُعَدُّ من صفوة المجتمع، وأنَّه كان - أحياناً - حكيم القبيلة ومثقَّفها، وكاهنها، وأنفذها إحساساً، وأقدرها

---

(١) أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣م، ص ٢١.

على نقل مشاعره وتجاربه وثقافته ومعلوماته وتحويل المادة التراثية إلى مادة أدبية؛ لذلك كان البَحْثُ عن صورة عاد في الشعر الجاهلي مُقَدِّمةً صالحةً لبحثٍ أَشْمَلَ وأوسعَ في علاقة الشِّعْر الجاهلي بالموروثات الثقافية، وله أهميَّةٌ خاصة؛ لأَنَّهُ يكشف عن المُكَوِّنَات الثقافية للأُمَّة العربية من ناحية، ومن ناحيةٍ أُخرى يكشف عن ثقافة الإنسان الجاهلي وطرائق تفكيره عندما يَرْتَدّ إلى الحضارة التي مَرَّت بها الأُمم القديمة، ويدفع من جانب آخر شكوك بعض المستشرقين والباحثين في حقيقة وجود (عاد) التي عَدَّها بعضُهم في زُمْرَة الأقوام الخُرَافيَّة التي ابْتَدَعَتْهَا مخيِّلة الرُّواة.

اصْطَلَحَ المُؤَرِّخون على تسمية «عاد وثَمُود وطَسْم وجديس» العرب البائدة، ولعلَّ هذه التَّسمية جاءت من الآية الكريمة(٢). ﴿وأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى وثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ وكانت (عاد الأُولى) في زَعْمهم من أعظم الأُمم بَطْشاً وقوةً، وهم المُشَار إليهم في الذِّكر الحكيم. أَمَّا عاد الأَخيرة فهم بنو تميم وينزلون برمال عَالِج(٣).

وكان أَمْرُ عادٍ عند العرب في الشُّهرة في الجاهلية والإسلام كشُهْرَة إبراهيم وقومه كما يقول الطَّبَري(٤). لذلك بقوا في ذاكرة أهل الأَخْبَار؛ لأَنَّهم - كما يقول جواد علي(٥) - عَاشُوا بعد ميلاد السَّيِّد المسيح، ونبيهم هود عليه السَّلام.

وسكنت عاد الأُولَى في الأَحقاف بين حضرموت واليمن، وقيل: في

---

(٢) سورة النجم، الآية ٥٠ - ٥١.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب، الدار المصرية للتأليف (د.ت) مادة (علج).

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ): تاريخ الطبري، المطبعة الحسينية ١٣٢٦ هـ، ج ١ ص ٢٣٢.

(٥) جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م، ج ١، ص ٣٠٠.

موضع بئر (إرَم) في منطقة حسمى بين أَيْلَة وسيناء(٦)، وزعم المؤرخون أنَّ (إرَم) المذكورة في القرآن الكريم(٧): ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ﴾ مدينة من عهد عاد بين عَدَن وحضرموت، وقيل: هي دمشق أو الإسكندرية(٨). ويُفْهَم من القرآن الكريم أنَّ مساكن (عادٍ) بالأَحْقَاف، قال تعالى(٩): ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ﴾ والأحقاف: الرَّمْلُ بين اليمن وعُمَان إلى حضرموت والشِّحْر، وقيل: رمال بأعْيانها في أسفل حضرموت(١٠). وينسبون إلى عاد ولَداً اسمه «شَدَّاد» نَسَجُوا حوله قَصَصاً خيالية(١١).

وإذا عُدْنَا إلى الشِّعر الجاهلي لنَتَلَمَّس موروثات العرب الثقافية عن قوم عاد فسنجدها متشعبةً كثيرةً، تمتزج فيها الحقيقة بالأسطورة، والواقع بالخيال، وللشعراء رموزٌ ورُؤىً شعرية فيما يُرْوَى عن الأقدمين تصدر عن صُوَرٍ موحَّدة، وأنْمَاطٍ من التَّفْكير مُتَشَابهة.

(١)

تَخَيَّل الجاهليون عاداً أُمَّة قديمة جداً، بل هي أقدم الأمم، فقالوا في أمثالهم(١٢): «أَقْدَمُ من عاد» ودخلت «عاد» في الحسِّ اللُّغوي العربي لتُمَثِّل القِدَم وبُعْدَ العَهْد، وتَطَاوُل الأَمَد، فيقولون: «عَادِيٌّ» و «إرَمِيٌّ» عندما

(٦) ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م، ج١ ص ١٩٦.

(٧) سورة الفجر، الآية ٦-٧.

(٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ج ١ ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٩) سورة الأحقاف، آية ٢١.

(١٠) ابن منظور، اللسان، مادة (حقف).

(١١) قصة شداد بن عاد، لمؤلف مجهول، مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٤٩٣٢/٩ مجاميع.

(١٢) القالي، كتاب أفعل من كذا، حققه: محمد بن عاشور، تونس، ١٩٧٠م ص ٧٤.

يَنْسِبون شيئاً إلى القِدَمَ، كالأشجار الضَّخْمة، والبُيُـوت القَديمـة، والآبَار العظيمة، قال الشاعر: (١٣)

وكَـمْ نَـادَيْتُـهُ فـي قَعْـرِ سَـاجٍ بِـعَـادِيِّ البِئَـارِ فَـمَـا أَجَـابَـا

وقال آخر(١٤):

دَعَـوْنَاه من عَـادِيَّـةٍ نَضْب مَـاؤُهـا وَهَـدَّم جـالَيْهَـا اخْتِـلافُ عُصُـورِ

وجعل عمرو بن معد يكرب «السَّاعِدَ» عـادياً طويل مفاصل الأصابع، قال(١٥):

لـه هامـةٌ مـا تـأكـل البَيْضُ أُمَّهَـا وأَشْبَـاحُ عادِيٍّ طـويلِ الـرَّوَاجِبِ

والبَيْتُ العادِيُّ: القديم الذي لا يُعْرَفُ بانيه، وكأنَّه من مُخَلَّفات قوم عاد، والعرب يَرْمُزون بالبيوت إلى المَجْد والكرامة والمآثر والرِّفعةِ والشَّرَف، قال أبو البُرج، القاسم بن حنبل: (١٦)

فَـأَمَّـا بـيـتُـكُـم إنْ عُـدَّ بَـيْـتُ فَـطَالَ السَّمْـكُ واتَّسَـعَ الفِنَـاءُ
وأَمَّـا أُسُّـهُ فَـعَـلَى قَـدِيـمٍ مـن الـعَـادِيِّ إنْ ذُكِـرَ الـبِـنَـاءُ

وقال عامر المحاربي(١٧):

---

(١٣) الألوسي، محمود شكري (ت ١٣٤٢ هـ)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، حققه: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت) ج٣ ص ٣.

(١٤) المصدر السابق، ج٣ ص٤.

(١٥) عمرو بن معد يكرب الزبيدي، الديوان، تحقيق: مطاع الطرابيشي، طبعة مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٤م، ص ٥١، وانظر قول كثير «به قُلْبٌ عاديَّةٌ وكُرُور» لسان العرب، مادة (عود).

(١٦) المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ): شرح ديوان الحماسة، حققه: أحمد أمين وعبد السلام هارون، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣ م، ج٤، ص ١٦٥٩.

(١٧) المفضل الضبي (١٧٨ هـ): المفضليات، حققه أحمد شاكر، دار المعارف ١٩٧٩م ص ٣٢٠.

ونُـرْسِي إلى جُرْثُـومَةٍ أَدْرَكَتْ لَنَـا   حَدِيثاً وعَادِيّاً من المَجْـدِ خِضْرِمَـا

وبذلك فَسَّروا قول الحارث بن حِلِّزة اليشكري(١٨):

إرَمِيٌّ بِـمِـثْـلِهِ جَـالَـتْ الـجِـ   ـنُ فـآبَتْ لِخَصْمِـهـا الأَجْـلاءُ

نسبة إلى إرَم عاد، أي: مُلْكُهُ قديمٌ كان على عهد عـادٍ إرَم، وقال بعضهم: كـأنَّ هذا الممـدوح من إرَم عاد في الحِلْم، كمـا قـال الأغلب العجلي(١٩):

جَـاءُوا بِشَيْخَيْهِم وجِئْنَـا بـالأَصَمّْ   شَيْـخ لنـا كـان على عَهْـدِ إرَم

وقـال آخرون: ذهب إلى أنَّ جسمـه وقـوتـه يُشْبِهـان أجسـام عـادٍ وشِدَّتهم(٢٠).

ويَدَّعُون أنَّ سُيُوفهم ودُرُوعَهم وتُرُوسهم قـديمةٌ عـاديَّةٌ، كنـاية عن مَجْدهم المُؤَثَّل، وبأسهم القديم، وأنَّهم وَرِثُوا العِزَّة والكَرَامة والتضحية عن أجدادهم القدماء، قال راشد بن شهاب اليشكري(٢١):

لِعَـادِيَّـةٍ من الـرِّمـاحِ اسْتَعَـرْتُهَـا   وكان بكُم فَقْرٌ إلى الغَـدْرِ أو عَدَمْ

وهذا المعنى مكرر في أشعارهم(٢٢):

---

(١٨) الأنباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨ هـ): شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م، ص ٤٩٢.

(١٩) المصدر السابق، وحماسة ابن الشجري ص ٣٧. وهذا الرجز ينسب إلى عباس الأصمّ الرِّعلي فارس بني سليم في الجاهلية. انظر: ديوان الخنساء بشرح ثعلب، حققه: أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن ١٩٨٨م ص ٣٧٧.

(٢٠) المصدر السابق ص ٤٩٣.

(٢١) المفضل بن محمد الضبي (ت ١٧٨ هـ): المفضليات، تحقيق: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٧٩ م ص ٣٠٩.

(٢٢) انظر: ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي، تحقيق: مطاع الطرابيشي، طبعة دمشق ١٩٧٤م، ص ٩٣.

قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

وسيفي كـان من عهـد ابن ضـدٍّ ... تـخَيَّـرَهُ الـفَتَـى مـن قـوم عـادِ

وقال الحصين بن الحُمام:

مُـضَـعَّـفَـةَ الـسَّـرْدِ عـاديَّـةً ... وعَضْبَ المَضَـارِبِ مِفْصَـالهَـا

وقال زهير بن أبي سلمى:

وآخـرين تـرَى المَـاذِيَّ عُـدَّتَهُم ... من نَسْـجِ داود ما قـد أورثَتْ إرَمُ

وكان للحجارة العاديَّة القديمة أهمية بالغة، فَقدْ عَبَدَ العَربُ الأنصابَ العاديَّة وأقْسَموا بها،

قال المهلهل بن ربيعة(٢٣):

كـلَّا وأنْـصَـابٍ لـنـا عـاديَّـةٍ ... معبـودةٍ قـد قُـطِّعَتْ تَقْـطِيعَـا

ووصف زهير بن أبي سلمى طريقاً قديماً فقال(٢٤):

وأبـيَضَ عـادِيٍّ تَـلُوحُ مُـتُـونُـهُ ... على البِيدِ كالسَّيْحِ اليَمَانِي المُبَلَّجِ

ووصف امرؤ القيس إبل رجل بـ «إرَمِيَّات»(٢٥):

رَبُّـهـا أوضَـعُ جَـرْمٍ واحـداً ... فـي لِقَـاحٍ إرَمِـيَّـاتٍ رُفُـد(٢٦)

= وشعراء النصرانية قبل الإسلام، جمع: لويس شيخو، دار المشرق، بيروت ١٩٦٧م، ص ٧٣٤ وديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق، بيروت ١٩٨٢، ص ١٢٣. الماذيّ: الدُّروع اللينة.

(٢٣) شعراء النصرانية قبل الإسلام، ص ١٧٢.

(٢٤) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ٢٣٧.

(٢٥) امرؤ القيس بن حجر (ت ٥٤٠م): الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م، ص ٢١٥.

(٢٦) أوضَعُ جَرْمٍ: أبْخَل مَنْ في الحيّ، اللِّقَاح: النوق التي أتى عليها من حَمْلها شهران أو ثلاثة، الرُّفُود: التي تملأ من ألبانها الأرْفاد، وهي الأقداح.

وقالوا: الإبل العِيْدِيَّة نَجَائِب معروفة مَنْسوبة إلى عاد،

قال رذاذ الكلبي(٢٧):

ظَلَّتْ تَجُوبُ بها البلدانَ ناجِيةٌ عِيدِيَّةٌ أُرْهِنَتْ فيها الدَّنَانِيرُ

وإذا وصفوا شيئاً بالخَلاء والقفار قالوا: «ما به من إرَمٍ و أرِمٍ».

قال المرقِّش الأكبر(٢٨):

أمْسَتْ خَلاءً بعد سُكَّانِهَا مُقْفِرةً ما إنْ بِهَا مِنْ إرَمِ

وقال زهير بن أبي سلمى(٢٩):

دار لأسْمَاءَ بالغَمْرَيْن مائِلَةٌ كالوَحْي لَيْسَ بها من أهْلِهَا أرِمُ

قال ابن سيده: (٣٠) الإرَم والأرِم: الحِجَارة، والآرام: الأعْلام، وخَصَّ بعضهم بها أعْلَام (عاد)

وقال اللحياني: أرَمِيٌّ وإرَمِيٌّ، والأرُوم: الأعلام، وقيل: هي قُبُور عاد. وعَمَّ بِهِ أبو عبيدة، فقال: هي الأعلام.

ومن إرَم اشْتَقُّوا «الأرُومَة» وهي أصْل الشجرة، الراسخ القديم المُؤَثَّل، وتَعْني الشَّرَف القديم، والمآثر والحَسَب، قال أبو جُنْدب الهُذَلي(٣١):

أولئكَ ناصِريَّ وهُمْ أرُومِيْ وبَعْضُ القَوْمِ ليس بذي أرُومِ

(٢٧) ابن منظور: اللسان، مادة (عود).
(٢٨) المفضل الضبي، المفضليات ص ٢٢٩.
(٢٩) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ١١٦.

(٣٠) ابن منظور: اللسان، مادة (أرم).
(٣١) المصدر السابق، مادة (أرم)

وقال الأعشى(٣٢):

مـا فَوْقَ بَيْتِـكَ مِنْ بَيْتٍ عَلِمْتُ بِهِ — وفي أُرُومَتِـهِ مـا مَنْبِـتُ العُـودِ

وقال زهير(٣٣):

لَـهُ في الـذَّاهِبِيْنَ أُرُومُ صِـدْقٍ — وكَـانَ لِكُـلِّ ذِي حَسَـبٍ أُرُومُ

ويتردَّد في الشعر الجاهلي ادِّعَاؤهم ملكيَّة الجِبَال والحِمَى، وموارد المياه من عهد عاد، قال أبو دؤاد الإيادي(٣٤):

ألا أَبْـلِغْ خُـزَاعَـةَ أَهْـلَ مُـرٍّ — وإخْـوَتَـهُمْ كِنَـانَـةَ عـن إيَـادِ
تَـرَكْنَـا دارهُمْ لـمَّـا شَـرَوْنَـا — وكُنَّـا أَهْلَهَـا مـن عَـهْـدِ عَـادِ

وقال رجل من طيىء(٣٥):

وبـالجَبَلَيْـن لَنَـا مَـعْـقِـلَان — صَعَـدْنَـا إليـه بِسُمْـرِ الصِّعَـادِ
مَـلَكْنَـاهُ فـي أَوَّلِيَّـاتِ أَزْمَـا — نِ من بعـد نُـوحٍ ومن قَبْـلِ عَـادِ

وقال قبيصة بن جابر: (٣٦)

وتَـيْمـاءُ الـتي مـن عَـهْـدِ عـادٍ — حَمَيْنَـاهَـا بـأَطْـراف العَـوَالِي

---

(٣٢) الأعشى الكبير، ميمون بن قيس (ت ٦٢٤هـ): الديوان، حققه: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م ص ٣٢١.

(٣٣) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ١٥٤، وانظر ديوانه أيضاً ص ٢٣٢، ٢٨٢.

(٣٤) المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ): التنبيه والإشراف، طبعة الصاوي، مصر، ص ١٧٥.

(٣٥) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ): الإكليل، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، بغداد، ١٩٨٠م، ج١ ص ٩٠.

(٣٦) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم، بيروت (د. ت) ج١ ص ٢٩٥.

وقال بشامة بن حزن: (٣٧)

من عَهْد عادٍ كان معروفاً لنا أسْرُ المُلوك وقَتْلُها وقِتَالُها

ورأى بعضُ المستشرقين أنَّ كلمة (عاد) لم تَكُنْ آسْمَ عَلَم في الأصل، بل كان يُراد بها القِدَم، وأن (من عَهْد عاد) و (عادِيّ) يعني منذ عهدٍ قديم جداً، وأنَّ المعنى هو الذي حَمَلَ الناس على وضع تلك الأساطير عن أيام عاد، وهي أقوام خرافيَّة لا أساس لوجودها(٣٨).

وما أوردناه من أشعار جاهلية يَدْحَضُ هذا الاستنتاج وسيأتي في مواضع من هذا البحث ما يُدَلِّل على معرفة العَرَب بأخبار عاد وقصصهم وأحوال معيشتهم وصفاتهم.

(٢)

جاء ذكر عاد في القرآن الكريم متَّصلاً بثَمُود في أربعة وعشرين موضعاً، وأن ثمود خَلَفَتْهُم في مساكنهم الرَّفِهَة وبنيانهم الشامخ، وقصورهم المنحوتة في الجبال، وما تَمَتَّعوا به من رَغَد العَيْش في جنَّات وعُيُون،

---

(٣٧) أبو تمَّام، ديوان الحماسة ج١ ص ١٥٠.

وانظر قول الطِّرمَّاح من شعراء العصر الأموي:

لنا الجبلان من أزمان عادٍ ومُجْتَمَع الألاءة والعضاهِ

وقول آخر:

تَمُدُّ عليه من يمين وأشمُلٍ بُحُورٌ له من عهد عادٍ وتُبَّعا

لسان العرب، مادة (عود)

وقبيلة سويد بن أبي كاهل اليشكري غَلَبَتْ قوم عاد ومَنْ جاء بعدهم: قال:

غلبَتْ عاداً ومَنْ بَعْدَهُمْ وأبتْ بَعْدُ فليسَ تُتَّضَعْ

انظر: شعراء النصرانية، ص ٤٣٢.

(٣٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج١ ص ٣٠٨.

وزروع ونَخْل فَرِهين، وما كان من جُحُودهم لآيات رَبِّهم وكفرهم بنبيّ الله (هود)، وأن الله عذَّبهم بريحٍ صَرْصَرٍ عاتية(٣٩).

وفي القرآن الكريم ثلاث سور تتَّصل بـ (عاد): (هُود) و (لُقْمَان) و (الأَحْقاف). وفي ذاكرة الإخباريين أساطير ومبالغات لا يَقْبَلُها العَقْل فيما يتَّصل بثراء عاد وما أُوتُوا من نعيم، رووا أَنَّ شداد بن عاد كان قوياً جباراً سَمِعَ بوصف الجنَّة فأراد بناء مدينة تَفُوقها حُسناً وجمالاً، فجمع ما في الأرض من ذهبٍ وفضَّة ودُرّ وياقوت، فابتنى مدينة (إرَم) باليمن لكنَّه لم يتمتَّع بها لكُفْرِهِ بنُبُوَّة هود، إذْ أهلكه الله وسَحَقه(٤٠).

ويبدو أَنَّ حكاية شداد بن عاد قد نُسِجت من أخيلة القُصَّاص والمفسرين المسلمين في القرن الثاني الهجري معتمدين على ما جاء في القرآن الكريم وأخبار الجاهليين عن ثراء عاد وبطشهم وشموخ بنيانهم.

وفي الشعر الجاهلي إشارات قليلة إلى «أَصْنَاع» عادٍ وهي حُصُون وقصور منحوتة في الجبال، لكن هذه الأَصْنَاع لم تَدْفَع عنهم المنيَّة ولم تَقِهم غوائل الدَّهر والمصير المَحْتُوم.

وعندما يَعْرِضُون لحتميَّة الموت وَتَفاهة ما يَختصمون عليه، وبطش الدهر يَتَعَزَّون بمصائر مَنْ قَبْلَهم من الأُمم القديمة ذات البأس والشِّدَّة، وبمصير عاد «ذوي النعَم» و «أَصْحَاب الأَصْنَاع» و «أَصْحَاب المُلْك» لكن المال والمُلْك والقوة لا تدوم، ولا تدفع المنية عن البشر. قال عمرو بن

(٣٩) انظر القرآن الكريم: سورة الأعراف، آية ٦٥، ٧٤، التوبة آية ٧٠، هود آية ٥٠، ٥٩، ٦٠، إبراهيم آية ٩، الحج، آية ٤٢، الشعراء، آية ١٢٣، ص آية ١٢، غافر آية ٣١، فُصِّلت، آية ١٣، ١٥، الأحقاف، آية ٢١، ق آية ١٣، الذَّاريات آية ٤١، القمر آية ١٨، الحاقَّة آية ٤ ـ ٦، الفجر آية ٦، الفرقان، آية ٣٨، العنكبوت، آية ٣٨، النجم، آية ٥٠.

(٤٠) انظر قصة شداد بن عاد، مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٤٩٣٢/٩ مجاميع.

قميئة: (٤١)

قَـدْ كَـانَ من غَسَّـانَ قَبْلَكَ أَمْـ ... لَاكُ ومِـن نَـضْـرٍ ذوو نِـعَـمِ

فـتـوَّجُـوا مُـلْكـاً لهـم هِـمَمٌ ... فـفَـنُـوا فَـنَـاءَ أوائِـلِ الأُمَـمِ

لا تَـحْسِبُنَّ الـدَّهْـرَ مُـخْلِدَكُمْ ... أو دائـمـاً لَـكُـمُ ولـم يَـدُمِ

لـو دام دَامَ لـتُـبَّـعٍ وذَوِي آلْ ... أَضْـنَـاعِ من عـادٍ ومـن إرَمِ

وضرب عمرو بن معد يكرب الزبيدي المثل بملوك اليمن وعاد وما كانوا عليه من نعيم ومُلْك وجبروت؛ لكنَّهم بادوا وتحوَّل ملكهم إلى مَنْ جاء بعدهم. قال لقيس بن المكشوح عندما تهدَّده: (٤٢)

أَتُـوعِـدُنِـي كـأنَّـكَ ذو رُعَيْـنٍ ... بـأَفْضَـلِ عيشَـةٍ أو ذو نُـواسِ (٤٣)

وكـائِنْ كـانَ قَبْـلَكَ من نَـعِيـمٍ ... ومُلْكٍ ثَـابِتٍ في النَّـاس رَاسِـي

قديـمٍ عَهْـدُهُ مـن عَهْـد عَـادٍ ... عـظيمٍ قَـاهِـرِ الجَبَـروت قَـاسِـي

فَـأَمْسَـى أهـلُهُ بَـادُوا وأَمْـسَـى ... يُحَـوَّلُ من أُنَـاسٍ فـي أُنَـاسِ

ويرى سليمان بن ربيعة الثَّعلبي أن الحياة لا لَذَّةَ فيها ولا نعيم، ما دام الدهر يتحكم في أعمار البشر، وما دامت أُمم عظيمة لم تُخَلَّد وزال عنها ملكها ونعيمها،

قال: (٤٤)

مـا لَـذَّةُ العَيْشِ والفَتَى للدَّهْـر (م) والـدَّهْـرُ ذو فُـنُـونِ

---

(٤١) عمرو بن قميئة، الديوان، حققه: حسن كامل الصيرفي، طبعة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٦٥، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٤٢) عمرو بن معد يكرب الزبيدي، شعره، حققه: مطاع الطرابيشي، دمشق ١٩٧٤م ص ١١٧ - ١١٨.

(٤٣) ذو رُعَيْن: أحد ملوك اليمن، ورُعَيْن حِصْنُهُ، ذو نُواس: صاحب الأُخدُود.

(٤٤) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٨م ج١ ص ١٩٥.

أَهْـلَكَ طَسْـمـاً وقـبـل طَـسْـمٍ　　أَهْـلَك عــاداً وذا جُــدُونِ
وأَهْـلَ جَـاشٍ وَمْـأرِب بَـعْـدَ (م)　　حَـيِّ لُـقْـمَـان والـتُّـفُـونِ(٤٥)
والـيُـسْـرُ لـلعُـسْـرِ والـتَّـغَـنّي　　لـلفَـقْـرِ والـحَـيُّ لـلمَـنُـونِ

(٣)

وقد أشار القرآن الكريم إلى هَلَاك عاد بالريح ، قال تعالى : (٤٦) ﴿وأَمَّا عَادٌ فأُهْلِكُوا بريحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ أمّا الشُّعراء الجاهليُّون فَنَسبوا هلاك عاد إلى «الزَّمن» و «الحَادِثات» و «رَيْب الدَّهْر» و «الغُول» :

قال الأعشى : (٤٧)

ألــم تَـرَوا إرَمـاً وعَـاداً　　أَوْدى بـهـا الـلَّيْـلُ والـنَّـهَـارُ
بَـادُوا فـلَمَّـا أنْ تَـآدَوا　　قَـفَّـى عـلى إثْـرِهِـم قُـدَارُ

وقال زُهير : (٤٨)

أَلَا لا أرى على الحَـوَادِثِ بـاقيـا　　ولا خَـالِداً إلَّا الجِبَـالَ الـرَّواسِيَـا
أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الـلّهَ أَهْـلَكَ تُـبَّـعـاً　　وأَهْلَكَ لُقْمَـانَ بن عـادٍ وعَـادِيَـا

وقال عدي بن غطيف الكلبي : (٤٩)

أَهْلَكَنَـا الـلَّيْـلُ والنَّـهـارُ معـا　　والـدَّهْرُ يَعْـدُو على الفَتَى جَذَعَـا
كَمَـا سَـطَا بـالأرامِ عَـادُ وبِـالـ　　حِجْـرِ فـأَرْكَى لـتُبَّـعٍ تَـبَـعَـا

(٤٥) التقون : بنو تِقْن بن عاد، اللسان، مادة (تقن).
(٤٦) الحاقة، آية ٦.
(٤٧) الأعشى، الديوان ص ٣٣١.
(٤٨) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ٢٠٩ .
(٤٩) الجاحظ : الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون ج ٧ ص ٢٥٦ .

وقال رجل من عبس : (٥٠)

ليس آمرؤٌ خالداً والمَوْتُ يَطْلُبُهُ   هاتِيْكَ أَجْسَادُ عَادٍ أصبحَتْ جِيَفَا

وقال أبو وجرة السّعدي : (٥١)

صَبَبْتُ عليكم حاصِبِي فَتَرَكْتُكُمْ   كَأَصْرَامِ عَادٍ حين جَلَّلَها الرَّمْدُ

وقال رُشَيْد بن رُمَيْض العنبري(٥٢) :

«مَنْ يَلْقَنِي يُودِ كَمَا أُودَتْ إِرَمْ» .

وقال متمم بن نويرة : (٥٣)

ولقد علمتُ ولا مَحَالَةَ أَنَّنِي   للحادِثَاتِ فهل تَرَيْنِي أَجْزَعُ
أَفْنَيْنَ عاداً ثم آل مُحَرِّقٍ   فَتَرَكْنَهُم بلداً وما قد جَمَّعُوا
ذَهَبُوا فلم أُدْرِكْهُمُ وَدَعَتْهُمُ   غُولٌ أَتَوْهَا والطَّرِيقُ المَهْيَعُ

---

(٥٠) الجاحظ، الحيوان ج٣ ص ٨٨.

(٥١) ابن منظور، اللسان، مادة (رمد).

(٥٢) أبو تمام : ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم، بيروت (د. ت) ج١ ص ١٣٣.
وهذا البيت منسوب إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي،
انظر : ديوانه، ص ١٧٢.
وانظر أيضا قول الأفوه الأودي :

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم   وإنْ بَنَى قومهم ما أفسدوا عادوا
كانوا كَمِثْلِ لُقَيْمٍ في عشيرته   إذ أهلكت بالذي قد سَدَّى لها عَادُ
أو بعده كقدارٍ حين تابَعَهُ   على الغواية أقوامٌ فقد بادوا

عبد العزيز الميمني : الطرائف الأدبية، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت) ص ٩.

وهذا المعنى مكرر في الشعر الجاهلي، كقول الفِنْد الزِّمّاني :

«لقيت تغلبُ كعصبةٍ من عاد» وقول الأسود بن يعفر :

«وأسبابه أَهْلَكْنَ عاداً وأنزلت. . .» انظر : شعراء النصرانية ص ٢٤٣، ٤٨٤.

(٥٣) المفضل الضبي، المفضليات ص ٥٣.

واستغلّ خِداش بن زهير عَمَلِيَّة إبادة عادٍ في تصوير إبادة مُرَّة والقبائل المُعَادية، واسْتَقْطَبَ في هذا التصوير دلالات الألفاظ بنحوٍ يُحَدِّد تماماً رُؤْيته الشعرية لهذا الحَدَث التاريخي الهائل، قال: (٥٤)

عَــدَدْتُــم عَطْفَتينِ ولم تَعُــدُّوا ... وقــائِعَ قــد تَــرَكْنَكُمُ حَصِيْــدَا
تَــرَكْنَا عــامِــرَيْهم مِثْــلَ عَــادٍ ... ومُــرَّةَ أَهْلِكُــوا إلَّا الشَّــرِيْــدَا

ويحوِّل عَدِيُّ بن زيد العبادي فكرةَ الفَنَاء الذي أَصاب الأُمم القديمة إلى اْلحَانٍ جنائزية يُعزِّي بها البشرية فيما يُشْبه المَرْثَاة الإنسانية لكل إنسان يَبْغي الحَيَاة والبَقَاء خِلافاً لِسُنَّة الحياة. قال: (٥٥)

أَيْنَ أَهْـلُ الدِّيـارِ من قـومِ نُـوحٍ ... ثُـمَّ عــادُ ومنْ بَعْــدِهم ثَـمُــودُ
أَيْــنَ آبــاؤنَــا وأَيْـن بَــنُــوهُــمْ ... أيــن آبــاؤهــم وأَيْــنَ الـجُــدُودُ
سَلَكُــوا مَنْهَجَ المَنَــايَـا فبَــادُوا ... وأَرَانَــا قــد كَــانَ مِــنَّـا وُرُودُ

وقال عدي أيضاً: (٥٦)

أبـا شُريـحٍ فلا تَحْـزُنْك عِشْـرَتُنَا ... فالمَرْءُ رَهْنٌ لرَيْبِ الدَّهْرِ والحُمَمِ
إنَّ الأَسَـى قَبْـلَنَـا جَمٌّ ونَـعْلَمُـهُ ... فيمـا أُدِيـلَ من الأَجْــداد والأُمَمِ
منهمْ رأيتُ عِيَـانــاً أو تُخَبِّــرُهُ ... ومـا تُحَدِّثُ عن عــادٍ وعَنْ إرَمِ
ودُونَ ذلــك كَــمْ مَلْكٍ ومَـغْبَــطَةٍ ... بَـادُوا وكَانُـوا كَفَيِّ الظِّلِّ والحُلُمِ

ولم يَرِدْ في الشعر الجاهلي إبادة عادٍ بالريح إلاَّ في قصيدة لعبيد بن

(٥٤) خداش بن زهير العامري، شعره، صنعة: يحيى الجبوري، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦م ص ٤٥.

(٥٥) عدي بن زيد العبادي، الديوان، حققه: محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٥م، ص ١٢٢.

(٥٦) عدي بن زيد العبادي، الديوان ص ١٧٠.

الأبرص، قال فيها: (٥٧)

وخَيَّرني ذو البُؤْسِ في يوم بُؤْسِهِ ... خِصَالاً أرَى في كُلِّها المَوْتَ قد بَرَقْ
كما خُيِّرَتْ عادٌ من الدَّهْرِ مَرَّةً ... سَحَائِبَ ما فيها لِذي خِيْرَةٍ أَنَقْ
سَحَائِبَ ريحٍ لم تُوَكَّلْ بِبَلْدَةٍ ... فَتَتْرُكُها كأنَّها لَيْلة الطَّلَقْ(٥٨)

ولا شكَّ أنَّ هذه الأبيات صدىً للموروث الشَّعْبي في قصة هلاك عاد، إذْ يروى في حِكَاية الاستسقاء أنَّ اللّه أَنْشأ سحائب ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء، ونُودي قَيْل عادٍ: اخْتَرْ لنفسك ولقومك. فاخْتَارَ السحابة السَّوْدَاء لأنها أكثر مَطَراً، فلمّا رَأَوْهَا قالوا: هذا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا، فَأَخَذَتْهُم صاعقةُ العَذَاب ودَمَّرتهم الريحُ الصَّرْصَر تدميراً. ولا أَسْتَبْعِد النَّحْلَ في هذه الأبيات التي لم أجد لها نظيراً في الشعر الجاهلي.

وفَسَّرَ علماء المسلمين الرِّيح الصَّرْصَر العاتية المذكورة في الذِّكر الحكيم، فقال التِّبريزي(٥٩): مِن الرِّياح الدَّبُور، وهي المذكورة في القرآن، وعنه ﷺ، قال: «نُصِرْتُ بالصَّبَا وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ» وفي ذلك يقول أبو شُجَاع:

إنَّ الرِّياحَ الذَّارِيَاتِ أَرْبَعُ ... مِنْهَا النُّعَامَى والصَّبَا والزَّعْزَعُ
ثُمَّ الدَّبُورُ مَرُّهَا لا يَنْفَعُ ... قد أُهْلِكَتْ عادٌ بِها وتُبَّعُ

(٤)

ومن (عاد) شُهِر لُقْمَان الحكيم الذي وَرَدَ ذكرُهُ في القرآن الكريم،

---

(٥٧) عبيد بن الأبرص، الديوان، حققه: حسين نصار، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٨٨.

(٥٨) الأَنَق: الإعجاب والسرور، الطَّلَق: سير الليل لورد الغِبّ وهو أن يكون بين الإبل والماء ليلتان وبعده القَرَب.

(٥٩) التيفاشي، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، حققه: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠، ص ٣١٠.

وسُمِّيت سورةٌ باسْمِهِ، ووصَفَه الله ـ تعالى ـ بالحِكْمَة، وله وَصَايا في ابنه ذائعةٌ مَشْهُورة(٦٠). وَضَرب العَرَبُ بحِكْمَتِهِ المَثَل(٦١). وقالوا إنَّه عُمِّرَ خَمْسَمائة سنةٍ وستين، فكان عُمْرُهُ مضرب الأَمْثَال(٦٢).

ويَذْكُرُ أهلُ الأخبار(٦٣) أنَّ عاداً أصابَهُم قَحْطٌ تَتَابَعَ عليهم، فجهَّزُوا وَفْداً إلى مكة يَسْتَسْقُون في سبعين رجلاً منهم «لُقْمَان بن عاد» وآخرون، فَلَمَّا قَدِمُوا مكةَ نزلوا بظَاهِرِها عند بَكْر بن معاوية زعيم العماليق، وأقاموا عنده يَشْربون الخَمْرَ وتُغَنِّيهم الجَرَادَتَان، ونَسُوا ما جاءُوا من أَجْلِهِ.. ثم خرجوا يستسقون، فأَنْشَأَ الله على قومهم سحائب فاستبشروا بها، فأَنْزَلَ الله عليهم العذاب ريحاً فيها كشُهُب النَّار سخرها الله ـ تعالى ـ عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيَّام حُسُوماً، وكَانَ تَخَلَّف من الوفد «لُقْمَان بن عاد» الذي لاذَ بالكَعْبَة وتَضَرَّع وسَأَلَ اللهَ الخُلُودَ، فنُودِيَ أَنْ قد أَجَبْتُ دعوتَكَ، ولا سبيل إلى الخُلُود، ولكن اخْتَرْ لنفسك عُمْرَ سبع بَقَرات عُفْر في جَبَلٍ وَعْر، أو عُمْرَ سبعةِ أَنْسُرٍ، إذا ماتَ نَسْر تبعه آخر، فاخْتَارَ النُّسور، فعاش عمراً طويلاً، وكان آخرُ النُّسور اسْمُه «لُبَد» مات بِمَوْتِهِ، فَضَرَبُوا به الأَمْثَال(٦٤).

---

(٦٠) انظر: سورة لقمان، وتفسير الطبري ج ٢١ ص ٣٩.

(٦١) في المثل: أَحْكَم من لُقْمَان»: مجمع الأمثال ج١ ص ٢٢٢، وجمهرة الأمثال ج١ ص ٤٠٥، والدرة الفاخرة ج١ ص ١٦٢.

(٦٢) أبو حاتم السجستاني: المُعَمَّرون والوصايا، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ص ٢.

(٦٣) القصة مختصرة بتصرف عن: الكامل في التاريخ ج١ ص ٤٨ ـ ٤٩، والبدء والتاريخ ج١ ص ٢٨ ـ ٣٠، وأخبار الزمان ص ١٠٤ ومروج الذهب ج٢ ص ٩٢ وجمهرة أشعار العرب ج١ ص ٢٦، والفاخر ص ٦٨ وتاريخ الطبري ج١ ص ٢٢٣، وعيون الأخبار ج٤ ص ٥٩، ونهاية الأرب ج ١٣، ص ٦٠.

(٦٤) في المثل: «أتى أَبَدٌ على لُبَد» و «أعْمَـرمن لُبَد» الدرة الفاخرة ج١ ص ٢٩٨، ومجمع الأمثال ج٢ ص ٥١، وتمثال الأمثال ص ٢٣١، وجمهرة الأمثال ج٢ ص ٧٥ والمستقصى في أمثال العرب ج٢ ص ٢٥٤.

قال النابغة الذبياني(٦٥):

يـا دَارَ مَيَّـةَ بـالعَلْيَـاءِ فـالسَّنَـدِ أَقْـوَتْ وطَالَ عَلَيْهَـا سَالِفُ الأَبَـدِ
أَمْسَتْ خَلاءً فَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذي أَخْنَى عَلَى لُبَد

فقد استَغَلَّ النابغة هذه الحِكَايـة في تصويـر دَمَارِ الـدِّيار ومُحُـولها وانْدِثَارِها، واسْتَقْطَبَ في هذا التصوير حكاية لقمان ونسوره، وفِعْل الزَّمن وتأثيره في المَوْجُودات، واسْتَطَاع أنْ يُحَدِّد رُؤَاه الشعرية لِفِعْل الدَّهر وسَطْوته وبَطْشه معتمداً على المَوْروث الثقافي من حكاية لُقْمَان ولُبَد.

وقال لبيد بن ربيعة العامري(٦٦):

ولقـد جَـرَى لُبَـدٌ فـأَدْرَكَ جَـرْيَـهُ رَيْبُ الـزَّمَـانِ وكـان غيـر مُثَقَّـلِ
لَمَّـا رَأَى لُبَـدُ النُّسُـورَ تَتَـابَعَتْ رَفَـعَ القَـوَادِمَ كـالفَقِيـرِ الأَعْـزَلِ
مِنْ تَحْتِـهِ لُقْمَـان يـرجـو نفعـه ولقد رأى لُقْمَان أَنْ لَمْ يَـأْتَلِ(٦٧)

فالمرءُ يَهْرُبُ من الموت لكن الموت يُطارِدُهُ، ويَدُ المَنُون تَنالُهُ أَيْنَما اتَّجه، وقد أفاد الشاعر من هذه الأسطورة الشَّعبية ووظَّفها لخدمة المَعْنَى الذي يقصد إليه، فلُبَد الذي يُمَثِّل الإنسـان يَرَى النُّسـور قبله يَهْوِي الـواحِدُ تِلْوَ الآخر، ولا يَتَّعِظُ من غيره فيُحَاول الهَرَب من الموت المَحْتوم، وأَيْنَ المَفَرّ من ريب المَنُون الذي يُطِيح بكلِّ حَيٍّ. ولُقْمَان ونُسُـوره يُقَدِّمهم الشـاعر الجاهلي أُنْمُوذَجاً لمصير البشرية: الفَنَاء المحتوم، والموت المُؤَكَّد.

---

(٦٥) النابغة الذبياني، الـديوان، حققـه: محمد أبـو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصـر ١٩٧٧م، ص ١٦.

(٦٦) لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، حققه: إحسـان عباس، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٩٦٢م ص ٢٧٤.

(٦٧) القوادم: مُقَدَّم جناح النسر، الفَقِير: المكسـور الفَقَار، الأَعْزَل من الخَيْل: المائل الذنب، لم يَأْتَل: لم يُقَصِّر في استبقاء النسور والحرص عليها، لكن القَدَر غَلَبَه.

وهذه الصورة يكررها طرفة بن العبد، فيقول(٦٨):

فَكَيْفَ يُرَجِّي المَرْءُ دَهْراً مُخَلَّداً وأَيَّامُهُ عَمَّا قليل تُحَاسِبُهْ
أَلَمْ تَرَ لُقْمَان بن عادٍ تَتَابَعَتْ عليه النُّسُورُ ثم غَابَتْ كَوَاكِبُهْ

أمّا أوس بن حجر، فيرى في «لُبَد» مَثَلاً للصداقة الكاذبة، والخِيانة من الصديق، قال(٦٩):

خانَتْكَ مِنْهُ ما عَلِمْتَ كَمَا خَانَ الإِخَاءَ خَلِيلَهُ لُبَدُ

واسْتَحَال نَسْر لُقْمَان لدى الشعراء الإسلاميين رمزاً للسلامةِ وطول العُمْر، وعندما يتناولون حكايته في أشعارهم يستندون إلى قِيَم بلاغية أكثر من استنادهم إلى قِيَم أسطورية، قال سهل بن أبي غالب الخزرجي يصف طول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء(٧٠):

إنَّ مُعَاذَ بن مُسْلم رَجُلٌ قد ضَجَّ من طُول عُمْرِهِ الأَبَدُ
قد شَابَ رأسُ الزَّمَان واكْتَهَل الدَّ (م) هْرُ وأثْوَابُ عُمْرِهِ جُدُدُ
يا نَسْرَ لُقْمَان كَمْ تعيشُ وكَمْ تَسْحَبُ ذَيْلَ الحَيَاةِ يا لُبَدُ

* * *

ومَيَّز بعض الإخباريين والمُفَسِّرين بين لُقْمَان عاد، ولُقْمَان الحكيم المذكور في القرآن الكريم، وزعموا أنَّ لقمان الحكيم عاش في عهد النبي داود، قال الجاحظ(٧١) «ومن القُدَماء مِمَّن كان يُذْكَرُ بالقَدْر والرياسة، والبيان

(٦٨) طرفة بن العبد، الديوان، حققه: لطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغةالعربية بدمشق ١٩٧٥م، ص ١٤١.

(٦٩) أوس بن حجر، الديوان، حققه: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٦٧م ص ٢٢.

(٧٠) الجاحظ، الحيوان ج٣ ص ٤٢٣ وج٦ ص ٣٢٧.

(٧١) الجاحظ، البيان والتبيين ج١ ص ١٨٤ و ٣٦٥، والبرصان والعرجان، حققه: محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٧م، ص ٢٠٢.

والخطابة، والحِكْمة والدَّهَاء: لُقْمَان بن عاد، ولُقَيْم بن لقمان. وكانت العرب تُعَظِّمُ شَأْنَ لقمان بن عاد الأكبر والأصغر، ولُقَيم بن لقمان في النَّبَاهة والقَـدْر، وفي العِلْم والحِكَم، وفي اللِّسان والحِلْم، وهـذان غيـر لُقْمَـان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقوله المُفَسِّرون».

ويفهم من قـول الجاحظ أن لقمـان الحكيم هو نفسـه لقمـان عـاد الموصوف بالعِلْم والحِكْمَة واللَّسَن والحِلْم والنَّبَاهة. وهذا ما أُرَجِّحُهُ، وإن كان المفسّرون ينكرونه.

ويهمُّنا هنا أنَّ حِكْمَةَ لقمان بقيت محفوظة في كتاب إلى مَبْعَث النبيّ ﷺ وفي حـديث سُويـد بن الصامت أنـه مـرّ بـالـرسـول ﷺ وهـو يُحَـدِّث أتباعه، فقال له: لعلَّ الذي مَعَكَ مثل الذي معي، فقال: وما الذي معك؟ قال سُويد: مجلة لُقْمَان (يريد كتاباً فيه حِكْمَة لقمان) فقال لـه الرسـول: اعْرِضْهَا عليَّ، فعَرَضَها عليه، فقال له: إنَّ هذا لكلام حَسَن، والذي معي أفضل، قرآن أنزله الله ـ تعالى ـ هو هُدىً ونُور(٧٢).

وزعم وهب بن منبِّه أنه قرأ من حِكْمة لقمان نَحْواً من عشرة آلاف باب(٧٣). وقـد جمع أحـد العُلَماء حكمته وأمثـاله وأخبـاره في كتـاب سمَّـاه «أمثـال لُقْمَـان الحكيم»(٧٤) وقد أورد الجاحظ في البيان والتبيين نماذج من أمثالـه وحِكمه، قـال

---

(٧٢) عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: عبد السلام هارون، البابي الحلبي، القاهرة ج٢ ص ٦٨. والزمخشري: الفائق ج١ ص ٢٠٦، واللسان، مادة (جلل).

(٧٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ): كتاب المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م ص ٢٥.

(٧٤) كتاب المجلة في الأمثال لأبي عبيد (ت ٢١١ هـ) ذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسه ص ٣٤١، ونشر جالان الفرنسي أمثال لقمان سنة ١٧٠٨ م ونشر أمثال لقمان الحكيم، جوزيف دير نبورغ، لندن ١٨٥٠م، وترجمها إلى الفرنسية دي برسفال ١٨١٨م وشربونو ١٨٤٧م ومارسيل سنة ١٧٩٩، ونشرها في هولندة المستشرق أربيانوس، ونشرها في ألمانيا سنة ١٨٤٣ المستشرق الألماني فرايتاج.

لابنه: أيْ بُنَيّ، إنِّي نَدِمتُ على الكَلَام ولم أَنْدَم على السُّكُوت(٧٥).

وقال له: يا بنيّ، إيَّاك والكَسَل والضَّجَر، فإنَّك إذا كَسِلْتَ لم تُؤدِّ حَقًّا، وإذا ضَجِرْتَ لم تَصبر على حَقٍّ(٧٦).

وقال له: ثلاثةٌ لا يُعْرَفون إلاّ في ثلاثة مَوَاطن: لا يُعْرَفُ الحليم إلاّ عند الغَضَب، ولا الشُّجاع إلاّ في الحَرْب، ولا تَعْرِف أَخاك إلاّ عند الحَاجَةِ إليه(٧٧).

وفي الشعر الجاهلي إشارات قليلة إلى حِكْمة لُقْمَان، قال المسيب بن عَلَس: (٧٨)

ولأَنْتَ أَبْيَنُ حين تَنطِقُ مِنْ ... لُقْمَان لمَّا عَيَّ بالأَمْرِ

وقال لبيد بن ربيعة(٧٩):

وأَخْلَفَ قُسّاً: لَيْتَني ولو آنّني ... وأَعْيَا على لُقْمَان حُكم التَّدَبُّرِ

وقال أبو قيس بن الأسلت في مدح أبي أُحيحة سعيد بن العاص(٨٠):

وكان أبو أُحَيْحَةَ قد عَلِمْتُم ... بمَكَّةَ غير مُهْتَضَمٍ ذَمِيمِ
إذا شدَّ العِصَابَةَ ذاتَ يومٍ ... وقام إلى المَجَالِسِ والخُصُومِ

(٧٥) الجاحظ، البيان والتبيين ج١ ص ٢٦٩.
(٧٦) المصدر السابق ج٢ ص ٧٤.
(٧٧) المصدر السابق ج٢ ص ٧٦ وانظر أنموذجاً آخر في البيان والتبيين أيضاً ج٢ ص ١٤٩، وروى المَقْري، أبو عبدالله محمد بن أحمد في كتاب المختار من نوادر الأخبار، تحقيق: د. أنور أبو سويلم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م، ص ١٢٥ ـ وصيّة مطوّلة للقمان الحكيم. وانظر كذلك غرر الخصائص الواضحة للوطواط، دار صعب، بيروت، ص ٨٧.
(٧٨) الجاحظ، البيان والتبيين ج١ ص ١٨٩، وهو منسوب للأعشى، الديوان ص ٣٥١.
(٧٩) المصدر السابق ج١ ص ١٨٩. أي: في تَمَنِّيه وقوله: ليتني.. ولو أنني.
(٨٠) المصدر السابق، ج٣ ص ٩٧.

وكـان البَخْتَرِيُّ غَـدَاةَ جَمْـعٍ يُـدَافِعُهُـم بلُقْـمَـان الحَـكِيـمِ

ويروون أنَّ زبَّان بن سيَّار الفَزاريّ رحل مع النابغة الـذبياني يريدُ الغَزْوَ، فنظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة، فتطَيَّر ورَجَعَ، ومضى زبَّانُ وعاد بالغَنَائم، فقال زبانُ في ذلك(٨١):

تَـخبَّـرَ طَـيـرَهُ فـيـهـا زِيَـادُ لِتُخْبِـرَهُ ومـا فـيهـا خَـبِيْـرُ
أَقَـامَ كـأَنَّ لُـقْـمَـانَ بـن عَـادٍ أَشَـارَ لـه بِـحِكْـمَـتِـهِ مُـشِيْـرُ

وقد أكثر الشعراء الإسلاميون من ذِكْر لُقْمَان الحكيم ووصاياه ولَسَنه وفَصَاحته وحِكْمَته(٨٢).

***

وَضَـرَبُـوا المَثَـل بـأَيْسَـار لُقْمَـان، قـالـوا: هم ثمـانيـة رجـالٍ من العماليق(*)، ما فيهم أَحَد إلاّ جَمَع من الصِّفَات الكريمة أَسْمَاهـا، فيهم الحِلْم، والطُّهْر، والكَرَم. وقد اتَّخذهم شعراء الجـاهلية رمـزاً للسَّمَاحـة والرِّئاسة والجُود وإغاثة المَلْهُوفين، والحِلْم عن السُّفَهاء، قال امرؤ القيس حين نزل على خالد بن سدوس النبهاني(٨٣):

إِذَا مـا كُنْتَ مُفْتَـخِـراً فَفَـاخِـرْ بِبَيْتٍ مثـل بَيْتِ بَنِي سَـدُوسَـا

(٨١) الجاحظ، الحيوان ج٣ ص ٤٤٧.

(٨٢) قال الصُّلَتان العبدي: «أَلَمْ تَرَ لُقْمَان أَوْصَى بنيه... الخ» شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٣ ص ١٢١٠، وقال أبو دلامة الأسدي «فما ولدتك مريم أم عيسى ولم يكفلك لُقْمَان الحكيم» ديوانه، تحقيق: رشدي حسن، دار عمار ١٩٨٦، ص ٤٢، وقالت ابنة وثيمة بن عثمان: «بلسان لقمان بن عادٍ وفَصْل خطبته الحكيمة» البيان والتبيين ج١ ص ١٨٣.

(*) وهم: بيض وحممة (حمحمة) وطفيل، وذفافة، وملك (مالك) وثميل (نميل) وفروعة (فرزعة) وعمار.

(٨٣) امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت ٥٤٠م): الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م ص ٣٤٤. الماء القريس: الجامد من شدة البرد.

بِبيتٍ تُبْصِرُ الرُّؤَسَاءَ فيهِ قِيَاماً لا تُنَازَعُ أو جُلُوسَا
هُمُ أَيْسَارُ لُقْمَانَ بن عادٍ إذا ما أَجْمَدَ الماءَ القَرِيْسَا

وقال أوس بن حجر: (٨٤)

وفتيانُ صِدْقٍ لا تَخُمُّ لِحَامُهُمْ إذا شُبِّهَ النَّجْمُ الصُّوَارَ النَّوافِرَا
وأَيْسَارُ لُقْمَان بن عادٍ سَمَاحَةً وجُوداً إذا ما الشَّوْلُ أَمْسَتْ جَرَائِرَا

وقال طرفة بن العبد(٨٥):

فَفِداءٌ لِبَني قَيْسٍ عَلَى ما أَصَابَ النَّاسَ من سُرٍّ وضُرْ
وهُمُ أَيْسَارُ لُقْمَانَ إذا أَغْلَت الشَّتْوَةُ أَبْدَاءَ الجُزُرْ
لا يُلِحُّونَ على غَارِمِهِمْ وعلى الأَيْسَارِ تَيْسِيرُ العَسِرْ

وإلى أَيْسَار لقمان كانت إشارة النابغةالذبياني في مدح بني غُسّان، قال(٨٦):

هُمُ المُلُوكُ وأَبْنَاءُ الملوكِ لهم فَضْلٌ على النَّاسِ في اللاواءِ والنِّعَم
أَحلامُ عادٍ وأَجْسَادٌ مُطَهَّرَةٌ من المَعَقَّةِ والآفَاتِ والإِثَمِ

وفي الشعر الجاهلي إشارات إلى قَصَص خُرافيَّة نسجها خيال القُدماء عن قوم عاد، ولم يَبْقَ من هذه الحكايات إلاّ بقايا متناثرة، كحديثهم عن

---

(٨٤) أوس بن حجر، الديوان ص ٣٣. تخم لحامهم: يدّخرونها فتخمّ وتفسد، الصوار: قطيع البقر، الشول: جماعة الإبل التي ارتفع لبنها عند الحمل أو البرد أو الجوع. وجرت الناقة: لم تنتج.

(٨٥) طرفة بن العبد، الديوان ص ٧٢.

أبداء الناقة: أشرف أعضائها، والجزر: جمع جزور وهي الناقة المجزورة أي المذبوحة.

(٨٦) النابغة الذبياني، الديوان، ص ١٠١، وانظر أيضا قول زهير بن مسعود:

كأنّهم عادٌ حُلُوماً إذا طَاشَ من الجَهْلِ القَطَارِيْبُ

ومعنى القطاريب هنا: السُفهاء الجهّال.

يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة. دار الرسالة، بيروت ١٩٨٢م، ص ٩٤.

ومعنى اللأواء في بيت النابغة: الشدّة وسوء الحال، والمعَقّة: عقوق الرّحم.

«كَلْب طَسْم» وكانوا يضربون به المَثَل في مكافأة المُحْسِن بالإسَاءَة، ويزعمون أنَّ طَسْماً قَوْمٌ من عاد، انقرضوا، وكان لهم كلب يُحْسِنُون إليه، ويُبَالغون في تكريمه حتى إنَّهم يسقونه الحليب أيَّام الجَدْب بينما أولادهم مُسْغَبِين، (وقد يكون هذا التكريم من قبيل الطوطمية(٨٧) عند الشُّعوب البدائية) ويزعمون أنَّ هذا الكلب قد دَلَّ بنباحه العدو على مضارب طَسْم، فاستباحوهم وقتلوهم.

وقد أفاد طرفة بن العبد من هذه الأسطورة في تصوير إحسانه إلى ملوك المناذرة ومدحه لهم، وما جَرَّهُ هذا المدح وهذا الإحسان من شقاءٍ وبُؤس على فاعله، قال: (٨٨)

هَـمٌّ عَـرَانِي فَـبِـتُّ أَدْفَـعُـهُ ... دون سُـهَـادٍ كَشُعْـلَةِ الـقَـبَسِ
كُـنْـتَ لَـنَـا والـدُّهُـور آونـة ... تَقْتُـلُ حـال الـنَّـعيم بـالـبُّؤسِ
كَـكَـلْبِ طَـسْـمٍ وقـد تَـرَبَّبَـهُ ... يَـعُلُّهُ بـالـحليبِ فـي الـغَـلَسِ
إنَّ شِـرَارَ الـمُلُوكِ قـد عَـلِمُـوا ... طُـرّاً وأَدْنـاهُـمُ مـن الـدَّنَسِ
عَمْـروٌ وقَـابـوسٌ وابن أُمِّهِمَـا ... مَنْ يَـأْتِهِـم للخَـنَـا فمُـحْتَبَسِ

ومن بقايا أساطير عاد أن رجلاً من العمالقة اسمه «حِمَار» وقيل «عَيْر» كان له بنون وواد خصيب، فأصابت بنيه صاعقةٌ فأحرقتهم، فَكَفَر بالله، وقال: لا أعبد رباً أحرق بنيَّ، وكان لا يمرُّ بأرضه أحدٌ إلاَّ دَعَاهُ إلى الكُفْر، فإنْ أَجَابَه، وإلاَّ قَتَلَه(٨٩)، فضربوا بكُفْره المَثَل(٩٠). فسلَّطَ اللهُ على واديه

---

(٨٧) الطُّوطمية: كلمة أبجدية من لغة هنود أمريكا، دخلت اللغة الإنجليزية، ويراد بها كائنات تحترمها بعض القبائل المتوحشة، ويعتقد كل فرد من أفراد القبيلة بعلاقة نسب تربطه بطوطمه، وقد يكون الطوطم حيواناً أو نباتاً، وهو يحمي صاحبه الذي يحترمه ويقدسه.
انظر: جيمس فريزر، الغصن الذهبي، الهيئة المصرية العامة، مصر ١٩٧١.

(٨٨) طرفة بن العبد، الديوان ص ١٦٥.

(٨٩) ابن منظور: لسان العرب، مادة (كفر)

(٩٠) في المثل: «أكْفر من حمار» الدرة الفاخرة ج٢ ص ٣٦٧، مجمع الأمثال ج٢ ص ١٦٨. جمهرة الأمثال ج٢ ص ١٧٧، ولسان العرب، مادة (كفر) و (حمر).

ناراً ـ والوادي في لغة أهل اليمن يقال له جَوْف ـ فأحرقته فما بقي منه شيء، فضربُوا به المَثَل في الإقْفَار وفي كل ما لا بقيَّة له(٩١)، وهو الذي عَنَاه امرؤ القيس بقوله من معلقته: (٩٢)

وَوَادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ ... به الذِّئْبُ يَعْوي كالخليع المُعَيَّلِ(٩٣)

ورسم القدماء للقمان صوراً أسطورية في عمره الذي امتدَّ مئات السنين، وزعموا أنه كان يتَغَدَّى بجَزُور ويتَعَشَّى بجزور، وضربوا بأكْلِهِ المَثَل(٩٤). وتخيلوه كبيرَ الجُثَّة، قويَّ البُنْيَة، مُنْجِباً، كبيرَ الرأس، وضربوا برأسِهِ المَثَل(٩٥). قال يزيد بن الصَّعق الكلابي: (٩٦)

إذا ما مَاتَ مَيْتٌ من تَمِيمٍ ... فَسَرَّكَ أنْ يعيشَ فجِئْ بِزَادِ
تَرَاهُ يطوفُ في الآفَاقِ حِرْصاً ... ليأكُلَ رأسَ لُقْمَانَ بن عَادِ

ويروون أنَّ أُخْتَ لقمان كانت مُحْمِقَة(٩٧) وكذلك كان زوجها، فقالت لإحدى نساء لُقْمان: هذه ليلة طُهْرِي، وهي ليلَتُك، فدعيني أنَامُ في مَضْجَعك، فإنّ لقمان رجل مُنْجِب، فعسى أنْ يَقَع عليَّ فأُنْجِب. فوقع على أُخته فحملت بلُقَيْم، وفي ذلك يقول النَّمر بن تَوْلَب: (٩٨)

---

(٩١) في المثل: «أخْلَى من جَوْفِ حمار» الدرة الفاخرة ج١ ص ١٨٠ ومجمع الأمثال ج١ ص ٢٥٧، وجمهرة الأمثال ج١ ص ٤٣٥ والمستقصى ج١ ص ١٠٩.

(٩٢) الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٨٠ ـ ٨١.

(٩٣) الخليع: المُقَامِر، المُعَيَّل: الكثير العِيَال.

(٩٤) في المثل: «آكل من لُقْمان» الدرة الفاخرة ج١ ص ٧٤ ومجمع الأمثال ج١ ص ٨٦، وجمهرة الأمثال ج١ ص ٢٠١ والمستقصى ج١ ص ٧.

(٩٥) ثمار القلوب ص ٢٥٧.

(٩٦) الجاحظ، الحيوان ج٣ ص ٦٧ والبيان والتبيين ج١ ص ١٩٠.

(٩٧) أي تَلِد الحَمْقَى.

(٩٨) النمر بن تولب، شعره، صنعة: نورى القيسي، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨ ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

لُقَيْمُ بن لقمان من أُخْتِهِ   وكان آبْنَ أُخْتٍ له وآبْنَمَا
ليالِيَ حُمِّقَ فآسْتَحْصَنَتْ   عليه فغُرَّ بها مُظْلِمَا
فأَحْبَلَها رَجُلٌ مُحْكِمٌ   فَجَاءَتْ به رَجُلاً مُحْكِمَا

ويروى أنَّ لقمان بن عاد قتل ابنته صُحْراً لأنه كان تَزَوّج عدةَ نساءٍ كُلهن خُنَّهُ في أنفسهنَّ(٩٩).

وقد أفاد الشعراء من هذه الحكاية في تصوير براءتهم من ذنوبٍ لم يقترفوها، فكان جزاؤهم جزاء صُحْر ابنة لقمان، قال خفاف بن ندبة: (١٠٠).

وعَيَّاشٌ يُدِبُّ لِيَ المَنَايَا   وما أَذْنَبْتُ إلاَّ ذَنْبَ صُحْرِ

وقال عُروة بن أُذينة: (١٠١)

أَتَجْمَعُ تَهْيَاماً بلَيْلَى إذا نَأَتْ   وهِجْرَانها ظُلْماً كَمَا ظُلِمَتْ صُحْرُ

(٩٩) يبدو أن قصة شهرزاد وشهريار قد اسْتَنَدَتْ في مضمونها إلى هذه الحكاية.
(١٠٠) الجاحظ، الحيوان ج١ ص ٢٢ وثمار القلوب ص ٢٤٥.
(١٠١) الجاحظ، الحيوان ج١ ص ٢٢.

الخلاصة

(١) حاول هذا البحث تَلَمُّس العلاقة بين الشعر الجاهلي والموروث الثقافي القديم في ضوء «قصة عاد» المذكورة في الذكر الحكيم والشعر الجاهلي. وأثبتَ أَنَّ الشعراء العرب قد اتخذوا من عاد ـ اعتماداً على موروثاتهم التاريخية والأسطورية ـ رموزاً محدَّدة كالقِدَم، والأَصَالة والمُلْك، والهَلاَك، والزَّمَن، والحِكْمَة، والحِلْم، والجَزَاء.

وقد أفاد الشعراء الجاهليون من هذه الرموز في قصائدهم، واستقطبوا معلوماتهم الأُسطورية وموروثاتهم الشعبية في الصورة الشعرية.

(٢) أثبتَ هذا البحث أنَّ القصيدة الجاهلية تستوعب الحكايات الموروثة والأمثال والمَأْثورات الشعبية، وتعتمد «الإشارة» و «الرَّمز» أحياناً بدلاً من التصريح والخطاب المباشر. وتُصْهَر فيها الثقافة والأساطير القديمة مع التجارب الشخصية والرُّؤى الشعرية.

(٣) تأثَّر الشعر العربي المعاصر بشعراء أوروبة الحديثة في استخدام التراث اليوناني والعالمي وما فيه من أساطير خرافية ورموز للحب والجمال والقهر والحكمة، والخير والشر. . . . مثل: فينوس، وأفروديت، وكيوبيد، وسيزيف. . .

وهذا البحث يُدَلِّل على أنَّ العرب في الجاهلية قد استخدموا الرموز الأُسطورية والتاريخية في قصائدهم قبل شعراء أُوروبة، وأنّ ما يُظَنُّ جديداً في الشعر العربي الحديث، هو في واقعِهِ ليس كذلك.

المراجع

ـ الألوسي، محمود شكري ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، حققه: محمد بهجة الأثري. دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ أرسطو طاليس، ١٩٥٣ ـ فن الشعر، ترجمة: عبد الرحمن بدوي. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

ـ الأصمعي، عبد الملك بن قريب، ١٩٦٧م ـ الأصمعيات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف بمصر.

ـ الأعشى الكبير، ميمون بن قيس ١٩٥٠م ـ الديوان، حققه: محمد محمد حسين. مكتبة الأداب، مصر.

ـ امرؤ القيس بن حجر، ١٩٦٤م ـ الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر.

ـ الأنباري، محمد بن القاسم، ١٩٦٩ ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، حققه: عبد السلام هارون. دار المعارف بمصر.

ـ أوس بن حجر، ١٩٦٧م ـ الديوان، حققه: محمد يوسف نجم. دار صادر، بيروت.

ـ التيفاشي، ١٩٨٠م ـ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس. حققه: إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

ـ الجاحظ، عمرو بن بحر ١٩٦٨م ـ البيان والتبيين، حققه: عبد السلام هارون. مطبعة البابي الحلبي مصر، والحيوان، حققه عبد السلام هارون. مطبعة البابي الحلبي القاهرة. ١٩٨٧ ـ البرصان والعرجان، حققه. محمد مرسي الخولي. مؤسسة الرسالة، بيروت.

- جواد علي، ١٩٦٨ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين، بيروت.

- خِداش بن زهير العامري، ١٩٨٦م - شعره، صنعة: يحيى الجبوري. مجمع اللغة العربية، دمشق.

- زهير بن أبي سلمى، ١٩٨٢م - شرح شعره، صنعة ثعلب، حققه: فخر الدين قباوة. دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- الزمخشري، ١٩٦٢م - المستقصى في أمثال العرب. حيدر آباد، الدكن، الهند.

- السجستاني، أبو حاتم - المعمرون والوصايا. مطبعة البابي الحلبي، مصر.

- سحيم عبد بني الحسحاس، ١٩٦٨م - الديوان، حققه: عبد العزيز الميمني. دار الكتب المصرية، القاهرة.

- الطبري، محمد بن جرير، ١٩٧٩م - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، وطبعة المطبعة الحسينية بمصر.

- طرفة بن العبد البكري، ١٩٧٥م - الديوان، حققه: لطفي الصقال. مجمع اللغة العربية، دمشق.

- الطرماح بن حكيم، ١٩٦٨م - الديوان، حققه: عزة حسن. طبعة دمشق.

- عبيد بن الأبرص، ١٩٥٧م - الديوان، حققه: حسين نصار. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.

- عدي بن زيد العبادي، ١٩٦٥م - الديوان، حققه: محمد جبار المعيبد.

دار الجمهورية، بغداد.

- العسكري، ١٩٦٤م - جمهرة الأمثال، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة القاهرة.

- عمرو بن قميئة، ١٩٦٥م - الديوان، حققه: حسن كامل الصيرفي. معهد المخطوطات العربية، القاهرة.

- عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ١٩٧٤م - شعره، حققه: مطاع الطرابيشي. دمشق.

- فريزر، سير جيمس، ١٩٧١م - الغصن الذهبي، ترجمة: أحمد أبو زيد. الهيئة المصرية العامة، القاهرة.

- القالي، أبو علي، ١٩٧٠م - أفعل من كذا، حققه: محمد الفاضل بن عاشور. تونس.

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، ١٩٦٩م - المعارف، حققه: ثروت عكاشة. دار المعارف بمصر.

- لبيد بن ربيعة العامري، ١٩٦٢م - الديوان، حققه: إحسان عباس، مطبعة وزارة الإرشاد، الكويت.

- مجهول - قصة شداد بن عاد. مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة، بغداد رقم ٤٩٣٢/٩ مجاميع.

- المرزوقي، أحمد بن محمد، ١٩٦٨م - شرح ديوان الحماسة، حققه: أحمد أمين وعبد السلام هارون. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.

- المسعودي، علي بن الحسين - التنبيه والإشراف. مطبعة الصاوي. مصر.

- المفضل الضبيّ بن محمد بن يعلى، ١٩٧٩م - المفضليات، حققه:

أحمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف بمصر.

- ابن منظور، محمد بن جلال الدين الخزرجي - لسان العرب. الدار المصرية للتأليف، القاهرة.

- الميداني، أحمد بن محمد، ١٩٥٥م - مجمع الأمثال، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية، مصر.

- النابغة الذبياني، ١٩٧٧م - الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر.

- النمر بن تولب، ١٩٦٨م - شعره، صنعة: نورى القيسي. مطبعة المعارف بمصر.

- ابن هشام، عبد الملك - السيرة النبوية، حققه: عبد السلام هارون. مطبعة البابي الحلبي، مصر.

- الهمداني، الحسن بن أحمد، ١٩٨٠م - الإكليل، حققه: محمد بن علي الأكوع. طبعة بغداد.

- ياقوت الحموي، ١٩٦٥م - معجم البلدان. دار صادر، بيروت.

ما وصل إلينا من شعر عباس بن فرناس

للدكتور صلاح جرار

نشرت في العدد الثامن والثلاثين من أعداد مجلّة مجمع اللغة العربية الأردني دراسة عن عباس بن فرناس: سيرته وشعره، وقد اجتمع لديّ في أثناء إعداد هذه الدراسة جملة من قصائده ومقطوعاته الشعريّة، ورأيت ـ استكمالاً للفائدة ـ أن أنقّب في المصادر التي عرضت لابن فرناس، بحثا عمّا وصل إلينا من شعره، وسعياً إلى لملمة شعث ما تبعثر في هذه المصادر من البيت والبيتين والمقطوعة والقصيدة، لعلّ ذلك يساعد على توضيح خصائص هذا الشعر وسماته، ويثبت ما خلصت إليه من نتائج الدراسة السابقة عن هذا الشاعر الأندلسي.

وقد رتّبت ما وقع لي من شعر ابن فرناس حسب قوافي القصائد والمقطوعات. وأسأل الله أن ينفع الباحثين وينفعنا به.

قافية الباء

(١)

قال ابن فرناس في فلاة: [الكامل]

١) موسومةٌ بالبُعد تَحسبُ سَهلها ألقى السماءُ بحوْلهِ أطنابا

٢) فكأنها دارٌ تقاذَفَ(١) صَحْنَها لم يجعل الباني لها أبوابا

لتخريج: الكتاني: التشبيهات، ص ١٧٧.

قافية التاء

(٢)

عمل عبّاس بن فرناس الآلة المسمّاة المنقانة لمعرفة الأوقات، فأحكمها ورفعها إلى الأمير محمّد(٢) ونقش فيها هذه الأبيات: [الطويل]

١) ألا إنّني للدينِ خيرُ أداةِ إذا غاب عنكُمْ وقْتُ كلّ صلاةِ
٢) ولم تُرَ شمسٌ بالنهار ولم تُنَرْ كواكبُ ليلٍ حالِكِ الظلُمات
٣) بيُمْنِ أميرِ المسلمين محمّدٍ تجلّتْ عن الأوقاتِ كلُّ صلاةِ

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق د. محمود مكي)، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

قافية الحاء

(٣)

ومن ذلك [المجتثّ]

١) بدّلْ لنفسِكَ روحا لعلّ أن تستريحا
٢) ما زال قلبُك يهوى من لا يزالُ شحيحا

التخريج: الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٨.

---

(١) تقاذف: ترامى واتّسع.
(٢) محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، وقد أسلفنا التعريف به.

قافية الدال

(٤)

جاء في المقتبس:

«وضر الزبد بها، ثم أمر بإحضار عبّاس بن فرناس، فذكر له ما أنكره من هذا القسيم، وأمره بإبداله، فقال على البديهة: [الطويل]

أباريقُ في حافاتها أَرَجُ الوَرْدِ

فأعجب ذلك الأمير، ووصل عباساً، وغنّي به بعد كما غيّره»(٣).

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكّي)، ص ٢٨٧.

قافية الراء

(٥)

وأنشد ابن فرناس الأمير محمّداً من أبيات: [الطويل]

١) رأيتُ أميرَ المؤمنين محمّداً وفي وجهه بذرُ المحبّةِ يُثْمِرُ

التخريج: المقّري: نفح الطيب، ٣/٣٧٥.

(٦)

ومنها صوت(٤): [الطويل]

---

(٣) علّق الدكتور محمود مكّي على هذا النص بقوله: «يبدو ممّا سيذكر بعد أن الأمير غُني بشعر أبي الهندي غالب بن عبد القدوس، وفيه قوله:
سيغني أبا الهندي عن وطب سالم أباريق لم يعلق بها وضر الزبد
فتأذى الأمير بكلمتي «وضر الزبد» في آخر البيت مما حمله على استدعاء عباس بن فرناس واقترح عليه تغيير هذا القسيم فغيّره الشاعر بما يرى.

(٤) من المقطوعات التي نظمها ابن فرناس في مدح الأمير محمّد لتلحنها جواري الأمير وتغنيها، مقابل صلةٍ يدفعها الأمير لابن فرناس (انظر: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

١) تحفَظْ من الهجرانِ إنْ كنتَ تَقْدِرُ يموتُ الفتى في حبّه حين يُهْجَرُ
٢) فأما إذا ما بان عنه حبيبُهُ فلا شكّ فيه ذلك اليومَ يُقْبرُ
٣) رأيتُ أميرَ المؤمنين محمّداً وفي وجهه بذْرُ المجرة يُبْصَرُ
٤) همامٌ كأن الشمس تلقي شُعاعَها على الخلْقِ منه حين يبدو ويَظهَرُ

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٦.

(٧)

ومن شعره في صفة روضة: [الطويل]

١) ترى وردَها والأقحوانَ كأنّه بها شفةٌ لمياءُ ضَاحَكها ثَغْر

التخريج: الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣١٨.
الضبّي: بغية الملتمس، ص ٤٣١.

(٨)

وله شعرٌ أوله: [السريع]

١) الجهْلُ ليلٌ ليْسَ فيه نورُ والعلمُ فجْرٌ نورُهُ مشهورُ
٢) يا ابنَ الخلائف كم تَستُّرَ قاعدٌ عنّي ويُصْدىءُ سَمعَكَ المكسورُ
٣) وقد استَبَنْتَ فسادَ ذا ك وفي دُعا مولاكَ من إصلاحه تيسيرُ
٤) وأمور مُلكك كُلُّها موزونةٌ قد حاطها الإحكام والتجبيرُ
٥) فاصِخْ لأصْلٍ إن هززْتَ فُروعَهُ يَسْقُطْ عليكَ اللؤلؤُ المنثورُ

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٠.

(٩)

ولعبّاس بن فرناس قِرْنِ مؤمن ومناصبه في التهاجي في تهنئة محمّد

أيضاً(٥) من شعر حسن له: [البسيط]

١) ما غابت الشمسُ حتى أشرقَ القَمَرُ ... محمّـدٌ فـارتـضـاه اللّهُ والـبَشَـرُ
٢) يا ليلةً أسفرت قبل الصباحِ عن ال ... مهـديّ يفديـك مني السمعُ والبصـر
٣) لتـطبقنَّ على الـدنيـا خـلافتُـه ... سمـاءَ جـودٍ لهـا مـاءُ اللّهى مَـطَرُ
٤) ويهلك الشركُ في أقصى مداخله ... حتى يغيب فـلا يُـدْرى لـه أثـر
٥) بـذاك تخبرُنـا غـرّ النجـومِ كمـا ... أوحى إليهـا بـذاك الشمسُ والقمـرُ

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ١٢٤.

قافية الراء

(١٠)

في سنة ٢٤٤هـ هاجم الأمير محمّد طليطلة، وحارب أهلهـا وهدم قنطرتها(*) «واشتدّ سرور الأمير محمد بحربهم عليها، فقال شاعره عباس بن فرناس يغبطه بما تهيأ له في شعر مدحه به»: [الكامل]

١) يا ابنَ الخلائف يـا محمّد يـا ... مـن سيفـه في راحـة الـنصـر
٢) ما إن تقوم لحر بأسك في الـ ... ـدّنيـا محصّنـةٌ مـن الـدهـر
٣) أضـحت طـليـطلة مـعـطّلةً ... من أهلهـا في قبضـةِ الصـقـر
٤) تُـرِكَتْ بـلا أهـلٍ تؤهّلهـا ... مـهجـورةَ الأكـنـافِ كـالقبـر
٥) مـا كـان يُبْقي الله قنـطرةً ... أضحت سبيلَ كتائبِ الكفـر(٦)

(٥) عندما توفي الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٣٨هـ خلفه على إمارة الأندلس ابنه الأمير محمد وقد أنشأ مؤمن بن سعيد قصيدتين يرثي فيهما الأمير المتوفّى ويهنّىء الأمير محمداً بتولّي الأمر من بعده (ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمـود مكي)، ص ١٢١ - ١٢٤)، وفي هذه المناسبة أنشد عباس بن فرناس قصيدته هذه.

(*) ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي) ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٦) في النفح: نصبت لحمل كتائب الكفر.

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ووردت الأبيات الثلاثة الأخيرة في المقّري: نفح الطيب، ١٦٢/١.

(١١)

وقال في مدح الأمير محمد بن عبد الرحمن لدى اعتنائه بتفخيم المباني وإقامة قصر الخلافة في مدينة الرصافة(٧): [الطويل]

١) .... الرصافة من .... والتبر

٢) .... والسحر

٣) وأعرافه الشمُّ التي لاح دونها ... نجومُ الثريا والسماكين والغَفْر(٨)

٤) وإذْ بلغ النَضْرُ المكثَّرُ فَرْعَها ... وصوَّبَ لم يبلُغْ إلى الأرضِ في شَهْر

٥) لها الغُرَفُ البيضُ التي يضحكُ الضُحى ... وتُلْحِفُها من نُورِها في سنا الغُرِّ

٦) حنايا كأمثالِ الأهلّةِ رُكِّبَتْ ... على عَمَدٍ تُغْتَذُّ في جوهر البذْرِ

٧) كأنّ من الياقوتِ قِيست رؤوسُها ... على كلّ مسنونٍ مقيضٍ من السِّدْر

٨) كأن قُصورَ الأرضِ بعد تمامه ... نتوءُ الذرى أخفى شخوصاً من الذَّرّ

٩) وتنتثِرُ الأبصارُ منها إلى مدى التنزّ ... هِ بالأطيارِ والوحشِ والزهرِ

١٠) وأعجبُ من أفيائها الغُرَر التي ... يقيل بهنّ البرد في وغرةِ الحرّ

١١) ينمّ بأخفى سرِّها غيرَ كاتم ... صداها فأخفى السرّ فيها من الجهر

١٢) كأنّ الذي يخفي الحديثَ بنجوها ... على أخفضِ الأصواتِ يشدو على وِتْر

---

(٧) ذكر ابن حيّان في المقتبس أن الأمير محمداً عندما انشأ قصر الخلافة في منية الرصافة واعتنى بغراستها «استدعى أقوال شعرائه في وصفها وتهنئته بما حصل له منها». «فقال في ذلك فحلهم الخنذيذ عباس بن فرناس بن ورداس شاعره البديع الذي اتفقوا كلهم على أنه أحسن ما قيل في معناه» (ابن حيّان المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

(٨) الغفرُ منزلٌ من منازل القمر ثلاثة أنجم صغار وهي في الميزان (لسان العرب).

١٣) نؤومُ الضحى صافي العلى سجسجُ السنا		تضيء بلا شمسٍ عليها ولا بَدْرِ
١٤) ويا حبّذا أنباتُها الخُضْرُ حولها		وأنهارُها البيضُ التي تحتها تجري
١٥) ترى الباسقاتِ الناشراتِ فروعَها		موائسَ فيها من مزاولةِ الوَفْر(٩)
١٦) كأن صياغاً(١٠) صاغ فوق(١١) غصونها		من الذهب الناري(١٢) عراجينَ من تَمْرِ
١٧) تبدّلْنَ حالاتٍ ثلاثاً لهنّ في		مصوغ الحلى شكلٌ وفي الجوهرِ النضرِ
١٨) نشتْ لؤلؤاً ثم استحالت زمرّداً		يعود(١٣) إلى العِقْيان بعد(١٤) جنى البُسْرِ
١٩) وقد يُشْتهى منها شرابُ ألذُّ من		تضرُّعِ مُشْتاقٍ إلى عاشِقِ الكِبْرِ
٢٠) ومن أرَجاتٍ في الغصونِ كأنّها		خدودُ عذارى في مقانعها الخُضْرِ
٢١) ترى حمرةً في بعض		محجّلة .... غُرّ
٢٢) بواعثَ		....
٢٣) يغرّدُ فيها كلّ مختضبِ الشّوى		موشّى القَرا(١٥) قاني الطُّلى أخضر الصدر
٢٤) إلى كلّ سلتاء أضاعت خضابَها		مدبّجةِ الكشحيْنِ والبطنِ والظهرِ
٢٥) إذا ما استهلّتْ في شجيّ غنائها		ينسّيك ترجاعَ اليراعِ بلا زَمْرِ
٢٦) وما شئتَ من هفهافةٍ قلميةِ الغناءِ إلى نايِيّةِ النَّغْمِ والنَّبْرِ
٢٧) وحابسةٍ في ذقنها درهميْن ما		يزولان فيما تشتريه وما تَشْري
٢٨) قد اشتملت في يَلْمَقٍ(١٦) وأعارها		هناك غرابُ الماء خُفَّيْهِ للأجرِ
٢٩) وكلُّ بديعٍ فيه لم يُرَ مِثْلُه		من الطيرِ والنينان والتمْرِ والقُمْري
٣٠) وراثة آباءٍ تولّوْا خلائفٍ		بهاليلَ أملاكٍ خضارمةٍ زُهرِ

---

(٩) في التشبيهات: مداولة الوقْرِ.
(١٠) في التشبيهات: صناعاً.
(١١) في التشبيهات: بين.
(١٢) في التشبيهات: البادي.
(١٣) في التشبيهات: يؤول.
(١٤) في التشبيهات: قبل.
(١٥) القَرا: وسط الظهر (لسان العرب: قرا).
(١٦) اليلمق: القباء (لسان العرب: يلمق).

٣١) أبى الله إلاّ أن يُتِمَّ بناءَه الـر   فيعَ الذي تمّتْ به غايةُ الشكر
٣٢) سميُّ النبي المصطفى وحميمهُ   وخاتمِ مسطورِ النبوّةِ في الذِكْرِ

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٤ . ما عدا البيتين ٦، ٧؛ ووردت الأبيات ٦، ٧، ١٥، ١٦، ١٨، في الكتاني: التشبيهات، ص ٧٠.

(١٢)

[قال يخاطب الأمير محمداً من قصيدة]   [الطويل]

١) ولا تنسينّ الدفترَ المحكَمَ الذي   هو الغايةُ القصوى . . . .
٢) فيا أسفي أنْ نال مكنونَ علْمه   سواكَ من الأملاك في غير ذا العصرِ
٣) وزِدْني من الإدناء ما قد وعدتني   فوعدك مضمون إلى حِجَج عشر
٤) فليس محالاً أن أحلَّ محلّةً   أُضيفَ لها قبلي المضافُ إلى شِمرِ
٥) لقد كان من في رحمةِ الله همَّ بي   لهذا وما صار ابنُ شِمرٍ إلى القبر

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

قافية السين

(١٣)

وفيه يقول مؤمن [البسيط]:

قعدتُ تحت سماءٍ لابن فرناسِ   فخِلْتُ أن رحىً دارت على راسي

فلما بلغ ابنَ فرناس ذلك، قال: ليس كما قال ابنُ الزانية، كان ينبغي أن يقول: [البسيط]:

١) قعدتُ من فوق عَرْدٍ لابن فرناسِ   فخلتُه نائناً شبراً على راسي

التخريج: الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٨.

قافية الضاد

(١٤)

ومما له من المقاطيع قوله [المنسرح]:

١) يا مَنْ لِعَيْنٍ خلَتْ من الغمْضِ ومهجةٍ أشرفت على القبض
٢) كلُّ هوىً لا يميتُ صاحبَهُ فأصلُ ذاك الهوى من البغضِ

التخريج: الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٨.

(١٥)

وقال معاوية بن هشام الشبينسي(١٧): كان عبّاس بن فرناس يصنع للأمير محمد قطعاً من رقيق الأشعار تنتظم بمدحه، وتصوغ قيانه فيها الألحان، فيغنّينه بها، فيجزل عليها صلته، منها أربعة أبيات كتبها بالذهب على تفاحة محجولة رفع بها إليه، هي: [السريع]:

١) تفّاحةٌ مصفرّةُ البعض بخوفها من ألم العضّ
٢) أمّنْتُها ذاك وكتّبْتُها حُسْناً بذا من ذهبٍ محض
٣) وقلْتُ فيها الحقَّ من بعد ذا ـ وما لقول الحقّ من نقض ـ
٤) محمّدٌ أكرم مستخلَفٍ من خلفاءِ الله في الأرضِ

قال: فاستملح الأمير التفاحة، واستحسن الأبيات، فأمر أن يغنّى بها، وأمر لعباس بأربعمائة دينار بعددها صلةً. وقال: لو زادنا لزدناه.

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

---

(١٧) هو أبو عبد الرحمن معاوية بن هشام بن محمد بن هشام بن الوليد بن هشام بن عبد الرحمن الداخل المعروف بابن الشبينسي، رحل إلى المشرق حاجاً سنة ٢٧٥، وكان أديباً عالماً وشاعراً مطبوعاً، وله تاريخ في دولة الأمويين ينقل عنه ابن حيان كثيراً. توفي سنة ٢٨٩ (ابن الأبّار التكملة، ٢/٦٩٢).

قافية العين

(١٦)

ولما غنّى ابن زرياب(١٨) بقوله في مجلس محمود بن أبي جميل عامل شذونة أيام السلطان محمد بن عبد الرحمن:

ولو لم يَشُقْني الظاعنون لشاقني ... حَمامُ تداعتْ في الديارِ وُقُوعُ
تداعيْنَ فاستبْكَيْنَ من كان ذا هوىً ... نوائحَ ما تَجْري لهنّ دموعُ

ذيّلها عبّاس بن فرناس يمدح محموداً بديهةً: [الطويل]

١) شَدَدْتُ بمحمودٍ يداً حين خانها ... زمانٌ لأسباب الرجاء قَطُوعُ
٢) بَنى لمساعي الجودِ والمجدِ قُبَّةً(١٩) ... إليها جميعُ الأجودين ركوعُ

التخريج: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٩؛ المقري: نفح الطيب، ٣/١٣٣.

قافية الفاء

(١٧)

قال يهنىء الأمير محمداً بعد إخماده ثورة طليطلة وانتصاره على النصارى في وقعة وادي سليط سنة ٢٤٠ هـ(٢٠): [الطويل]

---

(١٨) في نفح الطيب أن الذي غنّى هو زرياب وليس ابنه.
(١٩) في نفح الطيب: قبلةً.
(٢٠) ذكر ابن حيان أنه في سنة ٢٤٠هـ ثار أهل طليطلة على الأمير محمد واستجاشوا بالنصارى ضد المسلمين وأن الأمير قد تغلب عليهم واحتزّ رؤوس أحد عشر ألفاً منهم وقت صلاة الظهر وجمعت الرؤوس ووقف المؤذن على قمتها ينادي للصلاة، وقد هنأته الخطباء وامتدحته الشعراء، وكان من ذلك ما قاله عباس بن فرناس في قصيدته هذه (ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٨). وقدم ابن عبد ربه في كتاب العقد (٥/٢٢٠) وابن عذاري في البيان المغرب (٢/١١١) لهذه القصيدة بالقول: وكان =

١) ومختلِفِ الأصواتِ مؤتلِفِ الزحفِ لهوم الفلا عبلِ القنابلِ(٢١) ملتفِّ
٢) إذا أومضتْ فيه الصوارمُ خِلْتَها بروقاً تراءى في الجهام وتستخفي
٣) كأنّ ذرى الأعلامِ في سيلانِهِ(٢٢) قراقيرُ(٢٣) يم قد عجزْنَ عن القَذْفِ(٢٤)
٤) وإن طمحتْ أركانُهُ كان قطبُهُ(٢٥) حجى مَلِكٍ نَجْدٍ(٢٦) شمائلُه عفِّ
٥) سميّ ختامِ الأنبياءِ محمدٍ إذا وُصِفَ الأملاكُ جلّ عن الوَصْفِ
٦) فمن أجله يومَ الثلاثاء غُدْوةً وقد نَقَضَ(٢٧) الإصباحُ جُلَّ(٢٨) عُرى السجْفِ
٧) بكى جبلا وادي سليطٍ فأعْولا على النَّفَرِ العُبْدانِ والعُصبةِ الغُلْفِ
٨) دعاهم صريخُ الحَيْنِ فاّجتمعوا له كما اجتمع الجُعلانُ للبَعَرِ القُفِّ(٢٩)
٩) يريدون إرعابَ الأميرِ جهالةً بِتَغْرِ كلابِ الحرْبِ في حشوةِ العَصْفِ(٣٠)
١٠) فما كان إلاّ أن رماهم ببعضِها فولَّوْا على أعقابِ مهزولةٍ(٣١) كُشْفِ
١١) كأن مساعيرَ الموالي عليهمُ زماميجُ(٣٢) حادتْ(٣٣) للغرانيقِ بالنَّشْفِ(٣٤)

= الأمير محمد ـ رحمه الله ـ غزاءً لأهل الشرك والاختلاف، وربما أوغل في بلاد العدوّ الستة الأشهر والأكثر يحرّق وينسف، وله وقعة وادي سليط، وهي من أمهات الوقائع، ولم يعرف بالأندلس قبلها مثلها، وفيها يقول عباس بن فرناس وشعره يكفينا من صفتها. . .

(٢١) في العقد: القبائل.
(٢٢) في البيان المغرب: ميلانه.
(٢٣) في العقد: فراقد.
(٢٤) في البيان المغرب: قراقير في يمّ عجزن عن القذفِ.
(٢٥) في البيان المغرب: وإن طحنت ارحاؤها كان قطبها. وفي العقد: وإن طحنت أركانه كان قطبها.
(٢٦) في البيان المغرب: ندْب.
(٢٧) في البيان المغرب: نفض.
(٢٨) في العقد: عَقْد. وفي البيان المغرب: حَبْلَ.
(٢٩) في العقد والبيان المغرب: للبعر في وقف.
(٣٠) سقط هذا البيت من العقد والبيان المغرب.
(٣١) في العقد: مهزومة.
(٣٢) في العقد والبيان المغرب: شواهين.
(٣٣) في العقد والبيان المغرب: جادت.
(٣٤) في العقد: بالسيف. وفي البيان المغرب: بالنسف.

١٢) بنفسي تنانينَ(٣٥) الوغى حين صمّمتْ إلى الجبلِ المشحونِ صفّاً على صفِّ

١٣) يقول ابن بلّوش (٣٦) لموسى(٣٧) وقد دنا(٣٨) أرى الموتَ قُدّامي وتحتي ومن خلْفي

١٤) قتلناهُمُ ألفاً وألفاً ومثلَها وألفاً وألفاً بعد ألف إلى ألفِ

١٥) سوى ما(٣٩) طواه النهر في مُسْلَحِبِّهِ(٤٠) فأغرقَ فيه أو تدهدَهَ(٤١) من جُرفِ

١٦) لقد نَعِمَتْ فيه غزاةُ نُسورِنا وسَمَّعَتِ الذؤبانُ قَصْفاً على قَصْفِ(٤٢)

١٧) وجارت ثنايا فيه أغير ما يدِ(٤٣) غداةَ قفلْنا من نسورِهِمُ العُجْفِ(٤٤)

التخريج : ابن عبد ربه : العقد الفريد، ٥/٢٢٠ ـ ٢٢١ ما عدا الأبيات ٩، ١٦، ١٧، ابن حيان : المقتبس (تحقيق : د. محمود مكي)، ص ٢٩٨ ـ ٣٠١؛ ابن عذاري : البيان المغرب، ٢/١١١ ـ ١١٢ ما عدا الأبيات ٩، ١٦، ١٧.

قافية القاف

(١٨)

أورد كثير من الدارسين ومحققي المصادر التي اعتمدناها في هذا البحث، أن هنالك ترجمة لعباس بن فرناس في كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م). وبعد

(٣٥) في العقد: تنانير.
(٣٦) في العقد: ابن بليوس، وفي البيان المغرب: ابن بوليش.
(٣٧) لعلّه موسى بن ذي النون (انظر / ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي) ص ٣٤١.
(٣٨) في البيان المغرب: ونى.
(٣٩) في البيان المغرب: سوى من.
(٤٠) في العقد: مستلجّه.
(٤١) في العقد: تدأداً. وفي البيان المغرب تذأذأ.
(٤٢) سقط هذا البيت من العقد والبيان المغرب.
(٤٣) علّق الدكتور محمود مكي محقق المقتبس على هذا الشطر بقوله: كذا ورد هذا الشطر في الأصل، وقد يكون: وحازت ثناياها على غير ما يدِ.
(٤٤) سقط هذا البيت من العقد والبيان المغرب.

الرجوع إلى مختلف طبعات هذا الكتاب لم أعثر إلاّ على ثلاثة أبيات ينسبها الثعالبي لشاعر سماه «عباس بن قرماس»

وقد يبدو الأمر في البداية تصحيفاً لاسم عباس بن فرناس لا سيما أن الأبيات الثلاثة واسم قائلها وردت في القسم المخصص لشعراء الأُندلس من كتاب اليتيمة، وأن الأبيات تحمل بعض السمات الفنية لشعر ابن فرناس مثل استخدام الألفاظ والمصطلحات الفلكية في مجال الغزل، ومع أن احتمال كون الأبيات الثلاثة من شعر ابن فرناس ليس بعيداً، إلاّ أن هنالك ما ينفي هذا الاحتمال، وهو تصدير الثعالبي لهذه الأبيات بقوله: «أنشدني له»، وإذا كان من غير الممكن أن ينشد عباس بن فرناس المتوفى سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م شعراً للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م، بحكم التباعد الزماني والمكاني بينهما، فإن الجزم بنسبة الأبيات إلى ابن فرناس غير جائز. وفيما يلي نص ما ورد في كتاب اليتيمة(٤٥):

عبّاس بن قرماس

أنشدني له [من الطويل]:

١) وأحْوَرَ ما يُغْفي العيونَ من العِشْقِ ... له كذبٌ في الجدّ أحلى من الصِّدْقِ

٢) وللحُسنِ في خدّيْهِ شمسٌ مقيمةٌ ... وبدرُ كمالٍ لا يحورُ إلى مَحْقِ

٣) وما العيشُ إلاّ ميتةُ الهَجْرِ والنوى ... بأحْوَرَ ما يَبْقى هواهُ ولا يُبْقِي

(١٩)

وقال عبّاس بن فرناس في كوز: [الكامل]

١) ومعمَّمٍ لم يبقَ في جُثْمانه ... إلاّ حُشاشةُ مهجةٍ لم تُزْهَقِ

٢) حَنِيَتْ على كشحيْه من بُرَحائِهِ ... عَضُدان فهو كموثَقٍ لم يُطلَقِ

---

(٤٥) الثعالبي: يتيمة الدهر، ٢/١٨.

٣) حلَّتْ عِمامةَ رأسه فتضوَّعتْ منه مفارِقُهُ بمثلِ الزَّنْبَقِ

التخريج : الكتاني : التشبيهات، ص ٩٨ .

(٢٠)

وقال عباس بن فرناس في السراب : [الكامل] :

١) يَفْلُقْنَ لجّةَ آله فأمامها حادٍ وآخرُ خلْفها لم يَلْحقِ
٢) فكأنَّ ذا موسى وذاك بإثره فرعونُ إلاّ أنه لم يَغْرَقِ

التخريج : الكتاني : التشبيهات، ص ١٧٧ .

قافية اللام

(٢١)

ونشأ بينه وبين مؤمن بن سعيد مهاجاة، فأفحش الاثنان، ومن قول ابن فرناس فيه : [الطويل] :

١) ترى أثَر الأعرادِ في جُحْرِ مؤمنٍ كآثار قضبٍ في رمادٍ مغربَلِ

التخريج : ابن سعيد الأندلسي : المغرب، ١/٣٣٣ .

(٢٢)

وقال عباس بن فرناس في انبلاج الصبح : [الطويل]

١) فبتنا وأنواعُ النعيم ابتذالنا ولا غيرَ عينيْها وعينيَ كالي
٢) إلى أن بدا وجه الصباح كأنه جبينُ فتاةٍ لاح بين حِجالِ

التخريج : الكتاني : التشبيهات، ص ٢٧ .

قافية الميم

(٢٣)

في سنة ٢٦١هـ قام عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بثورة في قرطبة سعياً للإمارة، فاستولى على حصن الحنش، وكان الأمير محمد يضربهم بالمنجنيقات، مما اضطر عبد الرحمن إلى طلب الأمان ورحل إلى بَطَلْيوس [٤٦]. «وأنشد الرازيّ[*] لعباس بن فرناس الشاعر في ذكر الحرب بقلعة الحنش ومصابرتها رجام المجانيق من شعر له في الأمير»[٤٧]:

[البسيط]:

١) يا ابن الخلائفِ من مروانَ أنْجَبَكَ ال	بيضُ الجهاضيم والغُرُّ اللهاميمُ
٢) سَخَّرْتَ للحنَشِ المرجومِ ذا جَشَشٍ	كلُّ البريّةِ............ مهزوم
٣) كأن أنفاسَهُ من سُمِّهِ لهبٌ	فكلُّ ما مَسَّ ملدوغٌ ومغشومُ
٤) ما قلعةُ الحَنَشِ المرجومُ	لجحفلٍ حرجَتْ عنه الدياميمُ
٥) كاليمّ تسمعُ في حافاتِه قَصَفاً	من كلِّ أوبٍ له كالرعد هينومُ
٦) كأنما بين لُجيْه وقد درَجَت	سفينةٌ عَطِبَتْ في جَوْفِها رومُ
٧) لله من ذلّت الدنيا لصولته	ومن له الدهْرَ أعلى الفتحِ مقسومُ

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.

(٢٤)

«وغنّى أبو الحسن زريابُ يوماً بين يديْ الأمير عبد الرحمن بن

---

(٤٦) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٤٣ - ٣٥٦.

(*) سلفت الترجمة له.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين، وهما لأبي العتاهية: [الكامل]

قالت ظلومُ سَمِيّةُ الظُّلم ... مالي رأيتك ناحلَ الجسمِ
يا مَنْ رأى قلبي فأقصَدَهُ ... أنت الخبيرُ بموقع السهْمِ

فقال عبد الرحمن: هذان البيتان منقطعان، فلو كان بينهما ما يصلهما لكان أبدع، فصنع عبيد الله بن فرناس(٤٨) بديهاً: [الكامل].

١) فأجبتُها والدمعُ مُنْحَدِرٌ ... مثل الجُمانِ وهى من النَّظْمِ

فاستحسنه وأمر له بجائزة».

التخريج: المقّري: نفح الطيب، ٣/٦١٥.

(٢٥)

قال عبّاس بن فرناس في الطرْد: [الرجز]:

١) قدْ أغتدي والليلُ مركومُ الظُّلَمْ ... والصُبْحُ في ثِنْي الظلام مُكْتَتَمْ
٢) بأغضفٍ مُعَلَّمٍ أو قد عَلِمْ ... كأن شقَّ الشدقِ مِنْ فيه القَضِمْ
٣) كافُ أُجيدَ مَطُّها في حُسنٍ ضَمّ ... حتى إذا كنّا على ظهرِ إضَمْ(٤٩)
٤) عَنَّتْ لنا أرنبُ من نحوِ سَلَمْ(٥٠) ... فثارَ منها الكلبُ كالصقْرِ الشهِمْ
٥) حتى إذا ما كان منها في الأَمَمْ ... بينهما في الفوْتِ مقدارُ القَدَمْ
٦) جادت له بعطفةٍ لم تُتَّهَمْ ... كما انثنى في رَجْعِهِ مشقُ القَلَمْ

التخريج: الكتاني: التشبيهات، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

---

(٤٨) هكذا ورد الاسم في نفح الطيب للمقري، وجميع المعطيات في هذه الرواية تنطبق على عباس بن فرناس، ولا أستبعد وقوع تصحيف في الاسم.
(٤٩) إضَم اسم موضع، وهو وادٍ دون المدينة (الحميري: الروض المعطار، ص ٤٥ وفي لسان العرب أنه جبل).
(٥٠) السلم: شجر ومفردها سلمة (لسان العرب: سلم).

قافية النون

(٢٦)

ولعباس بن فرناسٍ في ذلك(٥١) أيضاً من كلمة : [البسيط] :

١) محمـدُ خيـرُ مُسْتَـرْعىً ومُؤْتَمنٍ	للمسلمين جميعـاً حيثُمـا كـانـوا
٢) بنى لهم مسجـداً جلّتْ عجـائِبُـهُ	لـولا السمـاءُ لمـا ضـاهـاه بُنْيـانُ
٣) كـذا يكـون الإمـامُ المرتضى أبـداً	أقـوى صبـابـاتِـهِ تقـوى وإيمـانُ

التخريج : ابن حيـان : المقتبس (تحقيق : د. محمود مكي)، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٢٧)

ومنها صوت(٥٢) [المنسرح] :

١) يـا مَنْ لِصَبٍّ يـظلُّ محـزونـا	بـشـادنٍ مـا يـزالُ مـكـنـونـا
٢) صِبْغَتُهُ .... فما	ينفـك من يصـطفيـه مفتـونـا
٣) هواه	.... السماء محزونا

التخريج : ابن حيّان : المقتبس (تحقيق : د. محمود مكي)، ص ٢٨٦ .

(٢٨)

في سنة ٢٥٩هـ حقق الأمير محمد مجموعة انتصارات في طليطلة

---

(٥١) مناسبة هذه المقطوعة هي الزيادة التي زادها الأمير محمد بن عبد الرحمن في المسجد الجامع في قرطبة وزخرفة ذلك الجامع وصلاته فيه ومثول الشعراء بعد خروجه إلى قصره ومنهم عباس بن فرناس ومؤمن بن سعيد وغيرهما (انظر خبر هذه الزيادة في المقتبس لابن حيان (تحقيق : د. محمود مكي)، ص ٢١٩ ـ ٢٢٣ .

(٥٢) من المقطوعات التي نظمها ابن فرناس في مدح الأمير محمد لكي تلحنها جواري الأمير وتغنيها له مقابل صلة يدفعها الأمير لابن فرناس (ابن حيّان : المقتبس (تحقيق : د. محمود مكي)، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

وطلبيرة وبنبلونة(٥٣) ولعبّاس بن فرناس كبير الجماعة في تهنئة الأمير محمد لقفوله عن غزوته هذه وذكر اقترانه بحضور عيد الفطر من سنته قصيدة حسنة أولها»(٥٤) [البسيط]:

١) إنَّ القفولَ الذي أوفى بِعيدَيْنِ — مكرَّمَيْنِ على الدنيا عزيزَيْنِ
٢) قدومُ أكرمِ مَنْ في الأرضِ قاطبةً — قدومُ فطْرٍ، فكانا خيرَ عيدَيْنِ
٣) طابا كتفاحتَيْ خدَّيْ منعّمةٍ — تورّدا في بياضٍ بين صُدْغَيْنِ
٤) مُعَقْرَبَيْنِ كنونَيْ كاتبٍ نُقِطا — فقابلا من مِدادِ المسكِ راءين
٥) أو مقلتَيْ رشأٍ في طَرْفِهِ حَوَرٌ — مكحولتَيْنِ بسحرِ البابليّينِ(٥٥)
٦) او كاجتماعِ الهوى والوصلِ في قَرَنٍ — لعاشقٍ حار بَيْنَ الهَجْرِ والبَيْنِ
٧) دلّ اجتماعُهُما في الأربعاءِ على — هلاكِ سبطَيْنِ من أهلِ الكتابيْنِ
٨) من العباشمةِ الغرِّ الألى كرهوا — فيما شرى اللهُ بيْعَ النقْدِ بالدَّيْنِ

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٢٩)

[وقال(٥٦): [الكامل]

١) قد تمّ ما حمّلتني من آلةٍ — أعيا الفلاسفةَ الجهابذَ دوني
٢) لو كان بطليموسُ أُلْهِمَ صنعةً — لم ليثقّل(٥٧) بجداول القانونِ

(٥٣) ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٢٩ - ٣٣٨.
(٥٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٨ - ٣٣٩.
(٥٥) البابليّان هما السحر والخمر وينسبان إلى بابل.
(٥٦) ذكر محمد عبد الله عنان أنّه قرأ هذه الأبيات في نسخة مخطوطة من كتاب المقتبس لابن حيّان، وذكر أن ابن فرناس بعث بهذه الأبيات برفقة الآلة المسماة ذات الحلق التي رفعها إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم.
(٥٧) كذا في كتاب تراجم إسلامية، وتقديري أنها: يثْقلْ.

٣) فـإذا رأتْـه الـشمسُ فـي آفـاقهـا ... بـعـثـتْ إليـه بـنـورِهـا الـمـوزونِ
٤) ومنـازل القمـر التي حجبت معـاً ... دون الـعـيـون بـكـلِّ طـالـع حـيـن
٥) يبـدون فيها بـالنهار كمـا بـدت ... بـالـليـل فـي ظـلـماتـهـنَّ الـجـون

التخريج : عنان : تراجم إسلامية ، ص ٢٦٧ .

قافية الهاء

(٣٠)

ومن ذلك [الخفيف] :

١) إن تـلـك الـتـي أحـنُّ إلـيـهـا ... وعــذابي وراحتـي فـي يـديْـهـا
٢) نَـظَرَ الناسُ في الهـلال لفـطْرٍ ... فـتبـدّت فـأفـطروا إذْ رأوْهـا
٣) ذاك في سبعـةٍ وعشرين يـوماً ... فـذنـوبُ العبـادِ طُـرّاً عليهـا
٤) ولحيْني بـانَتْ ولم تشْفِ قلباً ... مُسْتهـاماً يـطير شـوقاً إليهـا

التخريج : الصفدي : الوافي بالوفيات، ١٦/ ٦٦٨.

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ ابن الأبّار، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م):
التكملة لكتاب الصلة ٢ج، عني بنشره وصحّحه ووقف على طبعه السيّد عزّت العطّار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

٢ ـ ابن الأبّار:
الحلة السيراء ٢ ج، حقّقه وعلّق حواشيه الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.

٣ ـ ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمّد (ت ٥٧٧هـ/ ١١٨١م):
نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، قام بتحقيقه الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء ـ الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤ ـ الأوسي، الدكتور حكمة علي:
مظهران من مظاهر الأصالة المبكّرة في الفكر العربي، بحث قدّمه في مؤتمر الحضارة الأندلسية الذي عقد في القاهرة في شهر آذار ١٩٨٥م.

٥ ـ ابن بسّام، أبو الحسن عليّ بن بسّام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٨م):
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٤ أقسام في ٨ مجلدات)، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦ ـ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م):
كتاب الصلة ٢ ج، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

٧ ـ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م):
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٥ ج، شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨ ـ الجرّاري، عبد الله بن العبّاس.
تقدّم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيّتهم لأوروبا، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٩ ـ حميد، الدكتور بدير متولّي:
قضايا أندلسية، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

١٠ ـ الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م):
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

١١ ـ الحميري، محمد بن عبد المنعم:
كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، حقّقه الدكتور إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.

١٢ ـ ابن حيّان، أبو مروان حيّان بن خلف بن حيّان (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م):
ـ كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق الأب ملشور م. أنطونية، باريس، ١٩٣٧م.
ـ المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حقّقه وقدّم له الدكتور محمود علي مكّي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٣ ـ ابن خلّكان، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٣م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ ج، حقّقه الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٤ ـ **الزبيدي**، أبو بكر محمّد بن الحسن الأندلسي (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م):
طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣م.

١٥ ـ **ابن سعيد الأندلسي**، علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٨م):
المُغرب في حُلي المَغرب ٢ ج، حقّقه وعلّق عليه الدكتور شوقي ضيف، طبعة ثانية منقّحة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

١٦ ـ **السيوطي**، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢ ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٧ ـ **شلبي**، الدكتور سعد إسماعيل:
الأصول الفنّية للشعر الأندلسي (عصر الإمارة)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٨ ـ **الصفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):
كتاب الوافي بالوفيات:
ـ الجزء الثالث عشر، باعتناء محمّد الحجيري، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
ـ الجزء السادس عشر، باعتناء وداد القاضي، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
ـ الجزء الثامن عشر، باعتناء أيمن فؤاد سيّد، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن ـ شتوتغارت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٩ ـ **الضبّي**، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م):

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهـل الأندلس، دار الكـاتب العربي، ١٩٦٧م.

٢٠ ـ **عبّاس**، الدكتور إحسان:

تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيـادة قرطبـة)، طبعة ثـانية منقحـة مزيدة، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، ١٩٦٩م.

٢١ ـ **ابن عبد ربّه**، أحمد بن محمّد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م):
العقد الفريد ٨ ج، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

٢٢ ـ **ابن عذاري المراكشي**:
كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٤ ج، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت.

٢٣ ـ **عنان**، محمد عبد الله:
تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، الطبعة الثانيـة، مكتبة الخـانجي، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٢٤ ـ **ابن الفرضي**، أبو الوليد عبدالله بن محمّد بن يوسف الأزدي الحافظ (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م):
تاريخ علماء الأندلس ٢ ج، الدارالمصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

٢٥ ـ **الفيروز آبادي**، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م):
البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، حقّقه محمد المصري، منشورات مركز المخطوطات والتـراث، الكويت، الـطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٦ ـ **القفـطي**، جمـال الـدين أبـو الحسن عـلي بن يـوسف (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م):
إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤ ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار

الفكر العربي ـ القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٧ ـ الكتّاني، أبو عبد الله محمد بن الكتّاني الطبيب (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م):
كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، ١٩٦٦م.

٢٨ ـ الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):
فوات الوفيات والذيل عليها ٥ ج، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

٢٩ ـ لسان الدين بن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م):
تاريخ إسبانيا الإسلامية أو أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.

٣٠ ـ المقّري، الشيخ أبو العبّاس أحمد بن محمد المقّري التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م):
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٨ ج، حققه الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٣١ ـ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):
معجم البلدان ٥ ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الوجدان الجماعي في الشعر الجاهلي

للدكتور عبد الغني زيتوني
مدرس الأدب القديم بجامعة حلب

إنّ مجتمع القبيلة في العصر الجاهلي، بعلاقاته ونظمه وعاداته وأعرافه، هو المجتمع الذي يولد فيه العربي، ثم ينشأ متشرّبا نظمه وعاداته وأعرافه التي تبنى على دعامة أساسية هي النسب. وحينما يفتح الفرد عينيه على ما حوله يجد أنّ كل امرىء في قبيلته يتغنّى بانتمائه، ويعتدّ بأرومته، بدءاً من والده وإخوته، وانتهاءً إلى رهطه وعشيرته، فجنسيته جنسية القبيلة المنحدر منها، و«هويته» التي يحملها دائما، في حله وترحاله، اسم قبيلته، ذلك الاسم الذي يميزه بين أفراد القبائل الأخرى، والذي يعصمه أن يتيه بينهم.

فلا غرابة بعد ذلك أن نجد الشعر الجاهلي يبرز الإنسان العربي متعصبا لقبيلته أشد التعصب، ملتحما بها ألصق الالتحام، لأنه يعي ويدرك أن وجوده، مرتبط بوجودها، وفناءه مقرون بفنائها. ولا أدعى لهذه العصبية، وهذا الالتحام من شعوره بوحدة النسب، أي وحدة الدم التي تربطه بأفراد

القبيلة جميعا، والتي تجعله يحس أنه عضو في جسم القبيلة، يصيبه ما يصيب القبيلة، فيفرح لفرحها، ويحزن لحزنها، ويظعن لظعنها، وينزل لنزولها، وإذا أُغير عليها هبّ لنجدتها، ذائداً عن حياضها، وشعاره صيحات قوية تعلن انتسابه إليها، وإذا اعتدي على فرد منها انطلق إلى الثأر من القبيلة المعتدية. وفضلاً عن ذلك كله فإنه ينقاد لسيدها، ويخضع لما تمليه عليه نظمها وأعرافها.

فالنزعة العصبية تعني تمسك العربي بنسب قبيلته تمسكا شديدا، وخضوعه التام لشريعة القبيلة. وهذه العصبية هي التي تهب الأفراد القوة والتآزر في مواجهة الأعداء. وقد ألمح ابن خلدون إلى هذا الأمر في قوله: «ولا يصدقُ دفاعُهم وذيادُهم إلاّ إذا كانوا عصبيةً وأهل نسبٍ واحدٍ، لأنهم بذلك تشتدّ شوكتهم، ويُخشى جانبهم، إذْ نُعْرَةُ كلٍّ أحد على نسبه وعصبيته أهمّ، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنُّعْرَة على ذوي أرحامهم وقرباهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر، وتعظم رهبةُ العدوِّ لهم»(١).

١ ـ الالتزام القبلي:

لا غرو، بعد أن عرفنا مدى عصبية الفرد، أن يقف الإنسان العربي موقف الملتزم بقضايا القبيلة وحقوقها وواجباتها، لا يكاد يخرج عن هذا الالتزام. ولمّا كان الشاعر فردا من أفراد القبيلة فقد اتخذ الموقف نفسه، بل إنه تحمل أعباء أكثر، لما له من أهمية في الحياة الجاهلية، لذلك حمل لواء الشعر مدافعا عن قبيلته أشد الدفاع، ومفتخرا بمآثرها وأمجادها أعظم الافتخار. وإذا كانت المهمة التي يقوم بها الشاعر، في أي مجتمع كان، هي الكشف عن العقلية المنتشرة في ذلك المجتمع، إذ يشعر بها ويعبر عنها(٢)، فإن هذه المهمة تنطبق تماما على ما قام به الشاعر الجاهلي، فقد جعل من شعره مرآة صادقة تعكس قضايا القبيلة في حالتَي الحرب والسلم، فضلا عن وقوفه مع قبيلته، مدفوعاً بنزعته العصبية تجاهها، فإذا هو يرى أنّ نسبها أشرف

الأنساب، وأنّ شجاعتها ما بعدها شجاعة، وأن فضائلها وخلالها الحميدة تربو على ما عداها من فضائل القبائل الأخرى وخلالها.

وتلك الرؤية ليست قصراً على الشاعر وإنما يشترك فيها معظم أفراد القبيلة، وما الشاعر إلاّ لسان حال القبيلة، يعبر في شعره عن انفعالات أفرادها وأحاسيسهم وطموحاتهم، فينقلها إلى الآخرين، فشعره لا يعكس شعورا ذاتيا فقط، وإنما يعكس شعور جماعته أيضا.

وهكذا نجد في كثير من الشعر الجاهلي ذلك التعبير عن طغيان الروح الجماعية على الإنسان العربي، وقد جُلّيت هذه الروح في نزعته العصبية التي جعلته لا يكاد يخرج عن مجتمع القبيلة والالتزام به؛ ذلك أن الفرد في القبيلة عليه أن يتبعها في أمورها كلها سواء أكانت مصيبة أم مخطئة، فما تقرره هو القرار النافذ الذي لا ينبغي لأحد أن يخرج عليه، على الرغم من ظهور فساده أحيانا. وقد عبّر عن مثل ذلك الموقف دُرَيد بن الصِّمَّة حين قال(٣):

أمــرتُهمُ أمـري بمُنْعَــرَجِ اللِّوى ... فلم يستبينوا الرُّشدُ إلاّ ضحى الغدِ
فلما عَصَوني كنتُ منهمُ، وقد أرى ... غَـوَايَتَهمْ وأنّني غيـرُ مُـهْتَـدي
ومـا أنـا إلاَّ من غَـزِيَّـةَ إن غَـوَتْ ... غَـوَيْتُ وإنْ تَرْشُـدْ غَـزِيَّـةُ أَرْشُـدِ

إذنْ فثمة مصير واحد لجميع أفراد القبيلة، والالتزام بها يحتّم على العربي أن يكون مع قومه في السراء والضـراء. وقد تحـول تمسك الفـرد بمصير القبيلة إلى أسطورة يتناقلها العرب جيلا بعد جيل عن وفد عاد، حين خُيِّروا من السماء، وكانوا ثلاثة، فاختار اثنان منهم ما يحقق آمالهما، أما الثالث، وهو قَيْل بن عَتْر، فقال: «أختار أن يُصيبني ما أصاب قومي، فقيل: إنه الهلاك. قال: لا أُبالي؛ لا حاجة لي في البقاء بعدهم»، فـأصابـه ما أصاب عاداً من العذاب فهلك»(٤).

إنَّ من أهم مظاهر نزوع الفرد نحو قبيلته، كما يبدو من الشعر، حرصَه الشديد على النسب والاعتزازَ به، ولـم لا؟ وهو أقوى صلة تربطه بقـومه،

وتشد أواصر العصبية معهم. فلا غرابة بعد ذلك أن يطمح إلى أن يجعل نسبه في الذروة من الشرف والرفعة، وأن يجعل الأجداد والآباء الذين ينتمون إليه في مقام السادة العظماء. ونجد صدى ذلك في قول معاوية بن مالك(٥):

إنّي امــرؤٌ من عُصْبَــةٍ مشهــورةٍ ... حُشُــدٍ لهم مَجْــدٌ أَشَــمُّ تَلِيــدُ
ألفَــوا أبــاهم سيــداً وأعــانهم ... كــرمٌ وأعــمــامٌ لــهــم وجُــدودُ
إذْ كــلُّ حــيٍّ نــابِتٌ بــأَرُومَةٍ ... نَبْتَ العَضَــاهِ فَمَاجِــدٌ وكَبِيــدُ
وإذا نــوافــق جُــرأَةً أو نــجــدةً ... كنــا، سُمَيٌّ، بهــا العــدوَّ نَكِيــدُ

فالشاعر يؤكد انتماءه إلى قومه الذين يشكلون عصبة قوية ملتحمة الأطراف، تشمخ متطاولة بأمجادها نحو السماء، قد رعاها الآباء والأعمام والأجداد حتى جعلوها كشجرة وارفة الظلال تنضح عبيرا فواحا من المجد والسيادة، وتقف صامدة راسخة أمام زعزعة الرياح، لِما لها من قوة الأغصان وصلابة الفروع.

وعلى هذه الشاكلة ينزع سلامة بن جَنْدل السَّعْديُّ إلى الفخر بانتسابه إلى قومه الذين يجمعون إلى شرف المحتد شجاعة في القتال، ورأيا صائبا في حل قضايا القبيلة، وإحلال الوفاق والوئام بين أفرادها(٦):

إنّي امــرؤٌ من عُصْبَــةٍ سَعْــدِيَّــةٍ ... ذَرْبَى الأَسِنَّةِ كــلَّ يــوم تــلاقي
لا ينــظرون إذا الكتيبــةُ أَحْجَمَتْ ... نَـظَرَ الجمــالِ كُـرِبْنَ بــالأوســاقِ
يَكْفُــونَ غــائِبهم ويُقضَىٰ أَمْــرُهُم ... في غيــر نَقْصٍ منــهمُ وشِــقَــاقِ
والخيــلُ تعلم من يَبُــلُّ نحورَهــا ... بــدمٍ كمــاءِ العَنْــدَمِ المُهَــراقِ

وشبيه بذلك أيضا فخـر الأعشى بعصبيته القَيْسِيَّة، ويشبابهـا الذين يفـوقون الآخـرين شجاعـة وجمالاً، فضـلا عن اتصافهم بـالأنفـة والعـزة والكرم(٧).

إن اعتزاز الإنسان العربي بنسبه جعله يغلـو في بعض الأحيان، فلا يرى نسبا يضاهي نسب قبيلته نبلا وشرفا، ولا يرضى أن يتطاول أحد من

القبائل الأخرى، فيظن نفسه أعلى نسبا وأشرف أرومة، وما الرواية الآتية إلا صورة واضحة لذلك الغلوّ.

فقد ورد أن بدر بن مَعْشَر من بني مُدرِكَة وقف في الجاهلية، بسوق عُكاظ، يفخر بنسبه، ويقول:

نحن بنــو مُــدْرِكَــةِ بنِ خِنْــدِفْ   من يَـطْعُنـوا في عينـه لم يَـطْرِفْ
ومَنْ يكــونـوا قَــوْمَــهُ يُغَـطْرِفْ   كــأنــه لُـجَّـةُ بَـحْــرٍ مُـسْــدِفْ

ثم مـدَّ رِجله، وقـال: «أنـا أعـزُّ العـربِ، فمَنْ زعم أنـه أعـزُّ مني فليضربها». فلم يطق الأحمرُ بن مازن الهَوازِنيّ عنجهيتَه ورفعَ نسب قبيلته فوق أنساب القبائل الأخرى، فاستل سيف، وضرب رجله، فأندرها من الركبة، غير مبالٍ بحرمة الشهر الحرام وقد كاد الشر يستفحل بين قبيلتي الرجلين، لولا أنهم جنحوا إلى الصلح فيما بينهم.

وقد سجل الأحمر تلك الحادثة في شعره، فقال(٨):

إنّي وسيفِي حليفـا كـلِّ داهيـةٍ   من الـدَّواهي التي بالعَمْـد أَجْنِيها
إنّي نَقِمْتُ عليه الفخرَ حين دعـا   جَهْـراً وأبـرز عن رِجْـل يُعَـرِّيهـا
ضـربتُهـا آنفـا إذْ مـدَّهــا بَـطِراً   وقلتُ دونَكَهـا، خُذْها بمـا فيهـا
لمَّــا رأى رِجله بـانتْ بــركبتهـا   أَوْمَى إلى رِجْلِه الأخـرى يُفَـدِّيهـا

وتلك، لا شك، صورة للغلوّ الشديد في التعصب القبلي، ولم تكن هي الصورة السائدة في العصر الجاهلي؛ إذ لكل قبيلة مكانتها في مدارج النسب والشرف، تعرفها لها القبائل الأخرى وتضعها موضعها فيها. أمّا إذا حدث، أحيانا، إفراط من فرد ينتمي إلى قبيلة ما، فإن إفراطاً آخر يقابله من الطرف الآخر على الأغلب، وتكون عاقبته شبيهة بما حدث لساق بدر بن معشر بسوق عُكاظ.

لقد نهل الإنسان العربي من حب قبيلته حتى غدا لا يلهج إلاّ بذكرها، وفي كثير من الأحيان لم يكن يرى في قبيلته إلاّ نموذجا مثاليا للكمال والرفعة

والسؤدد؛ فإذا هو ينحت لها تمثالا بديعا يجمع فيه أفضل الصفات الخَلْقية والخُلُقية.

وليس أدل على ذلك الحب من معلقة عمرو بن كلثوم التي لم يدع فيها فضيلة من الفضائل إلاّ جعلها لصيقة بقومه بني تغلب، ولا صفة من صفات البطولة إلاّ أسبغها عليهم. ولم يكتف بذلك فقد تضخمت في نفسه تلك الفضائل والصفات حتى فاضت في قوله(٩):

لنا الدنيا ومَنْ أضحى عليها ... ونبطِشُ حين نبطِشُ قادرينا
إذا بلغَ الفِطامَ لنا صبيٌّ ... تَخِرُّ له الجبابِرُ ساجدينا
ملأنا البَرَّ حتّى ضاق عنّا ... وظهرَ البحرِ نملؤه سفينا

إنَّ نفس الشاعر قد امتلأت بعظمة القبيلة حتى ذابت فيها ذوبانا تاما، فلم تعد تعبّر إلاّ بلسانها، وغابت «أنا» الشاعر لتحلّ محلها «نحن» القبيلة، وظهر ذلك واضحا في استخدام ضمائر الجمع في الأفعال والأسماء، ولم يقتصر استخدامها على الأبيات السابقة، وإنما شمل أكثر أبيات المعلقة. فلم يعد مستغربا، بعد أن استحوذت القبيلة على كيان الشاعر، أن نراه يجعلها مالكة الدنيا، ومسيطِرة على مَنْ فيها من القبائل.

وقد نهج الشاعر عامر المُحَاربيّ نهجا مماثلا تجاه قبيلته؛ إذ جعله التزامه نحوها ينطلق إلى رفعها إلى مكانة عالية من الشجاعة في القتال، وإلى الذّروة الشامخة من السيادة والمهابة(١٠):

أولئك قومي إنْ يَلُذْ ببيوتهم ... أخو حَدَث يوماً فلن يَتَهَضَّمَا
وكمْ فيهمُ من سيّدٍ ذي مَهابَةٍ ... يُهاب إذا ما رائدُ الحربِ أضْرَمَا
لنا العِزَّةُ القَعْساءُ نَخْتَطِم العِدَى ... بها ثم نَسْتَعْصِي بِها أنْ نُخَطَّمَا
هُمُ يَطِئُون الأرضَ لولاهمُ ارتمتْ ... بِمَنْ فوقَها من ذي بَيانٍ وأعجما

إن طغيان الروح الجماعية على الشاعر والتزامه القبلي جعلاه لا يرى في الوجود غير قبيلته، فهي المحور الذي تدور عليه حياة الآخرين، فإذا ما

زالت انتهت الحياة بمن فيها، ومن هنا نجد أن حياة الشاعر قد اندمجت في حياة القبيلة وغدت حياة واحدة، لأنه ربط ربطا سببيا بين وجوده ووجودها، فأيّ وجود ينتهي فإن الوجود الآخر ينتهي أيضا، فهي عِلّة الحياة وعِلّة الوجود ولولاها لما كانت حياة ولما كان وجود.

وهكذا أوضح لنا الشعر جليّاً التزام الإنسان العربي بقبيلته؛ فقد ظهر ذلك الالتزام في خضوعه التام لها، وفي فخره بالانتماء إلى نسبها، وفي رؤيته المثالية لمآثرها وأمجادها. وسنجد أن نزعته العصبية جعلته أيضاً ينقاد لسيدها انقيادا تاما، ويرفع من مكانته إلى أعلى المراتب.

٢ ـ سيد القبيلة:

إن نزوع الفرد نحو قبيلته وميله المفرط تجاهها دفعاه إلى أن يرى في سيدها المثل الأعلى، وأن يرى في صفاته صفات فريدة تميّزه من سائر الأفراد الآخرين؛ إذ إن قضايا القبيلة وواجباتها نحو أفرادها، ونحو القبائل الأخرى كثيرة ومختلفة، فكان لا بد لرئيسها أن يتحمل عبء القيام بالتوجيه والإرشاد وحمل المسؤولية أمام مجتمع القبيلة، الذي يعيش، غالبا، حياة غير مستقرة في مواجهة طبيعة قاسية، تجبره على التنقل والارتحال، وفي مواجهة أعداء أولي بأس وقوة يجبرونه على التيقظ والحذر.

وذلك كله جعل الإنسانَ العربي يطلب في سيده خلالا وشمائل كثيرة، تخوّله قيادة القبيلة في تلك الحياة الشاقة. وقد أمدتنا الروايات والنصوص الشعرية بمعظم صفات الرئاسة، مما يجعلنا نكوّن رؤية واضحة لسيد القبيلة. فقد ورد أن أهل الجاهلية كانوا: «لا يُسوِّدون إلاّ من تكاملت فيه ستّ خصال، السخاء، والنجدة، والصبر، والحِلم، والتواضع، والبيان»(١١). كما ورد: «أنه قيل لقيس بن عاصم: بِمَ سُدْتَ قومك؟ قال: ببذل الندى، وكفّ الأذى، ونُصْرة المولى، وتعجيل القِرى»(١٢).

وفضلا عن تلك الصفات لا بد لسيد القبيلة من أن يتحلّى بالعقل والرأي الصائب، وأن يكون ذا حيلة وفطنة للتخلص من المعضلات في

الحرب والسلم. كما لا بد له من أن يكون شجاعا مقداما مُلِمّاً بفنون القتال وقيادة المعارك، يمتلك جسما قويا قادرا على الصبر والتحمل في الشدائد، وهذا ما وُصِفَ به عامر بن الطفيل، سيد قبيلة جعفر بن كِلاب، إذ قيل عنه: «كان لا يَضَلُّ حتى يَضَلَّ النَّجمُ، ولا يعطش حتى يعطشَ البعيرُ، ولا يهابُ حتى يَهابَ السَّيلُ، كان، والله، خيرَ ما يكون حين لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيراً»(١٣).

وذهب قسم من الشعراء إلى أن الرأي الحكيم والشجاعة الفائقة هما أهم ما يتطلبه الفرد في قائد قبيلته ورئيسها، وآية ذلك أنه حينما علم لَقِيط بن يَعْمُرٍ الإيادي بحشد كسرى جيوشه للإغارة على قومه بعث إليهم شعرا يحذِّرهم فيه، ويطلب منهم أن يتخيَّروا قائدا يتصف بصفات السيادة، وفي مقدمتها شجاعة القتال وحنكة التفكير(١٤):

فقلِّدوا أَمركم، للهِ دَرُّكُمْ ... رَحْبَ الذِّراعِ بأمر الحرب مُضْطَلِعا
لا مُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العيشِ ساعدَهُ ... ولا إذا عضَّ مكروهٌ به خَشَعا
مُسَهَّدَ النوم تَعْنيه ثُغُورُكُمُ ... يَرومُ منها إلى الأعداءِ مُطَّلَعا
ما انفكَّ يحلب دَرَّ الدَّهرِ أَشْطُرَهُ ... يكون مُتَّبَعاً طَورا ومُتَّبِعَا
وليس يشغُلُه مالٌ يُثَمِّرُهُ ... عنكم ولا ولدٌ يَبْغي له الرِّفَعَا
حتَّى استمرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرتُهُ ... مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لا قَحْما ولا ضَرَعَا

فالقائد الذي يطلبه لقيط يتصف بالشجاعة ومعرفة فنون الحرب، والرأي الحكيم، والخبرة التامة بحلو الحياة ومرها، همه أمن القبيلة والمحافظة عليها، كما يفضل أن يكون قوي الجسد متين البنية، تام الرجولة، فلا هو شيخ كبير ولا هو حدث صغير.

ويبيِّنُ لنا الشعر أن مهام سيد القبيلة تتعدى القيادة والتوجيه إلى تكفّله، في أكثر الأحيان، بسد عوز الفقراء من أفراد قومه، وغالبا ما يكون له بيت خاص يأتون إليه فيجدون فيه ما يقضي حوائجهم، ويشبع بطونهم كما يرتاده

أيضا الأضياف وعابرو السبيل، فيلقون فيه الطعام والمأوى. ذلك أن سجية الكرم والجود والعطاء من أبرز الصفات التي ينبغي أن تكون في سيد القبيلة، وقد رأينا أن قيس بن عاصم افتخر بأنها هي التي جعلته سيد قومه. كما وجدها الأعشى أظهر خصال قيس بن معد يكرب سيد كِنْدة حين مدحه، فقال[١٥]:

وسعى لِكنْدَةَ، غيرَ سَعْيِ مُوَاكِلٍ، ... قَيسٌ، فَضَرَّ عدوَّها وبَنَى لها
وأهانَ صالحَ مالِه لفَقيرِها ... وأسَى، وأصلحَ بينها، وسعى لها
وتَرى له ضُرّاً على أعدائِه ... وتَرى لنعمتِه على مَنْ نالَها
أثراً من الخيرِ المُزَيِّنِ أهلَه ... كالغيثِ صابَ ببلدةٍ فأسالَها

وفضلا عن ذلك فإن سيد القبيلة كان يقوم، غالبا، باحتمال الديات عن أفراد قومه، إذا لم يقدروا على دفعها، وقد ورد أن رئيس القبيلة إنما قيل له: «السيد المُعَمَّم» لأن كل جناية يرتكبها رجل من عشيرته تكون معصوبة برأسه، كما تعصب به العِمامة[١٦]. ومعروف أن هَرِم بن سنان والحارث بن عَوف سيدَيْ بني مُرَّة قد حملا الديات بغية إنهاء الحرب بين عبس وذبيان، مما جعل زهير بن أبي سلمى يمدح صنيعهما في معلقته، وذلك في قولِه[١٧]:

يميناً لنعم السيدانِ وُجِدْتُما ... على كل حالٍ من سَحِيلٍ ومُبْرَمِ
تداركتما عبسا وذبيانَ بعدما ... تَفَانَوا ودَقُّوا بينهم عِطرَ مَنْشَمِ
وقد قلتما: إنْ نُدرِكِ السِّلمَ واسعا ... بمالٍ ومعروفٍ من القول نَسْلَمِ
وأصبح يُحدَى فيهمُ من تِلادِكم ... مغانِمُ شَتَّى من إفالٍ مُزَنَّمِ
تعفَّى الكلومُ بالمِئينَ فأصبحتْ ... يُنَجِّمُها من ليس فيها بمُجْرِمِ
يُنَجِّمُها قومٌ لقومٍ غرامةً ... ولم يُهَرِيقوا بينهم مِلءَ مِحْجَمِ

ويبدو أن كثرة تلك الأعباء المالية التي يتحملها سيد القوم كانت دافعا كبيرا حدا بالعربي أن يخصه بامتيازات وحقوق تفوق امتيازاته وحقوقه هو، ومن ذلك ما يفرد له من الغنائم، كالمِرباع والنَّشيطة والصَّفايا والفُضُول.

فأما المِرباع فهو ربع الغنيمة، وأما النشيطة فإنه كان للرئيس أن يَنْشِطَ،

عند قسمة المتاع، العِلْقَ النفيس فيأخذه، وأما الصفايا فهو ما يصطفيه لنفسه من الغنيمة قبل القسمة، وأما الفُضُول فهو ما فَضَل عن القسمة بعد توزيع الغنائم. وقد ذكر تلك الحقوق جميعها عبد الله بن عَنَمَة في رثائه لِبسطام بن قيس، سيد بني شيبان(١٨):

لـك المِربـاعُ منهـا والصَّفـايـا ... وحُكْمُـكَ والنَّشيطةُ والفُضُـولُ

هذا عدا عن التقدير والتجلّة والاحترام التي يبديها الإنسان العربي لسيد القبيلة، فضلا عن الطاعة والخضوع لتوجيهه وإرشاده، فقوله القول الفصل في حل النزاعات والخلافات بين أفراد القبيلة وفروعها. ولعل في قول ابن خلدون الآتي في مشايخ البدو ما يصدق كثيرا على سادة القبائل في العصر الجاهلي: «وأمّا أحياء البدو فيزعُ بعضَهم عن بعض مشايخُهم وكبراؤهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتَّجِلَّة»(١٩).

ويبدو من الشعر أن سعي سيد القوم في حلّ الخلافات لا يقتصر على قبيلته نفسها، وإنما قد تأتي إليه قبائل أخرى تحكّمه في خصوماتها، كما جرى لقبيلتي عبس وذبيان، حين وقع الشر بينهما وأرادتا الصلح، فطلبتا من سُبَيْع التغلبيّ، وهو سيد تغلب، أن يحكم بينهما. وقد أرسل إليه سَلَمة بن الخُرْشُب الأنماريّ شعرا، يسأله فيه أن يعدل في الحكم، فلا ينحاز إلى أحد الطرفين، شأن سيد القبيلة المنصف(٢٠):

أبلغْ سُبَيْعـاً، وأنـت سيـدُنـا ... قِـدْمـاً، وأوفى رجـالِنـا ذِمَمـا
أنَّ بَـغِيـضـاً وأَنَّ إخـوتَـهـا ... ذُبيانَ قد ضَـرَّموا الـذي اضْطَرَمـا
نُبِّئْتُ أنْ حكَّمـوك بـينهـمُ ... فـلا يقـولُنَّ بئسَ مـا حَكَمَـا
إنْ كـنـتَ ذا خِـبـرةٍ بشـأنهمُ ... تـعـرفُ ذا حـقِّهـم ومَـنْ ظَلَمَا
وتُـنـزلُ الأمـرَ في مـنـازلـه ... حُكْـماً وعلما وتُحْضِـرُ الـفَـهَمَا
فـاحكُمْ، وأنت الحكيمُ، بينهمُ ... لن يَعْـدَمُـوا الحُكمَ ثـابتـا صَتَمَـا
حتى تُـرى ظاهـرَ الحُكُومـةِ مِثـ ... ـلَ الصُّبـحِ جَـلَّى نهارُهُ الـظُّلَمَا

هــذا وإن لم تُــطِقْ حكــومتَـهم فــانْبِــذْ إليـهم أمــورَهــم سَـلَمَا

ولكن لا ينبغي أن يذهب بنا الظن إلى أن الإنسان العربي كان يسلّم أموره كلها لسيد القبيلة، من دون قناعة أو فهم أو محاسبة له، وإنما كان، في بعض الحالات كما يبين لنا الشعر، إذا شعر بأنه لا يحقق مصالح القبيلة تماماً، أو أنه غير كفء لقيادتها وتـوجيهها، خلع عنـه السيادة وجرَّده من حقوقها. وهذا ما جرى لسيد بني سليم بن قيس، فإنهم كانـوا قد نَصَّبـوا عليهم سيـدا، فلما خـالفهم في بعض الأمور وثبـوا عليه، وأخـرجوه من ديارهم، فقال يزيد بن الصَّعِق يهجوهم بفعلتهم(٢١):

وإنَّ اللـهَ ذاقَ حـلومَ قـيس فـلمّا ذاقَ خِـفَّـتَـهـا قَـلاَهـا
رآهــا لا تــطيــعُ لهــا أمـيــراً فَــخَــلاَّهــا تَـرَدَّدُ في خَـلاَهـا

ولهذا كان حرص سادة القبائل ورؤسائها على مشورة ذوي الـرأي في معظم الأمور، ولا يكاد ينفرد سيد القبيلة بآرائه، وإنما كان يشاور مجلسا يضم أشراف قبيلته، وقد يُعَبَّر عنه أحيانا بالملأ(٢٢). وهذا المجلس شهد لدى قريش تطوراً بارزاً حين أضحى له دار خاصة بمكة تعرف بدار الندوة، حيث كان يجتمع فيها سادتهم وكبراؤهم للتشاور في أمور السلم والحرب(٢٣).

ويشير الشعر في بعض المواضع إلى أن عدم التشبث بالـرأي، وجعل الأمر شورى في القبيلة، صفتان هامتان في سيد القبيلة، لأن أيّ خطأ يرتكبه قد يعرض القبيلة كلها للخطر أو الهلاك. وهذا ما جعل لقِيط بن يَعْمُر، في وصيته لقومه، ينبههم على اختيار رئيس يتصف بهاتين الصفتين(٢٤):

ما انفكّ يحلب دَرَّ الدهرِ أشـطرَهُ يكــون مُتَّبَعــاً طــوراً ومُـتَّبِـعَــا

كما وجد الأعشى أن من كمال سيادة قيس بن معدِ يكَرب الكِنْدي أنه لا يعتدّ برأيه، وإنما يشاور أفراد قبيلته، ويجعلهم، دائما، قـريبين منـه لهذا الأمر(٢٥):

فـإنَّ الإلــه حــبـاكُـمْ بــه إذا اقتسـمَ القـومُ أمــراً كُـبـارا
فـإنَّ لـكـم قـربَـهُ عِـزَّةً ووسَّـطَكُـم ملكَـهُ واسـتـشـارا

لقد حرص الجاهليون على السيد حرصا جعلهم يهتمون بتنصيب أبنائه سادةً بعده؛ فكان إذا نَبَه ابن سيد القبيلة وعلا شأنه ورث رئاسة القبيلة بعد أبيه، وكانت هذه الوراثة شائعة في العصر الجاهلي، فمن ذلك أن حِصْن بن حُذَيْفَة أوصى ابنه كي يكون رئيسا لقومه بني فَزَارة، من بعده(٢٦).

وقد سجل لنا ذلك الشعر، فحينما ورث بَشَامة بن الغَدير السيادة عن أبيه وجده افتخر بتقلده إياها وراثة، فقال(٢٧):

وجـدتُ أبي فيهم وجـدِّي كليهـما يُـطاع ويُؤتَى أمْــرُهُ وَهْــوَ مُحْتَـبي
فـلم أتعـمَّــل للسـيــادة فـيـهـمُ ولكن أتتني طـائعــا غــيرَ مُتْعَبِ

ويبدو أن سيد القبيلة كان إذا حضره الموت، ورأى ابنه جديرا بالسيادة، أوصاه بوصايا ترشده في رئاسته القادمة، وقد زُعم أن الحارث بن كعب، سيد القبيلة التي تُسمّى باسمه، أوصى ابنه، فقال(٢٨):

أُبـنَيَّ إنَّ أبــاك يــومــاً هــالــكٌ فــاحفَظْ أبــاك رئـاســةً وَتقلُّبـا
وإذا لـقِيتَ كتيبــةً فَـتَـقَـدَّمَـنْ إن المُـقَــدَّمَ لا يكــون الأ خْـيبـا
تلقى الـرئـاسـة أو تموتُ بـطعنـةٍ والمــوتُ يــأتي من نــأى وتجنَّـبـا

لكن لا يعني ما تقدم أن سيد القبيلة كان يتلقى الرئاسة وراثة دائما، وإنما كان يُنصَّب فيها من هو كُفُؤٌ لها، ومُتَّصِفٌ بصفاتها؛ سواء أكان من بيت سيادة أم لم يكن.

وبذلك بيَّن لنا الشعر أن الإنسان العربي كان يهمه، قبل كل شيء، أن يكون سيد القبيلة جديراً بحمل أعباء السيادة، موضحا أنه إذا تحقق له ذلك رفعه إلى المكانة العليا في نفسه، فدافع عنه، وخضع له، ووهبه أفضل ما فاز به من الغنائم، وجعله المثال الأعلى الذي يحتذى في الحياة.

٣ ـ الدفاع عن القبيلة :

إنَّ من أهم مظاهر النزعة العصبية، كما صورها لنا الشعر، أن يقف الفردُ نفسه مدافعا عن القبيلة، ولا ريب أن ظروف العيش قد هيأته لذلك، إذ جعلته حياة الصحراء فارسا يُلمّ بفنون الإغارة والقتال، فهو غالبا ما يتوقع غـزواً من عدو، أو إغـارة خاطفـة من موتـور، أو صيحة حـرب في القبيلة استعدادا لهجوم على حيّ من أحياء القبائل الأخرى.

بَيدَ أن بعض الشعراء ألمح إلى احتمال تخاذل أفراد من القبيلة في الدفاع عنها، وتثاقلهم عن نصرتها، مما يدعو إلى غضبها عليهم وسخطها منهم. ولا شك لدينا في أن حدوث ذلك قليل، وفي حالات تكاد تكون نادرة، كمثل الذي جرى في حرب «البسوس» بين بكر وتغلب، فإنَّ بعض أشراف بكر لم يشتركوا في المعارك الأولى، ولعلهم رجوا أن تتصالح القبيلتان، وتعودا عن القتال إلى ما كان بينهما من ودٍّ ووئام. ومن هؤلاء الحارث بن عُباد الذي اعتزل الحرب مع أرهاط بني جُحَيْم، فانبرى سعد بن مالك، جد طرفة الشاعـر، يحضّه، ويغمز من جانبه، لوقوفه موقف الخذلان لقومه(٢٩) :

يـا بُـؤْسَ لـلحـربِ الـتي وَضَـعَـتْ أراهطَ فـاسـتـراحـوا
والحـربُ لا يـبـقـى لـصـا حـبـهـا الـتَّـخَـيُّـلُ والمِـراحُ
إلا الـفـتى الـصَّـبَّـارُ في الـنَّـ جَـدَاتِ والـفـرسُ الـوَقَـاحُ

فالجبان الرعديد هو الذي يتخلى عن قبيلتـه في حربها، أما الفـارس الشجاع فيهرع لنجدتها مخلفا وراءه حياة الراحة واللهو.

ولكن حتى في حالة الحارث بن عُبَاد فإنّ النزعة العصبية عادت تدفعه إلى مشاركة القبيلة في القتال والدفاع عنها كبقية الأفراد الآخرين، وخاصة أن ابنه بُجَيْرا كان قد قتل، وهو يسعى في الصلح لدى بني تغلب، وقد سجل موقفه الجديد في شعره حين قال(٣٠).

قَـرِّبـا مَـرْبِطَ الـنَّـعـامـةِ مـني لَقِحَتْ حـربُ وائـلٍ عن حِيـالِ

لم أكن من جُنـاتهـا علم الـله ـ م ـ وإنّي بحـرِّهـا الـيـومَ صَـالِ
لا بُجيرٌ أغنى فتيـلاً ولا رَهْطُ ـ م ـ كُلَيْبٍ تَـزَاجَـروا عن ضـلالِ

فالدفاع عن القبيلة وحماها من واجبات الفرد الأولى، بل هو مفخرته الكبرى التي يعتدّ بها، وما الدفاع عن القبيلة إلاّ دفاع عن شخصه وشرفه وعرضه. وقد صوّر المُتَلَمِّسُ الضُبَعِي ذلك أبرع تصوير، في رده على شخص زعم أن الشاعر سيتخلّى عن قبيلته ويفارقها لخلاف شجر بينه وبينها(٣١):

أَمُـنْتَـقِـلاً مـن آل بُهْثَـةَ خِـلْتَـني   ألا إنَّـني منهـم وإنْ كـنـتُ أَيْـنَـمَا
ألا إنّني منهم وعِـرضي عِـرضُهم   كـذي الأَنْفِ يحمي أَنْفَهُ أنْ يُكَشَّمَا

لقد بلغ الشاعر ذروة التعبير عن محاماته عن القبيلة، حين جعلها في منزلة الأنف، وجعل الدفاع عنها كدفاع الإنسان عن أنفه، إذا خاض حربا أو شهد قتالا، وإذا علمنا أن الأنف رمز الشرف والعزة والكبرياء لدى العربي أدركنا مدى ما يبذله لصونه والحفاظ عليه.

ويتبع الدفاعَ عن القبيلة الدفاعُ عن أرضها وحماها، ذلك أن الاعتداء عليهما اعتداء على القبيلة نفسها، والذود عنهما ذود عن شرفها ومكانتها بين القبائل الأخرى. وهذا ما رآه عمرو بن يربوع الغَنَوي وعبر عنه في شعره، مفتخرا بأنه ذاد مع قومه عن نجد بفرسان أشداء، وخيل قوية، وسلاح شائك(٣٢).

وفضلا عن الدفاع عن القبيلة وحماها فإن من شأن الشاعر ذي النزعة العصبية أن يفتخر بقوتها وشجاعة فرسانها، الذين في مقدورهم خوض المعامع والحروب، وشنّ الغارات، وقتل الأبطال أو أسرهم، وهزيمة الأعداء والخصوم.

وهو في هذا يعلي من هيبة القبيلة وسطوتها، ويباهي بتصوير فتكها وسلبها ونهبها، واختراق حمى أعدائها، على نحو ما صوره لنا عمرو بن قَمِيئَة من مشهد لغارة شنتها قبيلته ثَعْلَبة بن عُكابة، على أعدائها، حين قال(٣٣):

وَمَلْمُومةٍ لا يَخْرِقُ الطَّرْفُ عَرْضَها ... لها كوكبٌ فَخْمٌ شديدٌ وضُوحُها
تسير وتُزجي السَّمَّ تحت نحورها ... كريهٌ إلى مَنْ فاجأَتْهُ صَبُوحُها
على مُقْذَحِرّاتٍ وهنَّ عوابسٌ ... ضَبَائِرُ موتٍ لا يُراحُ مُرِيحُها
نَبَذْنا إليهم دعوةً، يا آل مالكٍ، ... لها إرْبَةٌ إنْ لم تجد مَنْ يُريحُها
فَسُرْنا عليهم سَوْرَةً ثعلبيَّةً ... وأسيافُنا يجري عليهم نُضُوحُها
وأرماحُنا يَنْهَزْنَهم نَهْزَ جَمَّةٍ ... يعود عليهم وِرْدُنا فَنَمِيحُها
فما أتلفتْ أيديهمُ من نفوسنا ... وإنْ كَرُمَتْ فإننا لا نَنُوحها
فقلنا: هي النُّهْبَى وَحَلّ حرامُها ... وكانت حِمًى ما قبلَنا فَنُبِيحُها

لقد أبان الشاعر عن أن أقوى مظاهر العصبية تبرز في أشد الظروف وأقساها، وهل يكون ذلك إلا عند القتال ومواجهة الفرد للموت في ساحة المعركة؟ وقد جُلّيت تلك العصبية أكثر جلاء في هذه الصيحات باسم القبيلة، وكأن الفارس كان يحاول أن يحتمي بعصبيته من طعنات الرماح وضربات السيوف، أو كأنه كان يريد أن يؤكد لنفسه أنه ليس وحيدا في المعركة، وإنما هو من الجماعة التي ينادي باسمها.

لقد انتشى الشاعر العربي زهواً بقوة قبيلته وعزتها ومنعتها، فكان يعلن انتصاراتها على القبائل المعادية بأشعار تلتهب حماسة، وسرعان ما تتناقلها الركبان، ويغدو صداها مدويا في أرجاء الجزيرة العربية كلها، فترهب العدو والخصم، وتفرح الصديق والحليف. وعلى شاكلة تلك الأشعار قول عامر بن الطفيل(٣٤):

صَبَحنا الحيَّ من عَبْسٍ صَبُوحاً ... بكأسٍ في جوانبها الثَّميلُ
وأبقَينا لمُرَّةَ يومَ نَحْسٍ ... وإخوتِهم فقد ذهب الغليلُ
فَذَلَّ الأبلخُ المختالُ إنَّا ... نُخَيِّسُهُ وَعَزَّ بنا الذَّليلُ

وليس أبعث لفخر الفرد من انتصار قبيلته، وعودتها إلى أحيائها محملة بالغنائم تجرّ وراءها الأسرى، وخاصة سبايا النساء؛ إذ إن سبيهن مظهر

لمدى قوة القبيلة وسطوتها، ولمدى ضعف العدو وتخاذله، لأن القبيلة لا تتخلى عن نسائها إلّا بعد أن تهزم هزيمة منكرة، ثم إن بقاء السبايا بأيدي القبيلة المنتصرة يذكّرها دائما بفوزها، ويُبقي لظى محرقاً في قلوب أعدائها، وعارا مشينا لاصقاً بهم أمام القبائل الأخرى. ولهذا وجدنا بِشر بن أبي خازم الأسدي يفخر بانتصار قومه على بني عامر وسبي نسائهم(٣٥):

لحوناهُمُ لَحْوَ العُصِيِّ فأصبحوا	على آلةٍ يشكو الهوانَ حَرِيبُها
تبيتُ النساءُ المُرْضِعاتُ بِرَهْوَةٍ	تَفَرَّأُ من هَول الجَنانِ قلوبُها
بني عامر إنّا تركنا نساءكم	من الشَّلِّ والإيجَافِ تَدْمَى عُجُوبُها
عَضَاريطُنا مُسْتَحْقِبو البِيضِ كالدُّمَى	مُضَرَّجَةً بالزَّعفرانِ جيوبُها

فهم قد أغاروا على بني غامر فهزموهم شر هزيمة، ثم سطوا على أموالهم ومتاعهم فانتهبوها، أما نساؤهم فقد سُبيت مع رُضَّعها، وجُمعت في منخفض من الأرض، وقلوبها واجفة خائفة، تكاد تُقَطَّع من فزعها وجزعها، ثم حملت على متون الخيل مردفات خلف العبيد، وأخذت الخيل تسرع بهن، وهن يعولن ويصرخن، بعد أن كن حرائر ممتنعات في بيوتهن. لقد أذلّوا بني عامر مرتين: مرة حين هزموهم في أرض المعركة، ومرة أخرى حين سبوا نساءهم مع أطفالهن، وتركوا للعبيد والأجراء أمرهن كي يحملوهن مع الغنائم والأسلاب والأمتعة.

وشبيه بذلك أيضاً ما يصوره لنا عوف بن عَطِيَّة التُّيْميّ لمشهد نسوة قد أغير عليهن فهن يتراكضن فزعات جزعات قد حُسرت رؤوسهن؛ وسقطت الخُمُر عن وجوههن، وتهلهلت ثيابهن وذلك كله خشية السبي والعار اللذين سيلحقان بهن(٣٦).

إن اعتداد العربي بقوة قبيلته، واعتزازه بمقدرتها، وتعصبه الشديد نحوها، جعلته لا يرى قوة فوق قوتها، ولا مقدرة تفوق مقدرتها. ويبيّن لنا الشعر أن رؤيته هذه لا تقتصر على القبائل التي حوله فقط، وإنما تتعداها لتشمل الملوك أيضاً، فمهما كانت عظمة الملك وهيبته وسيطرته فإنها لا تنال

من مكانة القبيلة في نفسه؛ إذ هي عنده أعظم منزلة وأرقى شأنا، لأنها تمنع أي ملك كان من أن يتطاول عليها، أو أن يحاول إخضاعها.

وذلك ما رآه عامر بن جُوَيْن الطائيّ في قبيلته، حين شرع المنذر بن النعمان الأكبر ملك الحيرة، بتهديده وتهديد قومه، فرد عليه عامر قائلاً(٣٧):

تَعَلَّمْ، أَبَيْتَ اللعنَ، أَنَّ قناتَنا ... تَزيدُ على غَمْزِ الثِّقافِ تَصَعُّبا
أتوعِدُنا بالحرب، أُمُّكَ هابِل، ... رويدَكَ بَرْقاً، لا أبالَكَ، خُلَّبا
إذا خَطَرَتْ دوني جَدِيلةُ بالقَنا ... وحامتْ رجالُ الغَوْثِ دوني تَحَدُّبا
أَبَيْتُ التي تَهْوَى وأَعْطَيْتُكَ التي ... تسوق إليك الموتَ أَخْرَجَ أَكْهَبا

إن قوة طيِّء لتضاهي قوة النعمان وتفوقها، لهذا فإن وعيده لهم ما هو إلا كبرق لامع خادع لا غيث وراءه، وخاصة إذا اجتمع حيّاها، جَدِيلة والغوث، وامتطى أبطالهما صهوات الخيول وأشهروا السيوف والرماح، وارتصت صفوفهم كبنيان مرصوص، فعندئذ لا يجد الملك لديهم الا أسلحة تجلب الموت الأسود له. لقد رأى الشاعر في قبيلته درعا حصينا يمنع أشد الملوك من اختراق حماه أو زعزعة أركانه.

وقد يحس الشاعر أن ملكاً ينوي بقبيلته شراً، وأنه يتحين سانحة للغدر بها والقضاء عليها، عند ذلك ينبري للدفاع عنها مظهرا ما تتصف به من عزة قعساء وشرف تليد ونسب عريق، وما تتميز به من قوة وشدة وبأس في المعارك والحروب، لعله بذلك يرهب الملك وينذره عاقبة غدره وخيانته. وهذا ما نراه عند الشاعر يزيد بن الخذّاق الأسديّ، حين شعر أن النعمان بن المنذر يضمر العداء لقبيلته، وأنه ينوي الغدر بها والإغارة عليها. فأنشأ يخاطبه(٣٨):

نُعمانُ إنَّك خائنٌ خَدِعٌ ... يخفي ضميرُك غيرَ ما يُبْدي
فإذا بدا لك نَحْتُ أَثْلَتِنا ... فعليكَها إنْ كُنْتَ ذا حَرْدِ
يأبَى لنا أَنَّا ذَوُو أَنَفٍ ... وأصولُنا من مَحْتِدِ المجدِ

إنْ تَغْزُ بالخَرْقاءِ أُسرَتَنا   تَلقَ الكتائبَ دوننا تَرْدِي
أَحَسِبْتَنا لحماً على وَضَمٍ   أم خِلْتَنا في البأس لا نُجْدِي
وَمَكَرْتَ معتلياً مُخَنَّتَنا   والمَكرُ منك علامةُ العَمْدِ
وهززت سيفَك كي تحارِبَنا   فانظرْ بسيفك من به تُرْدِي

ولا يقف الأمر عند تهديد الشاعر للملوك وإنما يتعداه إلى التطاول عليهم، أحياناً، والنيل منهم؛ إمّا بإذلالهم كالذي نُسب إلى هشام بن خَلَف الكِنانيّ من فعلة شنعاء، تهدف إلى إهانة النعمان بن المنذر في حجه إلى مكة(٣٩). وإمّا بالتعدّي عليهم وضربهم، كما زُعم من ضرب مَعْبَد بن عُصْم التغلبيّ للملك شُرَحْبِيل الكِنْدي بقوسه وشجِّه بها، لأنه نال من قبيلته(٤٠). وإما بقتلهم كما هو مشهور عن قتل عمرو بن كلثوم للملك عمرو بن هند. وقد أشار إلى تلك الحادثة جابر بن حُنَيّ التغلبيّ في قوله(٤١):

ألا تستحي منا ملوكٌ وتتّقي   محارِمَنا لا يَبْوُءُ الدَّمُ بالدَّمِ
نعاطي الملوكَ السِّلمَ ما قصدوا بنا   وليس علينا قتلُهم بِمُحَرَّمِ
وكائِنْ أَزَرْنَا الموتَ من ذي تحيّةٍ   إذا ما ازْدَرَانا أو أَسَفَّ لمَأْثَمِ

وهكذا صور الشعر لنا موقف الإنسان العربي من قبيلته تصويراً أبان فيه عن مدى حبه لها ومشاعره تجاهها، وقد جُلِّي ذلك في دفاعه عنها ومناجزته لأعدائها، وفي نظرته إليها على أنها قوة ضاربة، لا يستطيع الملوك الأقوياء أن ينالوا منها. ويبدو أن هذه الرؤية هي التي ثَبّتت الروح الجماعية والعصبية القبلية في كيانه، فجعلته أكثر التحاما بالقبيلة وأشد نزوعا إليها.

٤ ـ الحنين إلى موطن القبيلة:

لا شك في أن معظم القبائل العربية، التي توزعت في أرجاء الجزيرة العربية، كانت في حركة مستمرة وسعي دائب وراء الماء والمرعى. بَيْدَ أن تنقل القبائل وارتحالها لا يعنيان أنها كانت تنأى بعيدا عن أرضها، فلا يُعرف لها موطن، ولا يُحد لها مكان، ذلك أن أغلب تلك القبائل في العصر

الجاهلي كان لها أماكن معروفة ومواضع تختص بها من دون غيرها. وحتى إذا دفعتها السنة والحاجة الى أن تنتجع بلادا أخرى حيناً من الزمن فإنها لا تلبث أن تعود إلى أراضيها ومنازلها.

وقد حفل الشعر، في مواضع لا تحصى منه، بذكر أماكن القبائل، وكثيراً ما يكتفي بذكر اسم الموضع للدلالة على القبيلة التي تقيم فيه. وكان الأخنس بن شهاب التغلبي من الشعراء الذين قرنوا عددا من القبائل بأماكنها(٤٢).

لِكلِّ أُناسٍ من مَعَدٍ عِمارةٌ ... عَروضٌ إليها يلجؤون وجانبُ
لُكَيْزٌ لها البَحْرانِ والسِّيفُ كلُّهُ ... وإنْ يأتِها بأسٌ من الهندِ كارِبُ
وَبكْرٌ لها ظهْرُ العِراقِ وإنْ تَشَأْ ... يَحل دونها من اليَمامةِ حاجِبُ
وصارتْ تميمٌ بين قفٍّ وَرملَةٍ ... لها من جِبالٍ منتأى ومذاهِبُ
وكلبٌ لها خَبْتٌ فَرَمْلَةُ عالجٍ ... إلى الحَرَّةِ الرَّجْلاءِ حيث تُحارِبُ
وبَهْراءُ حيٌّ قد علمنا مكانَهم ... لهم شَرَكٌ حول الرُّصافةِ لاحِبُ
وغارتْ إيادٌ في السَّواد ودونها ... برازيقُ عُجْمٍ تبتغي من تُضارِبُ

وكما هو واضح في الأبيات فإن الشاعر قد خص القبائل بأمكنة رحيبة، ولم يقيِّدها بمواضع محددة، مما يدل على أنها، بمهما تنقلت وارتحلت، تعود في نهاية المطاف إلى مواطنها. ذلك أن منازل القبيلة واضحة معروفة لا تتبدل إلّا لدواعي قاهرة وأسباب قوية، كأن تغزوها قبائل كثيرة العدد أقوى منها، أو أن يصيبها القحط سنين متتابعة، فعندئذ تضطر إلى ترك ديارها للبحث عن ديار جديدة. وهذا ما حدث لإياد إذْ أزاحها بنو عبد القيس عن مواطنها في البحرين، ثم شتت الفرس شملها في العراق(٤٣). وقد ألمح الأخنس في البيت الأخير إلى ما أصاب إيادا من تشتيت على أيدي الفرس.

ونحن بذلك إنما نحاول أن نعطي صورة عامة عن القبائل وأمكنتها لنمهد الحديث عن حنين الشعراء إلى مواطن قبائلهم التي رحلوا عنها

راضين أو مضطرين لذلك الرحيل.

ففضلاً عن القبائل السابقة ومواطنها، التي وردت في شعر الأخنس، فإننا نجد، من القبائل العدنانية، قريشاً قد نزلت بمكة وما جاورها، وثَقِيفاً بالطائف، وهُذيلا بقرب جبال السَّرَاة بالحجاز، وكِنانة بأرض تِهامة. كذلك كان بنو عامر بن صَعْصَعَة يستقرون غالباً، غربي نجد، وعبس وذبيان وسائر غطفان كانوا ينزلون بنجد شرقي يثرب. كما نزلت بنجد أيضاً ضبَّة وتميم، وانحدر قسم منهما إلى اليَمامة وهَجَر. وكانت معظم قبائل ربيعة تنتشر في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية، بين عُمان حتى أطراف العراق والجزيرة.

ونجد، من القبائل القحطانية، قبائل حِمْيَر باليمن وجنوبي الجزيرة العربية، ثم من القبائل التي هاجرت من الجنوب واستقرت في أنحاء مختلفة الأوسَ والخزرجَ بيثرب وما حولها، وطيِّء بين جبلَي أجأ وسلمى، والمناذرة بالحيرة، والغساسنة ببلاد الشام. ولا يخفى أن شعر الأطلال زاخر بالإشارات إلى تلك الأمكنة، مفصِّلاً فيها تفصيلاً واسعاً.

ومما لا ريب فيه أن الشعر الجاهلي صوّر شدة تعلق الإنسان العربي بمواطن القبيلة ومرابعها، وبيّن فيه الشعراء أن القبيلة كلها تظل ملتصقة بأرضها التي تعدّها حمىً لها، لا تستطيع القبائل الأخرى الاعتداء عليه، حتى إذا أصابها أمر اضطرها إلى مغادرة منازلها والبعد عن ديارها فإنها تبقى تحن وتصبو إلى تلك المعاهد، ويبقى الفرد فيها مشوقاً إلى أرض القبيلة الأم، يشعر نحوها بحنين طاغ وشوق جارف.

وقد عبّر عن مثل ذلك الشعور ثَعْلَبة بن غَيْلان الإياديّ أبدع تعبير، حين أثارته ذكرى مواطن قبيلته إياد في البحرين، وكانوا، كما مر بنا، قد فارقوها إلى سواد العراق، وابتعثه الشوق والحنين إلى مراتع الطفولة فيها، وتتالت مشاهد الماضي على مخيلته بمختلف الصور المحببة، فاهتزت نفسه ألماً وحرقة لما آل إليه مع قبيلته من غربة دائمة، حافلة بضروب الذل

والهوان(٤٤):

تَحِنُّ إلى أرض المُغَمَّسِ ناقتي ... ومن دونها ظهرُ الجُرَيْبِ فَرَاكِسُ
بها قَطَعَتْ عنا الوَذِيمَ نساؤنا ... وخَرَّسَتِ الأبناء فيها الخَوارِسُ
إذا شئتُ غَنَّاني الحمامُ بأَيْكَةٍ ... وليس سواءٌ صوتُها والعَرانِسُ
فيا حبَّذا أعلامُ بَيْشَةَ واللِّوى ... ويا حَبَّذا أخشافُها والجَوارِسُ
أقامت بها جَسْرُ بنُ عَمْرٍو وأصبحتْ ... إيادُ بها قد ذَلَّ منها المَعاطِسُ

وقد يضطر الشاعر بمفرده إلى مفارقة القبيلة وموطنها، وتنأى به الغربة بعيدا عن مرابعها ويطيح به الفراق إلى أرض لا يجد فيها قريباً أو حبيباً، عند ذلك تشتد به المواجع، وتنتابه الحسرات، وتتسعَّر به الأشواق إلى رؤية المهد الأول، فتجيش النفس أسى وحسرة، وتنزع متلهفة نحو موطن القبيلة. وهذا ما أصاب زامل بن عُفَيْر الطائيّ الذي نأت به ديار الغربة حتى حطته عند الحارث الأكبر الغساني، فمدحه ونال عنده منزلة ومقاما كريماً، لكن وطن القبيلة ظل يجذبه إليه، وظل يجد نفسه غريباً في قوم غرباء(٤٥):

أَبلغِ الحارثَ المُرَدَّدَ في المَكْـ ... ـرُماتِ والمجدِ جَدّاً فَجَدًّا
أنني ناظرٌ إليك ودوني ... عاتقاتٌ غاوَرْنَ قرباً وبُعْدا
آزِلٌ نازلٌ بمثوى كريمٍ ... ناعمُ البالِ في مَراحٍ ومَغْدَى
غيرَ أنَّ الأوطانَ يجتذبُ المَرْ ... ءَ إليها الهوى وإن عاش كَدًّا
وتأبِّيَّ بالشآم مُفيدي ... حَسَراتٍ يَقْدُدْنَ قلبي قَدًّا
ليس يستعذِبُ الغريبُ مقاما ... في سوى أرضِه وإن نال جَدًّا

أما المتلمّس، فإنه، حين حرم عليه عمرو بن هند العودة إلى بلاده في أرض العراق، نازعته نفسه شوقا وتحنانا إلى موطن القبيلة، وملّت تجواب البلدان والآفاق على متن الناقة، فإذا هي تخلع مشاعرها على صاحبة حلها وترحالها، وتندمج معها في وحدة القلق والمعاناة، وإذا صوت النفس وصوت الناقة يغدوان صوتاً واحداً يعبّر عن ألم الغربة وقسوة البعد(٤٦):

حنَتْ قَلُوصي بهـا والليـلُ مُـطَّرِقٌ … بعـد الهُدُوِّ وشـاقتها النَّـواقيسُ
أنَّى طَـرِبْتِ ولم تُلْحَي على طَـرَبٍ … ودون إلـفِـكِ أَمْـراتٌ أَمـالـيسُ
حَنَّتْ إلى نَخْلَةِ القُصوى فقلتُ لها: … بَسْـلٌ عليـكِ ألا تلك الـدَّهَـاريسُ
أُمِّي شـآميـةً، إذْ لا عـراقَ لنـا، … قـوماً نَـودُّهُمُ إذْ قـومُنـا شُـوسُ
لن تسلكي سُبُـلَ البَـوْبَـاةِ مُنْجِـدَةً … ما عاش عمرٌو وما عُمِّرتَ قابـوسُ

وشبيه بهذا ما أصاب دَوْسَرَ بنَ ذُهَيْلٍ القُرَيْعِيَّ حين فارق موطنه نجداً، وامتدّ زمن غربته، لكن نفسه ظلت أمينة لعهدها القديم كما ظلت ناقته تطرب كلّما لقيت قلاصاً آتية من مراتعها الأولى(٤٧).

ونرى في الشعر أن المرأة لم تكن أقل تعلقاً بموطن القبيلة من الرجل، فقد عانت رامَةُ بنت حُصَين الأسديّة معاناة شديدة حين شحطت بها النوى بعيداً عن ديار قومها، وألقتها في قرية من الحضر. لقد اشتدت بها نوازع الحنين إلى مرابع حيّها، ومراتع صباها، فطفحت نفسها بفيض من الشوق إليها، وهفت إلى النسائم الجنوبية التي تهب عليها، وشامت ببصرها إلى لمعان بروقها، وتذكرت بأسى وحسرة خضرة مرابعها وتجاوب صفير طيورها في هدأة الليل وقارنته بصياح الديكة ونقيق الضفادع التي تسمعها في غربتها، فإذا البون شاسع والفرق كبير، وإذا قلبها ينبض بحب مواطن القبيلة ومناخها وحيوانها وكل ما يمت إليها(٤٨):

أُلامُ على نجدٍ ومن يـكُ ذا هـوى … بنجدٍ يَهِجْـهُ الشـوقُ شتَّى نـزائعُـهْ
تَهِجْـهُ الجنوبُ حين تغـدو بنَشْـرِهـا … يـمـانيـةً والـبـرقُ إنْ لاحَ لامِعُـهْ
ومَنْ لامنـي في حـبِّ نجـدٍ وأهـلَهُ … فَلِيَمَ على مِثْـلٍ وأوعَبَ جـادِعُـهْ
لـعمـرُكَ لَلْغَمْرانِ غَـمْـرا مُقَلَّدٍ … فـذو نَـجَـبٍ غُـلاَّنُـه ودوافـعُـهْ
وخَـوٌّ إذا خَـوٌّ سَـقَـتْـهُ ذِهـابُـهُ … وأَمْـرعَ مـنـه تِـينُـهُ وربـائِعُـهْ
وصـوتُ مَكـاكيِّ تَجـاوَبُ مَـوْهِنـا … من الليل، مَنْ يأرَقْ لـه فَهْوَ سـامِعُهْ
أحبُّ إلينـا من فـراريـجِ قـريـةٍ … تَـزاقى ومن حيِّ تَنِقُّ ضفـادِعُـهْ

وهكذا أوضح لنا الشعر عن أن تعلق الإنسان العربي بالقبيلة ارتبط بتعلقه بمواطنها وديارها، فأضحى حبه لها ممزوجاً بحبه لأرضها، ونزوعه نحوها مقروناً بنزوعه إلى منازلها، ومن ثَمَّ أظهر الشعر أن دفاعه عن القبيلة يضاهي دفاعه عن موطنها، ذلك الموطن الذي يقترن في ذهنه بالقبيلة، ولا يمكنه بأية حال أن يفصل بينها وبين ديارها، لأنهما يشكلان معا حماه الذي يبذل نفسه وماله دفاعاً عنه.

٥ ـ رثاء أفراد القبيلة:

إن الأشعار السابقة صورت الإنسان العربي وقد تغلغل في نفسه حب قبيلته حتى غدا هو والقبيلة كيانا واحدا، يسره فرحها، ويؤلمه حزنها. ولعل مرد ذلك يعود إلى شمول الروح الجماعية بين الأفراد وإحساسهم بالمصير المشترك، فضلاً عن شعورهم بارتباط وجودهم بوجود القبيلة وحياتهم بحياتها. وإذا كان الشعراء قد جَلَّوا ذلك في تصويرهم لتمسك الفرد بنسب القبيلة والخضوع لها ولسيدها، وللدفاع عنهما، ثم لحنينه الجارف إلى ديارها، فإن رثاءهم لقتلاها ولمَنْ فقد من أبنائها كان مظهرا أكثر تعبيرا عما تكنّه عواطف الفرد من ميل شديد تجاه قومه ونزوع قوي إليهم.

ولعل ما زاد في إظهار صورة رثاء أفراد القبيلة في الشعر أن الحياة التي عاشوها كانت غالباً عرضة لخطر الهلاك، وكان الواحد منهم يجزع جزعاً شديداً أن يسمع، بعد كل غارة يقوم بها قومه أو تقوم بها قبيلة أخرى عليهم، صوتَ النعي يدوّي بأسماء رجال عشيرته الذين جُدِّلوا على أرض المعركة، حينئذ تتنزّى نفسه حزناً، ويفعم قلبه أسى، فيحرّم على نفسه اللهو واللذائذ، ويعكف على ندبهم والنواح عليهم. ولا ريب في أن نفسه تمتلىء حقداً وبغضاً وضغينة على الأعداء، تتبدّى فيما يؤلي على نفسه أحيانا من الأيْمانِ المغلظة من أنه سينتقم لقومه أشد الانتقام.

ولنا في شعر الرَّبيع بن زياد العبسي أفضل شاهد على ذلك، فقد أتاه نعي مالك بن زهير، وهو أحد أشراف بني عبس، وعلم أن بني فَزَارة غدرت

به، وقتلته، فثار به الغضب، وهاجت كوامن الثأر في نفسه، فآلى على نفسه أن يعتزل النساء، وأن يعدّ ما لـديه من قـوة وعدة وعتـاد حتى يثأر لـه من قاتليه(٤٩):

إنّـي أرقـتُ فـلم أُغَـمِّضْ حَـارِ ... من سَيِّىء النبـأ الجليـل السَّـاري
مِنْ مثلهِ تُمسي النسـاء حـواسِـراً ... وتـقـوم مُـعْـوِلـةً مـع الأسـحـارِ
أفبعـدَ مقتـلِ مـالـكِ بنِ زهيـرِ ... تـرجـو النسـاءُ عـواقبَ الأطهـارِ
مـا إنْ أرى في قتله لـذوي القُـوَى ... إلاّ الـمَـطِيَّ تُـشَـدُّ بـالأكْـوارِ
ومُجَنَّبَـاتٍ مـا يَـذُقْنَ عَـذُوفَـاً ... يَـقْـذِفْنَ بـالـمُـهَـراتِ والأمْـهَـارِ
ومَسَـاعِـراً صَـدَأُ الحـديـدِ عليهم ... فكـأنمـا تُـطلَى الـوجـوهُ بِـقَـارِ

وقريب من هذا ما عبّر عنه في شعره دريدُ بن الصِّمَّة الذي كبر عليه مقتل أفراد قومه على يد بني الحارث بن كعب، فانبرى يرثيهم رثاء ينطوي على تهديد ووعيد لبني الحارث بانتقام ما بعده انتقام(٥٠). وكان عبد الله بن ثَوْر العامري قد أثاره ما رأى من عيون تذرف حزنا على من صُرِّع في المعركة من قبيلته، فدفعه الحزن والغضب إلى التأهب والإعداد لجولة أخرى يثأر لهم فيها(٥١).

وأولئك الأفراد الذين صُرِّعوا، وفقدتهم القبيلة، ليسوا في نظر الشاعر إلا أناساً في منتهى البطولة والسؤدد والشرف؛ فهم يجمعون الخلال الحميدة كلها، ويتصفون بـأنبل الصفـات وأفضلها. أليسـوا هم الذين قـد ضحوا بأنفسهم فداء لقبيلتهم وإعلاء لشأنها؟ أليسوا هم قد جادوا بدمائهم فبزّوا أكرم الكرماء؟ وقد عكس لنا هذه الرؤية شدّاد بن الأسود في رثائه لقتلى قومه يوم بدر(٥٢).

تُـحَيِّـي بـالـسـلامـةِ أُمُّ بَـكْـرِ ... وهـل لي بعد قـومي من سلامِ؟
فـمـاذا بـالـقَلِيبِ قَـلِيب بَـدْرِ ... من القَيْنـاتِ والـشُّـرْبِ الكـرامِ
ومـاذا بـالـقَـلِيـبِ قَـلِيـبِ بَـدْرِ ... مـن الشِّيـزَى تُكَـلَّلُ بـالـسَّـنَـامِ

وكَمْ لـك بـالـطَّوِيِّ طَـوِيِّ بَـدْرٍ مِن الحَـوْمـاتِ والنَّعَم المُسَـامِ
وكم لـك بـالـطَوِيِّ طَـوِيِّ بَـدْرٍ من الغـايـاتِ والـدُّسُـع العـظامِ
وإنَّـكِ لـو رأيـتِ أبـا عَـقِـيـلٍ وأصـحـابَ الثُّـنيَّـةِ من نَـعَـامِ
إذاً لـظَلِلْتِ مـن وَجْـدٍ عليـهـم كـأُمِّ السَّقْبِ جـائـلةِ الـمَـرَامِ

لقد تزاحمت الأشجان في نفس الشاعر، وتفاقم فيها الحزن، وخيم اليأس الأسود على قلبـه، وأخذت التسـاؤلات تطرق عقله وفكـره، كيف يعيش، وقد قتل سادة القبيلة وعظماؤها؟ وأية قيمة لـوجوده، وقـد تلاشى وجود أشراف قومه؟ لا نبالغ إذا قلنا إن الشاعر جعل أفول حياة قومه في منزلة أفول حياته هو، ولم تعد الحياة لديه جديرة بالمسرة والمتعة واللهو، بعد أن أصابت المنايا أفراد العشيرة وطواهم الردى.

ولعل ما كان يلهب ثائرة الشعراء، ويدفعهم إلى التعبير في أشعارهم عن مزيد من الحزن على أفراد القبيلة، ومزيد من الغضب لمقتلهم، هـو الحياةُ القبلية وما كان شائعاً فيهـا من اجتماع الحي لبكـاء القتلى وندبهم والنواح عليهم، ثم إعلان مظاهر الحزن والأسى أمام القبائل الأخرى. وهذا ما فعلته قريش عقب يوم بدر؛ إذ ورد أنها «ناحت على قتلاها شهراً، ولم تبق دار بمكة إلا فيها نَوْحٌ، وجَزَّ النساء شعرَ الرؤوس. وكان يُؤتى براحلة الرجل منهم، فتُوقف بين أظهرهم، فينوحون حولها»(٥٣). ويبـدو أن إطالـة مدة الحزن كانت تهدف إلى تأجيج نيران الانتقام في صدور أبناء القبيلة لكي يثأروا لقتلاهم من الأعداء.

وتشير الأشعار، في هذا المجال، إلى أن النساء كنَّ يقمن بالرثاء أيضاً على أفراد القبيلة فضلاً عن ندبهن ونواحهن، وذلك لِما لهن من رقة شعور ولطف إحساس، ولِما ينتابهن من ألم المصـاب بفقد الأحبـاب والأزواج والأقـرباء، الـذين هم عمـادهن في معـاشهن، ودرعهن في حيـاة خـطرة تعرضهن للسبي والاختطاف.

وقد عبرت الخِرْنِق بنت بدر عن ذلك خير تعبير حين أتاها نَعْيُ أفراد

عشيرتها ينبئها بأن سهام المنايا قد أردتهم صرعى في معركة دارت رحاها بينهم وبين أعدائهم؛ فإذا هي لا ترى فيهم إلّا فرسانا أقوياء، وأجوادا كرماء، وأشرافا نبلاء، قد حازوا كل مكرمة؛ فأيديهم سخية بالعطاء، وذيلهم طاهر من الأدران، وشجاعتهم مضرب الأمثال، وعَطْفُ بعضهم على بعض لا يقف عند حد، حتى يمتنع على المرء أن يميز غنيهم من فقيرهم وموسرهم من معسرهم(٥٤):

لا يَبْعُدَنْ قومي الذين هُمُ ... سُمُّ العُداةِ وآفَةُ الجُزْرِ
النازلون بكلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطَّيِّبُون معاقِدَ الأزْرِ
قومٌ إذا ركبوا سمعتَ لهم ... لَغَطاً من التَّأْييهِ والزَّجْرِ
والخالطون نَحِيتَهُمْ بنُضَارِهم ... وذوي الغنى مِنهم بذي الفَقْرِ
هذا ثَنائي ما بَقِيتُ لهم ... فإذا هَلَكْتُ أَجَنَّنِي قَبْري

ونستدل من بعض الأشعار على أن الرثاء لم يكن مقتصراً على أفراد القبيلة الذين قتلوا في المعارك والحروب، وإنما قد يرثي الشاعر قبيلته إذا ألمت بها المصائب، وأحدقت بها الأخطار فمزقتها كل ممزق، وأهلكت كثيراً من أبنائها. كالذي نجده لدى أبي دُوَاد الإياديّ من رثاء حار على قبيلة إياد، التي، كما أشرنا من قبل، قد أُجليت عن ديارها بالبحرين إلى سواد العراق، ثم فني كثير من أفرادها في قتال القبائل والأعاجم هناك، مما أحدث أعظم الأثر في نفس أبي دُوَاد، عبر عنه في قوله(٥٥):

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكنْ ... فَقْدُ مَنْ قد رُزِئْتُهُ الإعدامُ
من رجالٍ من الأقارب فَادُوا ... من حُذاقٍ هُمُ الرؤوسُ العظامُ
فهمُ للملائمين أَناةٌ ... وعُرامٌ إذا يُرادُ العُرامُ
وسَماحٌ لدى السنين إذا ما ... قَحَطَ القَطْرُ واستَقَلَّ الرِّهامُ
وشبابٌ كأنهم أُسْدُ غِيلٍ ... خالطتْ فَرْطَ حَدِّهِم أحلامُ
وكهولٌ بنى لهم أوَّلُوهُم ... مَأْثُراتٍ يَهابُها الأقوامُ

سُلِّطَ الـدهـرُ والمَنـونُ عليهـم فلهم في صَـدَى المقـابـر هَـامُ
فـعـلى إثـرهـمْ تَسَـاقَطُ نـفـسي حَسَـراتٍ وذكـرُهـم لـي سَقَـامُ

وهكذا نجد أن رثاء الأفراد لدى الشعراء كان مظهراً من مظاهر النزعة العصبية؛ إذ عبروا فيه عن مدى الرابطة التي تشد ما بين أفراد القبيلة من أواصر المحبة والتعاطف والتناصر، حتى إذا أصيب واحد منهم، وأودت به إصابته، تداعى له سائر الأفراد بالحزن والأسى من جهة، وبالغضب والتأهب للانتقام من جهة أخرى.

وخلاصة القول أن الشعر أبرز لنا العصبية القبلية لدى الإنسان العربي متجلّية في أشكال عدة، من التزام قبلي، ومن ولاء للقوم وسيدهم، ومن دفاع عنهم، وحنين إلى ديارهم، ورثاء لأفرادهم. وهذا ما يجعلنا نعتقد، معتمدين في ذلك على ما قدمناه من أقوال الشعراء أنفسهم، أن النزعة العصبية كانت أهم المقومات الّتي استندت إليها الحياة القبلية في العصر الجاهلي، والتي كانت تتحكم في علاقة الفرد الاجتماعية بقبيلته، وكلّما كانت تلك النزعة طاغية عليه اشتد التحامه بالقبيلة وأفرادها، وقوي ارتباطه بديارها وحِماها.

الحواشي والمصادر والتعليقات

(١) مقدمة ابن خلدون: ص ١١٦، ط دار الشعب، القاهرة.

(٢) بحث في علم الجمال: ص ٢٤، لجان برتليمي، ترجمة أنور عبد العزيز، ط القاهرة، ١٩٧٠.

(٣) الأصمعيات: ص ١٠٧، للأصمعي، تحقيق شاكر وهارون، ط دار المعارف، مصر ١٩٦٧.

(٤) تاريخ الطبري: ١/٢٢٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، مصر ١٩٦٠.

(٥) المفضليات: ص ٦٩٥ ـ ٦٩٦، للمفضل الضبي، شرح الأنباري، ط بيروت ١٩٢٠.

(٦) ديوان سلامة بن جندل: ص ١٥٣ ـ ١٥٤، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط حلب ١٩٦٨.

وذر بن الأسنة: محددتها، أو أنها أشربت سماً. والأوساق: الأجمال. والعندم: نبات يُصبَغ به.

(٧) ديوان الأعشى الكبير: ص ١٣١، تحقيق محمد محمد حسين، ط القاهرة ١٩٦٠.

(٨) المؤتلف والمختلف: ص ٤٢، للآمدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط القاهرة ١٩٦١.

(٩) شرح القصائد العشر: ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦، تحقيق د. فخر الدين قباوة، شرح التبريزي، ط حلب ١٩٧٣.

(١٠) المفضليات: ص ٦٢٦. والقعساء: الثابتة. ونختطم العدى: نضرب خطمهم، والخطم الأنف، ويطدون الأرض: يشدونها ويثبتونها.

(١١) خزانة الأدب: ٣/ ٩٠، للبغدادي عبد القادر، تحقيق عبد السلام هارون، ط القاهرة ١٩٦٧.

(١٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١٣) الحيوان: ٣/ ٤٧١، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط البابي الحلبي، مصر ١٩٦٥.

(١٤) ديوان لقيط بن يعمر الإيادي: ص ٤٦ ـ ٤٨، تحقيق خليل إبراهيم العطية، ط بغداد ١٩٧٠.

والشزر: فتل الحبل مما يلي اليسار، وهو أشد لفتله. والمريرة: من «المِرَّة» وهي إحكام الفتل ثم أريد بها القوة. والقحم: الشيخ الكبير. والضَّرْع: الغَمْر الضعيف.

(١٥) ديوان الأعشى الكبير: ص ٣١.

(١٦) عيون الأخبار: ١/ ٢٢٦، لابن قتيبة، ط دار الكتب، مصر ١٩٢٥.

(١٧) شرح القصائد العشر: ص ١٧٤ ـ ١٧٨.

(١٨) الحيوان: ١/ ٣٣٠، والشرح عن الجاحظ.

(١٩) مقدمة ابن خلدون: ص ١١٦.

(٢٠) البيان والتبيين: ١/ ٢٣٩، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط القاهرة ١٩٦٨.

والصتم: الصحيح القوي.

(٢١) الحيوان: ٥/ ٣٠. وخَلاَها: من «الخَلَى» وهو الرطب من النبات؛ أي جعلها كالسوائم ترداد المرعى بدون قائد.

(٢٢) تاج العروس: مادة (ملأ) للزبيدي، ط مكتبة الحياة، بيروت.

(٢٣) السيرة النبوية: ١/ ١٢٥، لابن هشام عبد الملك، تحقيق السقا

والأبياري وشلبي، ط مصر ١٩٥٥.

(٢٤) ديوان لقيط بن يعمر: ص ٤٧.

(٢٥) ديوان الأعشى الكبير: ص ٤٩.

(٢٦) أمالي المرتضى: ١/٥٣١، للشريف المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط بيروت ١٩٦٧.

(٢٧) الحيوان: ٢/٩٦.

(٢٨) المعمَّرون والوصايا: ص ١٢٢، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، ط مصر ١٩٦١.

(٢٩) الأغاني: ٥/٤٦، لأبي الفرج الأصفهاني، ط دار الكتب المصرية.

وفرس وقاح: أي ذو حافر صلب، أو هو صلب قوي.

(٣٠) الأصمعيات: ص ٧١. والنَّعامة: فرس الحارث بن عُباد. ولقحت: حملت. وعن حيال: بعد حيال، وحالت الناقة: لم تحمل، وهذا مثل ضربه لشدة الحرب.

(٣١) ديوان المتلمِّس الضُّبعي: ص ١٩ ـ ٢١، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط معهد المخطوطات العربية ١٩٧٠.

وبُهْثَة: بطن من ضُبَيعة، وهم عشيرة المتلمس. وأينما: أراد في أي مكان كنت فإنني أنتمي إلى قومي.

(٣٢) الحماسة البصرية: ١/٩٧، لصدر الدين البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، ط حيدر آباد الدكن ١٩٦٤.

(٣٣) ديوان عمرو بن قميئة: ص ٣٢ ـ ٣٧، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط معهد المخطوطات العربية ١٩٦٥.

وملمومة: مجتمعة، وأراد كتيبة مجتمعة، والكوكب: هنا، معظم الشيء. والمقذحرات: المتهيئات للقتال، والضمير يعود إلى الخيل.

والضبائر: الجماعات. ونهزجمة: أي انتزاع ما فيها. والجمة: كثيرة الماء، وأراد بئراً جمة.

(٣٤) ديوان عامر بن الطُّفَيل: ص ٩٤، شرح الأنباري، ط بيروت ١٩٦٣. والثميل: السم.

(٣٥) ديوان بشر بن أبي خازم: ص ١٨، تحقيق عزة حسن، ط دمشق ١٩٧٢.

والآلة: الحالة. والحريب: المسلوب المال والمتاع. والشل: السوق والطرد. والإيجاف: السيرِ الشديد. والعُجوب: جَمْع العَجْب، وهو مؤخر كل شيء، وأراد بها الأعجاز. والعضاريط: جمع العُضْروط، وهو الأجير الذي يخدم على طعام بطنه.

(٣٦) المفضليات: ص ٦٣٧.

(٣٧) ذيل الأمالي والنوادر: ص ١٧٨، لأبي علي القالي، ط دار الكتب المصرية ١٩٢٦.

وأخرج: يقال: ظليم أخرج، أي فيه سواد وبياض. وأكهب: يقال: بعير أكهب، أي في لونه غبرة مشربة سواداً.

(٣٨) المفضليات: ص ٥٩٤ ـ ٥٩٦. والأثلة: الشجرة، وهذا مثل. والحرد: القصد أو الغضب. والخرقاء: الجهل. والمِخَنَّة: الأنف.

(٣٩) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي: ١/٥٥٢، للبكري عبد الله، تحقيق عبد العزيز الميمني، ط القاهرة ١٩٣٦.

(٤٠) المحبَّر: ص ٢٠٥، لابن حبيب، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر، ط حيدر آباد الدكن ١٩٤٢.

(٤١) المفضليات: ص ٤٢٦. ويبْوُءُ: من قولهم باء فلان بفلان إذا كان كفؤاً أن يُقتل به، وقد ترك إعلال الفعل ضرورة. وذو تحية: أراد به الملك. وأسفَّ: دنا.

(٤٢) المفضليات: ص ٤١٤ - ٤١٧. والسِّيف: ضفة البحر. وقفّ ورملة: موضعان.

وحبال: أراد بها حبال الرمال، وهي معاظمها. وخبت والحرّة: موضعان. والرجلاء: الغليظة. والشِّرك: موضع تشعب الطرق. والبرازيق: جَمْعُ البَرْزَق، وهو المركب، وأراد به هنا الكتيبة.

(٤٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٢٢/٤، لجواد علي، ط بغداد ١٩٧٦.

(٤٤) معجم ما استعجم: ٧٦/١، للبكري عبد الله، تحقيق مصطفى السقا، ط القاهرة ١٩٤٥.

والمغمّس والحريب وراكس أسماء مواضع. والوذيم: ما تُعلَّق به التمائم من خيط أو ما شابهه. والخوارس: النسوة اللواتي يطعمن الناس في ولادة المرأة، واسم الطعام الخَرَس. والعرانس: طيور تشبه الحمام. بيشة واللوى: موضعان. والأخشاف: جمع الخشف، وهو ولد الظبي. والجوارس: الطيور المصوِّتة. والمعاطس: الأنوف.

(٤٥) معجم البلدان: مادة (شأم) لياقوت الحموي، ط بيروت ١٩٥٥. وعاتقات: جمع عاتقة، وهي الفرس الكريمة. وغاورن: نزلن الغور. وآزل: من «أزل الفرسَ» إذ قصَّر حبله ثم سيَّب؛ فكأنه لمَّا غادر قومه صار في منزلة الفرس المسيَّب. وتأبيَّ: من «تأبَّى» والياء للمتكلم.

(٤٦) ديوان المتلمِّس الضبعي: ص ٨٢ - ٩٣. وأمرات: جمع مَرْت، وهي الأرض التي لا نبت فيها.

وأماليس: جمع إمليس، وهي الأرض المستوية أو التي لا نبات فيها. والبسل: الحرام. والدهاريس: الدواهي، وأمِّي شآمية: أي اقصدي ناحية شآمية. وشوس: من «الشَّوَس» وهو النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً. والبوباة: موضع بنجد.

(٤٧) الأصمعيات: ص ١٥٠.

(٤٨) فرحة الأديب: ص ١٣٩، للفُنْدجاني، تحقيق د. محمد علي سلطاني، ط دمشق ١٩٨١.

وانظر معجم البلدان: مادة (غمران). وأوعب: استأصل. والجادع: قاطع الأنف خاصة. والغمران، وذو نجب: مواضع في بلاد بني أسد. والغلّان: الوديان الغامضة في الأرض. والدوافع: الأراضي السهلة التي تدفع فيها الأودية. والخو والتين والربائع: مواضع في بلاد بني أسد. ومكاكي: جمع مكاء، وهو طائر أبيض كثير الصفير.

(٤٩) شرح ديوان الحماسة: ٢/٩٩١ - ٩٩٤، للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط القاهرة ١٩٥١.

وعواقب الأطهار: أي مراجعة البعولة إلى مضاجعة النساء بعقب أطهارهن. والأكوار: جمع الكور وهو الرحل بأداته. والمجنَّبات: هي الخيل التي كانوا يجنبونها فلا يركبونها إلا في الإغارة. والعذوف: أدنى الأكل. والمساعر: هو الذي يُسعر الحرب ويوقدها.

(٥٠) الأغاني: ١٠/٣٤.

(٥١) قصائد جاهلية نادرة: ص ١٥٨، مختارات من (منتهى الطلب) لابن ميمون، تحقيق د. يحيى الجبوري، ط بيروت ١٩٨٢

(٥٢) السيرة النبوية: ٢/٢٩. والقليب: البئر. والشَّرب: جماعة القوم الذين يشربون. والشيزى: الجفان تصنع من خشب. والسنام: لحم ظهر البعير. والحومات: جمع الحومة، وهي القطعة من الإبل. والمسام: المرسل في المرعى من دون راع. والثنية: الفرجة بين جبلين. ونَعام: موضع والسَّقب: ولد الناقة.

(٥٣) المغازي: ١/١٢٢، للواقدي، تحقيق بارسدن جونس، ط جامعة أكسفورد ١٩٦٦.

(٥٤) ديوان الخرنق بنت بدر: ص ٢٩ ـ ٣٢، تحقيق حسين نصار، ط القاهرة ١٩٦٩. والتأبيه: الصوت.

(٥٥) الأصمعيات: ص ١٨٧. وفادوا: ماتوا. وحُذاق: حي من إياد. واستقل: رحل: والرِّهام: جمع الرِّهمة: وهي المطر الضعيف. والهام: جمع الهامة، وهي طائر صغير، تزعم العرب أنه يخرج من الميت.

صُنعُ دَواوينِ الشُّعراءِ
وَنَظْرَةٌ في شِعْرِ زُفَرَ بن الحارِثِ المجْمُوع

للمهندس حاتم غنيم

تَمْهيد :

ظَهَرَ في عَدَدٍ سابقٍ مِنْ مَجَلَّةِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ الأُرْدُنيِّ(١) بَحْثٌ للأُستاذِ الدّكتورِ رُضوان محمّد النّجار، (صَنَعَ) فيهِ شِعْرَ زُفَرَ بْنِ الحارِثِ الكِلابِيِّ، تَوَقَّفْتُ عِنْدما طالَعْتُهُ وِقْفَةَ المُتَأَمِّلِ، لِعِلْمي أَنَّ الأُستاذَ الدّكتورَ نُوري حَمّودي القَيْسِيّ كانَ جَمَعَ شِعْرَ زُفَرَ هٰذا وَنَشَرَهُ في مَجَلَّةِ المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العِراقيِّ(٢) قَبْلَ ما يُنيفُ عَلىٰ أَرْبَعِ سَنَواتٍ، وَتَساءَلْتُ عَنْ سَببِ تَكْرارِ الجُهودِ، وَكَيْفَ تَقْبَلُ مَجَلّاتٌ محكَّمَةٌ نَشْرَ أَعْمالٍ مَطْروقَةٍ مُعادَةٍ، وبخاصّة أَنَّ الأُستاذَ النَّجّارَ كانَ نَشَرَ شِعْرَ خِداشِ بْنِ زُهَيْرٍ(٣) بَعْدَ أَنْ سَبَقَهُ إلىٰ ذٰلِكَ الأُسْتاذُ الدّكتورُ عَبْدُ الكَريم يَعْقوب في مَجْمُوعِهِ لأَشْعارِ العامِرِيّينَ

---

(١) العدد (٣٣) تموز ـ كانون الأوّل سنة ١٩٨٧، ص ٢١٥ ـ ٢٨٢ .

(٢) المجلّد (٣٥) الجزء الأول ـ كانون الثاني سنة ١٩٨٤ ، ص ١٤٢ ـ ١٧٢ .

(٣) مجلّة كليّة اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العددان ١٣/١٤ سنة ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤هـ ص ٥٤٣ ـ ٦٢٣ .

الجاهِلِيّينَ(٤)»، فَلَمْ يَزِدْ فيهِ إلاّ الأَبياتَ الّتي نَقَلَها عَنْ مَخطوطَةِ «مُنْتَهى الطَّلَب»، وَلَمْ يُدْرِكْ شَأْوَهُ فيما سِوىٰ ذٰلِكَ، ثُمَّ قُلْتُ لِنَفْسي، لَعلَّ الأُسْتاذَ وَقَفَ عَلىٰ قُصورٍ أَوْ تَقْصيرٍ في عَمَلِ مَنْ تَقَدَّمَهُ، فَأَضافَ شَيْئاً دَفَعَهُ إلىٰ إعادَةِ نَشْرِهِ، أَوْ لَعَلَّهُ سَلَكَ مَحَجَّةً أُخْرىٰ غَيْرَ الّتي اخْتارَها المُتَقَدِّمُ، فَرَجَعْتُ إلىٰ المَجْموعَيْنِ أَنْظُرُ فيهِما، دارِساً لَهُما، مُقارِناً بَيْنَهُما، ثُمَّ أَعَدْتُ تَصَفُّحَ كِتابِ «شُعَراء وَدَواوين»(٥) للأُسْتاذِ عَبْدِ الوَهّابِ الصّابونيِّ، فَوَصَلْتُ إلىٰ ما يَقْرُبُ مِنَ الاقْتِناعِ بِأَنَّ الكَثْرَةَ الكاثِرَةَ مِنْ عُلَمائِنا الّذينَ حَمَلوا أَنْفُسَهُمْ عَلىٰ خُطَّةِ عَمَلِ دَواوينِ شُعَرائِنا القُدامىٰ تَناوَلوا الأَمْرَ مِنْ أَمَمٍ، وَسَلَكوا الجَدَدَ المُطْمَئِنَّ فَاكْتَفَوْا بِالجَمْعِ، وَهُوَ سَبيلٌ بَعيدٌ عَنِ المَزالِقِ وَالعَوائِقِ، ناءٍ عَنِ الزَّلَلِ وَالعِثارِ، وإِنْ لَمْ يَخْلُ مِنْ نَصَبٍ وَعَناءٍ وَكَدٍّ، فَلا غَرْوَ أَنِ اسْتَسْهَلَهُ الشُّداةُ، وَطَرَقَهُ العامِلونَ، لِقُرْبِ مَرامِهِ وَيُسْرِ مَطْلَبِهِ. وَلا ضَيْرَ في ذٰلِكَ مَتىٰ كانَ العَمَلُ ابْتِداءً، فَجَمْعُ الشِّعْرِ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكانٍ، أَمّا الاقْتِضاءُ دونَما زِيادَةٍ أَوْ إِنافَةٍ، فَخَيْرٌ مِنْهُ الاكْتِفاءُ بِما سَبَقَ، ثُمَّ اسْتِدْراكُ النَّقْصِ وَسَدُّ الخَلَلِ وَإِصْلاحُ الفاسِدِ، فَتَتِمُّ بِذٰلكَ الفائِدَةُ، وَلا يَضيعُ الجَهْدُ فيما لا طائِلَ فيهِ وَلا غَناءَ. عَلىٰ أَنَّ الخِدْمَةَ الحَقَّةَ لِهٰذِهِ الدَّواوينِ تَتَطَلَّبُ أُموراً أُخْرىٰ غَيْرَ الجَمْعِ، تُوَطِّئُ وَعْرَها، وَتُذَلِّلُ صَعْبَها، وَتُيَسِّرُ الانْتِفاعَ بِها. وَلَقَدْ نَهَضَ عُلَماؤُنا القُدَماءُ بِكَثيرٍ مِنْها، وَصَرَفوا فيها عِنايَتَهُمْ. وَلَعَلَّهُمْ كانوا أَوفى مِنّا بِهٰذا العَمَلِ وَأَغْنىٰ، فما عَلَيْنا لَو اتَّبَعْنا قَصْدَهُم فيما طَرَقوا، وَتَصَدَّيْنا لأَشْياءَ مِمّا تَرَكوا، فَما أَغْفَلوها إلاّ لِاسْتِغْنائِهِمْ عَنْها، عَلىٰ حاجَتِنا إِلَيْها في زَمانِنا هٰذا. وَأَنا مُبَيِّنٌ ـ بِعَوْنِ اللّٰهِ ـ في بَحْثي هٰذا الأُسُسَ الرَّئيسَةَ لِلمَنْهَجِ الّذي يُسْتَحْسَنُ اتِّباعُهُ في صُنْعِ دَواوينِ الشُّعَراءِ، لِيَقْرُبَ مَأْخَذُها وَتَسْهُلَ الإفادَةُ مِنْها.

---

(٤) «أشعار العامريين الجاهليين» دار الحوار ـ اللاذقية سنة ١٩٨٢.

(٥) مكتبة دار الشرق ـ بيروت سنة ١٩٧٨، وقد استعرض فيه المؤلف ما وقف عليه من الدواوين المنشورة.

جَمْعُ دَواوينِ الشُّعراء :

يَقولُ عَبْدُ الكَريم النَّهْشَلِيُّ القَيْروانيُّ(٦) : «لمَّا رَأَت العَرَبُ المَنْثورَ يَنِدُّ عَلَيْهم، وَيَنْفَلِتُ مِنْ أَيْديهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كِتابٌ يَتَضَمَّنُ أَفْعالَهُمْ، تَدَبَّروا الأَوْزانَ وَالأَعاريضَ، فَأَخْرَجوا الكَلامَ أَحْسَنَ مُخْرَجٍ ، بِـأَساليبِ الغِنـاءِ، فَجاءَهُمْ مُسْتَوِياً، وَرأَوْهُ باقِياً عَلىٰ مَمَرِّ الأَيّامِ ، فَأَلَّفـوا ذٰلِكَ وَسَمَّـوْهُ شِعْراً، وَالشِّعْرُ عِنْدَهُم : الفِطْنَةُ، وَمَعْنىٰ قَوْلِهِمْ : لَيْتَ شِعْري : أَيْ لَيْتَ فِـطْنَتي . وَالشِّعْرُ أَبْلَغُ البَيانَيْنِ، وَأَطْـوَلُ اللِّسانَيْنِ، وَأَدَبُ العَـرَبِ المَأْثـورُ، وَدِيوانُ عِلْمِها المَشْهورُ . . » .

وَيَقْتَفي ابنُ رَشيقٍ أَثَرَ شَيْخِهِ النَّهْشَلِيِّ ، فَيُرَدِّدُ آراءَهُ بِعَيْنِها ثُمَّ يَقولُ(٧) : «وَقيلَ : ما تَكَلَّمَتِ العَرَبُ بِهِ مِنْ جَيِّدِ المَنْثورِ أَكْثَرُ مِمّا تَكَلَّمَتْ بِهِ مِنْ جَيِّدِ المَوْزونِ، فَلَمْ يُحْفَظْ مِنَ المَنْثورِ عُشْرُهُ، وَلا ضاعَ مِنَ المَوْزونِ عُشْرُهُ . . » .

هكَذا فَسَّرَ النَّهْشَلِيُّ ، وَابْنُ رَشيقٍ مِنْ بَعْدِهِ، ظاهِرَةَ حِرْصِ العَـرَبِ عَلىٰ قَوْلِ الشِّعْرِ : بِبَقائِهِ عَلىٰ مَمَرِّ الأَيّامِ ، وَسُهولَةِ حِفْظِهِ، فَلا عَجَبَ أَنِ اهْتَمَّ بِهِ العَرَبُ مُنْذُ القِدَمِ وَحَرِصُوا عَلىٰ حِفْظِهِ وَاعْتَنَوا بِرِوايَتِهِ، فَقَدْ مَكَّنَتْهُ صِفَةُ البَقاءِ وَسُهولَةُ الحِفْظِ مِنْ أَنْ يُصْبِحَ ـ في الجاهِلِيَّةِ ـ وَسيلَةَ الإِعْلامِ (٨) الوَحيدَةَ المُتاحَةَ، يُعَبِّرونَ بِوَسـاطَتِها عَنْ تَـطَلُّعاتِهِمْ وَرَغبـاتِهِمْ، وَيُشيدونَ بِمفاخِرِهِمْ وَانْتِصاراتِهِمْ، وَيَتَهَدَّدونَ وَيَسْتَعْطِفُونَ، وَيَسْتَرضُونَ وَيُعـاتِبونَ، وَيَمْدَحُونَ وَيَذُمُّونَ. وَلَمْ تَكُنِ الخَطابَةُ في ذٰلِـكَ العَصْرِ تُنـافِسُ الشِّعْرَ في

---

(٦) «الممتع في علم الشعر وعمله» تحقيق د. منجي الكعبي ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ـ سنة ١٩٧٨ ، ص ٣٠ .

(٧) «العمدة» تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ـ القاهرة سنة ١٩٣٤ ، ص ٧ ، ٨ .

(٨) كان هذا في الجاهلية ، قبل أن تصبح الخطابة (في الإسلام) وسيلة الإعلام الرسميّة . ولنا مقالة ـ ستنشر قريباً بإذن الله ـ تبحث في الدور الإعلامي لكل من الشعر والخطابة .

دَوْره هـذا، فَإِنَّ القَليـلَ الّذي وَصَـلَ إِلَيْنا مِنَ الخُـطَبِ الّتي كانَتْ تُلْقىٰ في «الأَسْواقِ» ـ كَسُوقِ عُكاظَ ـ لَمْ يَكُنْ يَرْقىٰ مَراقِيَ الوَسيلَةِ الإِعْلامِيَّةِ الرَّئيسَةِ: الشِّعْرِ. لِذٰلكَ رَأَيْنا القَبائِلَ تُبَجِّلُ شُعَراءَها وَتُعْنىٰ بِأَشْعارِهم وتُهَنَّأُ بِظُهورِهِمْ وَنُبوغِهِمْ. وَقَدْ كانَتْ حَنيفَةُ ـ مَثَلاً ـ مِنْ أَكْثَرِ القَبائِلِ العَرَبِيَّةِ في الجاهِلِيَّةِ بَأْساً وَعَدَداً وَرَخاءً، وَكانَتْ مُظَفَّرَةً في مَعارِكِها، غَنِيَّةً في مَوارِدِها، لٰكِنَّها لَمْ يَكُنْ لَها بَيْنَ القَبائِلِ الذِّكْرُ الّذي كانَ لِشَيْبانَ وَتَغْلِبَ، وَعامِرَ وَتَميمَ، وَما ذٰلِكَ إِلّا لِقِلَّةِ حَظِّها مِنَ الشِّعْرِ(٩)، فَأَدّىٰ افْتِقارُها إِلىٰ «المَصادِرِ الإِعْلامِيَّةِ» أَنْ تُنوسِيَتْ مَآثِرُها وَجُهِلَتْ مَكارِمُها وَمَفاخِرُها، فَقَنِعَتْ بِالذِّكْرِ الضَّئيلِ في عَصْـرٍ كانَ الصّيتُ فِيهِ أَنْفَذَ مِنَ الفِعْلِ، وَالسُّمْعَةُ أَقْوىٰ مِنَ الحَقيقَةِ. وَقَدْ أَشارَ ابنُ قُتَيْبَةَ إِلىٰ أَثَرِ الشِّعْرِ في نَشْرِ المَكارِمِ وَحِفْظِ المفاخِرِ فَقـالَ(١٠): «وَمَنْ لَمْ يَقُمْ عِنْدَهُمْ عَلىٰ شَرَفِهِ وَما يَدَّعيهِ لِسَلَفِهِ مِنَ المَناقِبِ الكَريمَةِ وَالفِعالِ الحَميدِ بَيْتٌ مِنْهُ ـ أي الشِّعْر ـ شَذَّتْ مَساعِيه وَإِنْ كانَتْ مَشْهورَةً، وَدَرَسَتْ عَلىٰ مُرورِ الأَيّامِ وَإِنْ كانَتْ جِساماً. وَمَنْ قَيَّـدَها بِقَـوافي الشِّعْرِ، وَأَوْثَقَهـا بِأَوْزانِـهِ، وَأَشْهَـرَها بـالبَيْتِ النّادِرِ وَالمَثَـلِ السّائِـرِ وَالمَعْنَىٰ اللَّطيفِ، أَخْلَدَهـا عَلىٰ الدَّهْرِ، وَأَخْلَصَها مِنَ الجَحْدِ. . ».

كُلُّ هٰذا يَدُلُّنا عَلىٰ أَنَّ الشِّعْرَ في الجاهِلِيَّةِ لَمْ يَكُنْ وَسيلَةً لِلتَّعْبيرِ عَنِ المَشاعِرِ وَالأَحاسِيسِ وَالرَّغَباتِ وَالآمالِ وَالتَّجارِبِ وَالمُعاناةِ لَدىٰ الشّاعِرِ فَحَسْب، بَلْ كانَ أَيْضاً «مِهْنَةً» أَوْ «صِناعَةً» يَحْتَرِفُها الشّـاعِرُ، تَهْـدِفُ إِلىٰ الإِعْلانِ عَنْ وُجْهَةِ نَظَرِهِ أَوْ نَظَرِ القَبيلَةِ الّتي يُمَثِّلُها في أُمورٍ كانَت الحَياةُ في الجـاهِلِيَّةِ قَـدْ بُنِيَتْ عَلَيْها. وَكـانَ لِمِهْنَةِ «الإِعْـلامِ» هٰذِهِ مِنَ الضَّـروراتِ وَالاحْتِياجاتِ وَالمَهاراتِ ما أَوْجَبَ عَلَىٰ الشّاعِرِ أَنْ «يَتَدَرَّبَ» عَلىٰ يَدِ مُعَلِّمٍ

(٩) يذكر الجاحظ في كتابه «الحيوان» ـ تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة (المصورة)، دار الكتاب العربي، بيروت سنة ١٩٦٩، ص ٣٨٠ ـ أنّ بني حنيفة كانوا أقلّ الناس شعراً.

(١٠) «عيون الأخبار» ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامّة سنة ١٩٦٣ ـ ج٢ ص ١٨٥.

خَبيرٍ في هٰذِهِ الصِّناعَةِ لِيَتَهيَّأَ لَهُ القِيامُ بِالمَهَمَّةِ المَنُوطَةِ بِهِ عَلىٰ الوَجْهِ الأَكْمَلِ ، فَجاءَتْ ظاهِرَةُ «الشُّعراءِ الرُّواةِ» بَياناً لِهٰذا الاتِّجاهِ، إِذِ الْتَحَقَ كَثيرٌ مِنَ الَّذينَ رَغِبوا في احْتِرافِ الشِّعْرِ بِأَساتِذَةٍ كانَ لَهُمْ باعٌ في النَّظْمِ وَشُهْرَةٌ، يَجْمَعونَ أَشْعارَهُمْ وَيَحْفَظُونَها وَيُرَدِّدُونَها، فَسَمِعْنا أَنَّ امْرَأَ القَيْسِ كانَ راوِيَةَ أَبي دُوادٍ الإِيادِيِّ، وَزُهَيْراً راوِيَةَ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ، وكَعْباً راوِيَةَ أَبيهِ زُهَيْرٍ، وَالحُطَيْئَةَ راوِيَةَ زُهَيْرٍ وَابْنِهِ كَعْبٍ، وَهُدْبَةَ بنَ الخَشْرَمِ راوِيَةَ الحُطَيْئَةِ وَجَميلاً راوِيَةَ هُدْبَةَ، وَكُثَيِّراً راوِيَةَ جَميلٍ(١١)، فَلَعَلَّ أَقْدَمَ صُوَرِ جَمْعِ دَواوينِ الشُّعَراءِ كانَ ما ذَكَرْنا مِنْ حِفْظِها وَإِذاعَتِها مِنْ قِبَلِ الرُّواةِ المُتَتَلْمِذينَ لَهُمْ. عَلىٰ أَنَّ الرُّواةَ لَمْ يَكونوا كُلُّهُمْ مِنَ الرّاغِبينَ في احْتِرافِ الشِّعْرِ، بَلْ نَجِدُ مِنْهُمْ مَنْ رَوىٰ لِشاعِرٍ ما حُبّاً في شِعْرِهِ وَإِعْجاباً، مِثْلَ يَحْيىٰ بنِ مَتّىٰ(١٢) راوِيَةِ الأَعْشىٰ الَّذي كانَ عِبادِيّاً مِنْ نَصارىٰ الحِيرَةِ، وَلَمْ يَجْمَعْهُ وَالأَعْشىٰ مِنْ صِلَةٍ سِوىٰ إِعْجابِهِ بما يَقولُ، وَما سَمِعْنا لَهُ بِشِعْرٍ وَلا عَرَفْنا أَنَّه قالَ مِنْهُ شَيْئاً. فَلَعَلَّ هٰؤُلاءِ كانوا خَيْراً لِلدَّواوينِ، لأَنَّ جَمْعَهُمْ لَها غايَةٌ لا وَسيلَةٌ، وَالوَسيلَةُ تُنْبَذُ بَعْدَ الوُصولِ إِلىٰ الغايَةِ. وَما أَظُنُّ امْرَأَ القَيْسِ ـ بَعْدَ إِتْقانِهِ قَوْلَ الشِّعْرِ وشُهْرَتِهِ بِهِ ـ حافَظَ عَلىٰ رِوايَةِ شِعْرِ أَبي دُوادٍ، وَلا فَعَلَ ذٰلكَ زُهَيْرٌ لأَوْسٍ. كما لا أَرىٰ مَنْ جَمَعَ قَوْلَ شاعِرٍ إِعْجاباً بِهِ وَرَغْبَةً فيهِ تارِكاً رِوايَتَهُ إِلاّ لِحادِثَةٍ أَوْ لِعِلَّةٍ. عَلىٰ أَنَّ ما يَهُمُّنا مِنْ ذٰلِكَ كلِّه أَنَّ أَسْبابَ الرِّوايَةِ تَعَدَّدَتْ، فَأَدّىٰ ذٰلِكَ إِلىٰ حِفْظِ دَواوينِ الشُّعراءِ الفُحولِ.

ثُمَّ بَلَغَنا أَنَّ القَبائِلَ كانَتْ تَحْفَظُ القَصائِدَ الَّتي قالَها الشُّعراءُ تَمجيداً لَها

(١١) انظر: «طبقات فحول الشعراء» لابن سلّام ـ تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني سنة ١٩٧٤ ـ ص ٩٧، ١٠٤ . و«الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني ـ طبعة دار الثقافة بيروت سنة ٥٥ ـ ١٩٦٤ ـ ج ٨ ص ٩١، ج ٢١ ص ٢٧٧ و«العمدة» ج ١ ص ١٧٢ .

(١٢) اختلف في اسمه، فقيل يحيى وقيل يونس وقيل عبيد. ويرى الدكتور ناصر الدين الأسد في «مصادر الشعر الجاهلي» ـ الطبعة الخامسة، دار المعارف سنة ١٩٧٨، ص ٢٤٠ ـ أنها أسماء ثلاثة لرجل واحد.

وَفَخراً بِانْتِصاراتِها وَمَدْحاً لِزُعمائِها وَإِشادَة بِأَبْطالِها وَهِجاءً لأَعْدائِها(١٣). وَمَعَ أَنَّنا قَدْ لا نَسْتَطيعُ أَنْ نَعُدَّ هٰذا جَمْعاً لِدواوينِ الشُّعَراءِ، إِذْ رُبَّما أَهْمَلَتِ القَبائِلُ الأَشْعارَ ما لَمْ تكُنْ دِعايةً لَها وَإِعلاناً عَنْ فضائِلِها وَأَمْجادِها، إلاّ أَنَّنا نَقِفُ أَمامَ صُورَةٍ أُخْرىٰ مِنْ صُوَرِ جَمْعِ الشِّعْرِ؛ هِيَ الدَّواوينُ الَّتي تَدورُ حَوْلَ مَواضيعَ مُحَدَّدَةٍ. وَكانَ أَقْدَمُ ما وَصَلَ إِلَيْنا عَنْ تَدْوينِ مِثْلِ هٰذِهِ المَجاميعِ ما أَخْبَرنَا بِهِ ابْنُ سَلاّم(١٤) مِنْ أَنَّهُ «كانَ عِنْدَ النُّعْمانِ بْنِ المُنْذِرِ مِنْهُ دِيوانٌ فِيهِ أَشْعارُ الفُحولِ وَما مُدِحَ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ بِهِ، صَارَ ذٰلِكَ إِلىٰ بَني مَرْوانَ، أَوْ صارَ مِنْهُ..». وَلَعَلَّ هٰذِهِ أَوَّلُ إِشارَةٍ صَريحَةٍ عَرَفْناها عَنْ تَدْوينِ المَجاميعِ الشِّعْرِيَّةِ في العَصْرِ الجاهِلِيِّ.

ثُمَّ تَتَوالىٰ أَخْبارُ حِفْظِ الشِّعْرِ وَرِوايَتِهِ، فَنَرى مَنِ اسْتَعانَ بِهِ عَلىٰ تَوْضيحِ مَعاني القُرْآنِ الكَريمِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبّاسٍ رضي الله عنه الَّذي كانَ لا يُفَسِّرُ آيَةً إلاّ اسْتَشْهَدَ عَلىٰ قَوْلِهِ بِشِعْرٍ جاهِلِي، وَنَرىٰ مَنْ حَفِظَهُ تَأَدُّباً وَتَظَرُّفاً، مِثْلَ ابْنِ أَبي عَتيقٍ، وَمَنْ رَواهُ تَوَسُّعاً في العِلْمِ وَاسْتِزادَةً، مِثْلَ الشَّعْبِيِّ وَقَتادَةَ، بَلْ نَرىٰ مَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ لِيَنالَ بِهِ حُظْوَةً لَدىٰ الخُلَفاءِ، مِثْلَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَشْعَثِ الَّذي رَوىٰ الشِّعْرَ لِما عَرَفَهُ مِنْ حُبِّ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ لَهُ(١٥). لٰكِنَّنا لَمْ نَسْمَعْ عَنْ هٰؤُلاءِ أَنَّهُم جَمَعوا الأَشْعارَ وَدَوَّنوها، وَإِنَّما حَفِظوها وَاسْتَشْهَدوا بها، فَهُمْ إِذَنْ لَيْسوا مِمَّنْ تَقَصَّدَ جَمْعَ الدَّواوينِ، وَلا عَلاقَةَ لَنا بِهِمْ في بَحْثِنا هٰذا.

ثُمَّ نَعودُ فَنُطالِعُ إِثْرَ ذٰلِكَ أَخْبارَ اهْتِمامِ القَبائِلِ بِشِعْرِ شُعَرائِها القُدامىٰ، وَأَنَّ مِنْها مَنْ وَجَدَتْ ما قيلَ في «الدِّعايَةِ» لَها نَزْراً فَأَضافَتْ إِلَيْهِ

(١٣) نكاد نجزم أن هذا كان أصل مجموعات أشعار القبائل التي وصل إلينا منها مجموع أشعار هذيل، والمتدبّر لهذا المجموع يجده ربما حوى لشاعر بضعة أبيات فقط، ولم يلمّ بكامل شعره.

(١٤) «طبقات فحول الشعراء» ص ٢٥.

(١٥) «الحيوان» ج ٥ ص ١٩٤.

وَزادَتْ فِيهِ(١٦)، وَهٰذا يَنْقُلُنا إِلىٰ نَظَرِيّاتِ الشِّعْرِ المَنْحولِ، وَصِحَّةِ ما وَصَلَ إِلَيْنا مِنْ شِعْرِ الجاهِلِيَّةِ بِخاصَّةٍ. وَلا يَهُمُّنا هٰذا الأَمْرُ هُنا في كَثيرٍ أَوْ قَليلٍ، وَلَنْ نَتَطَرَّقَ إِلى تَرْجيحِ رَأْيٍ أَوْ رَفْضِ آخَرَ(١٧)، فَما هٰذا مَوْضوعُ الدِّراسَةِ، وَإِنْ كُنّا قَدْ نَمَسُّ المَسْأَلَةَ مَسّاً رَفيقاً عِنْدَ التَّحَدُّثِ عَنِ التَّوَثُّقِ في رِوايَةِ الشِّعْرِ.

ثُمَّ تَصِلُ إِلَيْنا بَعْدُ أَخْبارُ العُلَماءِ الرُّواةِ، كَأَبي عَمْرِو بنِ العَلاءِ وَخَلَفٍ الأَحْمَرِ وَحَمّادٍ الرّاوِيَةِ، فَنَعْرِفُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ جَمَعوا شِعْرَ العَرَبِ وَرَوَوْهُ وَدَوَّنوهُ، وَنَقَلَ عَنْهُمْ تَلامِذَتُهُمْ كُلَّ هٰذا الَّذي جَمَعوهُ وَرَوَوْهُ وَدَوَّنوهُ، فَيُمَثِّلُ ذٰلِكَ لَنا وَجْهاً آخَرَ مِنْ وُجوهِ جَمْعِ الشِّعْرِ.

وَيَخْلُصُ لَدَيْنا ـ مِنْ كُلِّ ما تَقَدَّمَ ـ سُبُلٌ ثَلاثٌ عَرَفْناها لِجَمْعِ الشِّعْرِ قَديماً: أُولاها ما سَلَكَهُ الرُّواةُ الَّذينَ حَفِظوا أَشْعارَ أَساتِذَتِهِمْ أَوْ مَنْ أُعْجِبوا بِشِعْرِهِ فَرَوَوْهُ. وَثانِيَتُها ما انْتَهَجَهُ رُواةُ أَشْعارِ القَبائِلِ الَّذينَ اهْتَمّوا بِجَمْعِ القَصائِدِ الَّتي تُمَجِّدُ عَشائِرَهُمْ وَتُشيدُ بِمَآثِرِها وَوَقائِعِها، وَلَعَلَّ مِنْهُمْ مَنْ زادَ فيها وَتَكَثَّرَ، لٰكِنَّ ذٰلِكَ يَبْقىٰ صورَةً مِنْ صُوَرِ جَمْعِ الشِّعْرِ. وَثالِثَتُها ما اسْتَنَّهُ العُلَماءُ الَّذينَ اهْتَمّوا بِرِوايَةِ الشِّعْرِ لِما رَأَوْا مِنْ رَواجِ سوقِهِ أَوْ لِما تَقَصَّدوهُ مِنَ الحِفاظِ عَلَيْهِ مِنَ الضَّياعِ، لأَنَّهُ أَساسٌ لِفَهْمِ اللُّغَةِ، وَمَصْدَرٌ لِمَعْرِفَةِ الأَخْبارِ وَالوَقائِعِ وَالأَماكِنِ، أَوْ لِغَيْرِ ذٰلِكَ كُلِّهِ.

مَيْزُ صَحيحِ الشِّعْرِ مِنْ زائِفِهِ:

يَقولُ ابنُ سَلّامٍ(١٨): «.. وَلَيْسَ يُشْكِلُ عَلىٰ أَهْلِ العِلْمِ زِيادَةُ الرُّواةِ وَلا ما وَضَعوا، وَلا ما وَضَعَ المُوَلَّدونَ، وَإِنَّما عَضَّلَ بِهِمْ أَنْ يَقولَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ البادِيَةِ مِنْ وَلَدِ الشُّعَراءِ، أَوِ الرَّجُلُ لَيْسَ مِنْ وَلَدِهِمْ، فَيُشْكِلَ ذٰلِكَ بَعْضَ

---

(١٦) «طبقات فحول الشعراء» ص ٤٦

(١٧) تناول كتاب «مصادر الشعر الجاهلي» ـ ص ٢٨٧ إلى ٤٧٨ ـ موضوع الشك في هذا الشعر بما لا مزيد عليه.

(١٨) «طبقات فحول الشعراء» ص ٤٦ ـ ٤٧.

الإشْكالِ». . ثُمَّ يُخبِرُنا بَعْدُ(١٩) أنّ جَريراً رَفَدَ هِشاماً المَرَئِيَّ ـ وَكانَ يُهاجي ذا الرُّمَّةِ ـ بأَبْياتٍ أَوَّلُها:

غَضِبْتَ لِرَهْطٍ مِنْ عَدِيٍّ تَشَمَّسوا وَفي أيِّ يَوْمٍ لَمْ تُشَمِّسْ رِحالُها

وَإنَّما فَعَلَ ذلِكَ جَريرٌ لِتُهْمَتِهِ ذا الرُّمَّةِ وَمَيْلِهِ إلىٰ الفَرَزْدَقِ. فَلما بَلَغَتِ الأَبْياتُ ذا الرُّمَّةِ قال: «وَاللهِ ما هٰذا بِكلامِ هِشامٍ، وَلٰكِنَّهُ كَلامُ ابنِ الأَتانِ. . هُوَ وَاللهِ شِعْرُ حَنْظَلِيٍّ عَدَوِيٍّ. . ». وَيُعيدُ أبو الفَرَجِ الأَصْفَهانِيُّ(٢٠) قَصَّ هٰذا الخَبَرِ، وَيَزيدُ فِيهِ أَنَّ ذا الرُّمَّةِ عَتبَ عَلىٰ جريرٍ في ذٰلِكَ وَذَكَّرَهُ خُؤولَةً لَهُ في بَني عَدِيٍّ ـ رَهْطِ ذي الرُّمَّةِ ـ وَتَبَرَّأَ لَهُ مِنْ مُمالأَتِهِ لِلْفَرَزْدَقِ، فَرَفَدَهُ بِأَبْياتٍ ثَلاثَةٍ أَوَّلُها:

يَعُدُّ النّاسِبُونَ إلىٰ تَميمٍ بُيوتَ المَجْدِ أَرْبَعَةً كِبارا

فَقالَ ذو الرُّمَّةِ قَصيدَةً طَويلَةً ـ عَدَدُ أَبْياتِها في ديوانِهِ ثَلاثَةٌ وَخَمْسونَ بَيْتاً ـ أَلْحَقَ الأَبياتَ بِها، فَلَمّا سَمِعها المَرَئِيُّ جَعَلَ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَيَقولُ: «مالي وَلِجَريرٍ!!». ثُمَّ يَذْكُرُ الأَصْفَهانِيُّ أَنَّ ذا الرُّمَّةِ أَنْشَدَ الفَرَزْدَقَ قَصيدَتَهُ هذه الطويلَةَ، فَلَمّا وَصَلَ إلىٰ الأَبياتِ اسْتَعادَها ثُمَّ قال: «كَذَبَ فُوكَ، وَاللهِ لَقَدْ نَحَلَكَها أَشَدُّ لَحْيَيْنِ مِنْكَ. هٰذا شِعْرُ ابْنِ الأَتانِ».

وَيُشيرُ أَبو بَكْرٍ الصُّوليُّ(٢١) إلىٰ هٰذا الخَبَرِ وَيُعَلِّقُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «فَانْظُرْ إلىٰ نَقْدِ الفَرَزْدَقِ وَتَمْييزِهِ لأَبياتٍ تُشْبِهُ أَبْياتاً لِشاعِرٍ مُفْلِقٍ مِنْ قَصيدَةٍ طَويلَةٍ حتى مَيَّزَها» وكان الفرزدقُ رَفَدَ عمرَ بنَ لجأ بِبَيْتَيْنِ، زادهُما في قصيدةٍ لهُ طويلةٍ ـ تَعْدادُها في ديوانِهِ تِسْعَةٌ وَثلاثون وَمائَةُ بَيْتٍ ـ فَعَرَفَ جَريرٌ أَنَّهُما لِلْفَرَزْدَقِ(٢٢).

---

(١٩) «طبقات فحول الشعراء»، ص ٥٥٧ ـ ٥٥٨.

(٢٠) «الأغاني» ج ٨ ص ٥٦ ، ج ١٧ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٢١) «ديوان أبي نواس» برواية الصولي ـ تحقيق د. بهجت الحديثي، دار الرسالة للطباعة بغداد سنة ١٩٨٠ ـ ص ٦١ ـ ٦٣.

(٢٢) المصدر نفسه ص ٦٤ ، و «الأغاني» ج ٢١ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

وَيَنْقُلُ ابْنُ سَلّام (٢٣) عَنْ أَبي عُبَيْدَةَ أَنَّ داوُدَ بْنَ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَةَ «قَدِمَ البَصْرَةَ في بَعْضِ ما يَقْدَمُ لَهُ البَدَوِيُّ مِنَ الجَلَبِ وَالميرَةِ، فَنَزَلَ النَّحيتَ، فَأَتَيْتُهُ أَنا وَابنُ نوحٍ العُطارِدِيُّ، فَسَأَلْناهُ عَنْ شِعْرِ أَبيهِ مُتَمِّمٍ وَقُمْنا لَهُ بِحاجَتِهِ وَكَفَيْناهُ ضَيْعَتَهُ، فَلَمّا نَفِدَ شِعْرُ أَبيهِ، جَعَلَ يَزيدُ في الأَشْعارِ وَيَصْنَعُها لَنا، وَإِذا كَلامٌ دونَ كَلامِ مُتَمِّمٍ، وَإِذا هُوَ يَحْتَذي عَلىٰ كَلامِهِ، فَيَذْكُرُ المَواضِعَ الَّتي ذَكَرَها مُتَمِّمٌ، وَالوَقائِعَ الَّتي شَهِدَها. فَلَمّا تَوالىٰ ذٰلِكَ عَلِمْنا أَنَّهُ يَفْتَعِلُهُ».

وَيَتَضَمَّنُ هٰذا الخَبَرُ - عَلىٰ إِيجازِهِ - أُموراً كَثيرَةً لافِتَةً لِلنَّظَرِ:

أَوَّلُها أَنَّ داودَ هٰذا حَفِظَ شِعْرَ أَبيهِ، وَهٰذا جَمْعٌ.

وَثانيها أَنَّه زادَ فيه مُحْتَذِياً كَلامَهُ، وَهٰذا تَكْثيرٌ وَنَحْلٌ وَافْتِعالٌ.

وَثالِثُها أَنَّهُ كانَ يَذْكُرُ المَواضِعَ الَّتي ذَكَرَها مُتَمِّمٌ، لِكَيْ يَجوزَ شِعْرُهُ المَنحولُ عَلىٰ الشُّداةِ.

وَرابِعُها أَنَّهُ كانَ يَذْكُرُ الوَقائِعَ التي شَهِدَها مُتَمِّمٌ، لِلسَّبَبِ نَفْسِهِ.

وَخامِسُها أَنَّ العُلَماءَ بِالشِّعْرِ لاحَظوا أَنَّ الكَلامَ المُفْتَعَلَ كانَ دونَ كَلامِ مُتَمِّمٍ، وَلَمْ يَجُزْ عَلَيْهِمْ.

وَالأُمورُ الثَّلاثَةُ الأَخيرَةُ تَشْرَحُ لنا بَعْضَ القَواعِدِ الَّتي مَيَّزَ العُلَماءُ بِها مَنْحولَ الشِّعْرِ مِنْ صَحيحِهِ، وَهِيَ مَعْرِفَةُ المَواضِعِ الَّتي ذَكَرَها الشّاعِرُ في شِعْرِهِ، وَمَعْرِفَةُ الوَقائِعِ، وَمَعْرِفَةُ لُغَةِ الشّاعِرِ وَأُسْلوبِهِ وَ«كَلامِهِ».

فَهٰذِهِ أَخْبارٌ تُفيدُنا أَنَّ العُلَماءَ بالشِّعْرِ كانوا يُمَيِّزونَ بَيْنَ قَوْلِ شاعِرٍ وَآخرَ، وَبَيْنَ الأَصيلِ والمَوْضوعِ، وَالصَّحيحِ وَالزّائِفِ، وَالغَثِّ وَالسَّمينِ. وَلَمْ يَأْتِ ذٰلِكَ عَفْواً وَحَدْساً بَلْ تَمَّ وَفْقَ أُسُسٍ وَقَواعِدَ عِلْمِيَّةٍ، مَعَ مِرانٍ وَدُرْبَةٍ وَمُمارَسَةٍ وَمَلَكَةٍ، وَفَهْمٍ عَميقٍ لأَنْماطِ الكَلامِ وَأَساليبِهِ، وَطُرُقِ

(٢٣) «طبقات فحول الشعراء» ص ٤٧ - ٤٨.

التَّعْبيرِ وَمَناحيهِ، وَلُغاتِ القَبائِلِ وَلَهَجاتِها، وَخَواصِّ المَدارسِ الشِّعْرِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ وَمُمَيِّزاتِها. أَضِفْ إلى ذلك كلِّه مَعْرِفَةً واسِعَةً بِأَخْبارِ العَرَبِ وَأَيّامِهِمْ وَوَقائِعِهِمْ، وَمِياهِهِمْ وَمَنازِلِهِمْ وَدِيارِهِمْ، وَأَدْيانِهِمْ وَمَذاهِبِهِمْ وَأَوابِدِهِمْ، وَأَسْواقِهِمْ وَأَعيادِهِمْ وَعاداتِهِمْ، وَأَحْلافِهِمْ وَمُنافَراتِهِمْ وَتَواريخِهِمْ، وَما يَحْمَدونَ وَيَذُمّونَ وبِمَ يتفاءَلونَ ويتشاءَمونَ وما يَقْبلونَ ويَرْفضونَ وقَدْ كَوَّنَ هٰذا لَدَيْهِمْ أداةَ نَقْدٍ فَعّالةٍ، لا نَكادُ نَطْمَعُ نَحْنُ - في عَصْرِنا الحاضِرِ - أَنْ يَتَوَفَّرَ لَدَيْنا مِثْلُها.

صُنْعُ الدَّواوينِ الشِّعْرِيَّةِ في التُّراثِ العَرَبِيِّ :-

يَقِفُ المُتَدَبِّرُ لِما حَفَلَتْ بِهِ المَظانُّ مِنْ أَخْبارٍ عَنْ رِوايَةِ الشِّعْرِ وَلَمِّ شَعَثِهِ عَلىٰ أَشْياءَ تَسْتَرعي النَّظَرَ لِما حَظِيَ بِهِ هٰذا الشِّعْرُ مِنْ عِنايَةٍ وَاهْتِمامٍ مُنْذُ القِدَمِ.

فَمِنْ ذٰلِكَ ما وَقَفْنا عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ راوِيَةَ الأَعْشىٰ(٢٤) سَأَلَهُ عَمّا أَرادَ بِقَوْلِهِ:

وَمُدامَةٍ مِمّا تُعَتِّقُ بابِلٌ ... كَدَمِ الذَّبيحِ سَلَبْتُها جِرْيالَها

فقالَ الأَعْشىٰ: «شَرِبْتُها حَمْراءَ وَبُلْتُها بَيْضاءَ فَسَلَبْتُها لَوْنَها». وَمَعَ أَنَّنا نَرىٰ تَفْسيراتٍ لِهٰذا البَيْتِ في كُتُبِ اللُّغَةِ وَالأَدَبِ(٢٥)، مِثْلَ أَنْ يَكونَ أَرادَ أَنَّهُ شَرِبَها حَمْراءَ فَانْتَقَلَ احمِرارُ لَوْنِها إلىٰ وَجْهِهِ، أَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ مِمّا يُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ المَعْنىٰ عَلَيْهِ، إلّا أَنَّه يَجْدُرُ بِنا التَّوَقُّفُ قَليلاً أَمامَ هٰذا الخَبَرِ لِما يُشيرُ إلَيْهِ - صَراحَةً - مِنْ أَنَّ الرّاوِيَةَ لَمْ يَكْتَفِ بِحِفْظِ الشِّعْرِ بَلِ اهْتَمَّ بِشَرْحِهِ أَيْضاً.

وَتُخْبِرُنا المَظانُّ أَنَّ حَمّاداً الرّاوِيَةَ «كانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ أَشْعارَ العَرَبِ

---

(٢٤) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة - طبعة دار الثقافة ببيروت - سنة ١٩٦٤، ص ١٨١، و «المعرَّب» للجواليقي - تحقيق أحمد محمد شاكر - الطبعة الثانية - دار الكتب سنة ١٩٦٩، ص ١٥١.

(٢٥) «المعرب» ص ١٥١، و «لسان العرب» لابن منظور (جرل).

وَساقَ أَحاديثَها»(٢٦)، فهٰذِهِ سِياقَةٌ لأَحاديثِ الأَشْعارِ، عِلاوَةً علىٰ الجَمْعِ.

وَنَسْمَعُ أَنَّ رُواةَ الفَرَزْدَقِ كانوا «يُعَدِّلونَ ما انْحَرَفَ مِنْ شِعْرِهِ» وَكَذٰلِكَ كانَ رُواةُ جَريرٍ «يُقَوِّمونَ ما انْحَرَفَ مِنْ شِعْرِهِ وَما فيهِ مِنَ السِّنادِ»(٢٧)، فهٰذا تَقْويمٌ لِلشِّعْرِ وَتَصْحيحٌ. وَكُلُّها اتِّجاهاتٌ في «خِدْمَةِ» الشِّعْرِ لَمْ تَقْتَصِرْ على شَرْحِهِ بَلْ تَعَدَّتْهُ إلى نواحٍ أخرى بِقَصْدِ المُساعَدَةِ على فَهْمِ الشِّعْرِ وَالإِفادَةِ مِنْه. وَيُمْكِنُ تَلْخيصُ ما قَدَّمَ الرُّواةُ الأَوائِلُ لِدواوينِ الشُّعراءِ - إضافَةً إلىٰ الجَمْعِ - بِما يَلي:

ا - التَّفْسيرُ وَبَيانُ مُشْكِلِ المَعاني.

ب - سِياقَةُ أَحاديثِ الأَشْعارِ وَمُناسَباتِها.

جـ - التَّعْريفُ بِالوَقائِعِ وَالأَيّامِ المَذْكورَةِ في الأَشْعارِ.

د - وَصْفُ المَواقِعِ وَالمِياهِ المَذْكورَةِ فيها وتحديدُها.

هـ - تَقْويمُ النَّصِّ في بَعْضِ الأَحْيانِ.

وَنَحْسَبُ أَنَّ بِاسْتِطاعَتِنا أَنْ نُضيفَ إلىٰ ذٰلِكَ كلِّه تَرْتيبَ الدِّيوانِ بِحَسَبِ التَّسَلْسُلِ الزَّمَنِيِّ، فَإِنَّ رُواةَ الشِّعْرِ غالِباً ما كانوا يَحْفَظونَهُ فَوْرَ نَظْمِهِ، فَتَأْتي رِوايَتُهُم لَهُ تَبَعاً لِذٰلِكَ كَأَنَّما روعِيَ فيها التَّرْتيبُ الزَّمَنِيُّ، وَلٰكِنْ دونَما تَوَخٍّ لِهٰذا أَوْ قَصْدٍ. أَمّا جَمْعُ الشِّعْرِ بِحَسَبِ المَوْضوعاتِ فَما وَصَلَ إِلَيْنا أَنَّه تَمَّ إلاّ في عُهودٍ مُتَأَخِّرَةٍ، وَلا يُمْكِنُنا اعتبارُ ما عَرَفْناهُ مِنْ جَمْعِ القَبائِلِ أَوِ الأَفْرادِ لِشِعْرِ المَديحِ الّذي قيلَ فيهِمْ مِنْ هٰذا القَبيلِ، لأَنَّ ذٰلِكَ إِنّما كانَ حَصْراً لِجُزْءٍ مِنْ شِعْرِ بَعْضِ الشُّعَراءِ، وَلَيْسَ تَصْنيفاً لِلشِّعْرِ كُلِّه. كَذٰلِكَ ما نَظُنُّ أَحَداً مِنَ الأَوائِلِ رَتَّبَ ديوانَ شِعْرٍ بِحَسَبِ قَوافيهِ، وَإِنَّما تَمَّ ذٰلِكَ بِأَخَرَةٍ.

---

(٢٦) «طبقات فحول الشعراء» ص ٤٨.

(٢٧) «الأغاني» ج ٤ ص ٢٦٠، ٢٦١. ولا نجد سناداً فيما وصل إلينا من شعر جرير، والنصّ يشير إلى وجوده وتقويم الرواة له.

هٰذا ما كانَ مِنْ أَمْرِ جَمْعِ الشِّعْرِ في القَديمِ إِلىٰ أواخِرِ عَهْدِ بَني أُمَيَّةَ. أَمّا ما عَقَبَ ذٰلِكَ فَقَد اقْتَفىٰ خُطا مَنْ سَبَقَ، وَلٰكِنَّ العُلَماءَ ـ وَقَدْ وَجدوا الشِّعْرَ قَدْ حُفِظَ وَدُوِّنَ وَرُوِيَ ـ اخْتَصُّوا أَنْفُسَهُمْ بِمَعايِيرَ وَمَناهِجَ لِلْجَمْعِ كانَتْ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الرِّجالِ وَالأَزْمانِ وَالأَغْراضِ، فَوَجَدْنا مِنَ العُلَماءِ مَنْ يَتَشَدَّدُ كَثيراً في اخْتِيارِ ما يَجْمَعُ وَتَمْحيصِهِ، فَلا يَقْبَلُ إِلاّ ما رَواهُ عَنِ الثِّقاتِ بَلْ ما صَحَّ لَدَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ، كما فَعَلَ الأَصْمَعِيُّ في عَمَلِهِ لِدَواوينِ الشُّعَراءِ السِّتَّةِ، إِذْ رَفَضَ كُلَّ ما ساوَرَهُ أَدْنىٰ شَكٍّ فيهِ وَلَمْ يُدْرِجْ سِوىٰ ما ثَبَتَ لَدَيْهِ صِحَّتُهُ مِنْ شِعْرِهِمْ، فَأَدّىٰ ذٰلِكَ إِلىٰ صِغَرِ حَجْمِ الدَّواوينِ الَّتي صَنَعَها، وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ لَمْ يَجِدْ قَبولاً عِنْدَ الكَثيرينَ، بَلْ اعْتَبَروهُ قُصوراً وَتَقْصيراً، فَنَرىٰ صاحِبَ الفِهْرِسْتِ يَقولُ(٢٨) «وَعَمِلَ الأَصْمَعِيُّ قِطْعَةً كَبيرَةً مِنْ أَشْعارِ العَرَبِ لَيْسَتْ بِالمُرضِيَةِ عِنْدَ العُلَماءِ لِقِلَّةِ غَرْبَتِها (؟) وَاخْتِصارِ رِوايَتِها». وَإِنَّما كانَ ذٰلِكَ لِما تَرَكَ الأَصْمَعِيُّ مِنْ شِعْرٍ كَثيرٍ لَمْ يَثِقْ بِصِحَّتِهِ، لا لِقِلَّةِ ما حَفِظَ وَجَمَعَ. وَنَحْنُ نَعْرِفُ عَنِ الأَصْمَعِيِّ تَشَدُّدَهُ في قَبولِ أَشْياءَ كَثيرَةٍ في اللُّغَةِ بَلْهَ الشِّعْرِ. وَكَذٰلِكَ فَعَلَ أبو بَكْرٍ الصُّوليُّ ـ فيما بَعْدُ ـ إِذْ دَأَبَ عَلىٰ اخْتِيارِ ما صَحَّ عِنْدَهُ وَتَرْكِ ما شَكَّ فيه، غَيْرَ أَنَّهُ كانَ كَثيراً ما يَحْتاطُ بِذِكْرِ أَوائِلِ القَصائِدِ الَّتي يَعُدُّها مِنَ المَنْحولِ خِشْيَةَ أَنْ يُتَّهَمَ بِالجَهْلِ أَوِ التَّقْصيرِ، كما فَعَلَ في رِوايَتِهِ لِديوانِ أَبي نُواسٍ.

عَلىٰ أَنَّ زُمْرَةً مِنَ العُلَماءِ ـ خُصوصاً مِنَ المُتَأَخِّرينَ مِنْهُمْ ـ كانوا أَكْثَرَ تَساهُلاً وَمَيْلاً إِلىٰ قَبولِ كُلِّ ما نُسِبَ إِلىٰ الشّاعِرِ مِنْ قَوْلٍ، فَلَمْ يَتْرُكوا إِلاّ ما ثَبَتَ لَدَيْهِمْ أَنَّهُ لِغَيْرِهِ، فَجاءَ ما جَمَعوهُ أَكْثَرَ مِمّا جَمَعَ المُتَشَدِّدونَ وَأَتَمَّ، وَلَقِيَ عَمَلُهُمْ هٰذا رِضىٰ الخاصَّةِ وَالعامَّةِ، مِمّا دَفَعَ بِالبَعْضِ إِلىٰ تَتَبُّعِ رِواياتِ مَنْ سَبَقوهُمْ بِالزِّيادَةِ وَالإِكْمالِ، وَحَدا بِالآخَرينَ عَلىٰ التَّكَثُّرِ في الجَمْعِ دونَما

(٢٨) «الفهرست» لابن النديم ـ تحقيق رضا تجدد ـ طهران سنة ١٩٧١ ـ ص ٦١.

تَثَبُّتٍ أَوْ تَدقيقٍ، فَجاءوا بِتَفاهاتٍ انْتَقَدَهُمْ عَلَيْها العُلَماءُ، كالَّذي ذُكِرَ مِنْ نِسْبَةِ المُسَمَّطاتِ إلىٰ امْرِىءِ القَيْسِ، وَرَفْضِ أَمْثالِ أبي العَلاءِ(٢٩) وَالصَّغانيِّ(٣٠) لِهٰذِهِ النِّسْبَةِ.

وَلَمّا اسْتَوْفَى العُلَماءُ الجَمْعَ وَضَمَّ الرِّواياتِ المُخْتَلِفَةِ إلىٰ الدَّواوينِ، شَرَعوا يَنْظُرونَ فِيما يُمْكِنُ أَنْ يُضِيفوهُ إلَيْها، حَتَّىٰ لا يَكونَ عَمَلُهُمْ تَكْراراً لِما أَتىٰ بِهِ مَنْ سَبَقَهُمْ، فَظَهَرَتِ الشُّروحُ وَسِياقَةُ الأَخْبارِ. فَلَمّا تَمَّ لَهُمْ ذٰلِكَ كُلُّهُ نَظَروا في تَنْسيقِ ما بَيْنَ أَيْديهِمْ مِنْ مادَّةٍ، فَجَمَّعوها بِحَسَبِ المَوْضوعاتِ أَو بِحَسَبِ القَوافِي، أَوْ خَلَطوا بَيْنَ هٰذَيْنِ، أَو انْتَهَجوا غَيْرَ ذٰلِكَ كُلِّهِ.

وَلَعَلَّ أَوَّلَ تَرْتيبٍ لِلدَّواوينِ كانَ ـ كما أَسْلَفْنا ـ بِحَسَبِ الزَّمَنِ الَّذي قِيلَ فيهِ الشِّعْرُ، ثُمَّ نَجِدُ أَنَّ العُلَماءَ قاموا بِتَرْتيبِها بِحَسَبِ أَهَمِّيَّةِ القَصائِدِ ـ في رَأْيِهِمْ ـ كَما نُلاحِظُ مِنْ جَمْعِ الأَصْمَعِيِّ لأَشْعارِ الشُّعراءِ السِّتَّةِ الجاهِلِيِّينَ وَلِرَجَزِ العَجّاجِ مَثَلاً، وَتَلاهُ في ذٰلِكَ مُحَمَّدُ بنُ حَبيبٍ وَالسُّكَّرِيُّ وَغَيْرُهُمْ كَثيرٌ. ثُمَّ ظَهَرَ تَرْتيبُ الدَّواوينِ بِحَسَبِ المَوْضوعاتِ، وَرُبَّما بَدَأَ ذٰلِكَ في القَرْنِ الثّالِثِ الهِجْرِيِّ(٣١) أَمّا تَرْتيبُ الشِّعْرِ بِحَسَبِ القَوافي فَلَمْ يُعْرَفْ قَبْلَ القَرْنِ الرّابعِ الهِجْرِيِّ، فَنَراهُ عِنْدَ الصُّولِيِّ الَّذي نَسَّقَ دِيوانَ أَبي نُواسٍ بِحَسَبِ المواضيعِ ثُمَّ الحُروفِ، وَكَذٰلِكَ فَعَلَ بِديوانِ ابْنِ المعتزِّ وَإبراهيمَ بْنِ العَبّاسِ وَغَيْرِهِمْ. وَنُلاحِظُ أَنَّنا لَمْ نَعْرِفْ عَنْهُ عَمَلَ دَواوينَ لِشُعراءَ غَيْرِ عَبّاسِيِّينَ، إلّا ما رَوى ابنُ النَّديمِ في «الفِهْرَسْتِ»(٣٢) مِنْ أَنَّه صَنَعَ ديوانَ ابْنِ هَرْمَةَ «وَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ»، وَابْنُ هَرْمَةَ مِنْ مُخَضْرَمي الدَّوْلَتَيْنِ.

---

(٢٩) «رسالة الغفران» تحقيق بنت الشاطىء ـ الطبعة الرابعة ـ دار المعارف بمصر، ص ٣١٩.

(٣٠) قال في «التكملة» (سمط): «ولم أجد في دواوين شعره قصيدة مسمّطة، على أن الأزهريّ هكذا ذكر أيضاً وقلّد فيها الليث». وأنكر في «العباب» (سمط) ذلك أيضا بكلام نقله صاحب «التاج» عنه.

(٣١) انظر مقالة الدكتور أحمد جاسم النجدي: «دواوين الشعر العباسي في أصولها الأولى» ـ مجلة «المورد» المجلد ١٧، العدد الأول سنة ١٩٨٨، ص ٦٥.

(٣٢) ص ١٨١.

وَرافَقَ تَرْتيبَ الدَّواوينِ تَوَسُّعٌ في شَرْحِها وَالعِنايَةِ بِها، ظَهَرَتْ فيهِ مَناهِجُ ثَلاثَةٌ، أَوَّلُها شَرْحُ المَعْنى ثُمَّ الاعْتِناءُ بِالجانِبِ اللُّغَوِيِّ مِنَ الشَّرْحِ، وَثانيها الاهْتِمامُ بِذِكْرِ المُناسَبَةِ وَسِياقَةِ أَخْبارِ الشِّعْرِ، وَثالِثُها الاهْتِمامُ بِالإِعْرابِ، وهوَ مَنْهَجٌ مُتَأَخِّرٌ طَرَقَهُ العُلَماءُ الَّذِينَ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّحْوُ، وَإِنَّما جَعَلوا ذلِكَ ذَريعَةً إِلى أَنْ يُقَدِّموا لِلشِّعْرِ شَيْئاً جَديداً لَمْ يُسْبَقوا إِلَيْهِ، فَكانوا إِن صَنَعوا ديواناً عَلى أَثَرِ غَيْرِهِمْ تَوَسَّعوا في الجَمْعِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطيعوا الإِنافَةَ عَلى مَنْ تَقَدَّمَهُمْ شَرَحوهُ وَذَكَروا أَخْبارَهُ، فَإِنْ وَجَدوا أَنَّهُمْ سُبِقوا إِلى ذلِكَ لَجَأُوا إِلى تبويبِهِ أَوْ إِعْرابِهِ، هَمُّهُمْ في هذا كلّه أَنْ يَتَجَنَّبوا نَسْخَ عَمَلِ غَيْرِهِمْ، وَأَنْ يُضيفوا إِلى ما صَنَعَ المُتَقَدِّمونَ أَشْياءَ تُبَرِّرُ تَكْرارَ الجَهْدِ وَمُوالاةَ العَمَلِ، وتُبْعِدُ عَنْهُمْ ظِنَّةَ النَّقْلِ وَالقَفْوِ والاقْتِباسِ.

على أَنَّ ما يَلْفِتُ النَّظَرَ حَقّاً هُوَ خُلُوُّ هذِهِ الشُّروحِ مِنَ الآراءِ النَّقْدِيَّةِ الَّتي لَمْ تَظْهَرْ فيها بِشَكْلٍ جَلِيٍّ إِلاّ بِأَخَرَةٍ، فَمَعَ أَنَّنا نَقَعُ عَلى أَخْبارٍ نَجِدُ فيها الأَصْمَعِيَّ(٣٣) مَثَلاً ناقِداً عالِماً بِالشِّعْرِ وَمَعانيه، مُمَيِّزاً بَيْنَ غَثِّهِ وَسَمينِهِ وَما اخْتَرَعَهُ الشُّعَراءُ وَما اتَّبَعوا فيهِ، وَنَقِفُ فيها عَلى تَقْويمٍ لِلشُّعَراءِ الفُحولِ مِنْهُمْ وَغَيْرِ الفُحولِ، إِلاّ أَنَّنا لا نَجِدُ فيما صَنَعَهُ مِنَ الدَّواوينِ مِثْلَ هذِهِ اللَّمَحاتِ النَّقْدِيَّةِ. وَلَعَلَّ أَبا العَلاءِ المعرّيَّ كانَ مِنْ أَوائِلِ مَنْ وَقَفَ مَوْقِفَ النّاقِدِ في شُروحِهِ عَلى دَواوينِ الشُّعَراءِ، وَبِخاصَّةٍ ما فَعَلَهُ في كِتابِهِ «عَبَثُ الوَليدِ». وَمَعَ أَنَّنا لا نَسْتَطيعُ أَنْ نَعُدَّ هذا الكِتابَ شَرْحاً لِديوانِ البُحْتُرِيِّ بِكامِلِهِ، إِلاّ أَنَّه كانَ تَعْليقاً عَلَيْهِ وَشَرْحاً لِما أَشْكَلَ مِنْ مَعانيهِ وَتَخْطِئَةً لِما أَخْطَأَ فيهِ الشّاعِرُ وَانْتِصاراً لَهُ فيما رَأى المَعَرِّيُّ أَنَّ النُّقّادَ جاروا عَلَيْهِ فيهِ. وَنرى بَيْنَ صَفَحاتِهِ نَقْداً لُغَوِيّاً وَنَحْوِيّاً وَعَروضِيّاً، كما نَرى نَقْداً فَنِّيّاً وعَرْضاً عَميقاً لِتَأَثُّرِ البُحْتُرِيِّ أَبا تَمّامٍ، تَطَرَّقَ فيهِ المُؤَلِّفُ إِلى المعاني وَصِياغَةِ الأَلْفاظِ، وَإِلى أُمورٍ تَتَعَلَّقُ بِالعَروضِ وَبِالقَوافي، مِمّا يُعَدُّ ـ بِحَقٍّ ـ نَقْداً فَنِّيّاً راقِياً لا نَكادُ نَرى

(٣٣) تنتشر آراء الأصمعيّ النقدية في المظانّ بشكل ملحوظ. وقد ذكر له المرزبانيّ ـ مثلاً ـ في «الموشّح» وجهات نظر نقديّة في نحو خمسين موضعاً. وغير ذلك كثير.

لَهُ شَبيهاً فيما بَيْنَ أَيْدينا مِنْ شُروحٍ عَلى دَواوينِ الشُّعَراءِ القُدامى.

وَهكَذا نَجِدُ أَنَّ ما قَدَّمَهُ العُلَماءُ المُتَأَخِّرونَ إلى الدَّواوينِ الشِّعْرِيَّةِ ـ إضافَةً إلى ما صَنَعَ الأَوائِلُ ـ يَتَلَخَّصُ بِما يَلي:

أ ـ التَّوَسُّعُ في جَمْعِ الشِّعْرِ وَإيرادُ جَميعِ رِواياتِهِ المَعْروفَةِ.

ب ـ التَّزَيُّدُ في الشَّرْحِ وسياقَةُ الأَخْبارِ بِحَيْثُ أَصْبَحَ لِهذِهِ التَّعاليقِ قِيمَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَإخْبارِيَّةٌ عالِيَةٌ.

جـ ـ تَرْتيبُ أَشْعارِ الدِّيوانِ بحَسَبِ المَعاني ثُمَّ بِحَسَبِ الحُروفِ.

د ـ إعْرابُ الشِّعْرِ وَالإتْيانُ بِفوائِدَ نَحْوِيَّةٍ وَصَرْفِيَّةٍ.

هـ ـ نَقْدُ الشِّعْرِ وَبَيانُ السَّرِقاتِ وَالخَلَلِ فيهِ، وَدِراسَةُ صِياغَةِ أَلْفاظِهِ وَمُوسيقاهُ.

صِناعَةُ الدَّواوينِ في عَصْرِنا الحاضِرِ:

رَأَيْنا فيما سَبَقَ كَيْفَ تَطَوَّرَتِ العِنايَةُ بِدَواوينِ الشُّعَراءِ وَما بَذَلَهُ عُلَماؤُنا القُدامى مِنْ جَهْدٍ في جَمْعِ الشِّعْرِ وَتَدْوينِهِ وَشَرْحِهِ وَدِراسَتِهِ حَتّى وَصَلَ إلَيْنا ما وَصَلَ مِنْهُ بِهذا الشَّكْلِ المُتْقَنِ مِنَ الحِفْظِ وَالرِّعايَةِ والاحْتِفالِ. وَلَنْ يَضيرَهُ ما نَراهُ مِنَ اخْتِلاطٍ في نِسْبَتِهِ أَوِ اخْتِلافٍ في رِوايَتِهِ، فَلَقَدْ كانَ لِذلِكَ دَواعٍ وَمُسَبِّباتٌ لا مَجالَ لِذِكْرِها هُنا. وَلَئِنْ كانَ الشِّعْرُ العَرَبِيُّ قَدْ حَظِيَ بما لَمْ يَحْظَ بِهِ شِعْرٌ غَيْرُهُ مِنَ احْتِفالٍ وَاهْتِمامٍ وَعِنايَةٍ، فما ذلِكَ إلّا لِمَدى أَهَمِّيَّتِهِ في حَياةِ الإنْسانِ العَرَبِيِّ وَتَأْثيرِهِ فيها. وَما سَمِعْنا أَنَّ أَبياتاً رَفَعَتْ قَوْماً وَوَضَعَتْ مِنْ آخرينَ، وَلا أَثارَتْ حَرْباً وَتَلافَتْ أُخْرى إلّا عِنْدَ العَرَبِ. وَلَوْلا تَوالي الكَوارِثِ عَلى هذِهِ الأُمةِ لَكانَ بَيْنَ أَيْدينا الآنَ مِنْ دَواوينِ شُعرائِنا الغابِرينَ أَضْعافُ ما نَجِدُهُ في خَزائِنِ الكُتُبِ المُتَناثِرَةِ في أَصْقاعِ العالَمِ كُلِّهِ. عَلى أَنَّ الكَثيرَ مِنْ دَواوينِ شُعَرائِنا ضاعَ فيما ضاعَ مِنْ تُراثِنا الأَدَبِيِّ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ

شِعْرِهِمْ سِوى نُثارٍ نَقَعُ عَلَيْهِ في المَظانِّ، عَلَيْنا أَنْ نَعْتَنِيَ بِجَمْعِهِ وَخِدْمَتِهِ وَالاهْتِمامِ بِهِ، كَيْ لا تَضيعَ هذِهِ الثَّرْوَةُ العَظيمَةُ الّتي خَلَّفَها لَنا أَسْلافُنا، وَلِكَيْ نُمَكِّنَ الباحِثينَ مِنْ دِراسَةِ هذا الشِّعْرِ وَالإِفادَةِ مِنْهُ.

وَلَنْ نَتَطَرَّقَ هُنا إِلى طُرُقِ نَشْرِ الدَّواوينِ المَجْموعَةِ التي أَبْقَتْها لَنا الأَيّامُ، فَقَدْ كُتِبَ الكَثيرُ في حَقْلِ تَحْقيقِ المخطوطاتِ وَنَشْرِها، وَلَنْ يَخْتَلِفَ كَثيراً تَحْقيقُ دِيوانٍ شِعْرِيٍّ عَنْ تَحْقِيقِ أَثَرٍ أَدَبِيٍّ آخَرَ، سِوى ما يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ عَمَلاً مُكَمِّلاً لِلدِّيوانِ مِنْ جَمْعٍ لِما فاتَهُ مِنْ أَبياتٍ نَجِدُها في المَظانِّ، وَهذا أَمْرٌ لا يَخْتَصُّ بِالدَّواوينِ وَحْدِها، بَلْ إِنَّ بَعْضَ الباحِثينَ الجادِّينَ دَأَبوا ـ عِنْدَ تَحْقيقِهِم لِكِتابٍ ما ـ عَلى جَمْعِ ما يَقَعونَ عَلَيْهِ في المَظانِّ مِنْ فَقَراتٍ قَدْ نُصَّ عَلى أَنَّها مِنْ هذا الكِتابِ. عَلى أَنَّهُ يَجْدُرُ بمحقِّقِ الدِّيوانِ الشِّعْرِيِّ أَنْ يَتَتَبَّعَ أَبْياتَهُ في بُطونِ الكُتُبِ فَيُشيرَ إِلى أَماكِنِ وُرودِها فيها، وَإِلى اخْتِلافِ الرِّواياتِ، وما إِلى ذلِكَ مِمّا يُساعِدُ عَلى فَهْمِ الشِّعْرِ وَتَوْثيقِهِ وَدِراسَتِهِ. أَمّا لَمُّ شَتاتِ أَشْعارِ مَنْ ضاعَتْ دَواوينُهُمْ، فذلِكَ أَمْرٌ مُخْتَلِفٌ سَنَتَكَلَّفُ أَنْ نَخْتَطَّ لَهُ مَنْهَجاً في بَحْثِنا هذا.

إِنَّ أُولى خُطُواتِ صُنْعِ الدَّواوينِ هِيَ جَمْعُ الشِّعْرِ، وَهِيَ الخُطْوَةُ الأَساسُ وَعُمْدَةُ الصِّناعَةِ، وَتَحْتاجُ إِلى جِدٍّ وَكَدٍّ وَدَأْبٍ وَتَقَصٍّ لِما في كُتُبِ التُّراثِ مِنْ أَشْعارٍ مُتَناثِرَةٍ.

وَلَنْ نُشيرَ إِلى عِظَمِ الجَهْدِ الذَّي يَتَطَلَّبُهُ هذا العَمَلُ، فَهُوَ أَمْرٌ مَعْروفٌ لِكُلِّ مَنِ اطَّلَعَ عَلى ضَخامَةِ حَجْمِ تُراثِنا المَطْبوعِ دُونَ فَهْرَسَةٍ أَوْ مَعَ فَهارِسَ عَقيمَةٍ مُخِلَّةٍ لا تُسْمِنُ ولا تُغْني مِنْ جوعٍ. على أَنَّ هذا الجَهْدَ يُمْكِنُ قَسْمُهُ عَلى مَجْموعَةٍ مِنَ الباحِثينَ أَوِ الطَّلَبَةِ يَعْمَلونَ تَحْتَ إِشْرافِ المُحَقِّقِ الَّذي يَضْطَلِعُ بِصُنْعِ الدِّيوانِ، فَيُؤدي ذلِكَ إِلى اخْتِصارِ الوَقْتِ وَمُساعَدَةِ المُحَقِّقِ عَلى صَرْفِ جَهْدِهِ إِلى العِنايَةِ بِالدِّيوانِ، إِلى ما في هذا الأَمْرِ مِنْ دُرْبَةٍ لِلطَّلَبَةِ عَلى البَحْثِ وَالتَّنْقيبِ وَتَعَرُّفِ المظانِّ وَالرُّجوعِ إِلَيْها. فَإِذا ما تَمَّ جَمْعُ

الأبياتِ المُتناثِرَةِ، فلِلْمُحقِّقِ أنْ ينْتهِجَ إحْدى طريقيْنِ يُمْكِنُ ترْتيبُ الدّيوانِ وَفْقَهُما: أولاهُما يَجْري فيها جَمْعُ مُتفرِّقِ الشِّعْرِ دُونَما مُحاوَلَةٍ لِصِياغَةِ قَصائِدِ الدِّيوانِ، وَيَكونُ الهَدَفُ مِنْ ذلِكَ تَقْديمَ الشِّعْرِ إلى الباحِثينَ كما وَرَدَ في كُتُبِ التُّراثِ دونَ أنْ يَكْتَسِيَ صِناعَةً تُحَمِّلُهُ شَيْئاً مِنْ أفْكارِ المُحَقِّقِ وَآرائِهِ، مِمّا قَدْ يَسوقُ الباحِثينَ إلى تَحَذّي وُجْهَةِ نَظَرِهِ أصابَ فيها أوْ أخْطأَ. وَعَلى المُحَقِّقِ أنْ يُرَتِّبَ أبْياتَ الشِّعْرِ في الدِّيوانِ بِحَسَبِ القَوافي وَالبُحورِ، مُراعِياً ضَمَّ الأبياتِ المُتَّحِدَةِ في الوَزْنِ وَالقافِيَةِ ضِمْنَ مَجْموعَةٍ وَاحِدَةٍ تُشَكِّلُ أجْزاءً مُتَفَرِّقَةً لِما يُظَنُّ أنَّهُ قصيدَةٌ واحِدَةٌ، إلاّ إذا ثَبَتَ اخْتِلافُ القَصائِدِ مَعَ اتِّحادِ بُحورِها وَقوافِيها، فَيَتِمُّ عِنْدَ ذلِكَ جَمْعُ أبْياتِ كُلِّ قَصيدَةٍ عَلى حِدَةٍ، ما أمْكَنَ ذلِكَ. وَيَجْدُرُ بِالمُحَقِّقِ عِنْدَ سَرْدِهِ الأبياتَ أنْ يُراعِيَ تَرْتيبَ مَصادِرِها التّاريخيَّ، فَيورِدَ الأبْياتَ الّتي جاءَتْ في المَصْدَرِ القَديمِ قَبْلَ الّتي جاءَتْ في المَصْدَرِ المُتَأخِّرِ. عَلى أنَّ لَهُ الخِيارَ في انْتِخابِ نَصِّ رِوايَةِ المَصْدَرِ القَديمِ لِبَيْتٍ ما، أوِ اخْتِيارِ نَصِّ الرِّوايَةِ الّتي يَراها أصَحَّ مِنْ غَيْرِها وَأفْضَلَ وَأوْفى، مَعَ ضَرورَةِ التَّنْبيهِ عَلى مَصْدَرِ الرِّوايَةِ المُخْتارَةِ وَذِكْرِ الرِّاياتِ المُخالِفَةِ في الحَواشي، وَذلِكَ في الحالَتَيْنِ كِلْتَيْهِما. وَيَحْسُنُ بِهِ أنْ يَشْرَحَ مُشْكِلَ أبْياتِ الدِّيوانِ وَمُفْرَداتِها الصَّعْبَةَ في الحَواشي أيْضاً. وَعَلَيْهِ أنْ يُفْرِدَ ما نُسِبَ إلَيْهِ وَإلى غَيْرِهِ مِنَ الشُّعَراءِ، وَما نُسِبَ إلَيْهِ وَلَمْ يَصِحَّ أنَّهُ لَهُ، في جُزْءٍ مُنْفَصِلٍ عَنْ بَقِيَّةِ شِعْرِ الشّاعِرِ. وَرُبَّما ساغَ عَدَمُ الفَصْلِ إذا كانَ المَجْموعُ صَغيراً، وَلكِنْ يَجِبُ التَّنْبيهُ - بِوُضوحٍ وَجَلاءٍ - عَلى اخْتِلافِ النِّسْبَةِ أوْ ضَعْفِها.

وَالطَّريقُ الثّانِيَةُ يُعْتَمَدُ فيها جَمْعُ الشِّعْرِ مَعَ مُحاوَلَةِ صِياغَةِ قَصائِدِ الدِّيوانِ، بُغْيَةَ تَقْديمِ ما بَقِيَ مِنْ كُلِّ قَصيدَةٍ عَلى الشَّكْلِ الَّذي يُظَنُّ أنَّها كانَتْ عَلَيْهِ أصْلاً، أوْ عَلى أقْرَبِ ما يَكونُ مِنْ ذلِكَ. وَيَتَهَيَّأُ هذا لِلْجامِعِ بِمَعْرِفَةِ طَرائِقِ صِياغَةِ القَصائِدِ في عَصْرِ الشّاعِرِ، وَتَفَهُّمِ أُسْلوبِ الشّاعِرِ

نَفْسِهِ، وَإِدْراكِ مَعْنى القَصيدَةِ وَمَرْماها وَمَوْضوعِها وَمُناسَبَتِها، وَما إِلى ذلِكَ. وَعَلى الجامِعِ المُحَقِّقِ أَنْ يَتَخِذَ أَطْوَلَ رِواياتِ القَصِيدَةِ أَصْلاً لَها، إِلاّ إذا ظَهَرَ لَهُ أَنَّ هُنالِكَ خَلَلاً في تَرْتيبِ أَبْياتِها عَلى هذِهِ الرِّوايَةِ، أَوْ فَضَّلَ غَيْرَهَا عَلَيْها، ثُمَّ يَقومُ بِضَمِّ الأَبياتِ المُتَفَرِّقَةِ الأُخْرى إِلى القَصيدَةِ واضِعاً إِيّاها في أَماكِنِها مَتى وَضَحَ لَهُ ذلِكَ مِنْ سِياقِ الكَلامِ، وَيَتْرُكُ ما لَمْ يَتَبَيَّنْ مَواقِعَها إِلى آخِرِ القَصيدَةِ لَحْقاً لَها. وَعَلَيْهِ في هـذا كلِّه أَنْ يُراعِيَ الأُسُسَ الَّتي شَرَحْناها في الطَّريقِ الأُولى آنفـاً. وَيَجْدُرُ بِهِ أَنْ يُصَدِّرَ القَصائِدَ وَالمُقَطَّعات بِمُقَدِّماتٍ تُشيرُ إِلى المُناسَبَةِ الّتي قِيلَتْ فيها، أَوْ يَضَع هذِهِ المُقَدِّماتِ في الحَواشي.

وَلا يَجوزُ إِعادَةُ جَمْعِ شِعْرٍ سَبَقَ نَشْرُهُ، إِلاّ إِذا كانَ في عَمَلِ المُتَقَدِّمِ تَقْصيـرٌ بَيِّنٌ في الجَمْعِ، إِمّـا في حَجْمِ الشِّعْرِ المَجْمـوعِ أَوْ في ضَبْـطِهِ وَتَوْثيقِهِ، فَإِنَّ وُقوعَ باحِثٍ عَلى أَبْياتٍ مُتَفَرِّقَةٍ أَخَلَّ بِها ديوانٌ ما لا يَصِحُّ أَنْ يُتَّخَذَ ذَريعَةً إِلى إِعادَةِ نَشْرِهِ ما لَمْ تَبْلُغْ هذِهِ الأَبيـاتُ مِقْداراً يُبَـرِّرُ ذلِكَ، وَيَعْتَمِدُ هذا في الأَحْوالِ كلِّها عَلى حَجْمِ الدِّيـوانِ. وَلَعَلَّ الـوُقوفَ عَلى فَـوائِتَ تَتَجاوَزُ خُمْسَ الشِّعْرِ المَجْمـوعِ أَوْ تُقـارِبُ ذلِكَ يُسَوِّغُ إِعادَةَ النَّشْرِ، فَإِنْ قَلَّتْ عَنْ ذلِكَ كَثيراً، يُفَضَّـلُ نَشْرُ المُسْتَـدْرَكاتِ عَلى حِـدَةٍ. وَإِذا اتُّبِعَتِ الطَّريقُ الأُولى في الجَمْعِ، جازَ لِلْباحِثينَ إِعادَتُهُ سالِكينَ الطَّريقَ الثّانِيَةَ، لِما يَتَطَلَّبُ ذلِكَ مِنْ جَهْدٍ مُثْمِرٍ يُؤَدّي إِلى اسْتِكْمالِ العِنايَةِ وَزِيادَةِ الفائِدَةِ.

هذا ما يَتَعَلَّقُ بِـأَمْرِ جَمْـعِ الشِّعْرِ، وَهُـوَ المَسْلَكُ السَّهْلُ وَالمَقْصَـدُ القَريبُ، عَلى ما يَقْتَضيهِ مِنْ جَهْدٍ وَكَدٍّ وَدَأَبٍ وَنَصَبٍ. أَمّا «صُنْعُ» الدِّيوانِ فَهُوَ المُرْتَقى الكَؤودُ وَالطَّريقُ الوَعْثُ، وَذلِكَ لِما يَحْتاجُ مِنْ آلَةٍ قَد لا تَتِمُّ لَدى الكَثيرِ مِنَ الباحِثينَ، أَقَلُّ عَناصِرِها الدُّرْبَةُ وَالمَلكَـةُ وَمَعْرِفَـةُ اللُّغَةِ وَالنَّحْـوِ وَأَنْماطِ الكَلامِ وَلَهَجـاتِ القَبائِـلِ، وَالإِلْمامُ بِـالتّاريـخِ وَأَيّامِ العَرَبِ وَأَخْبارِهِمْ وَمَنازِلِهِمْ وَعاداتِهِمْ، إِضافَةً إِلى اطِّلاعٍ واسِـعٍ عَلى المدارِسِ

الشِّعْرِيَّةِ وَخَصائِصِ الشِّعْرِ الفَنِّيَّةِ في كُلِّ عَصْرٍ مِنْ عُصورِ الحَضارَةِ العَرَبِيَّةِ، وَما إلى ذلِكَ مِمّا يُساعِدُ عَلى فَهْمِ الشِّعْرِ وَمَيْزِهِ. وَقَدِ اتَّبَعَ عُلَماؤُنا الأَوَّلون أُسُساً وَقَواعِدَ في عَمَلِ الدَّواوينِ ـ ذَكَرْنا جانِباً مِنْها آنِفاً ـ كانَتْ مناسِبَةً لِلأَغْراضِ الَّتي سَعَوْا إِلَيْها في عَمَلِهِمْ. وَهِيَ وَإِنْ صَلُحَتْ لأَنْ تَكونَ مُؤشِّراً لَنا وَدَليلاً عِنْدَ صُنْعِ الدَّواوينِ، إلاّ أَنَّها لا تَفي بِكُلِّ ما يَتَوَخّاهُ فيها المُتَخَصِّصونَ هذِهِ الأَيّامَ، فإِنَّ لِكُلِّ عَصْرٍ حاجاتِهِ وَأَوْلَوِيّاتِهِ، وَعَلَيْنا أَنْ نَضَعَ الأُسُسَ وَالقَواعِدَ الَّتي تَصِلُ بِالدَّواوينِ إِلى ما يُلَبّي حاجاتِ باحِثينا وَيُحَقِّقُ أَهْدافَهُمْ وَيَخْدِمُ أَوْلَوِيّاتِهِمْ، إِذْ أَنَّ هذِهِ المَقالَةَ تَتَناوَلُ الصَّنْعَةَ الَّتي تَتَحرّى إِفادَةَ الخاصَّةِ قَبْلَ العامَّةِ، وَالمُتَخَصِّصينَ قَبْلَ الشُّداةِ.

إذا حاوَلْنا أَنْ نَتَقَصّى أَهَمَّ ما يَأْمُلُ الباحِثُ اسْتِخْلاصَهُ مِنَ الدَّواوينِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ دِراسَتِها، وَاتَّخَذْنا مِنْ ذلِكَ مَرْجِعاً لَنا وَمُعْتَمَداً في تَصْنيفِ الدَّواوينِ، أَمْكَنَنا أَنْ نَقْسِمَها عَلى خَمْسَةِ أَصْنافٍ بِحَسَبِ قيمَةِ ما يُسْتَطاعُ اسْتِخْراجُهُ مِنْها مِنْ مَعْلوماتٍ وَفَوائِدَ:

١ ـ الدَّواوينُ ذاتُ الأَهَمِّيَّةِ الفَنِّيَّةِ، كَديوانِ طُفَيْلٍ الغَنَوِيِّ مَثَلاً.

٢ ـ الدَّواوينُ ذاتُ الأَهَمِّيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ، كَديوانِ العَجّاجِ.

٣ ـ الدَّواوينُ ذاتُ الأَهَمِّيَّةِ التّاريخِيَّةِ، كَديوانِ كَعْبِ بْنِ مالِكٍ.

٤ ـ الدَّواوينُ ذاتُ الأَهَمِّيَّةِ الاجْتِماعِيَّةِ، كَديوانِ عُرْوَةَ بنِ الوَرْدِ.

٥ ـ الدَّواوينُ ذاتُ الأَهَمِّيَّةِ الفِكْرِيَّةِ، كَلُزومِيّاتِ أَبي العَلاءِ.

وَلا بُدَّ لَنا مِنَ ٱلإِشارَةِ إِلىٰ أَنَّ هُناكَ فَوائِدَ أُخرىٰ كَثيرَةً يُمْكِنُ ٱلحُصولُ عَلَيْها مِنَ الأَشْعارِ، لٰكِنَّها لا تُشَكِّلُ بِحَدِّ ذاتِها أَساساً لِبِناءِ صِنْفٍ مُسْتَقِلٍّ خاصٍّ مِنَ ٱلدَّواوينِ حَوْلَها، مِثْلَ ٱلمَعْلوماتِ ٱلَّتي تَتَعَلَّقُ بِٱلمواقِعِ وَٱلمِياهِ وَٱلبُلْدانِ وَٱلنُّجومِ وَٱلأَنواءِ وَأَسماءِ ٱلخَيْلِ وَٱلأَصْنامِ وَٱلحِرَفِ وَٱلفُنونِ

وَٱلعَقَائِدِ وَٱلخُرافاتِ وَٱلقَصَصِ ، إلىٰ غَيْرِ ذٰلِكَ مِمّا يَسْتَطيعُ ٱلباحِثُ ٱسْتِخْلاصَهُ مِنَ الشِّعْرِ. وَمِنَ ٱلبَدَهِيِّ أَنَّ الدَّواوينَ لا تَكادُ تَخْلو مِنْ مُعْظَمِ هٰذا ٱلَّذي ذَكَرْنا، بَلْ إِنَّنا قَدْ نَحْتارُ في ٱخْتِيارِ ٱلصِّنْفِ ٱلَّذي يُمْكِنُ أَنْ نُدْرِجَ كَثيراً مِنْها ضِمْنَهُ لاحْتِوائِها عَلىٰ قِيَمٍ هامَّةٍ مُتَعدِّدَةٍ. فَديوانُ زُهَيْرٍ ـ مَثَلاً ـ لَهُ أَهَمِّيَّتُهُ ٱلفَنِّيَّةُ بِصِفَتِهِ نَموذَجاً لِمَدْرَسَةِ ٱلصَّنْعَةِ في ٱلجاهِلِيَّةِ، كَما أَنَّ لَهُ أَهَمِّيَّتَهُ اللُّغَوِيَّةَ ٱلَّتي يَكْفي لإِيضاحِها ٱلإِيماءُ إِلىٰ أَنَّ مُعْجَمَ «لِسانِ ٱلعَرَبِ» ٱسْتَقىٰ مِنْهُ شَواهِدَ في أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِمائةِ مَوْضِعٍ ، وَٱسْتَشْهَدَ مُعْجَمُ «أَساسِ ٱلبَلاغَةِ» بِأَبْياتٍ مِنْهُ في نَحْوِ مائَةِ مَوْضِعٍ . أَمّا أَهَمِّيَّتُهُ ٱلتّاريخيَّةُ فَيَكْفي لِكَشْفِها أَنْ نَتَدَبَّرَ ما فيهِ مِنْ قَصائِدَ تَناوَلَتْ حادِثَةَ ٱلصُّلْحِ بَيْنَ عَبْسٍ وَذُبْيانَ وَما سَبَقَها وَما تَلاها. وَلا شَكَّ أَنَّنا لا نَسْتَطيعُ أَنْ نُغْفِلَ أَيْضاً أَهَمِّيَّتَهُ في تِبْيانِ ٱلنَّواحي الاجْتِماعِيَّةِ وَٱلفِكْرِيَّةِ، فَإِنَّ شِعْرَ ٱلمَديحِ ـ بِشَكْلٍ عامٍّ ـ يُعْطينا فِكْرَةً واضِحَةً عَنِ القِيَمِ الاجْتِماعِيَّةِ ٱلَّتي كانَتْ تُعْتَبَرُ مُثُلاً تُحْمَدُ في عَصْرٍ ما. وَٱلحِكَمُ ٱلَّتي ٱمْتازَ بِها شِعْرُ زُهَيْرٍ ـ وَخُصوصاً في مُعَلَّقَتِهِ ـ لَها قِيمَتُها الفِكْرِيَّةُ إِضافَةً إِلىٰ قِيمَتِها ٱلاجْتِماعِيَّةِ. عَلىٰ أَنَّهُ لا مَناصَ مِنْ هٰذا ٱلتَّداخُلِ وَلا ضَيْرَ فيهِ، فَٱلباحِثُ يَسْتَطيعُ أَنْ يَتَناوَلَ ٱلدِّيوانَ مِنَ ٱلزّاوِيَةِ ٱلَّتي يَتَوَسَّمُ مُناسَبَتَها لِغَرَضِهِ مِنْ إِظْهارِهِ أَوِ ٱلَّتي يَتَقَصَّدُ أَنْ يُبْرِزَ أَهَمِّيَّتَها. وَمِنْ ثَمَّ يُمْكِنُ أَنْ يُنْشَرَ لِلدِّيوانِ ٱلواحِدِ طَبَعاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ يَنْتَهِجُ صانِعوها مَناهِجَ مُخْتَلِفَةً في عَمَلِهِمْ وَتَوَجُّهِهِمْ. وَقَدْ فَعَلَ عُلَماؤُنا ٱلأَقْدَمونَ ذٰلِكَ ـ كَما بَيَّنّا سابِقاً ـ فَكانَ عَمَلُهُمْ مُبَرَّراً، وَٱخْتِلافُهُمْ مُفيداً، وَتَبايُنُ طَرائِقِهِمْ في صِناعَةِ ٱلدَّواوينِ مُجَدِّداً لَها وَحافِظاً لِثَرْوَةٍ عَظيمَةٍ مِنَ المَعْرِفَةِ ما كانَتْ لِتَصِلَ إِلَيْنا لَولا هٰذا ٱلَّذي فَعَلوهُ عِنْدَ تَكْرارِ صِناعَتِهِمْ لَها.

وَلا شَكَّ أَنَّ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلأَصْنافِ مَيِّزاتِهِ ٱلمُحَدَّدَةَ ٱلَّتي يَجِبُ إِبْرازُها عِنْدَ صِناعَةِ ٱلدِّيوانِ بِحَيْثُ تَتَيَسَّرُ ٱلإِفادَةُ مِنَ ٱلجَوانِبِ ذاتِ ٱلأَهَمِّيَّةِ ٱلخاصَّةِ فيهِ. وَسَنُحاوِلُ فيما يَلي تَلْخيصَ ما يُمْكِنُ أَنْ يُتَّخَذَ سَبَباً إِلىٰ ما

يُتَوَخّىٰ لِلدِّيوانِ مِنْ تَوْطِئَةٍ لِجادَّةِ ٱلباحِثينَ وَتَقْريبٍ لِمقاصِدِهِمْ، آمِلينَ أَنْ نَتَوَصَّلَ فيما نَعْرِضُ إِلىٰ مَناهِجَ تَقودُ إِلىٰ خِدْمَةٍ لِلدَّواوينِ تَفي بِحَقِّها وَحَقِّ ٱلدّارِسينَ وَٱلشُّداةِ عَلىٰ صانِعِها.

إِنَّ عَمَلَ ٱلمُحَقِّقِ في الدِّيوانِ ـ بَعْدَ جَمْعِ أَشْعارِهِ وَصِياغَةِ قَصائِدِهِ بِٱتِّباعِ ما سَبَقَ أَنْ فَصَّلْنا عِنْدَ كلا مِنا عَنِ الجَمْعِ وَٱلصِّياغَةِ ـ يَتَلَخَّصُ في أُمورٍ ثَلاثَةٍ هِيَ تَرْتيبُ ٱلدِّيوانِ وَٱلتَّعْليقُ عَلَيْهِ وَوَضْعُ ٱلفَهارِسِ لَهُ. وَمِنَ ٱلمُفْتَرَضِ أَنْ تَخْتَلِفَ أَساليبُ مُعالَجَةِ هٰذِهِ الأُمورِ ٱلثَّلاثَةِ بِٱخْتِلافِ ٱلنَّواحي ٱلَّتي يُرْغَبُ في إِبْرازِها وَٱلعِنايَةِ بِها في الدِّيوانِ. وَلَمّا كانَ ٱلتَّصْنيفُ ٱلَّذي ذَكَرْناهُ قَدْ بُنِيَ أَساساً عَلىٰ هٰذِهِ النَّواحي الجَديرَةِ بِٱلعِنايَةِ وَٱلإِظْهارِ، حَقَّ لَنا أَنْ نَعْتَمِدَهُ في وَضْعِ أُسُسِ ما نَطْلُبُهُ مِنَ المُحَقِّقينَ عِنْدَ صِناعَتِهِمُ ٱلدَّواوينَ ٱلشِّعْرِيَّةَ، بِحَيْثُ تُوائِمُ ٱلأَغْراضَ ٱلمُبْتَغاةَ مِنْها عِنْدَ دِراسَتِها وَمُحاوَلَةِ الإِفادَةِ مِنْها.

وَقَدْ هَيَّأَ لَنا عُلَماؤُنا ٱلأَقْدَمونَ أَرْبَعَةَ أَساليبَ لِتَرْتيبِ الدَّواوينِ، إِذا تَحَذَّيْناها وَطَوَّرْناها لِنَتلافىٰ ما يُواجِهُنا مِنْ مُشْكِلاتٍ بِسَبَبِ جَمْعِ ٱلشِّعْرِ مِنَ ٱلمَظانِّ، خَلُصَ لَنا أَساليبُ صالِحَةٌ يُمْكِنُنا ٱتِّباعُها في صُنْعِ ٱلدَّواوينِ: أَوَّلُها ما يُتَّبَعُ فيهِ ٱلتَّسَلْسُلُ ٱلزَّمَنِيُّ، وَتُرَتَّبُ فيهِ ٱلقَصائِدُ ٱلَّتي يُمْكِنُ تَحْديدُ ٱلتّاريخِ ٱلَّذي قيلَتْ فيهِ ٱبْتِداءً بِٱلأَقْدَمِ فَٱلأَحْدَثِ، وَيُتْرَكُ ما لَمْ يُعْرَفْ تاريخُ نَظْمِهِ إِلىٰ آخِرِ ٱلدِّيوانِ أَوْ يوضَعُ في ٱلأَماكِنِ ٱلَّتي يُرَجِّحُ ٱلمُحَقِّقُ أَنَّها توافِقُها زَمَنِيّاً. وَثانيها بِحَسَبِ أَهَمِّيَّةِ ٱلقَصائِدِ في نَظَرِ ٱلمُحَقِّقِ، يُدْرِجُ فيهِ صانِعُ ٱلدِّيوانِ ٱلقَصائِدَ وَفْقَ ما يَرىٰ أَنَّهُ أَكْثَرُ أَهَمِّيَّةً مِنَ النّاحِيَةِ ٱلفَنِّيَّةِ أَوِ التّاريخِيَّةِ أَو ٱلاجْتِماعِيَّةِ أَوِ ٱلفِكْرِيَّةِ، مُراعِياً ٱلصِّبْغَةَ العامَّةَ ٱلَّتي يَرْغَبُ في إِظْهارِها لِلدّيوانِ. وَثالِثُها بِحَسَبِ القَوافي، وَيَتَّبِعُ ٱلمُحَقِّقُ في جَمْعِهِ ٱلقَصائِدَ ٱلتَّرْتيبَ ٱلأَلِفْبائِيَّ لِلْقَوافي، سالِكاً في ذٰلِكَ مَنْهَجاً مُعَيَّناً مَبْنِيّاً عَلىٰ حَرَكَةِ ٱلقافِيَةِ وَبَحْرِ

ٱلقَصيدَةِ وَنَوْعِ ٱلقافِيَةِ ـ مِنْ مُتَكاوِسٍ وَمُتراكِبٍ وَمُتَدارِكٍ وَمُتَواتِرٍ وَمُتَرادِفٍ ـ ثُمَّ ٱلتَّأْسيسِ وَٱلرِّدْفِ، عَلىٰ أَنْ يُبَيِّنَ مَنْهَجَهُ في مُقَدِّمَةِ الدِّيـوانِ. وَرابِعُها بِحَسَبِ المَوْضوعاتِ ٱلفَنِّيَّةِ، كَٱلمَدْحِ وَٱلهِجاءِ وَٱلغَزَلِ وَٱلفَخْرِ وَٱلوَصْفِ وَٱلحِكَمِ وَٱلزُّهْدِ وَٱلمُجونِ. . . إلخ. . يَقومُ فيهِ صـانِعُ ٱلـدِّيوانِ بِجَمْـعِ ٱلقَصائِدِ الّتي تَنْدَرِجُ تَحْتَ كُلِّ مَوْضوعٍ فَنِّيٍّ مُرَتِّباً إِيّاها بِحَسَبِ ٱلقوافي أَوْ أَهَمِّيَّةِ ٱلقَصائِدِ مُتَّبِعاً في ذٰلِكَ ٱلأُسُسَ ٱلَّتي ذَكَرْناها آنِفاً. وَهٰذِهِ ـ كما رَأَيْنا ـ أَساليبُ عامَّةٌ ٱخْتَطَّتْ مَسالِكَ واضِحَةً مُوَطَّأَةً، سَنَقْتَصِرُ عَلَيْها في هٰذا ٱلبَحْثِ لِمَا تَتَّصِفُ بِهِ مِنْ سَعَةٍ وَشُمولٍ وَٱستيعابٍ تُيَسِّرُ وُرودَها عِنْدَ صِناعَةِ ٱلدَّواوينِ الشِّعْرِيَّةِ كافَّةً. عَلىٰ أَنَّ هُناكَ مِنَ ٱلدَّواوينِ ما يوحي إلى المُحَقِّقِ بِٱتِّباعِ نِظامِ تَرْتيبٍ خاصٍّ بِهِ يَخْدِمُ ما يَرومُ ٱلمُحَقِّقُ كَشْفَهُ وَتَأْكيدَهُ وَإِبْرازَهُ؛ فَقَـدْ يَتَّجِهُ صانِعُ ديوانِ جَريرٍ مَثَلاً إلىٰ قَسْمِ ٱلدِّيوانِ عَلىٰ أَبْوابٍ يَشْمَلُ كُلٌّ مِنْها أَهاجِيَهُ لِواحِدٍ مِنَ الشعراءِ. كَٱلفَرَزْدَقِ وَٱلأَخْطَلِ وَعُمَرَ بْنِ لَجَأٍ وٱلبَعيثِ والرَّاعي وَعَدِيِّ بنِ ٱلرِّقاعِ . . وَقَدْ يَتَكَلَّفُ صانِعُ ديوانِ عُمَرَ بْنِ أَبي رَبيعَةَ أَنْ يَجْمَعَ قَصائِدَهُ وَفْقَ ٱلنِّساءِ اللَّواتي شَبَّبَ بِهِنَّ، أَمّا ديوانُ نُصَيْبٍ فَقَدْ يُرَتَّبُ بِحَسَبِ ٱلمَمْدوحينَ، وَما إِلىٰ ذٰلِكَ مِنَ ٱلأَساليبِ ٱلَّتي قَدْ تُلائِمُ شِعْرَ شاعِرٍ دونَ آخَرَ. ولا ضَيْرَ في أَنْ يَتَّبِعَ ٱلمُحَقِّقُ ٱلتَّرْتيبَ ٱلَّذي يَرْتَئيهِ شَريطَةَ أَنْ يَجْعَـلَ ذٰلِكَ وُصْلَةً إِلىٰ مُتَحَرّاهُ وَمَجازاً إِلىٰ مُتَوَجَّهِهِ وَوسيلَةً إِلىٰ بُغْيَتِهِ، فَإِنَّ القَصْدَ أَنْ يَخْرُجَ ٱلدّيوانُ على ٱلصُّورَةِ ٱلتي يَراها ٱلمُحَقِّقُ صالِحَةً لإِيضاحِ ٱلجَوانِبِ ٱلّتي يَرْغَبُ في إِبْرازِها وَٱلتَّأْكيدِ عَلَيْها وَتَقْريبِها إِلىٰ مُتَناوَلِ الدّارِسينَ.

فَإِذا راعَيْنا ذلك كلَّهُ خَلُصْنا إلى أَنَّ صانِعَ ٱلدِّيوانِ ذي القيمَةِ ٱلفَنِّيَّةِ قَمينٌ بِأَنْ يُرَتِّبَهُ بِحَسَبِ ٱلمواضيعِ إِنْ تَعَدَّدَتْ فيهِ، أَوْ بِحَسَبِ أَهَمِّيَّةِ ٱلقَصائِدِ في نَظَرِ ٱلمُحَقِّقِ إِنْ كانَ ذٰلِكَ يُوَضِّحُ ٱلاتِّجاهـاتِ ٱلفَنِّيَّةَ في ٱلأَشْعـارِ، أَوْ بِحَسَبِ ٱلتَّسَلْسُلِ ٱلزَّمَنِيِّ لِلشِّعْرِ إِنْ كانَ ذٰلِكَ يُفيدُ في إِظْهارِ تَطَوُّرِ ٱلأُسْلوبِ ٱلفَنِّيِّ لَدىٰ ٱلشّاعِرِ. أَمّا إِذا ٱمْتازَ ٱلدِّيوانُ بِأَهَمِّيَّتِهِ اللُّغَوِيَّةِ، فَلَعَلَّ مِنَ ٱلمُناسِبِ

تَرْتيبَهُ بِحَسَبِ ٱلقَـوافي، إلّا إذا رَغِبَ صانِعُـهُ في إبْرازِ نَـواحيَ أُخْرىٰ في ٱلدِّيوانِ زِيادَةً عَلى ٱلنّاحِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ فيهِ، فلا جُناحَ عَلَيْهِ حينَئِذٍ في أَنْ يُبَوِّبَ ٱلْأَشْعارَ عَلىٰ النَّسَقِ ٱلّذي يَراهُ مُوافِقاً لِغَرَضِهِ، إذْ أَنَّ تَرْتيبَ ٱلْأَشْعارِ لا يُؤَثِّرُ كَثيراً في ٱلإفادَةِ مِنَ ٱلنَّواحي اللُّغَوِيَّةِ فيهِ طـالَما زُوِّدَ ٱلـدِّيوانُ بِـٱلفَهارِسِ ٱللُّغَوِيَّةِ ٱلكافِيَةِ. وَيَكادُ يَقْتَصِرُ خِيارُ صانِعِ ٱلدِّيوانِ ذي ٱلمَنْحىٰ ٱلتاريخيِّ عَلىٰ ٱتِّباعِ ٱلتَّسَلْسُلِ ٱلزَّمَنِيِّ في سَرْدِ قَصائِدِ ٱلشّاعِرِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ هُوَ خَيْرُ ما يُيَسِّرُ ٱسْتِفادَةَ ٱلباحِثينَ مِنْ جَوانِبِهِ ٱلتّاريخِيَّـةِ. عَلىٰ أَنَّ لِصانِـعِ مِثْلِ هٰـذا الـدِّيوانِ أَنْ يَلْجَـأَ إِلىٰ جَمْعِ ٱلْأَشْعـارِ بِحَسَبِ المواضيـعِ أَوِ ٱلمُناسَبـاتِ ٱلسِّياسِيَّةِ ٱلّتي قِيلَتْ فيها، شَريطَةَ أَنْ تُرَتَّبَ قَصائِدُ كُلِّ بابٍ بِحَسَبِ تَسَلْسُلِها ٱلزَّمَنِيِّ أَيْضاً. وَلا شَكَّ أَنَّ تَرْتيبَ ٱلدَّواوينِ ذاتِ ٱلقيمَةِ ٱلاجْتِماعِيَّةِ بِحَسَبِ ٱلمواضيعِ هُوَ خَيْرُ ما يُمْكِنُ لِلْمُحَقِّقِ ٱتِّباعُهُ، شَأْنُها شَأْنُ تِلْكَ ٱلّتي تَمْتـازُ بِقيمَتِها ٱلفِكْرِيَّةِ. وَيَجوزُ لِلصّانِعِ أَنْ يُرَتِّبَ قَصائِدَ هٰذَيْنِ ٱلصِّنْفَيْنِ وَفْقَ أَهَمِّيَّةِ ٱلقَصائِدِ في نَظَرِهِ، فَقَدْ يَرىٰ في ذٰلِكَ بَلاغاً إِلىٰ ما ٱسْتَشْرَفَ لَهُ مِنْ كَشْفِ ٱلنَّواحي ٱلمُهِمَّةِ في ٱلدِّيوانِ وَإِسْعافِ ٱلباحِثينَ بِحاجَتِهِم مِنْهُ عَلىٰ ٱلصُّورَةِ ٱلفُضْلىٰ.

ثُمَّ نَنْتَقِـلُ إِلى ٱلتَّعْليقِ عَلىٰ ٱلْأَشْعارِ ـ وَهُـوَ ٱلأَمْرُ ٱلَّـذي يَتَطَلَّبُ مِنَ ٱلمُحَقِّقِ أَنْ يَبْذُلَ فيهِ خالِصَ جُهْدِهِ وَيَسْتَفْرِغَ جُلَّ وُسْعِهِ، وَلا يُقْبَلَ مِنْهُ عَفْوُهُ وَمَيْسورُهُ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَصْرِفَ فيهِ كُلَّ عِنايَتِهِ دونَ أَلْوٍ أَوْ وَنىٰ ـ فَنُبَيِّنُ ما عَلىٰ ٱلمُحَقِّقِ أَنْ يَجْلُوَهُ بِتعاليقِهِ، وَما يَلْزَمُهُ مِنْ آلَةٍ لِكَيْ يَقومَ بِهٰذا العَمَلِ.

عَلىٰ صانِعِ ٱلدِّيوانِ أَنْ يَتَعَرَّفَ أَسْلوبَ ٱلشّاعِـرِ وَمَيِّزاتِـهِ وَصِفاتِـهِ، فَيَحْصُرَ لُغَتَهُ وَٱلمُفْرَداتِ ٱلَّتي تَتَرَدَّدُ في شِعْرِهِ، وَيَدْرُسَ ٱلنَّمَطَ ٱلَّذي يَنْسِجُ وَفْقَهُ قَصائِدَهُ، وَيَسْتَوعِبَ طَرائِقَ نَظْمِهِ وَما يَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْ أُمورِ ٱلمَعاني وَٱلبَيانِ وَٱلبَديعِ، وَيَعْرِفَ مَعايِبَ شِعْرِهِ وَمَحاسِنَهُ، وَما يُقَصِّرُ فيهِ وَما يُجيدُ، كما عَلَيْهِ

أنْ يُحيطَ بأهْواءِ ٱلشاعِرِ وَميولِه، وَعَقيدَتِهِ ٱلدِّينيَّةِ وَٱلسِّياسِيَّةِ، وَبِقبيلتِهِ وَدِيارِها وَٱلمياهِ ٱلَّتي نَزَلَتْها، وَبِٱلفَتْرَةِ ٱلَّتي عاشَ فيهـا ٱلشّاعِـرُ وَما جَـرىٰ فيها مِنْ أَحْداثٍ وَأَيّامٍ، وَبِٱلمُناسَباتِ ٱلَّتي قالَ فيها شِعْرَهُ، وَبِٱلأَعْلامِ ٱلَّذينَ ذَكَرَهُمْ فيهِ، وَما إِلىٰ ذٰلِكَ مِن ٱلأُمورِ ٱلَّتي تُسْهِمُ في مَعْرِفَةِ ٱلشّاعِرِ وَبيئَتِهِ وَشِعْرِهِ.

فَإذا تَمَّ لَهُ ذٰلِكَ وَتَحوَّلَ إِلىٰ العَمَلِ في الدِّيوانِ، فَلَهُ أَنْ يَفْتَتِحَهُ بِمُقَدِّمَةٍ تَذْكُرُ شَيْئاً عَنْ نَسَبِهِ وَسيرَتِهِ وَبيئَتِهِ، مُراعِياً إِبْرازَ ٱلحَوادِثِ وَٱلأُمورِ ٱلَّتي يَرىٰ أَنَّها قَدْ تُلْقي ضَـوْءاً عَلىٰ نَواحٍ مِنْ شِعْـرِهِ، ثُمَّ يَشْرَعَ في سَـرْدِ ٱلقَصائِـدِ وَٱلتَّعْليقِ عَلَيْها بِما يُوافِقُ ما يَرْتَئيهِ مِنْ تَصْنيفٍ لِلدِّيوانِ، فَيَعْتَني - إِذا أَراد إِبْرازَ أَهَمِّيَّةِ الدِّيوانِ الفَنِّيَّةِ - بِـالإشارَةِ إِلىٰ نَمَطِ صِيـاغَةِ قَصـائِدِهِ وَطَبيعَـةِ بِنائِهـا وإِيقاعِها وَمَيِّزاتِها ٱلفَنِّيَّةِ وَٱلنَّواحي ٱلبَلاغِيَّةِ ٱلَّتي تَظْهَرُ فيها وَٱلمَدْرَسَةِ ٱلَّتي تَنْتَمي إِلَيْها، إِلىٰ غَيْرِ ذٰلِكَ مِمّا يَتَعَلَّقُ بِٱلأُسْلوبِ الشِّعْرِيِّ لِلشّاعِرِ. فَإذا أَرادَ الكشف عَنِ ٱلجَوانِبِ اللُّغَوِيَّةِ في ٱلدِّيوانِ، عَلَيْهِ أَنْ يُوَجِّهَ ٱهْتِمـامَهُ إِلىٰ المَسائِلِ ٱللَّفْظِيَّةِ فيهِ، يُبَيِّن ما يَتَرَدَّدُ فيه مِنْ لَهَجـاتِ ٱلقَبائِـلِ المُخْتَلِفَةِ، وَٱلأَلْفاظِ ٱلَّتي لا ذِكْرَ لَها في ٱلمُعْجَماتِ، وَٱلضَّروراتِ ٱلَّتي فَرَضَها النَّظْمُ، وَما إِلىٰ ذٰلِكَ. كما يَحْسُنُ بِهِ - إِذا كانَ لِلدِّيوانِ قيمَةٌ تاريخيَّةٌ هامَّةٌ - أَنْ يَجْلُوَ ٱلأَحْداثَ ٱلَّتي يُشارُ إِليها في ٱلشِّعْرِ، وَأَنْ يَشْرَحَ عَقيدَةَ ٱلشّاعِرِ وَٱنْتِماءَهُ، مُفَسِّراً ما يَرِدُ في ٱلقَصائِدِ مِمّا لَهُ عَلاقَةٌ بِتِلْكَ ٱلعَقيدَةِ وَذٰلِكَ الانْتِماءِ. كَما عَلَيْهِ أَنْ يُوَضِّحَ مُناسَبَةَ كُلِّ قَصيدَةٍ وَفيمَ قيلَتْ، وَيُعَرِّفَ ٱلأَعْـلامَ وَٱلوَقـائِعَ وَٱلمواقِعَ ٱلَّتي جاءَتْ فيها، وَكَيْفَ أَدّىٰ ذلك كُلُّه إِلىٰ صِياغَةِ ٱلشِّعْـرِ حَتّىٰ وَصَلَ إِلَيْنا بِٱلشَّكْلِ ٱلَّذي هُوَ عَلَيْهِ، وَيُجَلّي ما لَهُ مِنْ جَوانِبَ إِعْلامِيَّةٍ، مُراعِياً ذِكْرَ ٱلجِهاتِ ٱلَّتي ٱسْتَهْدَفَها ذٰلِكَ ٱلإِعْلامُ وَوَقْعِ ٱلقصائِدِ لَدَيْها، وَما إِلىٰ ذٰلِكَ مِنَ ٱلأُمورِ ٱلَّتي تُقَرِّبُ أَشْعارَ ٱلدِّيوانِ إِلىٰ ٱلفَهْمِ وَتُحَدِّدُ دَوافِعَ نَظْمِها وَنَتائِجَهُ. فَإِنْ كانَ ٱلدِّيوانُ مِمّا يَمْتازُ بِما يُظْهِرُ مِنْ أُمورٍ ٱجْتِماعِيَّةٍ أَوْ فِكْرِيَّةٍ، وَجَبَ عَلىٰ صانِعِ ٱلدِّيوانِ أَنْ يُعَيِّنَ هٰذِهِ ٱلأُمورَ كاشِفاً أَبْعـادَها في مُحيطِ

الشَّاعِرِ، فإذَا كانَتِ آجْتِماعِيَّةً شَرَحَهاَ وَوَضَّح مَدىٰ تَمَثُّلِ مَرْكَزِ آلشَّاعِرِ آلاجْتماعِيِّ فيها، وَتَوَسَّعَ في ذِكْرِ آلنَّواحي آلَّتي تَتَعلَّقُ بِها في ذٰلِكَ آلعَصْرِ، وَما كانَ مِنْها آنْعكاساً لِلْبيئَةِ وَطَبيعَةِ آلحَياةِ، وَما كانَ مِنْها نابعاً عَن آلمُعْتَقَداتِ آلعامَّةِ أَوِ آلخاصَّةِ بِآلشَّاعِرِ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ التَّنْبيهاتِ آلَّتي تَمَسُّ آلحَياةَ آلاجْتِماعِيَّةَ لِلشَّاعِرِ وَآلقَبيلَةِ وَآلمُجْتَمَعِ بِشَكْلٍ عامٍّ. وَإذا كانَتْ قِيَماً فِكْرِيَّةً فَسَّرَها وَبَيَّنَ ما جاءَ مِنْها مُماثِلاً لِلآراءِ وَآلأفْكارِ وَآلاتجاهاتِ آلسّائِدَةِ في ذٰلِكَ العَصْرِ وما كانَ مُخالِفاً لَها، وَما لِمبادِىءِ آلشّاعِرِ آلسِّياسِيَّةِ وَآلدِّينِيَّةِ وَآلفِكْرِيَّةِ فِيها مِنْ أَثَرٍ، وَأَشارَ إِلىٰ آلنَّواحي آلَّتي تُبرزُ ثَقافَةَ آلشَّاعِرِ وَتَطَبُّعَها بِما يَتَّصِلُ بِمُحيطِهِ آلخاصِّ أَوْ بِآحْتِكاكِهِ بِأفْكارٍ أَوْ مُعْتَقَداتٍ أَجْنَبِيَّةٍ عَنْهُ، وَما إِلىٰ ذٰلِكَ مِنَ آلأمورِ آلَّتي قَدْ تُلْقي ضَوْءاً عَلىٰ طَريقَةِ تَفْكيرِ آلشّاعِرِ وَآلنَّوازِعِ آلَّتي آتَّجَهَتْ بِهِ إلىٰ آلمَنْحىٰ آلَّذي يُمَثِّلُهُ شِعْرُهُ.

وَيَجْدُرُ بِالمُحَقِّقِ ـ مَهْما كانَ صِنْفُ الدِّيوانِ الَّذي يَصْنَعُهُ ـ أَنْ يَتَجَشَّمَ شَرْحَ مَعاني الشِّعْرِ المُشْكِلَةِ وَتَعْريفَ الأَعْلامِ وَالأَماكِنِ وَالحَوادِثِ الوارِدَةِ فيهِ، وَذِكْرَ المناسَباتِ الَّتي قِيلَتْ فيها القَصائِدُ. كَما يُفْتَرَضُ فيهِ أَنْ يُوَثِّقَ نِسْبَةَ القَصائِدِ إلى الشّاعِرِ، وَيَدْرُسَ المُتَنازَعَ مِنْها بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيرِهِ مِنَ الشُّعَراءِ فَيُقَرِّر ما يُرَجَّحُ مِنْ عَزْوٍ، مُثْبِتاً أَسْبابَ التَّرْجيحِ وَأَدِلَّتَهُ، وَذلِكَ بِالاسْتِفادَةِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ أسْلوبَ الشّاعِرِ وَمعْجَمَهُ اللُّغَوِيَّ، وَأَهْواءَهُ ومُعتقداته، وَالمُناسَباتِ الَّتي قِيلَتْ فيها القَصائِدُ، وتدبُّرِ المَواقِعِ وَالأَعْلامِ وَالحَوادِثِ المذكورة في الشِّعْرِ، إضافَةً إلى مُقارَنَةِ المَصادِرِ الَّتي عُزِيَ فيها إلى الشّاعِرِ أَوْ إلى غَيْرِهِ، وَما يَصِحُّ الاعْتِمادُ عَلَيْهِ مِنْها وَما لا يَصِحُّ، وما هُوَ أَقْدَمُ وَأَقْرَبُ إلى عَصْرِ الشّاعِرِ وَما هُوَ أَحْدَثُ وَأَبْعَدُ، وَغَيْرِ ذلِكَ مِنَ الأُمورِ الَّتي تُساعِدُ عَلى تَرْجيحِ نِسْبَةٍ وَتَوْثيقِ مَصْدَرٍ.

وَقَدْ يَكونُ مِنَ المُفيدِ أَنْ يُنَبِّهَ صانِعُ الدِّيوانِ عَلى بَعْضِ النُّكاتِ الصَّرْفِيَّةِ أَوِ النَّحْويّةِ أَوِ البَلاغِيَّةِ، عَلى أَنَّ ذلِكَ عائِدٌ إلى المُحَقِّقِ، وَلَهُ أَنْ يَقومَ

بِهِ إِنْ رَأَى لِذلِكَ ضرورَةً، كَما أَنَّ لَهُ أَنْ يَتحاشاهُ إِنْ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ يُؤَدِّي إِلى إِطالَةِ التَّعْليقاتِ دُونَ فائِدَةٍ كَبيرَةٍ، أَوْ أَنَّهُ قَدْ يُسَبِّبُ تَحْويلَ ذِهْنِ القارى عَنْ أُمورٍ هامَّة إِلى أُمورٍ ثانَوِيَّةٍ.

فَإِذا أَنْهى المُحَقِّقُ تَرْتيبَ الدِّيوانِ وَالتَّعْليقَ عَلَيْهِ، بَقِيَ عَلَيْهِ العَمَلُ عَلى فَهْرَسَتِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكانٍ لِما في ذلِكَ مِنْ تَقْريبٍ لِمُتَناوَلِهِ وَرَوْضٍ لِمَرْكَبِهِ. وَالفَهارِسُ مُتَنَوِّعَةٌ كَثيرَةٌ، نَذْكُرُ مِنْها: فَهْرَسَ القَوافي وَالبُحورِ، وَفَهْرَسَ المَعاني وَالتَّشْبيهاتِ وَالصُّوَرِ، وَفَهْرَسَ المَواضيعِ وَالفُنونِ الشِّعْرِيَّةِ، وَفَهْرَسَ اللُّغَةِ، وَفَهْرَسَ الأَعْلامِ، وَفَهْرَسَ القَبائِلِ وَالأُمَمِ وَالجَماعاتِ، وَفَهْرَسَ الأَماكِنِ وَالبُلْدانِ وَالمِياهِ، وَفَهْرَسَ الأَيّامِ، وَفَهْرَسَ الأَنْواءِ وَالنُّجومِ، وَفَهْرَسَ أَوابِدِ العَرَبِ وتُرَهاتِهِمْ وَأَوْهامِهِمْ، وَفَهْرَسَ النَّباتِ وَالحَيوانِ، وَفَهْرَسَ أَلْفاظِ الحَضارَةِ، وَفَهْرَسَ الأَلْفاظِ المُعَرَّبَةِ، وَفَهْرَسَ لُغاتِ القَبائِلِ وَلَهَجاتِها، وفَهْرَسَ المُعْتَقَداتِ وَالأُمورِ الدِّينِيَّةِ (وَالأَصْنامِ)، وَفَهْرَسَ الحِكَمِ وَالأَمْثالِ، وَفَهْرَسَ التَّسَلْسُلِ الزَّمِنِيِّ لِلْقَصائِدِ، وَفَهْرَسَ الضَّروراتِ الشِّعْرِيَّةِ،والفَهْرَسَ العَروضِيَّ ـ الَّذي يَتَناوَلُ بُحورَ الشِّعْرِ المُسْتَعْمَلَةَ في الدِّيوانِ وَعَدَدَ القَصائِدِ الَّتي قِيلَتْ في كُلِّ بَحْرٍ، كما يُمْكِنُ أَنْ يَتَناوَلَ نَواحِيَ أُخْرى كالزِّحافاتِ وَالعِلَلِ العَروضِيَّةِ كَالخَرْمِ وَالخَزْمِ وَما يُشْبِهُ ذلِكَ ـ ثُمَّ فَهْرَسَ المَصادِرِ وَالمَراجِعِ. وَيُسْتَحْسَنُ بِصانِعِ الدّيوانِ أَنْ يَحْمِلَ نَفْسَهُ عَلى عَمَلِ جُلِّ هذِهِ الفَهارِسِ ـ إِنْ لَمْ نَقُل كُلَّها ـ إِلى جانِبِ غَيْرِها مِمّا قَدْ يُوحيهِ الدّيوانُ الَّذي يَصْنَعُهُ. وَيُفْتَرَضُ فيهِ أَلاَّ يُهْمِلَ ما لَهُ عَلاقَةٌ ماسَّةٌ بِالصِّنْفِ الَّذي يَنْضَوي تَحْتَهُ الدِّيوانُ، فَلا يَتَغاضى ـ مَثَلاً ـ عَنْ فَهارِسِ المَعاني وَالعَروضِ وَالضَّروراتِ الشِّعْرِيَةِ وَالحِكَمِ وَالأَمْثالِ إِنْ كانَ الدِّيوانُ ذا قيمَةٍ فَنِّيَّةٍ، وَلا عَنْ فَهارِسِ اللُّغَةِ وَالأَلْفاظِ المُعَرَّبَةِ وَلُغاتِ القَبائِلِ وَالنَّباتِ وَالحَيَوانِ إِنْ كانَ ذا قيمةٍ لُغَوِيَّةٍ، وَلا عَنْ فَهارِسِ الأَعْلامِ وَالقَبائِلِ وَالبُلْدانِ والأَيّامِ إِنْ كانَ ذا قِيمَةٍ تاريخِيَّةٍ، وَلا عَنْ فَهارِسِ أَلْفاظِ

آالحَضارَةِ وَآلأَوابِدِ وَآلمُعْتَقَداتِ إنْ كانَ ذَا قِيمَةٍ آجْتِماعِيَّةٍ، وَلا عَنْ فَهْرَسَي المَواضِيعِ وَالحِكَمِ وَآلأَمْثالِ إنْ كانَ ذا قِيمَةٍ فِكْرِيَّةٍ. وَنَحْنُ إنَّما نُورِدُ أَمْثِلَةً وَلا نَحْصرُ أَوْنُحَدِّدُ، وَمِنْ واجِبِ المُحَقِّقِ أَنْ يَسْتَقْصِيَ وَيَسْتَوْفِيَ كَيْ يَأْتِي عَمَلُهُ كافِياً مُغْنِياً قَرِيباً مِنَ الكَمالِ.

هذا مُلَخَّصٌ لِما يُفْتَرضُ بِمَنْ يَتَصَدّى لِعَمَلِ ديوانٍ ما أَنْ يَقومَ بِهِ حَتّى يَجُوزَ أَنْ يُسَمّى عَمَلُهُ فيهِ «صَنْعَةً» لِلدِّيوانِ، وَهُوَ مَذْهَبٌ صَعْبُ المَرامِ حَزْنُ المَسْلَكِ عَسيرُ المَطْلَبِ، غَيْرَ أَنَّ صانِعَ الدِّيوانِ مُطالَبٌ بِهِ، فَإِنْ فَرَّطَ فيهِ وَقَصَّرَ، وَتَهاوَنَ وَمَرَّضَ، آنْتَفَتْ عَنْ عَمَلِهِ صِفَةُ «الصَّنْعَةِ»، وَعادَ مُجَرَّدَ جَمْعٍ لِلشِّعْرِ يُقْبَلُ مِنْهُ إذا كانَ فيهِ مُبْتَدِئاً أَوْ مُسْتَدْرِكاً، وَيُلامُ عَلَيْهِ إنْ كانَ قَدْ سُبِقَ إلَيْهِ، وَيَكونُ ما بَذَلَ فيهِ مِنْ جَهْدٍ عَبَثاً، لأَنَّهُ عملٌ مَكْرورٌ قَليلُ الجَدْوى يُمْكِنُ آلاسْتِعاضَةُ عَنْهُ بِبَحْثٍ يَضُمُّ الفَوائِدَ آلَّتي أَضافَها إلى آلعَمَلِ آلمُتَقَدِّمِ دونَ تَكَلُّفِ طِباعَةِ الدِّيوانِ وَإِضاعَةِ وَقْتِ آلباحِثينَ في قِراءَتِهِ بِكامِلِهِ لاسْتِخْلاصِها مِنْهُ. وَلَنْ نَشْتَطَّ في آلطَّلَبِ مِنَ آلمُحَقِّقِ أَكْثَرَ مِمّا فَعَلْنا، فَنَفْرِضَ عَلَيْهِ ـ مَثَلاً ـ أَنْ يَتَوَسَّعَ في دِراسَةِ الشِّعْرِ وَيَسْتَخْرِجَ مِنْهُ آلرُّموزَ وَآلمُثُلَ وَآلإِسْقاطاتِ وَغَيْرَها مِنَ آلفَوائِدِ، بَلْ نَتْرُكُ ذلِكَ لِلْباحِثينَ آلَّذينَ يَرْغَبونَ في الاضطِلاعِ بِدراسَةِ الدِّيوانِ.

نَشْرَتا دِيوانِ زُفَرَ، وَنَظْرَةٌ فِي آلمُتَأَخِّرَةِ مِنْهُما:

قُلْتُ إنَّ دافِعي إلى كِتابَةِ بَحْثي هذا كانَ آطِّلاعي عَلى نَشْرَةِ آلأُسْتاذِ آلدُّكتورِ مُحَمَّد رُضْوان آلنَّجّار لِديوانِ زُفَرَ بنِ آلحارِثِ، آلَّذي جَمَعَهُ آلأُستاذُ آلدُّكتورُ نوري حَمّودي آلقَيْسيّ قَبْلُ وَنَشَرَهُ في مَجَلَّةِ المَجْمَعِ آلعِراقِيِّ، فَوَقَفْتُ قَليلاً مُقارِناً بَيْنَ آلنَّشْرَتَيْنِ، وَسَأُلَخِّصُ فيما يَلي ما وَجَدْتُ خِلالَ وَقْفَتي آلمُقارِنَةِ هذِهِ:

زادَ آلأُسْتاذُ آلنَّجارُ عَلى ما جَمَعَهُ آلدُّكتورُ آلقَيْسِيُّ:

أ ـ بَيْتاً واحِداً في ٱلقَصيدَةِ ق (٤) هُوَ ٱلأخيرُ فيها، نَقَلَهُ عَنِ «ٱلعِقْدِ ٱلفَريدِ» مِنْ جُمْلَةِ أَبْياتٍ.

ب ـ المقْـطوعَـةَ ق (٦) وَهِيَ تَتَكَـوَّنُ مِنْ بَيْتَيْنِ، نَقَلَهُمـا عَنِ «ٱلمُؤْتَلِفِ وَٱلمُخْتَلِفِ» لِلآمِدِيِّ ٱلَّذي نَسَبَهُما إلى زُفَرَ بنِ ٱلحارِثِ ٱلقُشَيْـرِيِّ. وَعَلَّقَ ٱلأُسْتاذُ ٱلنَّجّارُ على ٱلنِّسْبَـةِ أَنَّها خَـطَأٌ، لأَنَّ زُفَرَ بنَ ٱلحـارِثِ كِلابِيٌّ لا قُشَيْرِيٌّ. وَهذا وَهْمٌ مِنْهُ، فَقَدْ مَيَّزَ ٱلآمِدِيُّ بَيْنَهُما، وَذَكَرَ أَنَّهُما مُخْتَلِفانِ، وَٱلبَيْتانِ لَيْسا مِنْ شِعْرِ صاحِبِنا ٱلبَتَّةَ، وَيَجِبُ إِسْقاطُهُما مِنَ ٱلدِّيوانِ.

جـ ـ المَقْطوعَةَ ق (١٣) وَهِيَ بَيْتٌ واحِدٌ نَقَلَهُ عَنْ «تاريخِ ٱبْنِ عَساكِر» مُخْتَلَّ ٱلوَزْنِ، سَنُصَحِّحُهُ فيما سَيَلي.

د ـ المَقْـطوعَةَ ق (١٤) وَهِيَ أَرْبَعَـةُ أَبْيـاتٍ نَقَلَهـا عَنْ «نَقـائِضِ جَـريـرٍ وَٱلأَخْطَلِ» مِنْها ثَلاثَةٌ في «كامِلِ ٱبْنِ الأَثير» وَ «ٱلأَغاني» و «أَنْسابِ ٱلأَشْرافِ».

هـ ـ المَقْطوعَةَ ق (٢٢) وَهِيَ أَبْياتٌ سِتَّةٌ نَقَلَها عَنِ «ٱلأَغاني» ٱلَّذي عَزاها إلى زُفَرَ أَوْ غَيْرِهِ. أَوْرَدَ مِنْها الأُسْتاذُ ٱلقَيْسِيُّ بَيْتَيْنِ ـ هُما ٱلرّابِعُ وَٱلخامِسُ ـ عَنْ «مُعْجَمِ ما اسْتَعْجَمَ»، وَلَمْ يَرِدْ هذا الكِتابُ في مَصـادِرِ ٱلأُسْتاذِ ٱلنَّجّارِ.

و ـ زادَ عَلى ٱلقَصيدَةِ ق (٢٦) بَيْتَيْنِ ـ هُما ٱلخامِس عَشَرَ وَٱلسّادِس عَشَرَ ـ نَقَلَهُما عَنِ «ٱلتَّنبيهِ وَٱلإشْرافِ» لِلْمَسعودِيِّ.

أَمّا ٱلدُّكتورُ ٱلقَيْسِيُّ فَزادَ ما جَمَعَهُ مِنْ شِعْرِ زُفَرَ عَلى نَشْرَةِ ٱلدُّكْتـورِ النَّجّارِ بَيْتاً لَمْ يَذْكُرْ مَصْدَرَهُ جاءَ ثانياً لِبَيْتِ ٱلمَقْطوعَةِ ق (٩) ـ وَهِيَ عِنْدَهُ بِرَقَمِ (١١) ـ وَٱلبَيْتُ هُوَ:

مُلِحّـاً عَلَيَّ بِـالْحِجـارَةِ دائِبـاً لِأَنّـي وَقـورٌ، وَٱلكَـريـمُ وَقـورُ

كما أَوْرَدَ الدُّكتورُ ٱلقَيْسِيُّ قِطْعَةً بِرَقمِ (١٤) - عَنْ «أنسابِ ٱلأشْرافِ» - هِيَ ٱلبَيْتُ السّادِسُ مِنَ ٱلقَصيدَةِ ق (٤) عِنْدَ الأُسْتاذِ النَّجارِ، وَلكِنَّهُ مُغَيَّـرُ العَجُزِ برواية: «فَما عَدَلَتْ جُموعُهُمُ عُمَيْرا» عِوضاً عَنْ: «فَما عَدَلَتْ عُمَيْرَ ابنَ ٱلحُبابِ». وَلا أَدْري مِنْ أَيْنَ جاءَ الأُسْتاذُ ٱلنَّجّارُ بِروايَتِهِ، إِذْ أَنَّهُ أَحال على «أَنسابِ الأَشْرافِ» حَسْبُ، وَٱلرِّوايَةُ هُناكَ كما أَوْرَدَها ٱلأُستاذُ ٱلقَيْسِيُّ.

وَهكَذا نَرى أَنَّ كُلَّ ٱلَّذي أَضافَهُ الأُسْتاذُ ٱلنَّجّارُ لَمْ يَتَجاوَزِ ٱثْنَيْ عَشَرَ بَيْتاً، أَيْ نَحْوَ عُشْرِ أَبْياتِ ٱلدِّيوانِ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ ذٰلِكَ ذَريعَةً إِلى إِعادَةِ جَمْعِ ٱلشِّعْرِ لِقِلَّةِ هذا ٱلمُسْتَدْرَكِ. عَلى أَنَّ (صُنْعَ) ٱلدِّيوانِ - بِحَسَبِ ٱلمَناهِجِ ٱلَّتي ذَكَرْتُها في ٱلبَحْثِ آنِفاً - يَكْفي مُبَرِّراً لِإعادَةِ نَشْرِهِ. وَلَقَدْ سَمّى الأُسْتاذُ ٱلنَّجّارُ عَمَلَهُ في ٱلدِّيوانِ: «صَنْعَة»، فَعَلَيْنا إِذَنْ أَنْ نَنْظُرَ فيهِ عَلَّنا نَجِدُ لَهُ مَخْرَجاً يُسَوِّغُ ما حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ وَما بَذَلَ مِنْ مَجْهودٍ.

اِفْتَتَحَ ٱلأُسْتاذُ ٱلنَّجّارُ الدِّيوانَ بِمُقَدِّمَـةٍ قَصيرَةٍ عَنْ زُفَـرَ وَشِعْرِهِ وَعَنِ ٱلمَنْهَجِ ٱلَّذي ٱتَّبَعَهُ في عَمَلِ ٱلدِّيوانِ، جاءَ نَسَبُ زُفَرَ في نَحْوِ نِصْفِ صَفْحَةٍ مِنْهـا، ثُمَّ ذَكَرَ - في سَـطْرَيْنِ - طَبَقَتَهُ وَمَكـانَتَهُ في قَيْسٍ، وَلَخَّصَ سيـرَتَهُ ٱلسِّياسِيَّةَ في سَطْرَيْنِ آخَرَيْنِ، وَتَطَرَّقَ إِلى بَعْضِ صِفاتِهِ وَسِماتِـهِ في نَحْوِ نِصْفِ صَفْحَةٍ، وَعَرَضَ لِابْنِهِ هُذَيْلٍ وَشَجاعَتِهِ، فَقَصَّ حادِثَةً جَرَتْ لَهُ في ما يُقارِبُ ٱلصَّفْحَةَ، وَعادَ إِلى شِعْرِ زُفَرَ فَبَيَّنَ بُحورَهُ وَقَوافِيَـهُ وَأَغْراضَـهُ في نِصْفِ صَفْحَةٍ أُخْرى، ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنِ ٱلدِّيوانِ في ٱلقَديمِ وَضَياعِهِ في نَحْوِ صَفْحَتَيْنِ، وَخَصَّص صَفْحَتَيْنِ أَيْضاً لِسَرْدِ ٱلمَنْهَجِ ٱلَّذي ٱرْتَضاهُ لِعَمَلِهِ في ٱلدِّيوانِ. . .

قَدْ يُقْبَلُ مِنَ ٱلباحِثِ تَقْديمٌ موجَزٌ كَهٰذا لَوْ كانَ العَمَلُ جَمْعَ شِعْرٍ لَمْ يَسْبِقْ جَمْعُهُ، فَإِنَّ ٱلغَرَضَ آنَذاكَ يَكونُ لَمَّ شَتاتِ ما تَفَرَّقَ مِنَ ٱلأَبْياتِ في

بطونِ المظانِّ تَسْهيلاً لِوُصولِ ٱلدّارِسينَ إلَيْها. أمّا إذا تَجاوَزَ ٱلعَمَلُ ٱلجَمْعَ فلا يُقْبَلُ مِثْلُ هٰذا ٱلإخْلالِ في تَقْديمِ مَجْموعَةٍ شِعْرِيَّةٍ ذاتِ أَهَمِّيَّةٍ تاريخِيَّةٍ كَهٰذِهِ ٱلمَجْموعَةِ، لِأَنَّ تَفْصيلَ سيرَةِ ٱلشّاعِرِ يُساعِدُ عَلىٰ إيضاحِ غَوامِضِ شِعْرِهِ، وَلا يَصْلُحُ لِذٰلِكَ ما جاءَ في مُقَدِّمَةِ ٱلأُسْتاذِ ٱلنَّجّارِ، ٱلَّتي لَمْ تَخْلُ ـ عَلىٰ قِصَرِها ـ مِنَ ٱلأَخْطاءِ وَٱلأَوْهامِ.

جاء نَسَبُ ٱلشّاعِرِ في ٱلمُقَدِّمَةِ: «زُفَرُ بْنُ ٱلحارِثِ بْنِ مُعاذِ بْنِ يَزيدَ بنِ عَمْرو ٱلصَّعِقِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ نُفَيلٍ..» وَأَشارَ ٱلأُسْتاذُ ٱلفاضِلُ إلىٰ أَنَّ ٱلمَصادِرَ أَظْهَرَتْ ٱخْتِلافاً يَسيراً في سِياقِ نَسَبِهِ. وَفي ٱلنَّسَبِ ـ كَما وَرَدَ ـ خَطآنِ: أَوَّلُهما أَنَّ «مُعاذاً» بِالذال تَحْريفٌ صَوابُهُ «مُعازٌ» بِالزّاي، كَذٰلِكَ هُوَ في «جَمْهَرَةِ» ٱبْنِ الكَلْبِيِّ ـ ص ٣٢١ ـ وَ «أَنْسابِ الأَشْرافِ» ـ ج ٥ ص ٢٩٨ ـ وَ «ٱلمُشْتَبِهِ في الرِّجالِ» لِلذَّهَبِيِّ ـ ص ٥٩٩ ـ وَنَبَّهَ عَلىٰ أَنَّهُ بِالزّاي. وَهُوَ في شِعْرِ ٱلأَخْطَلِ ـ ديوان (طبعة قباوة) ص ٤٢١، و «الشّعْر وَٱلشُّعراء» ص ٤٠٣ ـ:

لَعَمْرُ أَبيكَ يا زُفَرُ بْنَ عَمْرٍو ... لَقَدْ نَجّاكَ جَدُّ بَني مُعازِ
وَرَكْضُكَ غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إلَيْها ... كَأَنَّكَ مُمْسِكٌ بِجَناحِ بازِ

وَهٰكَذا وَرَدَ أَيْضاً في «شَرْحِ ٱلحَماسَةِ» لِلتِّبْريزِيِّ ـ ج ١ ص ٧٩ ـ وَفَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: «وَمُعازٌ مَأْخوذٌ مِنَ ٱلشِّدَّةِ، وَمِنْهُ ٱشْتِقاقُ ٱلأَمْعَزِ مِنَ ٱلأَرْضِ». وَٱلتَّحْريفُ هٰذا قَديمٌ مُنْتَشِرٌ في كَثيرٍ مِنَ المَظانِّ ٱلمَطْبوعَةِ وَٱلمَخْطوطَةِ، سَبَبُهُ نُدْرَةُ مُعازٍ في الأَسْماءِ وَكَثْرَةُ مُعاذٍ. وَثانيهما أَنَّ الصَّعِقَ هُوَ خُوَيْلِدٌ لا عَمْرٌو، كَما في «جَمْهَرَةِ» ٱبْنِ الكَلْبِيِّ ـ ص ٣٢٠ ـ وَ «ٱلنَّقائِضِ» ـ ص ٣٨٧، ٧٥٩ ـ وَ «ٱلخِزانَةِ» ـ طبعة هارون ج ١ ص ٤٣٠ ـ وَهُوَ خَطَأٌ قَديمٌ كَذٰلِكَ، سَبَبُهُ أَنَّ يَزيدَ بْنَ ٱلصَّعِقِ الفارِسَ ٱلشّاعِرَ ٱلجاهِلِيَّ المَشْهورَ يُنْسَبُ إلىٰ جَدِّهِ عادَةً، وَهُوَ في ٱلحَقيقَةِ يَزيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ٱلصَّعِقِ، وَقَدْ جَرَتِ ٱلعَرَبُ عَلىٰ

ٱلنِّسْبَةِ إِلىٰ ٱلجَدِّ ٱلأَقْرَبِ وَٱلجَدِّ ٱلأَبْعَدِ أَيْضاً، كَعَدِيِّ بْنِ ٱلرِّقاعِ ٱلعامِلِيِّ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الرِّقاعِ أَرْبَعَةُ آباءٍ.

ثُمَّ نَقَلَ ٱلباحِثُ ما حَكاهُ ٱلبَغْدادِيُّ في «شَرْحِ شَواهِدِ الشّافِيَةِ» مُعَرِّفاً بِزُفَرَ، وَهُوَ كَلامٌ مُخْتَصَرٌ قليلُ ٱلفائِدَةِ يُشْبِهُ ما يَجِيءُ بِهِ ٱلمُحَقِّقونَ هٰذِهِ الأَيّامَ في ٱلحَواشي مُعَرِّفينَ بِٱلأَعْلامِ ٱلَّتي تَرِدُ في ٱلنُّصوصِ، وَقَدْ أَدّىٰ ٱخْتِصارُهُ إِلىٰ وُقوعِ ٱلوَهْمِ وَٱلإِيهامِ فيهِ. قال: «وَشَهِدَ وَقْعَةَ صِفِّينَ مَعَ مُعاوِيَةَ أَميراً عَلىٰ أَهْلِ قِنَّسْرينَ. وَهَرَبَ مِنْ قِنَّسْرينَ فَلَحِقَ بِقَرْقيسِياءَ، وَلَمْ يَزَلْ مُتَحَصِّناً بِها حَتّىٰ ماتَ في مُدَّةِ عَبْدِ ٱلمَلِكِ بْنِ مَرْوانَ. . » وَٱلنَّصُّ بِهٰذا ٱلشَّكْلِ يُوهِمُ أَنَّ زُفَرَ هَرَبَ مِنْ قِنَّسْرينَ أَيّامَ مُعاوِيَةَ، وَأَنَّهُ بَقِيَ خارِجاً عَلىٰ بَني أُمَيَّةَ مُتَحَصِّناً بِقَرْقيسِياءَ إِلى أَنْ ماتَ. وَٱلحَقيقَةُ أَنَّ زُفَرَ ٱسْتَوْلىٰ عَلىٰ قِنَّسْرينَ أَيّامَ مَرْوانَ بْنِ الحَكَمِ وَبايَعَ ٱبْنَ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ هَرَبَ مِنْ قِنَّسْرينَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ مَرْجِ راهِطٍ فَلَحِقَ بِقَرْقيسِياءَ وَلَمْ يَزَلْ مُتَحَصِّناً بِها حَتّى أَمَّنَهُ عَبْدُ ٱلمَلِكِ بنُ مَرْوانَ وَصالَحَهُ عَلىٰ أَنْ لا يُبايِعَ حَتّى يَموتَ ابْنُ ٱلزُّبَيْرِ ـ لِلبَيْعَةِ لَهُ في عُنُقِهِ ـ وَأَنْ يَنْزِلَ حَيْثُ شاءَ وَلا يُعينَهُ عَلىٰ قِتالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ. وَكانَ مَعَ عَبْدِ ٱلمَلِكِ عِنْدَما سارَ إِلىٰ مُصْعَبِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ، وَلَمْ يَشْتَرِكْ في ٱلقِتالِ.

فَإِذا عُدْنا إِلىٰ ما ذَكَرَهُ ٱلأُسْتاذُ ٱلنَّجّارُ عَنِ الدِّيوانِ، وَجَدْناهُ يُشيرُ إِلىٰ أَنَّ صاحِبَ «ٱلفِهْرَسْتِ» لَمْ يُثْبِتْهُ فيما سَرَدَ مِنْ أَسْماءِ ٱلكُتُبِ في مُؤَلَّفِهِ، مِمّا يَدُلُّ عَلىٰ أَنَّ ٱلدِّيوانَ قَدْ بَدَأَ في ٱلضَّياعِ في ٱلقَرْنِ ٱلخامِسِ ٱلهِجْرِيِّ ـ زَمَنِ تَأْليفِ «ٱلفِهْرَسْتِ» ـ أَوْ قَدْ ضاعَ فِعْلاً. وَفي قَوْلِهِ هٰذا وَهْمانِ: ٱلأَوَّلُ أَنَّ ٱبْنَ النَّديمِ مِنْ عُلَماءِ ٱلقَرْنِ ٱلرّابِعِ ـ لا ٱلخامِسِ ـ، وَٱلثّاني أَنَّ إِغْفالَهُ ذِكْرَ ٱلدِّيوانِ لا يَدُلُّ عَلىٰ ضَياعِهِ آنَذاكَ، فَإِنَّهُ أَغْفَلَ كَثيراً مِنَ ٱلكُتُبِ ٱلَّتي وَصَلَتْ إِلَيْنا. وَكَذٰلِكَ ٱلأَمْرُ بِٱلنِّسْبَةِ إِلىٰ ٱبْنِ مَيْمونٍ وَٱلعَيْنِيِّ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنا كِتابُ «مُنْتَهىٰ ٱلطَّلَبِ» كامِلاً، كَما أَنَّ ٱلعَيْنِيَّ لَمْ يَقِفْ عَلىٰ دَواوينَ كَثيرَةٍ وَصَلَتْ

إِلَيْنا أَوْ رآها ٱلبغْدادِيُّ، كَدواوينِ ٱلعَجّاجِ وعَمْرو بْنِ أَحْمَرَ وَعَدِيِّ بْن زَيْدٍ وَعَدِيِّ بْنِ الرِّقاعِ ، وَكانَ عَلىٰ ٱلباحِثِ أَنْ يَقولَ إِنَّهُ لَمْ يَقَعْ عَلىٰ ذِكْرٍ لِلدِّيوانِ بَعْدَ ياقوتٍ، ٱلَّذي تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٢٦هـ، أَيْ بَعْدَ وَفاةِ آبْنِ مَيْمونٍ.

فَإِذا ٱنْتَقَلْنا إِلىٰ ٱلشِّعْرِ ٱلمَجْموعِ رَأَيْنا أَنَّ ٱلْأُسْتاذَ ٱلمُحَقِّقَ لَمْ يُحاوِلْ إِعادَةَ صِياغَةِ ٱلقَصائِدِ بَلْ أَثْبَتَها كما عَثَرَ عَلَيْها دونَ تَصَرُّفٍ ـ إِلا بِشَكْلٍ مَحْدودٍ ـ وَقَدْ بَيَّنَ مَنْهَجَهُ هٰذا في نِهايَةِ مُقَدِّمَتِهِ، وَذَكَرَ وُجْهَةَ ٱلنَّظَرِ ٱلَّتي دَعَتْهُ إِلىٰ ذٰلِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ جَمَعَ ٱلشِّعْرَ بِحَسَبِ ٱلقوافي، وَلَمْ يُرَتِّبْهُ بِحَسَبِ ٱلتَّسَلْسُلِ ٱلزَّمَنِيِّ ٱلَّذي يُسْتَحْسَنُ في مِثْلِ هٰذا ٱلنَّوْعِ مِنَ ٱلدَّواوينِ. أَمّا تَعْليقاتُهُ عَلىٰ ٱلْأَبْياتِ فَكانَتْ مُتَفاوِتَةً في الطُّولِ ، فَمِنْها ما ٱسْتَوْفىٰ شَرْحَهُ وَمِنْها ما ٱبْتَسَرَهُ ٱبْتِساراً، فَلَمْ يُعَلِّقْ مَثَلاً عَلىٰ ٱلقَصيدَةِ ٱلْأُولىٰ ٱلمُكَوَّنَةِ مِنْ ثَمانِيَةِ أَبْياتٍ، مَعَ أَنَّ فيها أَشْياءَ تَدْعو إِلىٰ ٱلتَّعْليقِ وَٱلشَّرْحِ ، مِثْلَ بَيانِ ٱلْأَعْلامِ ٱلَّتي وَرَدَتْ فيها: سَعيدٍ وَحَلْحَلَةَ وَبَني عَبْدِوُدٍّ ـ وَٱلْأُسْتاذُ ٱلباحِثُ قَلَّما عَرَّفَ بِٱلْأَعْلامِ ٱلوارِدَةِ في الشِّعْرِ ـ وَٱلمُناسَبَةِ ٱلَّتي قِيلَتْ فيها ٱلقَصيدَةُ، وَكُلُّها أُمورٌ تَسْتَوْجِبُ (ٱلصَّنْعَةُ) شَرْحَها وَتِبْيانَها، إِذْ أَنَّ ٱلقَصيدَةَ قِيلَتْ في حادِثَةٍ تارِيخيَّةٍ مَعْروفَةٍ، وَهِيَ وَقْعَةُ بَناتِ قَيْنٍ، وَسَعيدٌ هُوَ سَعيدُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَحَلْحَلَةُ هُوَ حَلْحَلَةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ ٱلْأَشْيَمِ ، وَكانا قَدْ أَغارا عَلىٰ بَني عَبْدِ وُدٍّ وَبَني عُلَيْمٍ فَأَكْثَرا فِيهِمُ القَتْلَ، فَسَلَّمَهُما عَبْدُ ٱلمَلِكِ إِلى بني عَبْدِ وُدٍّ وَبَني عُلَيْمٍ لِيَقْتَصّا مِنْهُما، وَهٰذا تَفْسيرُ قَوْلِ زُفَرَ:

بَني عَبْـدِ وُدٍّ لا نُـطالِبُ ثَـأْرَنـا مِنَ ٱلنّاسِ بِٱلسُّلْطانِ إِنْ شَبَّتِ الحَرْبُ

كُـلَّ هٰـذا أَهْمَلَهُ وَلَمْ يُعَلِّقْ شَيْئـاً عَلىٰ ٱلْأَبْيـاتِ لأَنَّهـا وَرَدَتْ في «ٱلْأَغاني» ـ مَصْدَرِها ٱلوَحيدِ ـ دُونَ شَرْحٍ أَوْ تَعْليقٍ، لكِنَّـهُ تَناوَلَ القِـطْعَةَ ٱلثّانِيَةَ عَشْرَةَ ـ وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَبْياتٍ ـ بِشَرْحٍ مُطَوَّلٍ وَتَعاليقَ بَلَغَتْ صَفْحَتَيْنِ، ذٰلِكَ أَنَّها وَرَدَتْ في شَرْحِ ٱلتَّبْريزِيِّ لِلْحَماسَةِ، فَسَرَدَ جُلَّ ما كَتَبَهُ ٱلتَّبْريزِيُّ

عَنْها بِشَكْلٍ يَكادُ يَكونُ حَرْفِيّاً دونَ أَنْ يُشيرَ إلىٰ أَنَّهُ يَنْقُلُ عَنْهُ سِوىٰ في شَرْحِهِ آلبَيْتَ الرَّابعَ، مَعَ أَنَّهُ ذَكَرَ في شَرْحِ آلبَيْتِ آلثّاني قَوْلاً لأَبي آلعَلاءِ لَمْ يُبيِّنْ أَيْنَ وَقَعَ وَلا مَنْ أَبو العَلاءِ هٰذا، وَلَعَلَّهُ آلمَعَرِّيُّ، فَقَدْ أَلَّفَ كِتابَ «آلرِّياشِ آلمُصْطَنَعِيِّ في شَرْحِ مَواضِعَ مِنَ آلحَماسَةِ آلرِّياشِيَّةِ» ـ يُريدُ حَماسَةَ أَبي تَمّامٍ بِشَرْحِ أَبي رِياشٍ ـ كما أَفادَ آلعَلّامَةُ آلمَيْمَنِيُّ في «أَبو آلعَلاءِ وَما إِلَيْهِ» ـ ص ٢٦٦، ٢٦٧ ـ وَأَشارَ إلىٰ أَنَّ آلتَّبريزِيَّ أَوْدَعَ في شَرْحِهِ مِنْهُ جُمْلَةً صالِحَةً. بَلْ إِنَّهُ يَنْقُلُ شُروحَ غَيْرِهِ مِنَ آلمُحَقِّقينَ دُونَ تَدْقيقٍ فَيَقَعُ في آلأَوْهامِ آلَّتي وَقَعوا فِيها، فَقَدْ أَوْرَدَ ما عَلَّقَهُ آلمَرْحومُ آلأُسْتاذُ عَبْدُ آلسَّتارِ فَرّاجٌ ـ في تَحْقيقِهِ كِتابَ «آلأَغاني» ج ٢٣ ص ١٩٣ ـ عَلىٰ آلبَيْتِ آلخامِسِ مِنَ آلقِطْعَةِ ق (٢٠):

أَرْضِ آلـمَـذَلَّـةِ حَيْثُ عُقَّتْ أُمُّكُـمْ وَأَبـوكُـمُ أَوْ حَيْـثُ مُـزِّعَ بَـخْـدَلُ

وَهُوَ قَوْلُهُ ـ رَحِمَهُ اللّـهُ ـ «عُقَّتْ: حَمَلَتْ، مُزِّعَ: فُرِّقَ أَوْ هِيَ مُرِّغَ، وَيَكونُ مِنَ آلتَّمَرُّغِ وَهُوَ آلتَّقَلُّبُ» فَأَتىٰ آلأُسْتاذُ آلنَّجّارُ بِهٰذا الشَّرْحِ كما هُوَ، مَعَ أَنَّ فِيهِ نظراً، إِذْ أَنَّ «عُقَّتْ» هُنا مِنَ آلْعَقِّ وَهُوَ آلشَّقُّ وآلقَطْعُ، وَإِلّا فَكَيْفَ يَسْتَقيمُ مَعْنىٰ آلحَمْلِ مَعْ قَوْلِهِ: «وَأَبوكُمْ»؟!! وَقَدْ يَكونُ مِنْ عُقوقِ آلوالِدَيْنِ.

وَنَقَلَ تَعْليقَ آلأُسْتاذِ فَرّاجٍ أَيْضاً ـ «آلأَغاني» ج ٣، ص ١٩٨ ـ عَلىٰ آلبَيْتِ:

بِكُـلِّ فَتىً لَمْ تَـأْبُـرِ آلنَّخْـلَ أُمُّـهُ وَلَمْ يُـدْعَ يَـوْمـاً لِلْغَـرائِـرِ مِعْكَمـا

«مِعْكَماً: المكْتَنِزُ اللَّحْمِ». وَمَعَ أَنَّ هٰذا مِنْ مَعاني آلمِعْكَمِ، لٰكِنَّهُ لَيْسَ آلمَقْصودَ هُنا وَلا يَتَّجِهُ بِهِ مَعْنى آلبَيْتِ. وَآلصَّوابُ أَنَّهُ مِنْ عَكَمَ آلمَتاعَ إذا شَدَّهُ، أَيْ لَمْ يُدْعَ هٰذا الفَتىٰ رابِطاً لِلْغَرائِرِ ـ وَهِيَ الجَوالِقُ ـ وَكانوا يَرَوْنَ

في مِثْلِ هٰذِهِ الْأَعْمالِ عاراً، لِذٰلِكَ قَالَ: لَمْ تَأْبُرِ النخلَ أُمُّهُ. وَهٰذِهِ فائِدَةٌ كانَ عَلىٰ ٱلأستاذِ أَنْ يَتَنَبَّهَ إِلَيْها وَيُنَبِّهَ عَلَيْها إذا شاءَ أَنْ يُعَدَّ عَمَلُه في ٱلدِّيوانِ (صَنْعَةً).

ثُمَّ نَنْظُرُ في تَرْجيحِهِ نِسْبَةَ أَبْياتٍ مُتنازَعَةٍ إِلىٰ شاعِرِنا، فَنَرىٰ مُحاوَلاتٍ لا تَدُلُّ عَلىٰ تَثَبُّتٍ وَتَمْحيصٍ، مِثْلَ ما جاءَ في تَخْريجِ ٱلقِطْعَةِ ق (٢٢) ٱلَّتي نُسِبَتْ إِلىٰ زُفَرَ وَقيلَ هِيَ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ يَنُصُّ عَلىٰ أَنَّ ٱلصَّوابَ أَنَّها لَهُ لِصِلَةِ مَوْضوعِها بِرِثاءِ ٱبْنِ ٱلحُبابِ، كَأَنَّ رِثاءَ عُمَيْرٍ كانَ حِكْراً عَلىٰ زُفَرَ، بَدَلاً مِنْ أَنْ يَقولَ ـ مَثَلاً ـ: «وَٱلْأَرْجَحُ أَنَّها لَهُ لِقَوْلِهِ فيها:

فَلَوْ نُبِشَ ٱلمَقابِرُ عَنْ عُمَيْرٍ فَيُخْبَرَ عَنْ بَلاءِ أَبي ٱلهُذَيْلِ

وَأَبو ٱلهُذَيْلِ كُنْيَةُ زُفَرَ». وَكَذٰلِكَ ٱلْقِطْعَةُ ق (٢٤) ٱلَّتي تُنْسَبُ إِلَيْهِ وَإِلىٰ عَقيلِ بْنِ عُلَّفَةَ، وَرَجَّحَ ٱلْأُسْتاذُ ٱلباحِثُ أَنَّها لِزُفَرَ لأَنَّ الأَبْياتَ «تدورُ حَوْلَ القِتالِ مَعَ ٱبْنِ بَحْدَلٍ وَرَهْطِهِ، وَهٰذا أَمْرٌ يَخُصُّ زُفَرَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ». وَلا يَبْعُدُ أَنْ يَكونَ عَقيلٌ قالَها، لأَنَّهُ مِنْ مُرَّةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيانَ، وَقَدْ أَوْقَعَ حُمَيْدُ بْنُ بَحْدَلٍ بِفزارَةَ بْنِ ذُبْيانَ، فَأَغارَ سَعيدُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَحَلْحَلَةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ ٱلْأَشْيَمِ ٱلفِزارِيّانِ عَلىٰ بَني عَبْدِ وُدٍّ وَبَني عُلَيْمٍ مِنْ كَلْبٍ فَأَكْثَرا فيهِمُ ٱلقَتْلَ. وَعَقيلُ بْنُ عُلَّفَةَ أَقْرَبُ إِلى فزارَةَ مِنْ زُفَرَ، فَٱلْأَمْرُ يَخُصُّهُ أَيْضاً.

وَنَصِلُ أَخيراً إِلىٰ ٱلفهارِسِ، فَنَجِدُ ٱلْأُسْتاذَ قَدْ ذَيَّلَ ٱلدِّيوانَ بِأَحَدَ عَشَرَ فَهْرَساً، وَهُوَ عَمَلٌ جَيِّدٌ يُحْمَدُ لَهُ. عَلىٰ أَنَّنا إِنْ تَدَبَّرْناها نَجِدْ أَنَّهُ أَكْثَرَ مِنَ ٱلفَهارِسِ ٱلَّتي لا تَحْتاجُ إِلىٰ كَبيرِ جَهْدٍ، إِذْ أَنَّ ٱلشِّعْرَ كُلَّه لَمْ يُنِفْ عَلىٰ ٱلمِائَةِ بَيْتٍ إِلّا قَليلاً، أَيْ أَنَّهُ لَمْ يَتَعَدَّ قَصيدَةً واحِدَةً طَويلَةً. وَعَلىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ ذٰلِكَ فَقَدْ أَهْمَلَ عَمَلَ ٱلفَهارِسِ ٱلَّتي تَتَطَلَّبُ شَيْئاً مِنَ الكَدِّ وَٱلنَّصَبِ، كَفَهْرَسِ ٱلتَّسَلْسُلِ ٱلزَّمَنِيِّ لِلْقَصائِدِ، وَفَهْرَسِ ٱللُّغَةِ، وَفَهْرَسِ ٱلمَعاني وَٱلتَّشْبيهاتِ وَٱلصُّوَرِ... الخ..

وَنَخْلُصُ مِنْ نَظْرَتِنا ٱلسَّرِيعَةِ هٰذِهِ في عَمَلِ ٱلْأُسْتاذِ ٱلنَّجّارِ إِلىٰ أَنَّ ما قَدَّمَهُ لَمْ يَتَعَدَّ ٱلجَمْعَ فَلا مَخْرَجَ لَهُ إِذَنْ وَلا عِذْرَةَ فيما قامَ بِهِ، فَإِنَّهُ عَمَلٌ مَكْرُورٌ مُعادٌ.

بَقِيَتْ مُلاحَظاتٌ قَليلَةٌ عَلىٰ ٱلنَّصِّ ٱلمَنْشورِ يَجْدُرُ بي أَنْ أُثْبِتَها، إِذْ أَنَّ مِنْ حَقِّ ٱلْأُسْتاذِ عَلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ عَمَلَهُ قِراءَةَ دارِسٍ مُمَحِّصٍ لا قِراءَةَ مُتَصَفِّحٍ مُتَعَجِّلٍ، وَمِنْ حَقِّ ٱلعِلْمِ وَٱلتُّراثِ أَنْ أَذْكُرَ ما وَقَفْتُ عَلَيْهِ أَثْناءَ هٰذِهِ القِراءَةِ.

ق (٣) ب ـ البَيْتُ (٣): جاءَ عَجُزُ ٱلبَيْتِ: «وَفي هٰؤُلاءِ مِنْ سُوقَة شَرَفٌ حَسْبي» صوابه: «وَفي هٰؤُلا» لِيَتَّزِنَ ٱلعَجُزُ.

ق (٤) ـ البَيْتُ (٦): أَشَرْنا سابِقاً إِلىٰ أَنَّ عَجُزَهُ هُوَ: «فَما عَدَلَتْ جُموعُهُمُ عُمَيْرا» ولَيْسَ كَما جاءَ في النَّصِّ، إِذْ أَنَّ ٱلعَجُزَ هُناكَ هُوَ عَجُزُ ٱلبَيْتِ (٤) مِنَ ٱلقَصيدَةِ نَفْسِها.

ق (٥) ـ البَيْتُ (٣): لا شَكَّ أَنَّ هٰذا البَيْتَ لَيْسَ مِنَ ٱلمَقْطوعَةِ المَذْكورَةِ بَلْ هُوَ مِنْ قَصيدَةٍ أُخْرىٰ، لِاخْتِلافِ مَوْضوعِهِما.

ق (٦) ـ : لَيْسَ ٱلبَيْتانِ ٱلمَذْكورانِ لِـزُفَرَ بْنِ الحارِثِ ٱلكِلابِيِّ، بَلْ هُما لِزُفَرَ بْنِ الحارِثِ بْنِ رَجاءِ بْنِ ٱلحارِثِ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ عامِرِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ، فَإِدْراجُهُما في الشِّعْرِ ٱلمَجْموعِ وَهْمٌ. وَقَدْ سَقَطَ في ٱلطِّباعَةِ حَرْفُ الجَرِّ (مِن)، في عَجُزِ ٱلبَيْتِ الثّاني، وَٱلصَّوابُ: مِنْ أَزْمانِ..

ق (٩) : البَيْتُ في «أَنْسابِ الأَشْرافِ» ـ ج ٥ ص ٣٠١ ـ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ.

ق (١٠) ـ البَيْتُ (١): «سِيّانَ» صَوابُها: «سِيّانِ» بِكَسْرِ ٱلنُّونِ، وَلَعَلَّها مِنْ أَخْطاءِ ٱلطِّباعَةِ.

ق (١٢) ـ : وَرَدَتِ ٱلْأَبْياتُ في «أَنْسابِ الْأَشْرافِ» ـ ج ٥ ص ٣٢٥ ـ مَنْسوبَةً إِلىٰ عُمَيْرِ بْنِ ٱلحُبابِ أَوْ إِلىٰ غَيْرِهِ، وَهِيَ لِلنَّابِغَةِ ٱلجَعْدِيِّ (مَعَ ٱخْتِلافٍ كَبيرٍ في رِوايَةِ ٱلثَّالِثِ) في ديوانِهِ ـ ص ٧١، ٧٢ ـ نَقْلاً عَنِ «ٱلاسْتيعابِ» ـ ج ٣ ص ٥٥٩ ـ وَهِيَ لِلنَّابِغَةِ أَيْضاً في «الخِزانَةِ» (هارون) ـ ج ٣ ص ١٧١.

ق (١٣) ـ : وَرَدَ ٱلبَيْتُ في ٱلنَّصِّ كَما يَلي:

فَـإِنَّ زُبَيْـراً ٱلحَيـاةُ فَـإِنْ أَمُتْ فَـإِنّي لَمُـوصٍ هـامَتي بِـٱلتَّـزَبُّـرِ

وَأَشارَ ٱلجامِعُ إِلىٰ ٱخْتِلالِ وَزْنِـهِ. أَقولُ: صَـوابُ ٱلصَّدْرِ: «فَـإِنّي زُبَيْرِيُّ ٱلحَياةِ فَإِنْ أَمُتْ»، فَبِهٰذا فَقَطْ يَسْتَقيمُ ٱلوَزْنُ وَٱلمَعْنىٰ.

ق (١٤) ـ البَيْتُ (٢): وَرَدَ في ٱلنَّصِّ: «أَنَتْـرُكُ حَيٌّ ذي يَمَـنٍ»، صوابُه: «أَتَتْرُكُ» بِتاءَيْنِ.

ق (١٤) ـ الشَّرْحُ (ص ٢٤٣): جاءَ فيهِ: «وَأَتاها عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ زِيادِ بْنِ ظبيانَ..» وَٱلصَّوابُ أَنَّهُ عُبَيْد اللَّـهِ..

ق (١٦) ـ الشَّطْرُ (٣): هُوَ في ٱلنَّصِّ وَفي مَصادِرِ الـرَّجَـزِ أَيْضاً: «لَيْسَ بِوَهْواهٍ وَلا بِراعْ» وَفيهِ تَصْحيفٌ صَوابُهُ: «وَلا يَراعْ» بِٱلياءِ ٱلمُثَنَّاةِ مِنْ أَسْفَلَ.

ق (١٨) ـ شَرْحُ ٱلبَيْتِ (٣): قالَ ٱلْأُسْتاذُ ٱلنَّجّارُ: تَرْحيلُ الشَّمْسِ: هُوَ أَنْ تَنْبَسِطَ وَلا يَشْتَدُّ حَرُّها بَعْدُ. ولٰكِنَّ رِوايَةَ ٱلنَّصِّ: «تَرَجُّل»، وَشَرَحَها ٱلتَّبْريزِيُّ في مَعْرِضِ تَعْليقِهِ عَلىٰ ٱلبَيْتِ فَقـالَ: «وَٱلتَّرَجُّـلُ هُوَ أن تَنْبَسِطَ ٱلشَّمْسُ وَلَمْ يَشْتَدَّ حَرُّها بَعْدُ» وَهُوَ صَوابُ ما جاءَ في الدِّيوانِ.

ق (١٩) ـ البَيْتُ (١): وَرَدَتْ قـافِيَتُهُ في النَّصِّ: «تُجْهَـلُ» بِٱلبِنـاءِ لِلْمَجهولِ، وَكَذٰلِكَ قافِيَةُ البَيْتِ ٱلأَخيرِ «تُجْذَلُ»، وَٱلصَّوابُ فِيهِمـا ٱلبِناءُ

لِلْمَعْلوم : «تَجْهَلُ» و«تَجْذَلُ». وَقادَ ٱلجامِعَ إِلىٰ ٱلوَهْمَيْنِ مَجيئُهُما في ٱلمَصْدَرِ ٱلَّذي نَقَلَ عَنْهُ ـ وَهُوَ «أَنْسابُ الْأَشرافِ» ـ كَذٰلِكَ.

ق (٢٠) ـ البَيْتُ (٢): رَوَىٰ ٱلْأُسْتاذُ الجامِعُ ٱلبَيْتَ كَما جاءَ في مَصْدَرِهِ «ٱلْأَغاني»:

أَيَهُولُنا يا كَلْبُ أَصْدَقُ شِدَّةٍ ... يَوْمَ ٱللِّقاءِ أَمِ ٱلهُوَيْلُ ٱلْأَوَّلُ

وَلا يَتَّجِهُ لَهُ مَعْنىً. وَأَظُنُّ صَوابَ ٱلصَّدْرِ: «أَفَهَوْلُنا يا كَلْبُ أَصْدَقُ شَدَّةً». وَهَلْ نَكونُ قَدْ بَعُدْنا عَنْ جادَّةِ ٱلصَّوابِ لَوْ قَرَأْنا ٱلبَيْتَ: «أَهُذَيْلُنا» و«الهُذَيْلُ الأَوَّلُ»؟.

ق (٢٠) ـ التَّخْريجُ: قالَ ٱلجامِعُ: «كَذٰلِكَ وَرَدَتِ ٱلْأَبْياتُ الثَّلاثَةُ في أَنْسابِ ٱلأَشْرافِ. .» وَٱلصَّوابُ أَنَّ ما في «أَنْسابِ ٱلْأَشْرافِ» هُما ٱلبَيْتانِ ٱلْأَوَّلُ وَٱلرّابِعُ فَقَطْ.

ق (٢١) ـ البَيْتُ (٤): جاءَ ٱلبَيْتُ في ٱلنَّصِّ وَفي مَصْدَرِهِ ٱلوَحيدِ «ٱلوَحْشِيّاتِ»:

رِماحُهُمُ يَرِدْنَ عَلىٰ ثَمانٍ ... وَعَشْرٍ قَبْلَ تَرْكيبِ ٱلنِّصالِ

هكَذا بِالرّاءِ في «يَرِدْنَ»، وَهُوَ لا شَكَّ خَطَأُ طِباعَةٍ في «ٱلوَحْشِيّاتِ» جَرَّ إِلىٰ ٱلوَهْمِ في الشِّعْرِ ٱلمَجْموعِ. وَٱلصَّوابُ: «يَزِدْنَ» بِالزّاي، أَيْ يَزيدُ طُولُ الرُّمْحِ مِنْها عَلىٰ ثَمانِيَةَ عَشَرَ شِبْراً قَبْلَ تَرْكيبِ ٱلنَّصْلِ.

ق (٢٢) ـ حَوْلَ الأَبْياتِ (ص ٢٥٤): نَقَلَ ٱلْأُسْتاذُ عَنِ «ٱلْأَغاني» ما أَوْرَدَهُ هُنا، وفيهِ الأَخْطاءُ التّالِيَةُ:

س (٢): مُسْلِمُ بْنُ أَبي رَبيعَةَ ـ وَكَذٰلِكَ في «الأغاني» ـ صَوابُهُ: «مُسْلِمُ بْنُ رَبيعَةَ» كما جاءَ في ٱلنَّصِّ تالياً وَكما في «شَرْحِ ديوانِ جَريرٍ» ـ ص

٥٣ ـ وَأبو ٱلفَرَجِ يَنْقُلُ ٱلخَبَرَ عَنِ ٱبْنِ حَبيبٍ كَما أَوْرَدَهُ في شَرْحِ ٱلدِّيوانِ، وَٱلنَّصُّ وَٱلشِّعْرُ هُناكَ ـ ص ٥٣ ـ ٥٦ ـ، وَكَذٰلِكَ جاءَ ٱلاسْمُ في «ٱلكامِلِ» لِابْنِ ٱلْأَثيرِ ـ ج ٤ ص ٣١٨ ـ وَ«أَنْسابِ ٱلْأَشْرافِ» ـ ج ٥ ص ٣٢٦ ـ س (١١): وَبَلَغَ ذٰلِكَ بَني تَغْلِبَ وَٱليَمَنَ، وَكَذٰلِكَ س (٢٤، ٢٥) وَهٰذا غَلَطٌ مِنْ ناشِري «ٱلْأَغاني» صَوابُهُ «وَٱلنَّمِرَ» ـ أَي ٱلنَّمِرَ بْنَ قاسِطٍ ـ كَما في «شَرْحِ ديوانِ جَريرٍ»، وَلَمْ تَشْهَدِ ٱليَمَنُ ٱلكُحَيْلَ وَلا غَيْرَهُ مِنْ حُروبِ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ.

ق (٢٣) ـ البَيْتُ (١): وَرَدَ في الصَّدْرِ: «أَوْلادَ عِلَّةٍ»، وَشَرَحَها ٱلْأُسْتاذُ ٱلنَّجّارُ بِقَوْلِهِ: عِلَّةٌ: مَرَضٌ، وَهٰذا غَلَطٌ صَوابُهُ: «أَوْلادَ عَلَّةٍ»، وَبَنو العَلّاتِ: بَنو ٱلضَّرائِرِ، وَيُقالُ لِلْقَوْمِ المُخْتَلِفينَ: أَبْناءُ عَلّاتٍ، وَلِلْمُتَّفِقينَ: أَبْناءُ أُمٍّ. قالَ عَبْدُ ٱلمَسيحِ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلَةَ ٱلغَسّانِيُّ:

وَٱلنّـاسُ أَوْلادُ عَـلّاتٍ فَمَنْ عَلِمـوا ... أَنْ قَـدْ أَقَـلَّ فَـمَجْـفُـوٌّ وَمَحْـقـورُ
وَهُمْ بَنـو أُمٍّ مَنْ أَمْسـى لَـهُ نَشَبٌ ... فَـذاكَ بِـٱلغَيْبِ مَحْفـوظٌ وَمَنْصـورُ

وَجاءَ عَجُزُ ٱلبَيْتِ: «وَأَغْرَقَ فينا نَزْعةً كُلُّ قائِلٍ» وَشَرَحَهُ ٱلْأُسْتاذُ ٱلنَّجّارُ بِقَوْلِهِ: نَـزعَةً: إِفْسـاداً وَطَعْناً. وَلَيْسَ الإِفْسـادُ مِنْ مَعاني النَّـزْعِ ـ بالعَيْنِ المُهْمَلَةِ ـ بَلْ هُوَ النَّزْغُ ـ بِالغَيْنِ المعْجَمَةِ ـ وصوابُ ٱلقِـراءَةِ: «وَأَغْرَقَ فينـا نَزْعَهُ» أَيْ رَمانا، وَعَلىٰ هٰذا فُسِّرَتِ ٱلآيَةُ الكَريمَةُ: ﴿وَٱلنّازِعاتِ غَرْقاً﴾ فَقيلَ: هِيَ ٱلقِسِيُّ. وَيَجوزُ أَنْ يُقْرَأَ ٱلعَجُزُ: «وَأَغْرَقَ فِينا نَزْغَهُ كُلُّ قائِلٍ» أَيْ إِفْسادَه، وَلا وَجْهَ لـ«نَزْعَةً» وَلا «نَزْغَةً» بِتاءِ ٱلتَّأْنيثِ فيهِما.

ق (٢٣) ـ التَّخْريجُ: وَرَدَ أَنَّ الأبيات في «أَنْسابِ ٱلْأَشْرافِ» ـ ج ٥ ص ٢٨٧ ـ وَٱلصَّحيحُ أَنَّ بَيْتَيْنِ مِنْها هُناكَ.

ق (٢٣) ـ حَوْلَ الأَبياتِ: «عَبْدُ اللّـهِ بْنُ الحُرِّ» صَوابُهُ: «عُبَيْدُ اللّـهِ بْنُ ٱلحُرِّ».

ق (٢٦) - البَيْتُ (١٠): «فَلَمْ تَرَ منّي نَبْوَةً»: الوَجْهُ في القِراءَةِ ٱلبِناءُ لِلْمَجْهولِ: «فَلَمْ تُرَ مِنّي نَبْوَةٌ».

ق (٢٦) - البَيْتُ (١٤): «مِنْ شَقائِيا» بِالقافِ، صَوابُها: «شِفائِيا» بِالفاءِ.

ق (٢٦) - البَيْتُ (١٦): «ٱلدُّموعَ ٱلدَّوارِيا» بِٱلدَّالِ المُهْمَلَةِ خَطَأُ طِباعَةٍ، صَوابُهُ: «ٱلذَّوارِيا» بِٱلمُعْجَمَةِ.

ق (٢٦) - حَوْلَ القَصيدَةِ: نَقَلَ ٱلجامِعُ عَنِ «ٱلعِقْدِ ٱلفَريدِ» أَخْبارَ وَقْعَةِ مَرْجِ راهِطٍ، فَجاءَ فيها:

ص (٢٦٣) س (١): «وَأَقْبَلَ عَبّادُ بْنُ يَزيدَ مِنْ حُورانَ» أَظُنُّ الصَّوابَ ما جاءَ في «أَنْسابِ ٱلأَشْرافِ» - ج ٥ ص ١٣٦ - «عَبّادُ بْنُ زِيادٍ مِنْ حُوّارِينَ».

س (٣): «وَأَمَرَ مَرْوانَ بِرِجالٍ» وَكَذٰلِكَ هِيَ في «ٱلعِقْدِ» - طَبْعَةِ العَرْيانِ - صَوابُها: «وَأَمَدَّ».

س (٦): «أَكْثَرُهُمْ رِجالَةُ. . .» صَوابُها: «رَجّالَةٌ».

ق (٢٦) - شَرْحُ ٱلبَيْتِ (١٣): تَشْحَطُ: تَزْفِرُ، وَلا وَجْهَ لِهٰذا التَّفْسيرِ، وَكَيْفَ تَزْفِرُ ٱلخَيْلُ بِٱلقَنا؟ وَٱلشَّحْطُ ٱلذَّبْحُ وَٱلاضْطِرابُ في الدَّمِ.

ق (٢٦) - شَرْحُ ٱلبَيْتِ (١٥): جاءَ تَفْسيرُ (شَدّاتِ ٱلأَغَرِّ): «شَدّاتٌ: جَمْعُ شَدَّةٍ وَهِيَ ٱلحَمْلَةُ في ٱلحَرْبِ، وَٱلأَغَرُّ مِنَ ٱلأيّامِ: ٱلشَّديدُ ٱلحَرِّ». ولا يَسْتَقيمُ ٱلمَعْنىٰ إِذْ كَيْفَ تُنَجّيهِ حَمَلاتُ الحَرْبِ ٱلَّتي تَخُصُّ اليَوْمَ ٱلشَّديدَ ٱلحَرِّ كَأَنَّما يَرىٰ الجِبالَ صَحارِيَ؟! وَٱلصَّوابُ: ٱلشَّدّاتُ: جَمْعُ شَدَّةٍ وَهِيَ الإِسْراعُ في ٱلرَّكْضِ، وَٱلأَغَرُّ: فَرَسٌ ذو غُرَّةٍ، أَوِ ٱسْمُ فَرَسِهِ. أَيْ أَنَّ ما نَجّاهُ كانَ شَدّاتُ هٰذا الفَرَسِ ٱلَّذي كَأَنَّهُ يَرىٰ الجِبالَ صَحارِيَ لِقُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ.

الفَهْرَسُ الفَلكيُّ ـ ص (٢٧٦): جاءَ ضِمْنَ هٰذا ٱلفَهْرَسِ: «ٱلأَغَرُّ» لِلْغَلَطِ في فَهْمِ مَعْنىٰ البَيْتِ، وَمَوْضِعُهُ في «فَهْرسِ الحَيوانِ» وَكَذٰلِكَ: «ٱلشَّهْباءُ» وَلا مَكان لَها هُنا إِذْ أَنَّ مَعْناها: كَتيبَةٌ شَهْباءُ، أَيْ تَلْبَسُ ٱلحَديدَ، وَمَوْضِعُها في «فَهْرَسِ ٱلأَسْلِحَةِ وَمُعَدّاتِ ٱلقِتالِ». وَكَذٰلِكَ: «ٱلهِلالُ»، ظَنَّهُ هِلالَ ٱلسَّماءِ، وَهُوَ ٱلرُّمْحُ ذو الشُّعْبَتَيْنِ، أَوْ غَيْرُ ذٰلِكَ مِمّا يُناسِبُ ٱلمَعْنىٰ.

فَهْرَسُ المَراجِعِ ـ ص (٢٧٨): ذَكَرَ الأُسْتاذُ أَنَّه قَدْ رَجَعَ إِلىٰ طَبْعَةِ دارِ الكتابِ العَربيِّ لِكِتابِ «الكامِلِ» لِابنِ ٱلأَثيرِ، وَقَدْ أَحالَ حَقّاً عَلى هٰذِهِ الطَّبْعَةِ إِلا عِنْدَ تَخْريجِهِ القِطْعَةَ ق (٤)، فَقَدْ أَحالَ عَلىٰ طَبْعَةِ دارِ صادِرٍ دُونَ إِشارَةٍ إِلىٰ ذٰلِكَ. وَكانَ الأَوْلى أَنْ يَرْجِعَ إِلىٰ طَبْعَةٍ واحِدَةٍ أَوْ يَذْكُرَ ـ عَلىٰ ٱلأَقَلِّ ـ ٱلطَّبْعَةَ ٱلَتي يُحيلُ عَلَيْها.

هٰذا ما رَغِبْتُ في إِثْباتِهِ مِنْ تَعْليقاتي عَلىٰ ما جَمَعَ ٱلأُسْتاذُ النَّجّارُ مِنْ شِعْرِ زُفَرَ بْنِ ٱلحارِثِ ٱلكِلابِيِّ أُنْهيها بِذِكْرِ أَبْياتٍ لَمْ تَرِدْ فيهِ وَلا في عَمَلِ ٱلأُسْتاذِ ٱلقَيْسِيِّ، وَقَعْتُ عَلَيْها أَثْناءَ دِراسَتي لِلشِّعْرِ دونَما ٱسْتِقْصاءٍ أَوِ ٱسْتيفاءٍ، أُورِدُها إِكْمالاً لِلْبَحْثِ وَخِدْمَةً لِلشِّعْرِ.

١ ـ أَلا إِنَّما قَيْسُ بْنُ عَيْلانَ بَقَّةٌ إِذا وَجَدَتْ ريحَ ٱلعُصَيْرِ تَغَنَّتِ

التَّخْريجُ: «اللِّسانُ» (بقق) لَهُ أَوْ لِعَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ بْنِ الحَكَمِ، «اللِّسانُ» (عيل) لَهُ، وَكَذٰلِكَ «حَياةُ الحَيَوانِ» ١/١٥٣.

٢ ـ أَقْدِمْ صِدامُ إِنَّهُ ٱبْنُ بَحْدَلْ

٣ ـ لَنْ تُدْرِكَ ٱلخَيْلَ وَأَنْتَ تَدْأَلْ

٤ ـ إِلَّا بِمَرٍّ مِثْلِ مَرِّ ٱلأَجْدَلْ

التَّخْرِيجُ: «أَسْماءُ خَيْلِ ٱلعَرَبِ وَفُرْسانِها» لابْنِ ٱلأَعْرابِيِّ ـ تحقيقُ القَيْسِيِّ وٱلضّامِنِ ـ ص ٦٥، وَٱلرَّجَزُ في «ٱلأغاني» ٢٣/١٨٥ مَنْسوباً إِلىٰ

عُمَيْرِ بْنِ الحُبابِ مَعَ ذِكْرِ أَنَّ صِداماً لَهُ. عَلىٰ أَنَّ «القاموسَ المُحيطَ» (صدم) يَنُصُّ عَلىٰ أَنَّ صِداماً لِزُفَرَ بْنِ الحارِثِ.

٥ ـ عَـزَّ عَلَيَّ مَقْـتَلُكُـمْ وَكِيـعـاً ... وَمَصْـرَعُ جَنْبِـهِ في آبْنَيْ دُخـانِ

التَّخْريجُ: «جَمْهَرَةُ» آبْنِ الكَلْبِيِّ، ص ٣٢١. وَوَكيعُ بنُ زُفَرَ.

خاتِمَـة:

كُنْتُ وَعَـدْتُ في بَحْثٍ سابِقٍ أَنْ أَتَنـاوَلَ في مَقـالٍ مـا أَراهُ آلنَّهْـجَ آلصَّحيحَ آلَّذي يَجِبُ آتِّباعُهُ عِنْدَ إِخْراجِ آلشِّعْرِ عَنْ طَريقِ جَمْعِ مُتَناثِرِهِ مِنْ بُطونِ آلكُتُبِ. وَ«أَنْجَزَ حُرٌّ ما وَعَدَ». وَإِنّي لَأَرْجو آللّـهَ أَنْ يَكونَ فيما بَيَّنْتُ مِنْ أُسُسٍ عَلاماتٌ يَهْتَدي بِها مَنْ نَهَدَ لِجَمْعِ أَشْعارِ شاعِرٍ ضاعَ ديوانُهُ، أَوْ تَصَدّىٰ لِـ«صُنْعِ» ديوانِ شاعِرٍ. وَقَدْ أَكونُ حَمَّلْتُ آلباحِثينَ ما لا طاقَةَ لَهُمْ بِهِ، وَأَبْطَرْتُهُمْ ذَرعَهُمْ، لٰكِنَّني إِنَّما آسْتَلْهَمْتُ أَعْمالَ عُلَمائِنا القُـدامىٰ، فَطَلَبْتُ مِنْ باحِثينا أَنْ يَتَأَسَّوْا بِهِمْ، وَيَسيروا عَلىٰ سَنَنِهِمْ، وَإِنْ كانَ المُرْتَقىٰ صَعْباً كَؤودا، وَآلمَسْلَك حَزْناً مُسْتَغْلِقاً.

وَأَنا إِنْ كُنْتُ أَنْهَيْتُ بَحْثي بِما عَلَّقْتُهُ عَلىٰ شِعْرِ زُفَرَ بْنِ آلحارِثِ آلَّذي جَمَعَهُ آلأُسْتاذُ آلدُّكْتورُ آلنَّجّارُ، فَإِنَّما فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِأُوَضِّحَ ما آشْتَرَطْتُهُ وَطَلَبْتُهُ مِنْ صانِعِي آلدَّواوينِ، وَما قَصَدْتُ آنْتِقاصَ عَمَلٍ وَلا تَوْهينَ رَأْيٍ. وَلَعَلَّ آلأُسْتاذَ آلنَّجّارَ يَنْظُرُ إِلىٰ ما كَتَبْتُ عَلىٰ أَنَّهُ مُحاوَلَةٌ لِخِدْمَةِ تُراثِنا آلخالِدِ وَلُغَتِنا الشَّريفَةِ، فَيَقْبَلُهُ بِرَحابَةِ صَدْرٍ وَسَعَةِ حِلْمٍ، فَإِنَّ هٰذا شَأْنُ مَنْ تَكونُ آلحَقيقَةُ غايَتَهُ، وَخِدْمَةُ العِلْمِ مُبْتَغاهُ.

وَلَهُ مِنّي، بَعْدُ، عَظيمُ الإِجْلالِ وَخالِصُ آلتَّقْديرِ.

ثانياً: مع الكتب

عرض وتعريف بكتاب

التاريخ الدبلوماسي للمغرب

تأليف الدكتور عبد الهادي التازي

بقلم المؤلف

يرجع اهتمامي بالبحث عن صلة المغرب بغيره من الأمم، إلى ما قبل خمس وعشرين سنة، وبالذات في أوائل سنة ١٩٦٣ عندما أسندت إليَّ مهمة السفارة عن بلادي. . . فهناك فتحت ملف التاريخ الدبلوماسي للمغرب. . .

ولقد ظهر هذا الاهتمام أوّل الأمر في المقال الذي كتبته عن (العلاقات الثقافية بين روما وفاس) منذ القرن العاشر للميلاد، وكان ذلك بمناسبة الحفلات التي شهدها المغرب وإيطاليا بمناسبة توأمة مدينة فاس مع مدينة فلورانس[١]، وقد ظهر اهتمامي بالموضوع جليّاً في عبارات الشكر والامتنان التي أجبتَ بها جلالة الملك الحسن الثاني وهو يسلمني أوراق اعتمادي سفيراً عنه إلى بغداد، عندما ذكرت في ذلك اللقاء أمام جلالته، اسم الإمام (ابن العربي) الذي توجّه سفيراً عن السلطان يوسف بن تاشفين إلى المستظهر بالله الخليفة العباسي ببغداد قبل تسعة قرون أو تزيد[٢]. . .

(١) جريدة العلم المغربية، ٩ مارس ١٩٦٣ ـ / مجلة المغرب لسان وزارة الشؤون الخارجية، العدد ٦ ماية ١٩٦٣.

(٢) الصحف المغربية ليوم ١٤/١٥ ماية ١٩٦٣ ـ / التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج١، ص ٩، ١٩٨٦ ـ د. التازي: عظمة الميثاق، محاضرة ألقيت أمام جلالة الملك يوم الجمعة ١٤ رمضان ١٤٠٦ = ٢٣ ماية ١٩٨٦.

من هنا أخذت طريقي نحو هذا الموضوع، وكنت أعتقد ، ولا أخفي ذلك، أنّ الموضوع في المتناول. . !

ولِشدّ ما كانت مفاجأتي وأنا أجد نفسي أمام جبال متعالية شامخة ـ أمام مغامرةٍ حقيقية! .

ولقد كان أوّل انطباع لازمني منذ هذه البداية أنّي اقتنعتُ بأن الذين ينشدون تاريخ المغرب عن طريق الكتب التي تعالج أحداث المغرب الدّاخلية، من التي ألفت بلسان عربيّ في العهود السابقة أو اللّاحقة، إنّما كانوا يبحثون عن القشور ويتمسكون بأهداب الموضوع! لأنّ تلكَ الكتب تـظلّ بعيدة عن أن تعطي صورة عن هذا المغرب العظيم الذي كان يشغل حيّزاً كبيراً وهامّاً في أرشيف المجموعة الدّولية التي كانت تعرف جيّداً عن موقعه وواقعه. . .

لقد كان ذلك انطباعي، ومن حسن حظّي أنّ ذلك الانطباع هو الذي كان وراء حملي على المضيّ قدماً في ذلك الطريق الملِذّ المتعب في آن واحد!! وقد كان مما زاد في تشجيعي ملاحظتي بأن المؤرخين القدامى على العموم كانـوا يهملون تماماً الحديث عن تاريخ العلاقات الدولية للمغرب. . ! بمن فيهم ابن خلدون ومن أتى قبله وبعده! وملاحظتي كذلك بأنّ المؤرخين المعاصـرين ـ وخاصة منهم إخواننا في المشرق ـ إنّما يتحدثون عما يتصل ببـلادهم دون أن يكلفوا أنفسهم الالتفات إلى هذا المغرب الذي كان رصيده متميّزاً في هـذا الباب إن لم أقل إنّه أقوى وأغنى! .

وبالرغم من أن كتابي (التّاريخ الدّبلوماسي) قد يشعر بأنّه يقتصر على تاريخ العلاقات الدُّولية لدِيار المغرب إلا أن الكتاب ـ ويجب أن أقول هذا ـ يتناول الصلات التي ربطت العالم الإسلامي كله بالعالم المسيحي، لماذا؟ لأنّ المغرب ـ وهو يكوّن جزءاً كبيراً وبارزاً من الدّولة الإسلامية الكبرى ـ قام بدور جدّ حاسم وجدّ خطير وجدّ هامّ في المجموعة الدّولية، ومن ثمت يسوغ القول بأنه مصدرٌ من مصادر تاريخ للعلاقات الدولية لملة الإسلام قاطبة مع الملل الأخرى. . . وهل سجّل التّاريخ الدولي للإسلام لقطة أقوى وأكثر دلالة من

التي سجلها عندما وردت سفارة من ملك إنجلترا جوهن على الخليفة الناصر الموحدي (٦٠٩ ـ ١٢١٣) يطلب إلى العاهل المغربي أن يقدم عونه المادي لإنجلترا في مقابلة أن يعتنق جوهن دين الإسلام وأن يحمل أمته على أن تحذو بكاملها حذوه. !!

وهل ينسى أحد أن ملوك المغرب هم الذين طلبوا ـ دون غيرهم من ملوك المشرق ـ من ملوك أوروبا أن يعتنقوا الإسلام(١)؟!

وبالرّغم من أن كتابي «التّاريخ الدّبلوماسي للمغرب» يقع في عشرة مجلّدات، إلا أنني أقول من الآن: إنه يعطي فقط إشارات سريعة أمام الذين يريدون أن يتابعوا البحث والتنقيب... إنّه تاريخ هائل بكل ما يكتنفه من حقائق، وأنّى لمجلدات معدودة أن تستوعب صلة المغرب بكلّ مملكة وكلّ إمارة وكلّ دولة من دول العالم شرقه وغربه؟!

ولقد تحدثت في ديباجة الكتاب عن مشاعري وأنا أحمل نفسي على «التأقلم» مع الموضوع ومعايشته... سواء عن طريق اللّقاءات أو المحاضرات أو الاستجوابات أو تنظيم المعارض وكتابة المقالات والاستفادة من المناسبات...

هذا بالإضافة إلى الفائدة المستمرة من ممارستي لوظيفتي الدّبلوماسية بما تقتضيه من استقبالات واستطلاعات، أو مسايرات ومعاكسات، أو ظروف وصروف كانت تفتح لي كلّ يوم آفاقا جديدة وربما أجابت عن بعض الأسئلة التي كانت تنتصب أمامي...

ولقد تعمدت في مقدمة الكتاب ـ التي استوعبت وحدها مجلدين اثنين ـ تعمدت أن أبرز سائر العناصر التي استرعت نظري وأنا أحرّر أبواب الكتاب وفصوله... وهكذا فنظراً لأهمية المراجع التي استشرتها خصصت جانباً من المقدمة لمصادر التاريخ الدبلوماسي للمملكة المغربية أتيت فيه على معظم ما

(١) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج١، ص ١٦.

توفرت عليه من مصادر مخطوطة أو مطبوعة سواء أكانت باللغة العربية أو غيرها من اللُّغات الأخرى فرنسية وإنجليزية وإسبانية وبرتغالية وإيطالية وألمانية وتركية وروسية وغيرها، مما عثرت عليه في بعض المستودعات والأرشيفات والمستندات سواء في خزائن إفريقيا أو أوروبا أو آسيا أو أمريكا. . .

وجدت نفسي أمام «مناجم» إذا صح هذا التعبير، وليس أمام خزائن: آلاف الملفات. . . وعشرات الآلاف من البطاقات والخطابات ومئات الاتفاقيات والمعاهدات والبروتوكولات، بما فيها الاتفاقيّات الثنائية والاتفاقيّات المتعدّدة الأطراف. . . والاتفاقيات المكتوبة وَالشّفوية كذلك، مئات السفارات والبعثات لكلّ جهة من جهات العالم. . .

ولقد كونت المراسلات المتبادلة بيني وبين الذين خاطبتهم من رجال الاختصاص حول الموضوع. . . كونت وحدها ـ وهي وافرة ـ مصادر جديدة أضفتها إلى تلك الوثائق. . .

ولقد تناولت المقدمة كذلك موضوع أصالة الممارسة المغربية في باب التعامل الدُّولي، وهنا كان الحديث عن صلات الإمارات المغربية بعضها ببعض، وصلاتها هي بالذين وردوا عليها من مختلف الجهات. . .

ومن خلال الحديث عن تلك المحاور المختلفة كلها. نقف على عدد من الموضوعات العامة التي من شأنها أن تقدم الهُوية المغربية على ما هي عليه أمام أنظار العالم.

فهنا نقرأ عن شعارات الدَّولة المغربية سواء في الدّين أو في المذهب، وسواء في الأعلام والرَّايات أو النّشيد الوطني أو الأوسمة وَ الجوازات. . .

ويتحدث الكتاب عن التجاوب مع الشعب وسياسته الإدارية وعن العملة المغربية وبيت المال وعن جهاز وزارة الخارجية أو (وزارة البحر) كما أصبحت تسمى في بداية عهد العلويين: عن مقرها وأول من عهد له بالمهمة وأوقات العمل وطريقة اتّصال الوزير بالسلطة المركزية وعلاقاته بالسلك الدبلوماسي والقنصلي. . .

ويتحدث الكتاب عن المدرسة الدبلوماسية المغربية. . . حيث نجد عدداً من الدول تلتجىء إليه ليقوم بمساعيه الحميدة من أجل إصلاح ذات البين وبناء قواعد السلام، حيث توسط المغرب بين عدد من الدول الأسيوية والإفريقية. . . وتحققت وساطات المغرب أيضاً بين قارّة وقارّة حيث وجدناه يسعى للصلح بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين بعض الإيالات في إفريقيا وبين قادة المغرب الكبير. . .

وعندما يتحدث الكتاب عن السفراء المغاربة والسفارة يتعرض لأوراق الاعتماد ونوعية المرشحين للمهام الدبلوماسية، ونشاط السّفراء المغاربة في الخارج، مجاملاتهم، مصانعاتهم، مبادراتهم. . . عن البعثات المتنقلة والبعثات المقيمة، وعن تفوق المغرب في تنقلاته السياسية. . .

وتشير المقدمة إلى معجم الدبلوماسيين المغاربة حيث نجد أنفسنا أمام لائحة طويلة عريضة للذين كانوا مبعوثين أمناء للتعريف بالمملكة المغربية، كان من بينهم سيدات مغربيات ساهمن في الحقل السياسي. . وكان من بينهن أميرات مغربيات وأخريات من أصل غير مغربي، وسيّدات كن يعشن في بلاطات أوروبية! . .

ويتحدث الكتاب عن الألقاب الخلافية ومعالم الحكم. . . وهنا يعرف بالفرق بين لقب أمير المؤمنين ولقب أمير المسلمين. . . كما يعرف بالتقاليد الخاصة بالمظلة التي ترفع على رأس الملك، وعن الأحجار الكريمة وموسيقى الخمسة والخمسين. . . واللباس المغربي:

الكساء والبرنس والجلباب، واعتزاز المغاربة بزيّهم الوطني ورفضهم للزيّ الأجنبي الذي كان يحاول بعض السلاطين القدامى إملاءه على الجمهور. . !

ويتحدث الكتاب عن تولّي السلطة، وإشراك الشعب فيها عن طريق الاستشارة، وهنا نجد حديثاً عن البيعة ونظامها وتعليل القلقشندي لهذه الظاهرة في المغرب. . . ومن منطلق إشراك الشعب في الحكم نجد عادة إطلاع

الأمة على الأحداث الكبرى المستجدة في البلاد: مثلاً وضع المسلمين بالأندلس واصطدام الأسطول الإسباني بالإنجليزي والإخبار بوصول الوفود الأجنبية واللاجئين السياسيين إلى المغرب والإخبار كذلك بالحملات والغارات. . . وأخيراً تحليل المقولة السائرة: «الناس على دين ملوكهم أو الملوك على دين ناسهم». . . !

ولا يغفل الكتاب الحديث عن انطباع الزُّوّار الأجانب حول سياسة الحكم في المغرب. . . عن قوة الحكم والحنكة والممارسة المتوارثة والاستفادة من الظروف، والتسامح والعفو والعدل والتقوى وإعطاء المثل للقدوة الحسنة. . . وظاهرة التخلص من عقد النقص في الحكم المغربي، فالدَّولة اللاَّحقة لا تتهيب الثناء على الدولة السابقة. . . المرابطون يثنون على الأدارسة والعلويون يشيدون بالسعديين. . .

ويتحدث الكتاب عن دور العلماء في سياسة الحكم وأنهم كانوا وراء السياسة والقرار، ومن هنا كان اهتمام السلك الدبلوماسي الأجنبي بالعلماء، وبما يصدرونه من فتاوى، وتكون فرصة لاستعراض الفتاوى التي كان لها أثر في التاريخ المغربي، فتواهم لمساعدة الأندلس، فتواهم لإنجاد طرابلس وبلاد الشام، فتاويهم لإبرام عقود الصلح، فتواهم بشجب بعض الباشاوات الأتراك الذين خذلوا المغرب وهو بصدد تحرير مليلية. . . فتواهم لمقاطعة المستبدين والغاصبين. . . !

ويخصِّص الكتاب جانباً منه لموقف المغرب من قضايا حقوق الإنسان حيث نقرأ فصلاً ممتعاً عن مبدأ الإسلام حول الاستعباد. . . والتخلص للموقف الرَّائد الذي اتَّخذه السلطان مولاي إسماعيل لتطويق ظاهرة استرقاق الإنسان عندما حظر على الخواص التسابق لتملك العبيد. . . وأنقذ هؤلاء عن طريق تجنيدهم ومنحهم العيش الكريم. . . وهنا حديث عن الملك محمد الثالث الذي خصص ثلث الميزانية المغربية لتحرير الإنسان دون تقيد بجنسه أو دينه أو لونه أو مركزه كذلك! . . . وحديث عن الحملة الدبلوماسية المكثفة المخصصة لقضية افتداء الأسرى، وحرص المغرب في سائر الاتفاقيات الدَّولية

على التنصيص على تحريم أسر الإنسان وتعليقات بعض الصحف الأوروبية على الموقف المتحرر للسُّلطان مولاي سليمان. . .

ومن هنا ينتقل الكتاب إلى أهداف السفارات المغربية في القديم، فعلاوةً على التوسل لتحرير الثغور المحتلة وتصفية قضايا الحدود هناك هدف الإخبار بالانتصارات واستمزاج الرأي، واستقدام الخبراء ومصاحبة البعثات الطلابية وتفقدها وإبرام عقود السلام والتجارة ورفع التهاني وتقديم التعازي ومواساة الدول التي تتعرض لكوارث طبيعية أو «آفات سماوية» كما يسميها ابن خلدون.

وقد كان من هدف السفارات المغربية أيضاً في بعض الأحيان شرح أهداف الدين الإسلامي والدّعوة إلى اعتناقه. . . هذا بالإضافة إلى استرجاع المخطوطات العربية من المدن المسيحية ودعم الصلات مع دول المشرق وخاصة عند مواسم الحج. . .

ومن الفصول التي تعرض لها الكتاب الفصل الذي يهتم بمتاعب الدبلوماسيين ومباهجهم حيث تراهم يعايشون التقاليد الغربية ويتحملون الغُربة عن الأوطان ويتعرضون لأخطار المتابعات والمصارحات والمواقف الحرجة. . ! ويأتي الكتاب بنماذج لها أثر عَنْ بعض سفرائنا القدامى، وعن دور الكرم في قضاء المهام، واعتزاز السُّفراء ببلادهم وغيرة الملوك على سفرائهم. . .

ويخصص الكتاب جانباً منه للحديث عن المغاربة الذين سجلوا مذكراتهم في أثناء مهامهم بالخارج. . .

وهنا نقرأ حديثا ممتعا عن يحيى الغزّال عند سفارته لدى الروم في العصور الوسطى، وعن ابن العربي في بعثته لدى البلاط العباسي وابن بطوطة في رحلته حول العالم حيث تتّخذ له صورة عند زيارته للصين، وعن التمكَروتي بإسطامبول وعن أفوقاي في لاهاي، وعن الوزير الإسحاقي في سفرته صحبة الأمير سيدي محمد بن عبد الله، والسفير أحمد الغزّال في رحلته إلى

الأندلس... والسفير ابن عثمان وهو بإسبانيا وإيطاليا وتركيا ويتّخذ له بطاقة زيارة، ويتحدث عن الثورة الأمريكية من أجل الاستقلال! ومذكرات السفير الزَّياني بمناسبة بعثته كذلك لإسطامبول... والناصري في الشرق، وأهماش في فرنسا، وابن إدريس في باريز، والشامي والغسال في إسبانيا، والزبدي في دول أوروبا الأربع: فرنسا وإنجلترا وبلجيكا وإيطاليا، والكردودي في إسبانيا وابن سليمان في روسيا...

وقد تحدثت المقدمة عن مساهمة القصائد العربية في تسجيل بعض المَواقف السياسية والدّبلوماسية، وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ديوان من الشعر البطولي يعج بالمواقف المثيرة واللُّقطات الجميلة... عن معركة الزلاقة في الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين ومعركة أوقليش ثم عن غزوة الأرك في عهد الموحدين... قرأنا عن شعر ابن الأبار حول تهديد بلنسية، ودعوة ابن المرحل لإنقاذ الأندلس وملحمة الملزوزي حول سفارة شانصو واستصراخ ابن يجّبش لتحرير السواحل المغربية، وقرأنا عدداً من المقطّعات حول مصرع ضون سباستيان ملك البرتغال في وقعة وادي المخازن... وعن تحرير العرائش، وعن الدَّعوة لتحرير سبتة وعن مهاجمة الأسطول الأمريكي من لدن الأسطول المغربي... ونداء الشُّعَراء المغاربة بعد احتلال الجزائر وعن استقبال ملك المغرب لسفير إنجلترا أو الدانمارك والنمسا...

وتتناول المقدمة في المجلد الثاني ما يتعلّق بالصادرات والواردات ودور الأولى في التعريف بالمغرب، وتكون فرصة للحديث عن السكّر المغربي وسمعته العالمية، ومعامل السكر منذ عهد الموحدين... وعن ملح البارود والعَلَق الطبي والمواد الصيدلية والثروة المعدنية والحيوانية والسمكية ثم الحديث عن الواردات من أعتدة حربية وقطع غيار وشاي وقهوة وآلات للموسيقى...

ويتحدّث الفصل المعنون بإبرام الاتفاقيات عن اللُّغة العربية كوسيلة وحيدة للتعامل في الداخل والخارج... وأن المغرب كان يرفض تسلم الرسائل غير المحررة باللغة العربية بالرَّغم من وجود قلم للترجمة بالبلاط

المغربي على مرِّ العصور. . . وأن المغرب ظلّ يعتمد في توثيق معاهداته مع الأجانب على التاريخ الهجري من غير أن يجافي أحياناً التقويم الشمسي كما يعتمد على استعمال الأرقام المعروفة في الموسوعات العالمية بالأرقام العربية. . .

ويكشف فصل المراسلات السرية عن الكتابة بالرّموز السرّية التي عرفت منذ العهد العبيدي الذي امتدّ في بعض الأحيان إلى مدينة فاس، ويستعرض هذا الفصل الحديث عن «الشفرة» في عهد الموحدين وعهد السعديين وعهد العلويين وعن اهتمام الدّولة بسرية المراسلات ثم يقدّم صورة لإحدى الوثائق المتعلقة بالموضوع مقدماً بعض النّماذج. . .

وفي الفصل الخاص بورود السفارات ومراسيم الاستقبال يتحدث عن طريقة استقبال السُّفراء في العهود السابقة. . . وعن حديث السُّفراء الأجانب عن حفلات تقديم أوراق الاعتماد للعاهل المغربي. . .

وتكون هذه مناسبة للحديث عن الّلوحات الرَّائعة التي رسمها الفنّانون المرافقون للبعثات الأجنبية... ويختم هذا الفصل بالإشارة إلى اللاَّجئين السّياسيين إلى بلاد المغرب من العرب والعجم. . .

وفي الفصل الذي خصص للهدايا المتبادلة بين المغرب وغيره من الأمم نلاحظ أن بعض تلك الهدايا المقدمة من المغرب تكون من المواد الإستراتيجية كملح البارود والغنائم الحربية. . . ومن الهدايا الجياد والصقور وكلاب الصيد والسباع والنعام. . . وقد سجل من الهدايا المقدمة إلى المغرب طائفة من الساعات المختلفة الأشكال والإسطرلابات ومن الحيوانات الزرافة والفيل. . . واعتباراً لِمَا ربط بين بعض المدن المغربية وغيرها من المدن الأخرى من صلات، انتقل الفصل إلى الحديث عن التّوأمة بين المواقع هنا وهناك. . كما تحدث عن تعَود الحكومة المغربية على اقتناء العقار خارج المغرب. . .

ويخصص فصلاً للبعثات القنصلية الأجنبية المقيمة في المغرب ويتحدث عن اهتمامها ورعاية مصالح رعاياها ومصالح «المغاربة» الذين يتوفرون على

«حماية قنصلية أجنبية» وهنا يظهر تنافس القنصليات. . . كما تظهر بعض التقاليد الدبلوماسية المعروفة مثل إخبار المبعوث بموعد تغيبه أو عودته بعد إجازته السنوية. . . ولا يهمل الفصل تتبع المغرب للحملات العدائية ووسائل الردّ عليها. . .

ويأتي بعد هذا فصل يكمل الفصل السابق، ويتعلق الأمر بوضعية الدبلوماسيين الأجانب بالمغرب. . . وهنا يتحدث عن الحصَانة، وعن حرية العقيدة والإعفاء من أداء الديوانة ومبدأ المعاملة بالمثل منذ عهد الدولة الموحدية إلى العهد العلوي الحاضر. . . ودور الملك سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) في توضيح وضعية السلك الدّبلوماسي بالمغرب. . . وهنا يتحدث عن الوظيفة التي ابتكرها هذا الملك العظيم: «وظيفة قنصل من لا قنصل له» وهي الوظيفة التي استوعب بها صلة المغرب بسائر ممالك المعمورة ولو أنها لم تبعث بمندوبٍ عنها للمغرب مثل روسيا وأمريكا. . .

ويأتي بعد هذا فصل «العواصم المغربية الدّبلوماسية» الذي يبرز في الأوّل أن سروج الجياد كانت هي كراسي العرش المفضلة للملوك المغاربة. . . ومن هنا ينتقل إلى ذكر فاس باعتبارها العاصمة الأولى للدولة المغربية، ويأتي بنبذة مختصرة عنها، لا سيما أن المغرب كلّه قد حمل في فترة من الفترات اسم «فاس». . . ثم يتحدث عن مدينة مراكش أُمّ القرى التي يستمدّ منها الغربيون تسميتهم للمملكة المغربية (Marruecos). وبعد أن يأتي ببعض ما دون عنها من قول ورسم ينتقل إلى مدينة مكناس التي عجز الفرس واليونان والرُّوم عن الإتيان بمثلها ـ على حدّ تعبير المؤرخين ـ قبل أن يضربها زلزال لشبونة ١٧٥٥ ـ ١١٦٩. . ثم يتحدث الفصل عن (تازة) التي كانت ـ في بعض الأحيان ـ القاعدة التي تمتلك السيادة على سائر أطراف المغرب، ومن هنّا ينتقل الفصل إلى مدينة سلا التي دوّخت دول أوروبا بالرغم من صغر رقعتها. . ! وبعدها يذكر مدينة الرباط العاصمة الإدارية الحالية التي كانت نواة القصر الملكي بها هي «الدار الكبرى» التي بناها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن. . ولا يهمل الفصل الحديث عن عواصم دبلوماسية أخرى قامت بدور

بنّاء في صنع تاريخ المغرب الدَّولي ويذكر منها تطوان وبادس والعرائش وطنجة وسبتة. . .

وينتقل الكتاب بعد هذا إلى فصل يحمل «انطباعات الزُّوار الأجانب عن مظاهر الحياة المغربية» وهنا يسوق بعض الشهادات والإفادات التي تقدم بلادنا للعالم الآخر. . . كتبت بأقلام سفراء أو زوار أو مؤلفين باحثين. . .

وهنا نجد حديثهم عن ألعاب الفروسية ومصارعة الأسود وهواية الصيد بالصقر الذي كان ملوك المغرب يتهادونه مع ملوك أوروبا وملوك المشرق على مرّ العصور. . . ونجد حديثهم عن مواكب الشُّموع بمناسبة عيد المولد. . . وعن أنواع الرقص. . . وعما نسميه اليوم بالأكْرُوبَاط وعن رياضة المصاقرة والمدارعة والمقارعة ولعب الكرة. . . ومن الدبلوماسيين من صادف احتفال الطلبة في فصل الربيع بتنصيب سلطانٍ لهم طوال فترة معينة تتميّز بمشاركة عاهل البلاد الذي يزور دولة الطلبة على ضفاف وادي فاس ويجري «اجتماع قمة» مع سلطان الطلبة!!!

وكانت مما تحدثت عنه تقارير الزُّوار ما يتصل بالصناعة المغربية التقليدية التي كونت لديهم معرضاً جيّداً. . . المنسوجات التي كانت، والحُلي كذلك تجد لها صدى طيّباً في بلاطات أوروبا. . .

هذا بالإضافة إلى حديثهم عن آثار الهندسة الهيدرولية. . الدواليب المائية التي انتصبت هنا وهناك لِرَفع الماء إلى مستويات معيّنة والتي حركت قرائح السُّفَراء والشُّعراء. . والساعات المائية التي ما تزال تحتفظ ببعض بقاياها إلى اليوم دون بقية أطراف العالم الإسلامي، والعبَّارات التي كانت منصوبة بين ضفتي بعض الأودية الكبرى لِرَبط الصلة بين الشاطئين عبر الفضاء. .

وفي هؤلاء من حضر عيد المهرجان وعيد المولد وتحدث عن موكب العاهل المغربي أثناء تنقلاته العادية. . . صلاة العيد. . . وصلاة الجمعة. . . وفيهم من أشاد بأصالة المغرب في باب التعامل الدولي والمجاملات والمكايسات. . . واحترام الالتزامات. . . وينبّه هذا الفصل في الأخير إلى

بعض المؤلفات التي تناولت الحديث عن المغرب بما فيها التي احتوت على بعض التُّرَّهات والأباطيل مما كان وراءه نازع شخصي أو وازع مغرض. . .

وقد تناول هذا المجلد كذلك الحديث عن المحاولات المغربية المتمثلة في حرصه على «المواكبات والمبادرات. . .».

وهنا يتحدث الفصل عن تتبع المغرب لما يقال عنه وما يجري من حوله على الضفة الأخرى لحوض البحر المتوسط كما يتحدث عن استقدام البعثات العلمية وتشجيع الدّراسات الرّياضية وإنشاء المطابع وتنظيم تعريب العلوم وتعميم الدراسات الحربية، وتشييد الرباطات وإنشاء البروج على السواحل المغربية. . . ولا يهمل الفصل شعور المسؤولين المغاربة بسوء الظن من مضاعفات النهضة الأوروبية التي كانوا يخشون أن تغزو تقاليدهم وقيمهم وتقضي على هويتهم. . . وفي إطار تأثر المغرب بما يجري على مقربة منه يتحدث التأليف عن بدء احتفال المغاربة بعيد المولد تقليداً لاحتفال الإسبان بعيد الميلاد!

ويخصص هذا المجلد فصلاً للحديث عن الجيش المغربي الذي كان وراء الصيت الدبلوماسي للمملكة المغربية. وهنا نرى اهتمام المغرب بجهاز الدفاع. . . ولا يغفل هذا الفصل الإشارة إلى المليشيات المسيحية التي سمعنا بأصدائها في المغرب منذ العهد المرابطي على ما يؤكد ابن الأثير. . . كما يتحدث عن المناورات والاستعراضات واختراع الأسلحة النارية والمؤلفات الحربية والمعارك الكبرى وأصداء الجندي المغربي، وينتقل الفصل إلى الحديث عن الأسطول المغربي ودار الصناعة وعدد قطع الأسطول وأنواع تلك القطع. . . والموقف من القرصنة الأوروبية والحديث عن الملك محمد الثالث وفكرة إعادة دار الصنعة بالاستعانة بالخبرة العثمانية. . . والتخطيط لوصول الأسطول إلى الهند وأمريكا، ثم تواطؤ الدُّوَل الأوروبية على الأسطول المغربي مع معاهدة إيكس لاشابيل. . .

وفي سبيل إعداد الجيل الذي يضطلع بمسؤولية مغرب الغد وجدنا ملوك

المغرب يقررون إرسال البعثات الطلابية ويعملون على الاستفادة من الخبرة الأجنبيــة ولكن دون أن يغفلوا عن المضـاعفـات التي قـد تصحب تلك الاستفادة، وهكذا وجدنا الوفود الطلابية في مصر وفي دول أوروبا، إنجلترا وإيطاليا، وإسبانيا وفرنسا وبلجيكا، وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية وجبل طارق كذلك. . . وقرأنا عن تفقد سفرائنا للطلبة المغاربة في الخارج وقرأنا عن نماذج من إجازة طلابنا في أوروبا. . . ومذكرات بعض الطلبة. . .

ويتحـدث الفصل بعـد هذا عن وسـائل المـواصلات في اهتمـامات الأجانب، وتكون مناسبة للحديث عن تاريخ البريد في المغرب والظهير الأول الذي صدر لتقنين توزيع البريد منذ عام٥٤٣ = ١١٤٨والوسائل التي يستعين بها «الرقاص» أي موزع البريد وحرص الحكومة على سرية المواصلات. . . ثم المبادرة الحاسمة لإنشاء أول إدارة عصرية للبريد عام١٣٠٨=١٨٩١وظاهرة إنشاء مراكز بريدية أجنبية في بعض الجهات المغربية واستيلاء الحكومة المغربية على هذه المراكز. . . ثم ظهور مجموعة لطوابع البريد. . .

وبعد هذا يتناول الكتاب الحديث عن «موضوع الصحافة في المغرب والنشاط الدبلوماسي» وهنا نقف عـلى دور «البَرَّاح» في الحيـاة الاجتماعيـة المغربية وعن أول محاولة لإصدار نشرة إخبارية، والمراسلين الأجانب ثم عرض لأسماء عدد من الجرائد التي كانت تظهر بالمغرب، ثم إنشاء مطبعة طنجة، وتتبـع أقوال الصحف الأجنبيـة ـ عـلى مـا أشـرنـا ـ ومقـاومـة الاختـلاق والزيف. . . تغطية الصحافة لأعمال مؤتمر مدريد١٢٩٧=١٨٨٠ومؤتمر الجزيرة الخضراء. . . عزم الحكومة المغربية على إنشاء صحيفة وطنية. . .

ويتحدَّث فصل آخر عن «صدى اليهود المغاربة في الحقل الدبلوماسي والسياسي»، وهنا نعرف عن المناصب المهمة التي كان يشغلهـا اليهود. . . وبعد أن يتحدث الفصل عن اليهود في عهد الأدارسة والمرابطين والموحدين الذين تدخلوا لدى جمهوريات المتوسط لصالح بعض اليهود، يتحدّث الكتاب عن «الملاَّح» أي الحارة التي يسكنها اليهود. . . ولا يهمل الفصل رأي ابن عبد

الكريم المغيلي في اليهود أيام بني وطاس. . . ثم الحديث عنهم أيام السعديين والعلويين ويأتي الكتاب بالبيان التاريخي للسلطان مولاي عبد الرحمن ١٢٥٧ = ١٨٤٢ وبالمرسوم الملكي عام ١٢٨٠ = ١٨٦٤، والفتوى بإنشاء محاكم خاصة باليهود، ويختم الفصل بالحديث عن تعلق اليهود بهُويتهم المغربية وإسهامهم في الحركة الوطنية. . .

ثم يأتي فصل «الجالية المسيحية في خدَمة الدولة المغربية على الصعيدين الداخلي والخارجي». . . وهنا نقرأ عن استعانَة المرابطين بالموظفين الأجانب، واعتناق الإسلام من طرف عدد من القواد المسيحيين ثم حديث عن الأجانب الذين قاموا بدور سفراء عن المغرب. . . والتجار المسيحيين بالمغرب، متابعة الحكومة للذين يقومون بحركة التنصير. . . بعثات المجاملة إلى البابا اقتداءً بالأسلاف المتقدمين. ويأتي بعد هذا فصل «الأمثال والتّعابير» في الاستعمال السياسي. . . وردت بعض هذه الأمثال في رسائل سياسية أو حوار ديبلوماسي أو نطق شعبي. . . أكثر من مائة مثل فيها المثل الدّارج وفيها المقتبس من اللّسان العربي. . .

ويختتم هذا المجلد بالحديث عن «المائدة المغربية في حديث الواردين»، وهنا نعرف عن المطبخ المغربي كمظهر من المظاهر الحضارية. . . والمؤلفات المغربية القديمة عن الطبخ المغربي. . . ويستعرض الكتاب عدداً من الصّحون المغربية الأصيلة: الحريرة، الكسكس، البسطيلة، المروزية الصنهاجي. . . ثم يتحدث عن المجبنات والحلويات والمشروبات. . . والأتاي ومبدأ ظهوره، وتقاليد شربه، وأخيراً العطور في الحياة المغربية واستهلاك المغاربة للعود القماري. . .

ولقد تناول المجلد الثالث من الكتاب (المغرب في حديث الأقدمين). . . هيرودوت ـ بلين الأكبر ـ بطوليموس. . . المغرب ملتقى الحضارات، العلاقات بين الممالك المحلية والأمم المجاورة على الضفة الأخرى من الحوض المتوسط، علاقات المغرب بالفينيقيين والقرطاجيين، علاقات

المغرب بالرومان وبداية الحديث عن المملكة المغربية، والسفارة الرومانية إلى بوكوس ـ قيصر وبوكوس الثاني، التبادل التجاري مع الخارج. . . والمغرب تحت حكم يوبا الثاني، وعلاقات بطوليمي مع الرومان، وتأثير الرومان في المغرب، بين المغرب والوندال، الحديث عن اكتشاف المغاربة لأمريكا في ذلك التاريخ، المغرب والروم البيزنطيون، المغرب القديم من خلال النصوص العربية، المغرب وظهور الإسلام، سفارة النبي إلى قيصر الروم وعلاقة القيصر آنذاك بالمغرب ـ المغرب في عهد الخلفاء والولاة، فتح بلاد المغرب ـ عقبة بن نافع في السودان والسوس ـ معاهدة بين عرب قيس وبربر زناتة ـ العرب في اتّجاه القارة الأوروبية ـ اتفاقية ابن نصُيَرْ ـ الإمارات المغربية الأولى: إمارة بني صالح في نكور، إمارة بني عاصم في سبتة وبني مدرار في سجلماسة وبني رستم في تاهرت وبرغواطة على ساحل المحيط الأطلسي.

وقد تناول المجلد الرابع مقدم الإمام إدريس وظهور أول دولة مغربية، فتوحات إدريس، بيعة إدريس الثاني والعلاقات الخارجية للدولة الإدريسية، بالإمارات المجاورة، وبالخلافة العباسية، وبأهل مصر وبعثة من هارون الرشيد لتصفية إدريس الأول! صلة بيزنطة بالغَرْب الإسلامي، سفارة إدريسية لدى شارلمان؟ علاقات المغرب بالعبيديين. . . الإمارات المغربية والخلافة الأموية بالأندلس ـ صلات بلاط الأندلس بإمارة برغواطة ـ موقف الأدارسة من الأمويين بعد نزول هؤلاء في سبتة عام ٣١٩ = ٩٣١ ـ النجدة المغربية لصدّ غارات القرامطة على الكعبة. . . الأدارسة بين الصراع العُبَيدي والأموي على المغرب ـ العلاقات المغربية الأندلسية بعد ابن أبي العافية، محاولة الناصر ربط علاقات بينه وبين العبيديين. . . سقوط البصرة المغربية في يد الأمويين والظفر بالحسن ابن كَنون ـ في قرطبة بين زيري بن عطية والمنصور بن أبي عامر. . تنافس بين بني مغراوة وبيْن بني يفرَن، العلاقات المغربية بالأمم الأخرى، عبر «المعسكرين» الأموي والعبيدي. . . ـ علاقات المغرب بِليون ونافار وقشتالة وبرشلونة ـ علاقات المغرب بقيصر وملك الفرنج وإمبراطور ألمانيا ـ علاقات المغرب بجنوة وسائر الجزر المتوسطية.

وتناول المجلد الخامس الحديث عن المرابطين وإمبراطورية غانة وصلة إفريقيا بالإسلام عبر المغرب، دور عبد الله بن ياسين، علاقات المرابطين بالأندلس، نماذج من الخطابات المتبادلة بين ألفونصو والمعتمد سفارة ملوك الطوائف لدى يوسف بن تاشفين، معركة الزلاقة وظروفها، دور المرابطين في تطويق الحروب الصليبية بالمشرق، المرابطون ومملكة بني هود، معركة أُوقليش أو الكونتات السبعة، اجتياز الأمير علي بن يوسف إلى الأندلس افتتاح قلعة شنترين والجزر الشرقية، تدهور العلاقات بين المرابطين وبني هود، العلاقات بين المرابطين وبين الصنهاجيين بتونس، المرابطون في نجدة الزيريين ضد روجي صاحب صقلية، علاقات المرابطين مع بني حماد وتهنئة يوسف بن تاشفين للمنصور بن النّاصر بن علَنّاس، العلاقات بين المرابطين وصقلية، علاقات المرابطين بالجمهوريات الساحلية: بيزة، جنوة، مرسيليا، والمرابطون والبابا، المبادىء العامة للاتفاقيات المبرمة مع الأمم النّصرانية، الاتفاقيات الشفوية بين المغرب والأمم المجاورة، العلاقات بين المرابطين والعباسيين، العلاقات مع أمراء القاهرة، العلاقات بين المرابطين والفاطميين، استمرار العلاقات المرابطية العباسية، محاولة توحيد مداخل الشُّهور بين المشرق والمغرب.

ويتناول المجلد السادس الذي يبتدىء بعلاقات الموحدين مع الأندلس واستفادة الموحدين من خلافات المناوئين لهم، معركة الأرك. . . الخليفة النّاصر ووقعة العِقَاب، العلاقات المغربية الأندلسية أيام المستنصر والعادل والمأمون والسعيد والرشيد والمُرتَضى. . الخلافة الموحدية وباقي ممالك إفريقيا، والعلاقات بين الموحدين والكرسي الرسولي، علاقات دولة الموحدين وجمهورية بيزة بما صاحبها من معايشات ومواربَات وانفراجات، العلاقات بين المملكة المغربية وبين جنوة وفرنسا، صقلية، البندقية، أرغون، الممارسة العامة للتجارة الأجنبية بأقطار المغرب، العلاقات بين المملكة المغربية وبين إنجلترا، النمسا، اليونان في عهد الموحدين، بين الخلافة الموحدية والخلافة العباسية في المشرق، مقام سفارة صلاح الدين بالمغرب في عهد المنصور

الموحدي وظاهرة الاتصال المستمرّ بين الجهتين. . .

ويتناول المجلد السابع علاقات بني مرين مع أقطار المغرب الكبير، وعلاقاتهم بالممالك الإفريقية ـ علاقات المملكة المغربية بالأندلس: قشتالة وغرناطة، الاتصالات بين غرناطة وفاس، العلاقات بين المملكة المغربية ومملكة أرغون، العلاقات المغربية البرتغالية ـ الغارة على لاقش واحتلال سبتة ـ المغرب ودول حوض المتوسط: جنوة، البندقية، فلورانسا، بيزة ـ العلاقات المغربية مع البابا ـ صقلية، إنجلترا، فرنسا، ميورقة، العلاقات بين المغرب والمشرق ـ التواطؤ على المغرب في عهد بني وطاس، العلاقات المغربية البرتغالية في عهد بني وطاس، علاقات البرتغال بالمدن المغربية، العلاقات بين المغرب والدول الأوروبية في عهد الوطاسيين، علاقات بني وطاس بالمغرب الأوسط والأدنى وباقي ممالك إفريقيا، العلاقات مع العثمانيين في بداية ظهورهم، المحاولات الأخيرة لإنقاذ الموقف بالأندلس ولجوء أمير غرناطة إلى مملكة فاس.

وتناول المجلد الثامن علاقات المغرب بالعثمانيين وبلاد المشرق في عهد السعديين، وعلاقات السعديين بالبرتغال، والعلاقات المغربية الإسبانية في عهد السعديين، والعلاقات المغربية الفرنسية، والعلاقات المغربية الإنجليزية، وعلاقات المغرب مع الطوسكان، وبين فاس وفلورانس في عهد الدولة السعدية، علاقات المملكة المغربية مع باقي ممالك إفريقيا، العلاقات المغربية مع البلاد المنخفضة في عهد السعديين.

وتناول المجلدان التاسع والعاشر الفترة الأولى للدولة العلوية:

وهكذا يتناول المجلد التاسع صلات المملكة المغربية بالإمبراطورية العثمانية حيث نقرأ عن التوتر بين المغرب وفرنسا وأثره على الصلات بين الجيران! واستنجاد تركيا بالمغرب ضدّ احتلال نابليون لمصر وينتقل هذا الفصل إلى علاقات المغرب ببلاد السودان من خلال الرسائل والتقارير. . .

ثم يتناول هذا المجلد العلاقات المغربية الفرنسية في بداية الدولة العلوية ويتحدث عن (اتفاقية ابن حدو ـ لوفيفر) في عهد السُّلطان مولاي إسماعيل

وخطاب الملك لويز الخامس عشر للسلطانة خناثة كما يتحدث عن «الأميرة الضاوية». . . وموقف مولاي سليمان من احتلال نابليون لمصر. . .

وينتقل المجلد إلى العلاقات المغربية الإسبانية مبرزاً مشكلة الثغور المغربية المحتلة والسفارات المتبادلة بين البلدين. . . والاتفاقيات المغربية الإسبانية وحضور السفير ابن عثمان في الملف المغربي الإسباني ومحاولات السّلطان مولاي سليمان لاسترجاع سبتة. . .

ثم يتناول الكتاب العلاقات المغربية البرتغالية ابتداءً من العهد الإسماعيلي إلى تحرير الملك محمد الثالث مدينة الجديدة وتدشين عهد جديد مع مملكة البرتغال، والمساعي الحميدة المغربية بين الجزائر والبرتغال والموقف في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن. . .

ثم العلاقات المغربية الإنجليزية وسفارة ابن حدّو لدى الملك شارل الثاني ومشاركة المغرب في المؤتمر الطبي الدُّولي بطنجة! وسفارة ستيوارت للمملكة المغربية ثم علاقات الملك محمد الثالث بالملك جورج الثالث والمعاهدة المغربية الإنجليزية في عهد السلطان مولاي سليمان، وتأتي بعد هذا علاقات المملكة المغربية مع البلاد المنخفضة، وحضور السفارة المغربية أمسية ساهرة في بلاط (لاهاي) في عهد السلطان مولاي إسماعيل ورسالة السلطانة خناثة إلى الولايات العامة وتجديد الاتفاقيات المغربية الهولاندية ثم سفير السلطان مولاي سليمان إلى (لاهاي).

ويأتي بعد هذا ملف العلاقات بين المغرب من جهة وبين بروسيا والنمسا وروسيا، حيث نقرأ عن صدى الاصطدام النمساوي العثماني في المملكة المغربية وسفارة الملك محمد الثالث إلى جوزيف الثاني بفيينا، والمساعي المغربية الحميدة بين تركيا وخصومها؟

ثم الحديث عن العلاقات بين الإمبراطورة كاترين الثانية والملك محمد الثالث والمراسلات بين العاهل والإمبراطورة. . ثم يأتي فصل العلاقات المغربية مع الدانمارك والسويد والنرويج فنعرف عن بعثة الملك فريدريك

الخامس إلى المغرب وتهادي الصقور بين ملوك المغرب وملوك الدانمارك، ثم عن المفاوضات المغربية السويدية وتجديد الاتفاقية في عهد السلطان مولاي سليمان وانضمام النرويج إلى السويد.

ويعالج هذا المجلد علاقات المغرب مع جنوة وطوسكان والبندقية وسردينية وموناكو وصقلية ونابولي. . . فنقرأ عن خطابات السلطان مولاي إسماعيل لحاكم جنوة وعن الاتفاقية الجنوية في عهد الملك محمد الثالث. . . ومن هنا ينتقل إلى الحديث عن سفارة ابن عبد الملك في طوسكانا، واتفاقية المغرب مع البندقية، ومع صقلية ونابولي. . . وينتهي هذا الملف بالحديث عن حاضرة الفاتيكان واستمرار الملوك العلويين في مساعدة مبعوثي الكرسي الرسولي.

ويتحدث هذا الفصل أيضاً عن علاقات المغرب بالولايات المتحدة الأمريكية فيهتمُّ بالمراسلات بين الكونكريس والبلاط المغربي كما يستعرض الاتفاقية المغربية الأمريكية وإهداء الرئيس الأمريكي نسخة من الدستور الأمريكي للعاهل المغربي، ثم العلاقات المغربية الأمريكية في عهد السلطان مولاي سليمان. . . ورسالة السلطان مولاي عبد الرحمن إلى السلك القنصلي.

ويختم هذا المجلد بالحديث عن صلة المغرب بدوبْروفنيك ومالطة واليونان، وهنا نقرأ عن وفرة المراسلات حول هذه المواضيع وعن مذكّرات السفير ابن عثمان في مالطة، وخطاب الباب العالي للسلطان مولاي سليمان بشأن التوصية خيراً بالجزر اليونانية التي انفصلت عن البندقية. .

أما المجلد العاشر. . . فيبتدىء بالحديث عن علاقات المغرب مع غيره من الدول في أعقاب انتزاع فرنسا للجزائر من يد الأتراك. . . وهنا يستعرض أولاً موقف فرنسا من عون المغرب للجزائر وتدهور العلاقات بينهما مما أدى إلى موقعة إيسلي، ثم اثر هذه الأحداث على تطاول الإسبان على تطوان والتجاوزات الفرنسية للحدود المغربية. . . والمؤامرات ضدّ المغرب. . .

وبسط الحماية الفرنسية على المغرب!

ثم يتناول الملف الثاني العلاقات مع إسبانيا والبرتغال بعد احتلال فرنسا للجزائر وأثر هذا على احتلال إسبانيا للجزر الجعفرية.

والمساعي الدبلوماسية لتجنب الحروب... ثم التنسيق بين فرنسا وإسبانيا، واحتلال هذه الأخيرة لشمال المغرب! وبعد العلاقات الودّية بين المغرب والبرتغال... وينتقل المجلد إلى الحديث عن علاقات المغرب بإنجلترا فنقف على الاتفاقية المغربية الإنجليزية عام ١٢٧٣ = ١٨٥٦ وتصفية شركة ماكينزي في جنوب المغرب، إلى الاتفاق البريطاني الفرنسي حول بسط الحماية! ثم ينتقل الملف إلى العلاقات مع ألمانيا فنقرأ عن الاتفاقية التجارية بين البلدين لعام ١٣٠٧ = ١٨٩٠ وزيارة الإمبراطور كيوم الثاني للمغرب والاتفاق الألماني الفرنسي حول بسط الحماية..!

ويأتي بعد هذا فصل العلاقات بين المغرب وإيطاليا فنقف على مراسلات العاهل الإيطالي مع العاهل المغربي والسفارة المغربية لإيطاليا، وقنصلية الصّاردو بطنجة، والاتفاقية المغربية الصقلية... وينتقل الفصل إلى علاقات المغرب بحاضرة الفاتيكان... والسفارة المغربية لدى البابا ليون الثالث عشر ١٣٠٤ = ١٨٨٧، ثم يختم بعلاقات المغرب باليونان...

ويأتي فصل العلاقات بين المغرب وبلجيكا وهولاندا والنمسا والدانمارك والسويد والنرويج، ونقف على نصوص الاتفاقية المغربية البلجيكية عام ١٢٧٨ = ١٨٦٢ وتبادل السفارات بين الدولتين.. ثم الاتفاقية المغربية الهولاندية... وتصلّب الموقف النمساوي بعد انتزاع فرنسا للجزائر من يد الأتراك ثم الاتفاقية المغربية الدانماركية والسويدية...

ثم يأتي فصل الحديث عن علاقات المغرب بروسيا القيصرية فيثير محاولة إقحام المغرب في الحلف الروسي الأمريكي ويتحدث عن زيارة الأمير فيازيمسكي للمغرب وتبادل السفارات بين الروس والمغرب قبيل بسط الحماية الفرنسية على المغرب...

وينتقل هذا الفصل إلى الحديث عن العلاقات المغربية الأمريكية فيتعرض للاتفاقية الأمريكية المغربية عام١٢٥٢= ١٨٣٦وموقف المغرب من الحركة الانفصالية في أمريكا، ثم محاولة حلف مغربي أمريكي لحماية استقلال المغرب ويختم الفصل بعلاقات المغرب مع دول أمريكا الوسطى والجنوبية.

وهنا يأتي الفصل الذي يخصص للحديث عن الاتفاقيات المغربية المتعددة الأطراف من التي أشير لها في الفصول السابقة: اتفاقية المجلس الصحي ١٢٥٦ = ١٨٤٠ واتفاقية منار أشقار ١٢٨٢ = ١٨٦٥، واتفاقية مدريد ١٢٩٧ = ١٨٨٨، واتفاقية الجزيرة الخضراء ١٣٢٣ = ١٩٠٦.

ويختم هذا القسم من المجلد العاشر بعلاقات المغرب بالعثمانيين والإيالات التابعة لهم... وبإمارة حيدر أباد، والسودان وبقية البلاد الإفريقية...

وفي القسم الثاني من هذا المجلد يتحدث الفصل الأوّل عن الظروف الاستثنائية التي عاشها المغرب بين فرض الحماية واسترجاع الاستقلال، وهنا يستعرض ملحمة الأربع والأربعين سنة التي انتهت بنفي الملك محمد الخامس، ثم عودته إلى عرشه حاملا معه بشرى انتهاء عهد الحماية واستعادة الاستقلال...

وهنا يتناول الفصل الحديث عن «المغرب المستقل في الأسرة الدولية» وهو يبتدىء باستئناف العلاقات على أساس جديد بين المغرب ودول أوروبا الغربية بما فيها إسبانيا وفرنسا وإنجلترا وبلجيكا إلى آخر اللائحة الطويلة التي رتبت حسب تاريخ تقديم أوراق الاعتماد للعاهل المغربي... ثم يأتي الحديث عن الصلات مع الدول الشرقية: يوغوسلافيا والاتحاد السوفييتي إلخ...

وبعد أن يأتي الحديث عن علاقتنا مع الفاتيكان نجد الحديث عن علاقة المغرب المستقل بالجامعة العربية ومع الدول العربية، وهنا نجد الملك محمداً الخامس يتحدث عن الهوية العربية للمغرب، كما نجد الملك الحسن الثاني في القمة العربية الأولى بالقاهرة واحتضان المغرب لمؤتمرات القمة العربية...

وينتقل الفصل إلى الحديث عن علاقات المغرب الإفريقي بباقي الدول الإفريقية انطلاقاً من ميثاق الدار البيضاء وانتهاء بمنظَمةالوحدة الإفريقية، علاوة على العلاقات الثنائية مع الدول الإفريقية. . .

ثم ينتقل إلى الحديث عن علاقات المغرب بالولايات المتحدة الأمريكية وبدول أمريكا الوسطى والجنوبية والشمالية، وعلاقات المغرب بدول آسيا: تركيا ـ إيران ـ باكستان ـ بانغلاديش ـ الهند ـ الصين ـ كورسيكا ـ أندونيسيا ـ ماليزيا ـ الفلبين. . . ويختم هذا الملف بعلاقات المغرب مع أستراليا. ويأتي بعد هذا الفصل الأخير الذي يتناول علاقات المغرب بالمنظمات الدولية وهنا نقرأ عن خطاب الملك محمد الخامس في الأمم المتحدة وعن تحمل الملك الحسن الثاني لأداء رسالة والده في المنتظم الدولي.

ويتحدث هذا الفصل عن المغرب ودول عدم الانحياز وتلبية الدول الإسلامية جميعها لأوّل مؤتمر إسلامي ينعقد بالرباط بدعوة من الملك الحسن الثاني ثم يتحدث عن علاقة المغرب بالسوق الأوروبية المشتركة، والاتفاقيات الدولية بين الأمس واليوم. . .

* * *

هذا وإيمانا بجدوى الصورة والرسم على موضوع كهذا ـ فقد اهتم الكتاب باختيار ما يناهز الألف رسم من بين مئات الرسوم التي وقفت عليها، وذلك من أجل جعل القارىء في الجوّ الذي رجوته له. . .

وهكذا فقد زودت الكتاب بثروة هائلة من اللوحات والرسوم التي تتصل بمختلف الدول المتعاقبة. . .

فهناك وثائق ومستندات تمس علاقات المغرب بالعالم العربي والإسلامي، وروسيا وبلجيكا، ودوبروفنيك والإيالات العثمانية وإنجلترا وألمانيا واليونان والهند والولايات المتحدة الأمريكية والنمسا وآسيا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا والفاتيكان. . هذا بالإضافة إلى الوثائق الخاصة بالحدود المغربية. .

وقد زودت الكتاب بخرائط أصيلة لم يسبق نشرها واعتمدت في تدقيقها على (مصلحة الخريطة) حيث جعلت لكل فترة من فترات التاريخ خريطة تمثل المساحة والمواقع التي كانت تعرفها الفترة، ابتداءً مما قبل الفتح الإسلامي إلى العهد الإدريسي وأيام المرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين، وذلك لأضع القارىء في الصورة الحقيقية للعهد الذي أتناول الحديث حوله...

ولقد جعلت لكلّ مجلد شارة على الغلاف يتميّز بها... كانت هذه الشارات تلخص حدثاً من الأحداث الهامة التي مر بها القارىء أثناء قراءته لذلك المجلد، كما اخترت لكل مجلّد وثيقة مطوية هامة مما اعتبر عندي محطةً تستحق الوقوف والاستيقاف!!

* * *

ومع هذا كلّه فقد شعرت بضرورة الحاجة إلى إعداد أجزاء إضافية أخرى أضمّنها (ملاحق) تستوعب نصوص بعض الاتفاقيات والخطابات... وأذكر فيها بعض الموضوعات التي أشرت إليها في غضون الكتاب كمعجم السفراء وسجلّ الأمثال...

يضاف إلى هذا أنني أشفع كل هذه المجلدات بأجزاء تحتوي على (فهارس) للمجلدات العشر تكون تلك الفهارس بمثابة المفتاح لكل ما يوجد بين دفتي الكتاب... فهناك فهرس الأعلام البشرية (بمن فيهم الدبلوماسيون المغاربة وغيرهم)... والأعلام الجغرافية والأمم والشعوب والقبائل والجماعات، وهناك فهرس للمصطلحات، وفهرس للتوقيعات والأختام، والأيام والمواقع والأحداث وفهرس الظهائر والوثائق والاتفاقيات مرتبةً حسب الزمن الذي تمت فيه، وفهرس الخطب والرسائل والفتاوي مرتبة كذلك حسب زمنها، وفهرس الكتب والمخطوطات والرحلات، والمصادر الأجنبية، والمحاضرات والمقالات والبحوث والندوات، والمجلات والجرائد، والأمثال والحكم والأقوال السائرة، فهرس القوافي، وفهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وفهارس الصور والرسوم والرسائل... ثم

التصويبات . . .

لقد كان قصدي من كتابة هذا التّاريخ أن أسهم في التعريف ببلادي التي قدمت للمجموعة الدولية عبر التاريخ عطاءً أسهم في ازدهار الإنسانية ورخائها ورفاهها . . .

كُتَيِّبٌ مَخْطُوطٌ لِلسِّلَفِيّ

حَلَّلَهُ بِاللُّغَةِ الفَرَنْسِيَّة

جورج فاجدا

نقله إلى العربية وعقب عليه

محمّد خير البقاعي

يعود اهتمامي بـالسِّلَفِيّ وكتبه إلىٰ سنتين خلتـا؛ كان ذلـك عندمـا حصلت علىٰ نسخة مصورة لمخطوطة كتاب «جوهرة الغوّاص وتُحْفَة أهْل الاختصاص» لمحمد بن علي المعروف بابن عَرّاق المتوفَّىٰ سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م. والمخطوط المذكور محفوظ في مكتبة برلين بـرقم (٤٢٧) وهو عبارة عن كتب في علوم متنوّعة جمع بينها ابن عَرّاق.

واحدٌ من تلك الكتب للسِّلَفي؛ عنوانه «غريب لغات القرآن» ورقمه ضمن مجموع ابن عراق (٦٩٨) وليس هو في حقيقة الأمـر إلّا نسخة من «كتاب اللغات في القرآن» الذي نشره الدكتـور صلاح الـدين المنجد في القاهرة «مطبعة الرسالة ١٩٤٦» وأعاد طبعه مرّة ثانية في بيروت «دار الكتاب الجديد ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م» عَنْ نسخة محفوظة في المكتبة الـظاهريـة بدمشق ضمن مجموع رقمه هناك (٢٧٣) وفي المجموع كتب وأجزاء شَتّى كتابنا هو الخامس بينها.

والكتاب في طبعتيه منسـوبٌ لابن حسنون المقـرىء المتوفىٰ سنـة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م روايته عن ابن عباس، ومن هذا الكتاب أيضاً نسخة أخرىٰ في مكتبة تشستر بتي ـ دبلن رقمها هناك (٤٢٦٣) وعنوانها «كتـاب لغات القرآن» وهي بتهذيب محمد بن علي بن المظفر الوزّان الحنبلي (عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري). ويشير العلّامـة فؤاد

(ص ٦٨) من الكتاب نفسه يذكر الكتاب في عداد كتب ابن عباس الذي نجد له كتاباً آخر عنوانه «غريب القرآن» ومخطوطته في عاطف أفندي (٨/٢٨١٥ من ١٠٢أ ـ ١٠٧أ) بتهذيب عطاء بن أبي رباح المتوفىٰ سنة ١١٤ هـ/ ٧٣٢م (انظر ص ٧٤ من المصدر نفسه).

وفي الصفحة (٩٠) من تاريخ التراث نجد كتاب «غريب القرآن» هذا منسوباً إلى مَنْ سماه (أبو جعفر بن أيُّوب المقرىء) ويقول في ترجمته: «كان تلميذاً لعبد الملك بن جريج، ومن ثمة عاش أبو جعفر في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. وألَّف كتاب غريب القرآن: عاطف ٨/٢٨١٥ من ١٠٢أ ـ ١٠٧أ) وقد وَجَدْت أبا جعفر هذا واسمه (محمد بن أيوب) يروي كتاب «لغات القرآن» في نُسْخَتَيْه البرلينية والإيرلندية المذكورتين آنفاً يرويه عن عبد الملك بن جريج. وأنا أظن الآن أنَّ كتاب غريب القرآن هذا نسخة أخرىٰ من الكتاب الذي نجده في دمشق وبرلين ودبلن وتركيا، وهو ظَنٌّ لا أقطع فيه بانتظار وصول مخطوطتي تركيا اللتين طلبتهما منذ ما يزيد علىٰ عام وأرجو أنْ يُيَسِّرَ الله تعالىٰ وصولهما لنستجلي حقيقة الأمرِ في ذلك.

وَوَجَدْتني مدفوعاً للبحث عن مؤلفات السّلفي مخطوطها ومطبوعها، وبدا لي أنَّ المطبوع منها ليس إلاّ غيضاً من فيض فَعَزَمْتُ علىٰ العناية بجمع كتبه المخطوطة وهأنـذا اليوم أُقَـدّم للقارىء العـربي تحليلاً قـام بهأحـد المستشرقين المهتمين بالمخطوطات العربية هو جورج فاجدا. لواحدٍ من كتب السلفي عنوانه «الوجيز في ذكر المُجاز والمُجيز» وقد نُشِرَ هذا التحليل في نشرة معهد البحث في النصوص وتاريخها، العدد ١٤، سنة ١٩٦٦م.

Bulletin de l'institut de recherche et d'Histoire des textes analysé par G. Vajda, n°14, 1966

إنَّ نقل هذا التحليل إلىٰ العربية يعطي المهتمين فكرة عَنْ هذا الضرب من

التأليف، ويبوح بأسرار جديدة حَوْل حركة الرواية والإسناد في تاريخ التراث العربي.

والكتاب في نسخته التامة المحققة موجود لدي وبانتظار أَنْ يُتَاح له الظهور بين الناس مطبوعاً يطيب لي أَنْ أَخُصَّ مجلة مجمع اللغة العربيـة الأردني الموقر بهذا العمل ليكون طريقـاً إلىٰ فهم الكتاب حين ظهـوره، ورأيت من تمام العمل أَنْ أُعَقِّب علىٰ العمل بما تجمع لدي من ملاحظات خلال العمل في الكتاب الذي يَضُمّ عَدَداً من أسماء الأعلام التي لَمْ أصل بَعْدُ إلىٰ التحقق منها لأنّي آليت على نفسي أَنْ أُحَقِّقَ في اسم كُلّ علمٍ قبل إخراج الكتاب ليأتي واضحاً مفسراً ما أمكَنني ذلك والله من وراء القصد فهو الموفق للصواب والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء وخير المرسلين.

تَضُمّ المجموعة الوافرة من المخطوطات العربية التي تقتنيها مكتبة «تشستر بتي Chester Beatty» في مدينة «دبلن = Dublin» كُتَيِّباً مخطوطاً، وَنُسْخَتُه وحيدةٌ حَتَّى يَوْم الناس هذا، ومؤلِّفه هو الحافظ أحمد بن محمد السِّلَفي(١). يتضمَّن هذا المؤلَّفُ إشارات مفيدة حَوْل تَصَوّر المؤلِّف الذي يُعَدّ مرجعاً في هذا المجال، للطرق الجائزة في نقل النصوص، كما يتضمَّن معلومات حَوْل الأشخاص الذين كاتبوه.

وسنحاول تحليل الكُتَيِّب في هذين الاتجاهين.

عنوانه هو: **الْوَجِيزُ في ذِكْرِ الْمُجَازِ وَالْمُجِيز**(٢)، ويشغل الأوراق من ١ إلىٰ ٢٠ من المجموع العربي رقم ٤٨٧٤ من مجموعة «تشستر بتي»(٣).

ولد السِّلَفِيُّ في أصبهان من بلاد فارس، وَاسْتَقَرّ بعد تجوال طويل عبر الشرق الإسلامي في الإسكندرية حيث أَمْضىٰ ما يزيد على ثلاثين عاماً في نهاية حياته العلمية الحافلة، وإنَّ قسماً كبيراً من مؤلَّفاته التي تندر الاستفادَةُ منها حتّى يوم الناس هذا جاء علىٰ شكل مُعْجَمَاتٍ منسوقة على حروف التهجي للشيوخ الذين حَصَل منهم علىٰ إجازة بالرِّواية(٤) ليصبح هو بدوره،

---

(١) عاش بين سنتي ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م - ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م؛ انظر بروكلمان (بالألمانية ط. ثانية) ١/ ٤٥٠ وملحقه ١/ ٦٢٤، والأعلام، للزركلي، ط. ثانية ١/ ٢٠٩.

(٢) فيما يخص موضوع «الإجازة بالرواية» انظر مقال كاتب المقال المنشور بعنوان «إجازة IDJAZA» في الموسوعة الإسلامية (باللغة الفرنسية) ط. ثانية، الجزء الثالث.

(٣) انظر: Arthur J. Arberry. A Handlist of the Arabic, manuscript. vol. v1. Dublin 1963. p. 125 قائمة المخطوطات العربية في تشستر بتي = وما بعدها

ويحتوي المجموع أيضاً علىٰ كُتَيِّب آخر، لناسخ آخر كنّا قَدْ درسناه بالتفصيل في مقالتنا «سلسلة المسانيد لمنصور بن سليم» في المجلة الأسيوية ١٩٦٥ ص ٣٤١ - ٤٠٦ ونحرص هنا علىٰ تجديد شكرنا لإدارة مكتبة تشستر بتي التي زودتنا «بميكروفيلم» للمخطوطة وللسيد آرثر جورج أربري الذي سمح لنا برحابة صدر استخدام الكُتَيِّبَيْن.

(٤) يمكن تكوين فكرة عن هذا النوع من المؤلفات بمراجعة كتابنا (معجم شيوخ عبد المؤمن الدمياطي» (مطبوعات معهد البحث في النصوص وتاريخها، وثائق، دراسات ومعاجم، ٨) باريس، ١٩٦٢.

إنْ صَحّ التعبير، منطلقاً للروايات في الأجيال التالية.

وَقَدْ سبق للسلفي في معجمه الذي تَرْجَمَهُ بالمعجم المؤرخ(٥) أنْ ذكر، كما يُصَرّح بذلك، الشيوخَ الذين كتب عنهم بعض الملاحظات المتعلقة بالحديث وإن لَمْ يكونوا عارفين بقوانين الرواية والتحديث. وسَمَّىٰ من استفاد منه فائدة فقهية أو أدبية أو زهدية أو اسْتَنْشَدَهُ فأَنْشَدَهُ شيئاً من الشعر.. إلخ.

وهو في الكُتَيِّب موضوع البحث يؤثر أنْ يُسَجّل أسماء أولئك الذين كاتبوه دون أنْ يكون قد قابلهم، ودون أنْ يدخل بلادهم؛ غير أنَّه قَدْ خالفَ الطريق الذي قد سلكه في المعجم المؤرخ الذي رتَّبَهُ علىٰ حروف التهجي كاملة إذ وجد في الذين أخذ عنهم شفاهاً كثرة، وفي المجيزين بخلاف ذلك قِلَّة فرأىٰ حينئذٍ ذكر شيوخ كُل بلد على حدة.

ويتفحَّصُ المؤلف ـ قبل الدخول في لُبّ موضوعه ـ جواز الإجازة وقيمتها، ليكون تمهيداً، أمَّا أَمْرُ جوازها فيطرحه المؤلف كحقيقة لا جدال حَوْلها، ويقسو بكلامه وإن كان تلميحاً، علىٰ أولئك الذين لا يجيزونها(٦).

وبما أنَّ الإسناد رُكنُ الشرع وَأَسَاسُهُ فإنَّه لمن المحتوم أنَّ دوامه يُحْفَظُ بالإجازة التي لا مناص من الركون إليها في ذلك. على أننا سنلاحظ في

(٥) لَمْ أجد ذكراً لهذا العنوان عند حاجي خليفة، ولا عند بروكلمان. وبحسب فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني (٢/٣٤١) ترك السلفي ثلاثة معاجم: لشيوخه الأصبهانيين، ولشيوخه البغداديين، ومعجماً مخصصاً للبلاد الأخرىٰ تَرْجَمَتُهُ: معجم السفر، وهو علىٰ الأرجح المعني هنا.

(٦) الأراء حول جواز الإجازة وعدم جوازها نجدها في الكتاب الأساسي للخطيب البغدادي (توفي عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)؛ الكفاية في علم الرواية، حيدر آباد ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م ص ٣١٤ ـ ٣٢٥ وممّا لا شكّ فيه أنّ السلفي كان عارفاً بكتاب الخطيب وغيره وما نقلوه من آراء العلماء في الإجازة وجوازها، وانظر أيضا (تقييد العلم، ط. يوسف العش) دمشق، ١٩٤٩م.

الإجازة أنواعـاً تتفاوت درجـة الوثـوق بها نـزولاً وهي: السماع والمنـاولة والإجازة(٧).

ومهما اختَلَفَتْ طريقة تَحَمُّل العلم فـإنه يجب المبـالغة في الضبط والإتقان، وأَنْ لا يُعَوّل فيما يروىٰ إلاَّ علىٰ نَصٍّ مكتوبٍ، إلاَّ أَنَّ التَّسَهُّلَ جائز في بعض الأحايين، ولا يُسْتَحَبُّ اللجوء إلىٰ المنع والتغليظ اللذين يخالفان الروح المتسامحة للإسلام(٨).

إنّ الحجج التي يَحْتَجُّ بها القائلون بأفضلية الرواية الشفوية غيرُ ذات بال، وإنّ الرواية المكتوبة هي علىٰ خلاف ذلك أَقَلُّ عُرْضَةً للخطإِ والسهوِ علىٰ أنَّ الأمر يظل منوطاً بمعرفة الراوي وضبطه مهما كانت الطريقة التي يروي بها. ناهيك عن أَنَّ الإجازة تغني عن الرحلات التي لا يقدر عليها كُلُّ طالب علمٍ أَوْ راغب فيه.

---

(٧) لمـزيد من التفـاصيل نحيـل إلى الترجمـة الفـرنسيـة لتقـريب النـواوي والتعليق عليـه لـ W. Marçais باريس ١٩٠٢م. السماع، ص ١٠٣ ـ ١٠٥؛ الإجازة، ص ١١٥ ـ ١٢٦؛ المناولة، ص ١٢٦ ـ ١٣٣ مع الملاحظة أنَّ ملاحظات السُّلفي السريعة تُبَسِّطُ ما نحن فيه، أو أنّه ربّما كان لا زال بعيداً عن النظام المتطور الذي انتهىٰ إليه علم أصول الحديث كما قدمه يحيىٰ بن شرف النواوي ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م ـ ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٨م) في القرن التالي.

(٨) [لا حرج] تلك هي العبارة التي تتردَّدُ غالباً في كتاب الإسلام الموحىٰ «القرآن الكريم سورة البقرة، الآية ١٨٥ ﴿يريدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْـرَ ولا يُريدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾.

سورة المائدة، الآية ٦ ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ﴾.

سورة الحج، الآية ٧٨ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أبيكُمْ إبْراهيمَ﴾.

الإسلام دين التسامح (حنيفية سمحة) كما يُعَلِّمنـا الحديث المشهـور (البخاري، بـاب الإيمان، ٢٩ ط. Krehl ١/ ١٧. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لـ A.J. Wensihck ١/ ٥٢٢).

والمسلم يتفادىٰ كُلّ تشدّدٍ مفرطٍ (لا تُشَدِّدوا علىٰ أنفسكم، «أبو داود، باب الأدب، ٤٤، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٣/ ٧٥»). (إنَّ الله يُحِبُّ أَنْ تؤتىٰ رُخَصُه كما يحب أَنْ تؤتىٰ عزائمه) «انظر: المعجم المفهرس ٢/ ٢٤٢».

ويمكن أنْ نستشهد علىٰ فضل الروايات المكتوبة بـالمراسـلات(٩) «الدبلوماسية» للنبي عليه الصلاة والسلام ونستشهد أيْضاً بالكتاب المختوم الذي زوّد به رسول الله ﷺ أَحَدَ قُوَّادِ واحدةٍ من سَرِيّاته(١٠).

ويُذَكِّرُ السلفي بعد ذلك أنَّه ليس أبا عذرة هذا النوع من التأليف حَوْل جواز الإجازة، بَلْ يشير إلىٰ مؤلفٍ قبله هو الوليد بن بكر بن مخلد الغمري السرقسطي صَنَّف كتاباً ترجمه بالوجازة في صِحَّة القول في الإجازة(١١)؛ ولكنَّ السِّلَفيّ ينوي في كُتَيِّبه هذا اتباع منهج يختلف عن منهج سابقه وقبل أنْ يذهب في البحث بعيداً يُحَدِّد السِّلَفِيُّ مصطلحاته التي ينوي استخدامها والتي يرىٰ أنَّها المثلىٰ لهذا الضرب من العلم وهي :

أنبأني : الرواية المباشرة، الراوي والمرويّ عنه حاضران كلاهما (شاهده وشافهه).

كتب إليّ : تَلَقٍّ بوساطة المكاتبة.

أخبرنا، حَدّثنا، سَمِعْتُ : سماع لا يفرض الإجازة.

حَدّثني : عندما يكون الراوي يَسْمَعُ وحده، **حَدّثنا** : عندما يسمع هو وغيره سواء أكان مستعمل المصطلح هو القارىء أم لا.

---

(٩) انظر حول نصوص المراسلات النبوية الدبلوماسية كتاب محمد حميد الله: «وثائق الدبلوماسية الإسلامية في عهد النبي وخلفائه الراشدين» باريس ١٩٣٥.

(١٠) يأتي المؤلف هنا بجانب من كفاح النبي ﷺ ضدّ المكيين المشركين. والسرية المذكورة بقيادة عبدالله بن جحش، انظر ابن هشام سيرة الرسول ط. وستنفلد ص ٤٢٣. والخطيب البغدادي في الكفاية ص ٣١٢ يستشهد أيضاً بهذه السابقة.

(١١) أصله من الأندلس، إلاّ أنّه مات في المشرق في دِيْنور عام ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م - ١٠٠٢م، وفي الأعلام لائحة طويلة بمصادر ترجمته ٩/١٣٩، ولم يُعرف لكتابه أصل مخطوط حتى يوم الناس هذا (لذلك لم يذكره بروكلمان) وسجّله حاجي خليفة ط. فلوجل رقم ١٤١٧٥، الجزء ٦ ص ٤٢٣، دون أن يذكر سنة وفاته التي نجدها مثبتة في طبعة Yaltkaya Bilge وفيها خطأ مطبعي ٢٩٢ هـ بدلاً من ٣٩٢هـ.

وإنْ اختار أَحَدٌ في المُجازِ له والتحديث به غيرَ ما اختاره المؤلّف وعيّن عليه، فقد وُسِّعَ له لكِنْ يكون بلفظٍ مشعرٍ بالإجازة وعبارة مُعَبِّرَةٍ عنها غير مغيّرة للمرسوم فيها.

ولكي يُبَيّن السلفي قيمة المصطلحات التي اختارها يستشهد بعددٍ من الشيوخ، كالبخاري(١٢)، وابن أبي حاتمِ الرازي(١٣)، والأوزاعي(١٤)، ثم يروي طُرْفَةً قويةَ الدلالة فيما نحن فيه حَتّى لَتَسْتَأهِلُ الذكر هنا فإليكها: «سَمِعْتُ أبا علي البُرادني(١٥) الحافظ ببغداد يقول: سَمِعْتُ أبا القاسم واصل بن حمزة البخاري(١٦) يقول: قَدِم علينا مَنْ لَفْظُهُ وحِفْظُهُ(١٧) يقول: دَخَلْتُ علىٰ الشيخ أبي العباس جعفر بن محمّد بن المعتز المستغفري الخطيب بنسف(١٨) فَسَألته الإجازة فقال لي: سَمِعْتُ الخليل بن أحمد السجستاني(١٩) يقول: سمعت أبا طاهر الدباس(٢٠) يقول: معنىٰ قول

---

(١٢) محمد بن إسماعيل، ١٩٤هـ/ ٨١٠م - ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م، انظر مقالة J.Robsan في الموسوعة الإسلامية ط. ثانية ١/١٣٣٦.

(١٣) عبد الرحمن بن محمد، ٢٤٠ هـ/ ٨٥٤م - ٣٢٧ هـ/ ٩٣٩م انظر ملحق بروكلمان ١/٢٧٨، والأعلام ٤/٩٩.

(١٤) عبد الرحمن بن عمرو، مات عام ١٥٧ هـ/ ٧٧٤م انظر مقالة J.Schacht في الموسوعة الإسلامية ط. ثانية ١/٧٩٥.

(١٥) أحمد بن محمد بن أحمد مات عام ٤٩٨ هـ/ ١١٠٤م وله اثنتان وسبعون سنة، العبر ٣/٣٥٠، وذيل طبقات الحنابلة ١/٩٤ - ٩٥ (ولم يذكر هذا الكتاب في الأعلام). وضَبْطُ نسبته عن اللباب، وآخرون يكتبون (البَرداني).

(١٦) لم أجد له ترجمة.

(١٧) هكذا في أصل المخطوطة، والكلمات الثلاث الأخيرة يمكن أنْ تُقرأ على غير ما وجهٍ دون أنْ نصل إلىٰ تركيب يناسب السياق هنا.

(١٨) ٣٥٠هـ/٩٦١م - ٤٣٢هـ/١٠٤٠م. يُزاد إلى الإشارات الموجودة في مقالتنا «مخطوطة لكتاب دلائل النبوة لجعفر المستغفري في Studi orientalistici، المهدىٰ إلىٰ Giorgio Levi Dellavida، المجلد، ٢، روما ١٩٥٦ ص ٥٦٧ - ٥٧٢، الأعلام ٢/١٢٣.

(١٩) قاضي حنفي من سمرقند مات وله تسع وثمانون سنة في عام ٣٧٨ هـ/ ٩٨٨ م انظر الأعلام ٢/٣٦٣، العبر ٣/٧.

(٢٠) محمد بن محمد بن سفيان البغدادي الحنفي عرفتُ له ترجمتين (الوافي ١/١٦٢) رقم

الشيخ: أَجَزْتُ لك؛ أي أَجَزْت لك أَنْ تكذب عليّ، ثم قال لي جعفر بن محمد: ولكن جَعَلْتُ سماعاتي كَلّها كتباً مني إليك لتقول: كتب إليّ جعفر ابن محمد أَنَّ فلان بن فلان حَدّثنا قال: حَدّثنا فلان.

وفي عصر قريب من عصر السلفي كان لأديب مثل أبي نصر السجزي(٢١) رأيٌ غير واضح في الإجازة، رأي ارتيابي في البداية وإيجابيٌ بعد ذلك. كما ينقل السلفي الذي يَطّلع خلال إقامته في دمشق علىٰ جزء من الحديث أجازه أبو نصر كتابةً لأبي القاسم الحنائي وأخيه(٢٢)؛ مشيراً إلى أَنَّ الإجازة غير مرضية عنده، ولا يُخْفي السّلفي دهشته من التحفظ الذي يُبديه أبو نصر في الإجازة لأنه يعلم أنَّه كان قد أجاز أبا محمد بن السراج(٢٣). وبعد ذلك بوقت قصير يَطّلعُ السلفي في دمشق نفسها علىٰ إجازة أخرىٰ أجازها أبو نصر(٢٤)؛ وبذلك يتحقّقُ له أَنّ أبا نصر هذا قد تسامح آخر عمره

٨٩، والجواهر ١١٦/٢ رقم ٣٥٤) مأخوذتين عن نص لابن النجار لا يتضمن تحديدات زمنية ونحن نعرف مع ذلك أنّ واحداً من شيوخه عبد الحميد أبو حازم توفي عام ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤م وقد أشار إليه العبادي (٣٥٧ هـ/ ٩٨٥م - ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥ - ١٠٦٦م) في كتاب طبقات فقهاء الشافعية ط. ليدن ١٩٦٤ ص ٥ س ١ - ٨.

(٢١) عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي مات في مكة عام ٤٤٤ هـ/ ١٠٥٣ م بَعْدَ أنْ تجوّل في خراسان والهند ومصر، تذكرة الحفاظ ١١١٨/٣ - ١١٢٠ رقم ١٠٠٥، العبر ٢٠٦/٣، والأعلام ٣٤٩/٤.

(٢٢) أبو القاسم هو الحسن بن محمد بن إبراهيم الدمشقي مات عام ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦ - ١٠٦٧م، العبر ٢٤٥/٣ وأخوه علي مات قبله في عام ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٦ - ١٠٣٧ م وله ثمان وخمسون سنة بعد أنْ خرّج لنفسه معجماً كبيراً، العبر ١٦٦/٣، وابن أبي القاسم أبو طاهر محمد المتوفى وله سبع وسبعون سنة في عام ٥١٠ هـ/ ١١١٦م، العبر ٢١/٤، سماه السلفي شيخنا، وهو بلا شك رأى جزء الحديث المعني في بيته.

(٢٣) جعفر بن أحمد بن حسين، أديب مشهور عاش بين ٤١٧ هـ/ ١٠٢٧م - ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م بروكلمان ط ٤٣١/١،٢٠، الملحق ٥٩٤/١، أعلام ١١٥/٢ (يزاد إلى مصادره العبر ٢٥٥/٣) ويشير صاحب تذكرة الحفاظ ١١١٩/٣ إلى روايته عن أبي نصر.

(٢٤) هما إجازتان الأولىٰ أخرجها له المدعو أبو محمد بن التجاني (قراءة غير مؤكدة لاسم شخص غير معروف) مكتوبة بخط عبد العزيز بن ثعلبة السعدي الأندلسي (لم أجد له

في هذا الضرب من تحمّل العلم؛ وفي السياق نفسه يقول السلفي: إنّه قد سمع في بغداد أبا جعفر بن يحيى بن الحكاك التميمي(٢٥)، وهو ثقة حافظٌ يروي عن أبي نصر حُكْماً لهذا الأخير يضع المناولة بمنزلة السماع. ويُخْتم القسم النظري من الكُتَيّب بالحديث عن الشروط الشخصيّة للإجازة:

فالعربيّ يصحُّ سماعه إذا بلغ أربع سنين، والعجمي إذا بلغ ست سنين مع أنّه توجد رواية عن الإمام الشافعي حَدّد فيها السنَّ التي يجوز فيها السماع بعد السابعة للنّاس كُلِّهم.

أمّا رأي السلفي الذي أدرك عليه الحفّاظ من مشايخه فهو أنّ الإجازة تجوز لجميع الناس دون النظر إلىٰ السن، فهي تجوز للصغير كما يجوز له الحبس والهبة؛ وإنما يؤخذ لَهُ من شيوخ الوقت حَتّىٰ إذا بلغ مبلغ الرواة روىٰ ما يصح لديه من حديثهم.

وكان الخطيب البغدادي قد خَصَّصَ لهذا الأمر جزءا لطيفاً، ذهب فيه إلىٰ جواز إجازة المعدوم فكيف للمولود الموجود(٢٦).

أمَّاَ بقية الكتاب (بعد الورقة ٤) فهي مُخَصَّصَةٌ لذكر مَنْ كاتبوا السلفي مرتبين ترتيباً جغرافياً(٢٧).

= ترجمة) وقد وصفه المؤلف بأنّه كان من أهل العلم ثقة يحدث عن أبي الفضل الحكاك (انظر الحاشية التالية). والثانية نقلها سهل بن بشر الإسفرائيني أبو الفرج البسطامي الدمشقي الصوفي ٤٠٩ هـ/ ١٠١٨م - ٤٩١ هـ/ ١٠٩٧م، العبر ٣٣١/٣.

(٢٥) ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م - ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، تذكرة الحفاظ ١٢١٣/٤ ترجمة رقم ١٠٣٣ وفيها أنّه يروي عن أبي نصر السجزي، ويُذكر السلفي في الحديث عنه.

(٢٦) انظر تفصيل الأمر في الكفاية للخطيب ط. مذكورة آنفاً ص ٣٢٥: ويبدو الخطيب في هذا الموضع شديد الحذر بخصوص جواز إجازة المولود الذي سيولد.

(٢٧) نجد في هذا القسم كثيرا من التفصيلات التي تجدر دراستها وإخراجها، ولكنها هنا تخرج عن قدرة المكان المخصص لهذا المقال؛ ولعلّنا راجعون إليها في مناسبة أخرىٰ.

١ ـ بغـــداد

١ ـ (الورقة ٥ أ)

رزق الله بن عبد الوهاب التميمي شيخ الحنابلة أبو محمد (مات وله ٨٨ سنة في عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م: العبر ٣/ ٣٢٠) وكان السلفي قَدْ رآه في صباه لما جَاءَ رزق الله أصبهان رسولاً من الخليفة.

٢ ـ (الورقة ٥ ب)

الحسن بن أحمد بن طلحة النعالي [البغدادي الحمامي] أبو عبدالله (مات مُسِنّاً سنة ٤٩٣ هـ/١٠٩٩م: العبر ٣/ ٣٣٦).

٣ ـ (الورقة ٦ أ)

طرّاد (طِرَاد، تختلف المصادر في ضبط اسمه) بن محمـد بن علي الزينبي نقيب نقباء الهاشميين أبو الفوارس (٣٩٩ هـ/ ١٠٠٨م ـ ٤٩١ هـ ـ ١٠٩٧م: العبر ٣/٣٣١).

٤ ـ (الورقة ٧ أ)

أحمد بن الحسن بن أحمد [الكُرْجي] الباقِلّاني أبو طاهر (٤١٦ هـ/ ١٠٢٥م ـ ٤٨٩هـ ـ ١٠٩٥م: العبر ٣/٣٢٤).

٥ ـ (الورقة ٧ أ ـ ٧ب)

أحمد بن عبد القادر بن محمد الأصبهاني الأصل البغدادي المولد أبو الحسن [العبر والشذرات ٣/٣٩٧: أبو الحسين] (مات وله ٨١ سنة في عام ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٨م: العبر ٣/٣٣٣).

٦ ـ (الورقة ٧ب)

علي بن الحسين بن علي البـزاز المـوصلي أبـو الحسن ٤١٠ هـ/

١٠١٩م ـ ٤٩٢هـ/ ١٠٩٠ ـ ١٠٩١م المنتظم ١١١/٩؛ العبر ٣٣٤/٣، انظر جورج مقدسي، ابن عقيل ص ٥٠٠ رقم ٤.

٧ ـ (الورقة ٩ أ)

محمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الرعد العكبري (لم أجد له ترجمة؛ وبحسب السلفي أنَّه كان حياً عام ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م)

٨ ـ (الورقة ٩ ب)

أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي المعدّل أبو الفضل ٤٠٦هـ/ ١٠١٥ م ـ ٤٨٦ هـ/ ١٠٩٣م العبر ٣١٩/٣) وقد أقام في الأندلس حيث أجاز أبناء هود الأمراء.

٩ ـ (الورقة ١٠ أ)

محمد بن أحمد بن طوق أبو الفضل (لَمْ أجد له ترجمة، والسلفي يُحَدِّد وفاته بـ ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م).

٢ ـ البصرة

١٠ـ (الورقة ١٠ أ ـ ١٠ب)

جعفر بن محمد (أبو بكر) بن فضل القرشي العباداني البصري أبو طاهر، مات عام ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م السمعاني، أنساب ٣٧٩ ب، العبر ٣٣٦/٣، يُحَدِّد التاريخ الدقيق لوفاته.

١١ـ (الورقة ١١ أ)

محمد بن أحمد بن عمر النهاوندي أبو عمر (٤١٠هـ/ ١٠١٩م ـ ٤٩٧ هـ/ ١١٠٣م
المنتظم ١٤١/٩، جواهر ٢٠/٢، جورج مقدسي، ابن عقيل ص

١٨٠ رقم ٢ ، وصفحة ٤١٠ رقم ٢ ، وفيه تاريخان مختلفان لوفاته .

١٢ـ (الورقة ١١ أ ـ ١١ ب)

محمد بن عبيد الله بن الحسين قاضي البصرة أبو الفَرج (لَمْ أجد له ترجمة، وقد توفي بحسب السلفي عام ٤٩٩ هـ/ ١١٠٥م).

١٣ـ (الورقة ١٢ أ)

أحمد بن محمد بن القاسم الدباس المالكي أبو طاهر المعروف بابن دُبُقَة، ولد عام ٤١٧ هـ/ ١٠٢٦م، ولم يذكر المؤلف سنة وفاته (ولَمْ أجد له ترجمة).

١٤ـ (الورقة ١٢ أ ـ ١٢ ب)

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمويه العبدي أبو طاهر ٤٢٩ هـ ـ ١٠٣٧ م ـ ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م (لَمْ أجد له ترجمة).

٣ ـ مَكّــة

١٥ـ (الورقة ١٢ أ ـ ١٢ ب)

عيسىٰ بن [عبد] أبي ذر الهروي أبو مكتوم (٤١٥ هـ/ ١٠٢٤ م ـ ٤٩٧ هـ/ ١١٠٣م. العبر ٣٤٨/٣(٢٨).

١٦ـ (الورقة ١٣ أ ـ ١٣ ب)

محمد بن عمر بن عبد العزيز البخاري المجاور بمكة، الحنفي الملقب بـ كَاك، وصلت رسالته إلىٰ السلفي سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٢٩ م. توفي في العام التالي.

---

(٢٨) أجاز السلفي بوساطة محمود بن الفضل [بن محمود الصباغ الأصبهاني] (مات عام ٥١٢ هـ/ ١١١٨م المنتظم ٢٠٢/٩ ؛ تذكرة الحفاظ ١٢٥٢/٤، رقم ١٠٥٨ [وليس له ذكر في العبر] مقدسي، ابن عقيل ص ٤٥٠، رقم ٥)

الجواهر ٢/١٠١ رقم ٣٠٦.

١٧ـ (الورقة ١٤ أ)

محمد بن هبة الله بن ثابت البندنيجي الشافعي مجاور مكة أبو نصر، أجاز السلفي عام ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩م بوساطة أحمد بن محمد النحاس (؟) الأصبهاني(٢٩).

(البندنيجي، إمام ضريرٌ، عاش من ٤٠٧ هـ/ ١٠١٦م ـ ٤٩٥ هـ/ ١١٠١م

الصفدي، نكت الهميان، القاهرة ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م، ص ٢٧٧.

طبقات الشافعية ٨٥/٣، أعلام ٣٥٤/٧).

١٨ـ (الورقة ١٤ أ ـ ١٤ ب)

محمود بن عمر بن محمد الزمخشري أبو القاسم (مشهور ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥ م ـ ٥٣٨ هـ/ ١١٤٤م: بروكلمان ط ٢٠، ٣٤٤/١؛ الملحق ٥٠٧/١، أعلام ٥٥/٨)(٣٠).

١٩ـ (الورقة ١٤ أ ـ ١٤ ب)

عمر بن محمد بن عبدالله البسطامي البلخي أبو شجاع، استلم المؤلف رسالة بمروياته من بَلْخ ومن مكة (٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢م ـ ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م، العبر ١٦٨/٤، تذكرة الحفاظ ١٣١٨/٤).

٢٠ـ (الورقة ١٥ أ ـ ١٥ ب)

عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن الغزال المقرىء المصري المالكي

(٢٩) ليس لديَّ تحديدٌ مُوَثَّقٌ لهذا الشخص؛ وقراءة النحاس مشكوك فيها، ولَعَلَّ المعنيّ هو: أبو الفضل الحداد المتوفى وله ٩٢ سنة عام ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م ـ ١١٠٧م، العبر ٣٥٥/٣.

(٣٠) لا نجد في مخطوطتنا مختارات المؤلف من مراسلاته مع الزمخشري التي وعد بذكرها.

أبو محمد؛ وصل المؤلّفَ خبرٌ منه منذ عام ٤٩٣ هـ/ ١١٠٠م ولكنّه لَمْ يلتقِ بـه أبـدا، (٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨ م - ٥٢٤ - ١١٢٩م: العبـر ٥٦/٤).

٢١- (الورقة ١٥ أ - ١٥ب)

رزين بن معاوية بن عمار العبدري الأندلسي [السرقسطي) أبو الحسن (لا نعرف سنة ولادتـه، ابن بشكوال، الصلة، القـاهرة ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥م، ١/ ١٨٤ ترجمة رقم ٤٢٨.
وسنة وفاته ٥٢٤ هـ/ ١١٢٩م - ١١٣٠م محدّدة اعتمادا على رسالة وصلت محمد بن علي بن الحسين الطبري قاضي الحرمين؛ وتذكر مصادر أخرىٰ وفاته في ٥٣٥ هـ/ ١١٤٠م.
انظر: الملحق ١/ ٦٣٠ حيث أشار بروكلمان إلىٰ الاختلاف ولم يقطع فيه رأياً؛ الأعلام ٤٦/٣، العبر ٤/ ٩٥.

٢٢- (الورقة ١٦أ)

الحسن بن علي بن الفضل الآمُلي الطبري أبو زيد، كتب إلىٰ المؤلف من مكة سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣م (ولَمْ أجد إشارات أخرىٰ حَوْله).

٢٣- (الورقة ١٦ أ)

نبت(٣١) بن عبيد (وذكر بدلاً من عبيد في أوّل ترجمته: عبـد الرحمن) بن محمد النهدي اليمني الشافعي أقام بمكة منذ عـام ٤٧٧هـ / ١٠٤٨م، وصل خبره من مكة سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م (ولَمْ أجد إشارات أخرىٰ حَوْله).

---

(٣١) هذا الاسم غريب، والسلفي نفسه يقول: من الأسماء المفردة لا أعرف له سمياً.

٤ ـ الموصل

٢٤ـ (الورقة ١٦ أ ـ ١٦ ب)

نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان الذهلي الموصلي أبو القاسم (لم أجد له ترجمة، ونفهم من نَصّنا أنَّه يروي عن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن طوق، أصولي من الموصل، مات عام ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦ ـ ١٠٦٧ م وله سبع وسبعون سنة).

٥ ـ همـــذان

٢٥ـ (الورقة ١٧ أ)

إسماعيل بن محمد بن عثمان القومساني(٣٢)، للمؤلف إجازة منهُ في عام ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م (ولَمْ أجد له ترجمة).

٢٦ـ (الورقة ١٧ أ)

سعد بن علي العجلي أبو البديع، أجاز المؤلف في السنة نفسها ٤٩٤ هـ (ولَمْ أجد له ترجمة؛ وَقَدْ عرفه السلفي [بعد ذلك؟] في همذان.

٢٧ـ (الورقة ١٧ أ)

عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بُنْدار، أجاز السلفي في السنة نفسها (ولم أجد له ترجمة).

٢٨ـ (الورقة ١٧ أ)

محمد بن علي بن محمد المعرم أبو الفرج، أجاز السلفي في السنة نفسها (ولم أجد له ترجمة).

---

(٣٢) قومسا: قرية من نواحي أصبهان، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي.

٢٩ـ (الورقة ١٧ أ)

مكي بن بنجير بن عبدالله الشعار، أجاز السلفي دون شك في السنة نفسها (ولم أجد له ترجمة)

٣٠ـ (الورقة ١٧ أ)

عبد الغفار بن محمد، ليس لإجازته زمن محدد، وهي بلا شك في السنة نفسها (ولَمْ أجد له ترجمة)

٣١ـ (الورقة ١٧ أ)

محمد بن جابار بن علي، المعروف بـ وفا (الملاحظة السابقة نفسها).

٣٢ـ (الورقة ١٧ أ)

نصر بن محمد بن علي بن زيرك (الملاحظة السابقة نفسها)

٣٣ـ (الورقة ١٧ أ)

فيد بن عبدالرحمن بن شاذي الشعراني، وصلت رسالته من بغداد سنة ٤٩١ هـ/ ١٠٩٧م بوساطة أبي نصر اليونارتي(٣٣). ثم وصلت إجازته من همذان في عام ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م (ولم أجد له ترجمة) إلاّ أنَّ الذهبي يشير إليه مرتين في العبر ٤/ ١٥٩ ـ ٢٧٥ كراوية علماء همذان.

٣٤ـ (الورقة ١٧ أ ـ ١٧ ب)

بُنْجَيْر بن منصور الهمذاني أبو ثابت شيخ الصوفية، أجاز السلفي

(٣٣) الحسن بن محمد بن إبراهيم مات في الستين من عمره عام ٥٢٧ هـ/ ١١٣٢م، رحل إلى هراة وبَلْخ وبغداد، ويونارت كانت قرية من نواحي أصبهان: العبر ٤/ ٧١، (وقد ذكره السلفي غير مرة في كُتيّبه وأخبر عنه).

بوساطة اليونارتي (ولم أجد له ترجمة)(٣٤).

٦ ـ أسد آباذ في قهستان

٣٥ـ (الورقة ١٨ أ)

عمر بن علي بن جبريل القيم أبو حفص (لَمْ أجد له ترجمة)

٧ ـ أستراباذ(٣٥)

٣٦ـ (الورقة ١٨ أ)

ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي أبو محمد (لَمْ أجد له ترجمة)

٨ ـ خراسان

٣٧ـ (الورقة ١٩ أ)

عبد الغفار بن محمد بن الحسين الشيروي أبو بكر، وصل خبره عام ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩ م الأنصاري النيسابوري، توفي عام ٥١٠ هـ/ ١١١٦م عن ٩٦ سنة: أنساب ٣٤٥ ب، العبر ٤/ ٢٠.

تَعْقيبات

حاشية رقم ٢

ذكر الذهبي هذا الكتاب في عداد كتب السِّلَفي في سير أعلام النبلاء

(٣٤) أستاذه في التصوف هو جعفر بن محمد بن الحسن الأبهري أبو محمد، الذي لم أجد له أخباراً في مناسبة أخرى غير ما ذكره المؤلف من أخباره المهمة في نَصِّنا هذا، وسأدرس هذه الأخبار في مناسبة أخرى.

(٣٥) هي بلا شك مدينة في طبرستان أشار إليها في معجم البلدان (البداية) وبحسب السمعاني في الأنساب، حيدر آباد ١، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢م ص ١٣١ القراءة الصحيحة للنسبة إليها هي: إستراباذي.

٢١/٢١ وسماه «الوجيز في المجاز والمجيز» ونقل عنه دون تصريح في المرجع نفسه ٨/٢١ في ترجمة السلفي. ولم يعرفه صاحب هدية العارفين ولا ذكر له في كشف الظنون ولا في ذيله. وقال الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في فهرس الفهارس ١١٣٠/٢ (٥٦١): «الوجيز في ذكر المجاز والمجيز: للإمام الحافظ أبي طاهر السلفي أرويها بأسانيدنا إليه (انظر حرف السين) وفيها كلام جيد في تصحيح الرواية بالإجازة والعمل بها نقله أبو التوفيق الدكالي في «سمط الجوهر». وانظر فهرس الفهارس ٩٩٤/٢ (٥٦٥) والحديث عن سمط الجوهر في ١٠٦٠/٢ (٥٣٤). ولم يعرفه بروكلمان في مؤلفات السلفي.

وفي ترجمة السلفي: انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢١ ـ ٣٩ وفي حاشية الصحفة (٥) ذكر لمصادر كثيرة يُضاف إليها مقالة للدكتور سهير محمد زمان في مجلة Islamic Studies = دراسات إسلامية، العدد، ١٩٨٥/٤/٢٤ بعنوان «مصادر ترجمة السلفي» ٤٩٣ ـ ٥٠٢.

ويُزاد إلى المصادر المذكورة في موسوعة الإسلام حَوْل الإجازة: كتاب الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ط. دار التراث ـ القاهرة. تح السيد أحمد صقر ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠م) ص ٨٨ ـ ١٠٧.

حاشية رقم ٥

لَعَلَّ العنوان الذي أراده أبو طاهر السلفي لما نعرفه اليوم بعنوان «معجم السَّفَر» هو «المعجم المؤرّخ» لأسباب سنوضحها بعد الحديث عن معجم السفر. ذكر بروكلمان في عداد كتب السلفي كتاباً سماه «معجم الشعراء» واعتمد في ذلك على نقول وجدها في معجم الأدباء لياقوت الحموي انظر بروكلمان، الأصل ٤٥٠/١ (٣٦٥) والملحق ٦٢٤/١ وتبعه

فؤاد سزكين في نسبة الكتاب للسلفي بعنوان «معجم الشعراء» انظر: تاريخ التراث العربي (بالألمانية) مج ٢/ ٩٧ والترجمة العربية مج ٢ ج١/ وقد أشار الأستاذ مطاع الطرابيشي في مقدمته لكتاب «سؤالات الحافظ السلفي» (ص ٢٢) أنّ ما جاء عند بروكلمان تصحيف ومنقولات ياقوت من معجم السفر الذي تَصَحَّف في المطبوعة إلى «معجم الشعراء». وكان بروكلمان قد ذكر الأماكن التي نقلها ياقوت عن معجم الشعراء الموهوم فأخطأ في موضعين ينقل فيها ياقوت عن السؤالات والمشيخة البغدادية في حين أنّ بروكلمان ظَنَّهُ يَنْقل عن معجم الشعراء المصحف عن معجم السفر.

وفي مقدمة الأستاذ الطرابيشي (ص ٢١) أنّ المرحوم حسن عبد الوهاب ذكر أنّ نسخة الأصل كانت في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة؛ ومنه نسخة بدار الكتب المصرية تنقص الأوّل والآخر؛ مأخوذة بالتصوير الشمسي.

ذكر ذلك في مجلة الكتاب (سنة ١٩٤٦م: مج ٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٦).

وأنّ الأستاذ عمر رضا كحالة في (المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة)، أنّ في مكتبة عارف حكمت كتاباً عنوانه «معجم الحفاظ ـ لأبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني في ٤٠٨ صفحات؛ نُسخة مذهبة؛ تاريخ نسخها ١٢٣٩ هـ».

ورجّح الأستاذ الطرابيشي أنّها النسخة التي أشار إليها حسن عبد الوهاب.

قُلْتُ: ووصف الأستاذ الدكتور إحسان عباس هذه النسخة التي أخرج عنها «أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر» في مقدمته لطبعة بيروت ـ دار الثقافة ١٩٦٣ (الطبعة الثانية مصورة بيروت ١٤٠٥ هـ ـ

١٩٨٥ م).

فقال: رقمها في مكتبة عارف حكمت ١٧٦/ حديث، حديثة النسخ حسنة الترتيب كتبها عبد الحفيظ بن محمد صالح حماد سنة ١٢٣٩هـ وأصلها منقول عن جُذاذات بخط المؤلف وتقع في ٢٣٩ ورقة وهي مكتوبة بخط واضح قليل الخطأ. . المقدمة ص (١٣) وذكر أنّ من الكتاب نسخة أخرى مصورة بدار الكتب المصرية وهي ذات أوراق مضطربة ولَمْ يذكر لها رقماً.

وأقول: إنّ من الكتاب نسخة ناقصة أوردها صانعو فهارس مكتبة جستر بتي في دبلن بعنوان «معجم الشعراء» بالاعتماد على ما جاء عند بروكلمان وهو تصحيف كما ذكرنا. وقد جاء على غلاف النسخة «معجم السلفي» وهي في المكتبة برقم ٣٨٨٠ ناقصة مضطربة، لديَّ صورة عنها وهي في (٢٤٤) ورقة.

وطُبع من الكتاب الجزء الأوّل بتحقيق الدكتورة بهيجة الحسني في بغداد ١٣٩٣/ ١٩٧٨م ولم أطلع عليه بلْ رأيت للدكتور بشار عوّاد معروف كلمة في نقد هذا الجزء في مجلة المورد مج ٨ ع ١ ـ ١٩٧٩م.

وقد نشره الدكتور سهير محمد زمان في إسلام آباد ضمن مطبوعات معهد البحوث الإسلامية برقم (٨١) ١٩٨٨م وجاء كما وصفه جورج مقدسي في مجلة «دراسات إسلامية Islamic Studies العدد ٢٧/ ١٩٨٨» في ٤٤٩ صفحة وذيله في ١٩١ صفحة ومصادره في ٦ صفحات والتعليقات في ٥٥ صفحة، وسبع لوحات من المخطوطات التي اعتمدها والمقدمة في ١٢٤ صفحة وفيه فهارس متنوعة ولم أطلع عليه بَعْدُ.

وكان الدكتور سهير محمد زمان قد نشر في المجلة نفسها مقالتين حَوْل السلفي:

الأولى: «مصادر ترجمة السلفي» سبقت الإشارة إليها في التعليق على الحاشية ٢.

والثانية: «تحصيل السلفي للحديث والقراءات في أصبهان» نجدها في العدد (٢٥/٢/١٩٨٦، ص ١٥١ ـ ١٥٩).

والشائع بين العلماء أنّ «معجم السفر» لَمْ يَضَعْه السلفي بشكله النهائي والظاهر كما يقول الدكتور بشار عواد معروف أنَّه كان على شكل جزازات هيأ الله لها أحد الفضلاء فَدَوَّنها على شكل كتاب. وهذا الفاضل هو زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ صاحب الكتاب المشهور «التكملة لوفيات النقلة» وقام ولده الشاب رشيد الدين المنذري المتوفىٰ سنة ٦٤٣ هـ بنسخه عن نسخة والده. وكان السلفي قد كتب كُلّ ترجمة بجزازة فبيضها المنذري كما تجيء لا كما يجب. . وقال شمس الدين السخاوي المتوفىٰ سنة ٩٠٢ هـ في كتابه الإعلان عند كلامه على كتابه المرتب على حروف المعجم: «وجَمَعْتُ كتاباً حافلاً على حروف المعجم أصلته من. . و «معجم السفر» للسلفي وهو في مجلد، كثير الفوائد بخط محمد بن المنذري، قال عن أبيه الزكي إنّه وقع له بخط السلفي في جزازات كل ترجمة في جزازة فبيّضها ورتبها كما تجيء لا كما يجب. وكذا لم يكن ترتيبه كما ينبغي، ولم يكن فيه من الإصبهانيين أحد».

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٦/٢١.

«وقد جمعوا له من جزازه وتعاليقه «معجم السفر» في مجلد كبير» وذكر الدكتور بشار عواد معروف أنّ عبارة المنذري موجودة في صدر نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة «انظر مقالته المذكورة آنفا: ص ٣٨١).

وذكر الأستاذ الطرابيشي في مقدمته لسؤالات الحافظ السلفي (ط. دار الفكر ـ ١٩٨٣ ص ٢١) «ولَعَلّ هذا المعجم كان يُعْرَف أحياناً باسم

التعاليق فقد قال الحافظ ابن نقطة خلال حديثه عن أبي محمد الجلاّلي اللواتي: «حكى عنه أبو طاهر السلفي في تعاليقه» وما أراه أشار إلى غير معجم السفر هذا».

قلت: والسلفي في الوجيز [٢ أ] يأتي على ذكر كتاب له يسميه «المعجم المؤرّخ» ولا نجد بين مؤلفاته ذكراً لمثل هذا الكتاب وعلّق الأستاذ فاجدا على الكتاب فقال: ولعل المعنيّ هو معجم السفر (الحاشية ٥ من المقال المترجم).

فماذا يقول السلفي عن هذا الكتاب؟

«فإني لمّا فَرَغْتُ من ذكر من لقيته من الرواة، وكبار الحفّاظ والوعاة، وإثبات مَنْ عَلَّقْتُ عنه شيئاً من الحديث؛ وإن لَمْ يكن عارفاً بقوانين الرواية والتحديث، وتسمية من استفدت منه فائدة فقهية أَوْ أدبيّة أو زهدية، أو استنشدته فأنشدني شيئاً من شعره وبنات فكره، أو ممّا أنشده مَنْ شاهده مِنْ أديب بارع أو راوية جامع، ودَوَّنْتُ ذلك كله في كتاب تَرْجَمْتُهُ بِالمعجم المؤرَّخ، إذْ بَيَّنْتُ فيه درجاتهم، وعَيَّنْتُ على ضُعفائهم وثقاتهم، وأَتَيْتُ على ما يُحْتَاج إليه من أقوالهم، ونبَّهْتُ على رتبهم ومحالّهم، ولَمْ أُورِدْ عن أحد منهم غير حديث واحد لا أكثر، أو حكاية أو مَقْطُوع من الشعر وإنْ كان غير قائله منه أَشْعَر؛ آثَرْتُ أَنْ أضيف إليه أيضاً. . غير أَنِّي خالفت الطريق الذي قد سَلَكْتُ في كتاب المعجم، فالمعجم على ترتيب حروف التهجّي كاملة. . .».

وما ثبت عندي أنّ هذا الوصف ينطبق على الجزء الباقي في مخطوطة جستر بتي وعلى منقولات ياقوت.

ولَعَلّ المنذري ناسخ الكتاب هو الذي سَمّاه بمعجم السفر لمّا وقع

إليه في جزازات ولَعَلّ ما وقع إليه لا يعدو أنْ يكون مسودة المعجم المؤرّخ الذي ينص السلفي في النص الذي نقلناه عن الوجيز أنَّه فرغ منه وأنَّه مرتب على ترتيب حروف التهجّي كاملة. ولَعَلّ وجود الكتاب على جزازات هو ما دفع ابن نقطة إلى تسميته بالتعاليق.

وَقَدْ وَجَدْت السلفي يقول في الوجيز [١٧ ب] في ترجمة «أبي الحسن فيد بن عبد الرحمن بن شاذي الشعراني (من شيوخ همذان)».

(وَلَمْ يَقَعْ إليَّ مِنْ حديثه وروايته كبير شيء، وكُنْتُ رأيْتُ ولَدَهُ محمداً بإصبهان وحضرت مجلس وعظه وأنْشَدَني بيتَيْن عَلِقْتُهُما عنه وذكَرْتُهُما في المعجم المؤرّخ.) ولَمْ أجد البيتين في نسختي الناقصة من معجم السفر، ولعلّ الله يمنُّ بالحصول على نسخة من الكتاب تامة لأستجلي حقيقة الأمر في ذلك.

فإمَّا أنَّ معجم السفر هو المعجم المؤرّخ وإمَّا أنَّ نصّ الوجيز يشير إلى معجم آخر من معاجم شيوخ السلفي لم تذكره كتب التراجم وأُراني أميل إلى القول بالرأي الأوّل.

حاشية رقم ١١

من كتاب «الوجازة» نقول في الإلماع للقاضي عياض (انظر الفهارس) وكذلك في فتح المغيث للسخاوي ٢٢٥ وانظر: فهرس الفهارس والإثبات ٢/١١٢٣ (٦٣٤)، ٢/١١٢٩ ـ ١١٣٠ (٥٥٩)

والسيوطي في تدريب الراوي ٢/٥٢.

وانظر في ترجمة المؤلف: سير أعلام النبلاء ١٧/٦٥ ـ ٦٧ وفي حاشيته (ص ٦٥) ذكر لمصادر كثيرة.

الحاشية ٦ ـ ٧

وانظر: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض ص ٨٨ ـ ١٠٧.

الحاشية ١٥

انظر: في ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد البرداني (توفي ٤٩٨ هـ/ ١١٠٤م)
سير أعلام النبلاء ١٩/٢١٩ ـ ٢٢١ وفي حاشيته مصادر كثيرة. وقال ياقوت في معجم البلدان ١/٥٥٢.

«البردان: من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها قرب صريفين، وهي من نواحي دجيل. وانظر شذرات الذهب ٣/٤٠٨.

الحاشية ١٦

تَرْجم لواصل بن حمزة البخاري الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٣/ ٤٩٣ (٧٣٤٥) فقال:

«واصل بن حمزة بن علي بن أحمد بن نصر أبو القاسم الصوفي البخاري، قدم بغداد وحدّث بها عن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن محمد وأبي حامد أحمد بن محمد البخاريَّيْن. كَتَبْتُ عنه ولم يكن به بأس. أخبرنا واصل بن حمزة في سنة ٤٥٠ هـ.

الحاشية ٢٤.

لَمْ يُحْسِنْ كاتب المقال قراءة اسم الشيخ الذي أخرج للسلفي بدمشق إجازة أبي نصرالوائلي والقراءة الصحيحة هي: أبو محمد بن الأكفاني وهو: هبة الله بن أحمد بن محمد الأنصاري الدمشقي الحافظ توفي سنة ٥٢٤ هـ

وله ثمانون سنة.

انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٥٧٦ ـ ٥٧٨

الحاشية ٢٦

يشير السلفي إلى كتاب للخطيب البغدادي في الإجازة وعنوانه «إجازة المعدوم والمجهول» وقد طبع ضمن مجموعة «رسائل في علوم الحديث» بعناية صبحي البدري السامرائي نشر المكتبة السلفية عام ١٩٦٩م.

الحاشية ٢٧

أَنْهَينا تحقيق الكتاب بانتظار مَنْ يَطْبَعُهُ.

شـيوخ بغـداد

رقم ١ الخليفة المذكور في ترجمة رزق الله بن عبد الوهاب التميمي (٤٠٠هـ ـ ٤٨٨ هـ) هو: المقتدي بالله عبد الله (عبيد الله) بن محمد (٤٤٨ ـ ٤٨٧هـ / ١٠٥٦ ـ ١٠٩٤م) ولي الخلافة سنة (٤٦٧هـ) وكان عالي الهمة له علم بالأدب.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣١٨ ـ ٣٢٤ والأعلام ٤/١٢٢

رقم ٤ أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن خُداداد الكَرَجي الباقلاّني البغدادي ولد سنة ٤١٦ هـ وتوفي سنة ٤٨٩ هـ

انظر سير أعلام النبلاء ١٩/١٤٤ ـ ١٤٥

وفيه: وأجاز للسلفي.

وقد تَصَحّفت نسبته إلى الكرخي في معظم المصادر انظر: شذرات الذهب ٣/٣٩٢.

رقم ٧ ذكر السلفي بين شيوخ بغداد الذين كاتبوه:

محمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الرعد العكبري

قال كاتب المقال: «لَمْ أجد له ترجمة، وبحسب السلفي أنَّه كان حَيّاً عام ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م وأقول: حَدّد السلفي وفاته فقال: «توفي ببغداد وأنابها في صفر سنة أربع وتسعين، ولَمْ يتفق لي سماع شيء عليه على أني قَصَدْته غير مرة فلم أصل إليه لعارض مرضٍ برّح به وبلغ منه وحضرت جنازته. وكان يروي عن ابن شهاب العكبري (٤٢٨).

وقد ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٩٧/٥ حوادث سنة ٤٦٧هـ «وفيها توفي محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن أبي الرعد الفقيه الحنفي قاضي عُكْبَرا. كان إماماً فقيهاً صادقاً ثقة مات بعكبرا يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر.».

رقم ٩ أبو الفضل محمد بن أحمد بن طوق.

قال كاتب المقال: «لم أجد له ترجمة، والسلفي يُحَدّد وفاته بـ ٤٩٤هـ / ١١٠٠م» قُلْتُ: ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية ١٦١/١٢ (ط. ٢ بيروت ١٩٧٧م) فقال: «أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق أبو الفضائل الربعي الموصلي. تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وسمع من القاضي أبي الطيب الطبري وكان ثقة صالحاً كتب الكثير».

شيوخ البصرة

رقم ١٢ محمد بن عبيد الله بن الحسين قاضي البصرة أبو الفرج

قال كاتب المقال: «لم أجد له ترجمة، وقد توفي بحسب السلفي عام ٤٩٩ هـ/ ١١٠٥م».

قلت: ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية ١٦٦/١٢ في وفيات سنة

٤٩٩ هـ فذكر أنَّه سمع أبا الطيب الطبري والماوردي وغيرهما، ورحل في طلب الحديث، وكان عابداً خاشعاً عند الذكر. وانظر المنتظم ١٤٧/٩ ـ ١٤٨.

رقم ١٣ أبو طاهر الدباس أحمد بن محمد بن القاسم الدباس المالكي

في أصل المقال: ابن ذبقة، والذي في المخطوط: ابن دُبُقة ولَعَلّ المُتَرْجم في الوافي بالوفيات ١/١٦٢ وفي الحاشية رقم ٢٠ من المقال والمتوفىٰ سنة ٣٧٨ هـ/ ١٩٨٨ م هُوَ والده.

وانظر: تاريخ التراث العربي «الترجمة العربية» مج ١ ج ٣ ص ٦٧.

الحاشية ٢٥

لا يروي السلفي مباشـرة عن ابن الحكاك بَـلْ إنَّه لَمْ يـره، يقول: «وجعفر هذا ثقة، حافظ ويعرف بمكة بابن الحكاك قدم إصبهان وكتب عنه أقراني ولم أره أنا.».

وهو يروي عنه بطريق محمد بن مرزوق الزعفراني البغدادي الحافظ التاجر أبي الحسن أكثر عن ابن المسلمة وأبي بكر الخطيب وسمع بدمشق وأصبهان. توفي سنة ٥١٧ هـ. وكان متقناً ضابطاً ويذاكر.

انظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٧١ ـ ٤٧٢.

وترجمة جعفر في السير ١٩/ ١٣١-١٣٢.

شيوخ مكة المكرّمة

رقم ١٦ انظر في ترجمته المنتظم ١٠/ ٢٤ (٣٠)

رقم ٢٢ ورد ذكر ابن البصري في خبر يرويه السلفي في معجم السفر وسننقل

الخبر في التعليق على شيوخ همذان ٢٩ وفي الخبر أنّ مكي بن بنجير الشعار الهمذاني الذي أجاز السلفي قرأ كتاب «حلية الأولياء» لأبي نُعَيْم الأصبهاني على ابن البصري هذا.

شيوخ الموصل

رقم ٢٤ نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان الذهلي الموصلي أبو القاسم

ذكره السلفي في معجم السفر «نسخة جستر بتي» في ترجمة عيسىٰ بن أحمد بن هبة الله الموصلي. وأمَّا شيخه أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن طوق المتوفى (٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦ ـ ١٠٦٧م) فله ترجمة في شذور الذهب ٣/٣٠٧ واللباب ٣/١٩٤ عن الأنساب ٥/٣٤١ وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/١٧.

قلت: ولَعَلّ ابن طوق هذا والد مجيز السلفي محمد بن أحمد بن طوق أبو الفضل المتوفى سنة (٤٩٤هـ) وترجمنا له في التعقيب على شيوخ بغداد (رقم ٩).

شيوخ همذان

رقم ٢٥ إسماعيل بن محمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن علي المعروف بالقومساني.

للسلفي منه إجازة في عام ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م، وقال كاتب المقال: «لم أجد له ترجمة» قلت: وقد وقفت له على ترجمة في البداية والنهاية ١٢/١٦٤.

يعرف بأبي الفرج، سمع من أبيه وجده وكان حافظاً حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون مأموناً. توفي سنة ٤٩٧ هـ.
وانظر معجم البلدان ٤/٤١٤ (قومسان)

رقم ٢٦ سعد بن علي العجلي: قال كاتب المقال: لَمْ أجد له ترجمة»

قلت: وقد وقفت له على ترجمة فردة في سير أعلام النبلاء ١٩/١٩٧ يقال له أبو منصور سعد بن علي بن حسن العجلي الأسد آباذي ثم الهمذاني الشافعي قال السمعاني: هو ثقة، مفتٍ مناظر، كثير العلم والعمل. سمع أبا إسحاق البرمكي وكريمة المروزية وطائفة. قال الإمام الذهبي: روى عنه أبو علي أحمد بن سعد ابنه وإسماعيل بن محمد التيمي، وبالإجازة أبو طاهر السلفي، قال السمعاني: مات في ذي القعدة سنة ٤٩٤ هـ.

سير أعلام النبلاء ١٩/١٩٧
والمنتظم ٩/١٢٥، الوافي بالوفيات ١٥/١٨١
وطبقات السُبكي ٤/٣٨٣، وطبقات الإسنوي
٢/٢١٣ - ٢١٤.

وسماه السلفي «أبو البديع» ذلك أن ابنه أبا علي أحمد بن سعد بن علي العجلي عرف بالبديع وهو من شيوخ السمعاني صاحب الأنساب.

انظر الأنساب ٤/١٦١، السبكي ٦/١٧
والإسنوي ٢/٢١٤

رقم ٢٩ مكي بن بنجير بن عبد الله الشعار

جاء في معجم السفر «نسخة جستر بتي» في ترجمة علي بن مكي بن بُنْجير الشعار الهمذاني: «وقد أجاز لي أبوه مكي جميع رواياته وكان من الحفّاظ».

الحاشية رقم ٣٠

نشرت الدكتورة بهيجة الحسني مراسلات الزمخشري مع السلفي في مجلة المجمع العلمي العراقي (العدد ٢٣) وانظر هذه المكاتبات في أزهار

الرياض ٣/٢٨٣ ووفيات الأعيان ٥/ ١٧٠ـ١٧١ .

رقم ٣٣ ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٠٨/١٩ أنَّ فيد بن عبد الرحمن ابن محمد الشعراني قد مات سنة ٤٩٨ هـ. وانظر المشتبه للذهبي ٥١٤/٢ .

رقم ٣٤ ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٧٦/١٧
فيمن حَدّثوا عن جعفر الأبهري
وجاء في معجم السفر «نسخة جستر بتي» حرف الطاء

«سَمِعْت طاهر بن محمد بن يحيى الحداد بهمذان يقول: أَخَـذْت الخرقة من يد بنجير بن منصور الهمذاني صاحب جعفر الأبهري، فقدم علينا أبو سعيد حفيد أبي العباس النهاوندي فكنت أخدمه وأستقي وضوءه فوهب لي يوماً مرقعة وألبسنيها فذكرت ذلك لبُنْجَيْر فأجازه وقال: ليس يكون للرجل شيوخ في الحديث؟ فكذا يجوز أنْ يكون له في التصوف شيوخ لتلحقه بركاتهم».

الحاشية ٣٤

جعفر بن محمد بن الحسين الأبهري ثم الهمذاني أبو محمد.ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٧٦/١٧ ـ ٥٧٧ .

وابن الجوزي في المنتظم ١٢٥/٩ (١٨٧)
وفي السير أنَّه حَـدّث عن صالح بن أحمد، وعلي بن الحسين بن الربيع وعلي بن أحمد بن صالح القزويني . . .

وحَدّث عنه . . وبنجير بن منصور
مات في شوال سنة ٤٢٨ هـ عن ثمان وسبعين سنة .

شيوخ أسد آباذ

رقم ٣٥ عمر بن علي بن جبريل القيِّم أبو حفص

ذكره السلفي في معجم السفر «جستر بتي» في ترجمة راشد بن علي ابن راشد المقرىء الأسد آباذي.

وذكره الذهبي في السير ٢٥٦/١٦ فيمن يحدثـون عن ابن السُّني، وفي ٢٥٧/١٦ حديث يرويه السلفي عن أحمد بن محمد بن مَرْدويه عن علي بن عمر الأسد آباذي عن أبي بكر السني.

وانظر في ترجمة راشد بن علي بن راشد المقرىء سير أعلام النبلاء ١٣/٢١ .

شيوخ أستراباذ

رقم ٣٦ ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي أبو الفضل

انظر الأنساب ٢٤١/٤ وفيـه أنّه ورد نيسـابور وحـدّث بها، وانـظر أعيان الشيعة ٣٦٥/٦أ ومعجم الرجال للخوئي ١٧٦/٩ (٦٠٣٤) وأبوه الداعي كان من أئمة الحديث وكذا ولده ظفر، قال السمعاني هؤلاء أهل بيت من علماء الحديث من الإمامية بأستراباذ.

وفي معجم الرجال: أبو الفضل ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي العُمَـرِي الأستر آبـادي: فقيه، ثقـة، صالـح قرأ على الشيـخ أبي الفتـح الكراجكي. وقد ترجم له السلفي في معجم السفر ولم يذكر سنة وفاته وذكر الحديث الذي يرويه في الوجيز [١٨ أ] بروايتيه. وانظر الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٢٠.

شيوخ خراسان

رقم ٣٧ أبو بكر عبد الغفار بن محمد بن الحسيني الشيروي (كذا في الأصل والشذرات وسير أعلام النبلاء وفي الأنساب ٣/٤٩٩ ضبط نسبته فقال:

«بكسر الشين وسكون الياء آخرالحروف وضَمّ الراء وسكون الياء وفي أخرها ياء أخرى، وهي نسبة إلى شيرويه جدّ» وعلى ذلك فهو: الشِيْرُوِيّ انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٢٤٦ ـ ٢٤٨ وشذرات ٤/٢٧ والنجوم الزاهرة ٥/٢١٣.

وذكر السلفي في شيوخ بغداد عَدَداً من الشيوخ الذين تَوَلّى أخذ إجازتهم له الشيخ أبو نصر اليونارتي وقال: ولم يَقَعْ إليّ حديث واحِد منهم، ومن جملتهم:

١ ـ **أبو بكر أحمد بن الحسين بن كيلان** لَمْ أقف له على ترجمة.

٢ ـ **كامل بن بارح بن خطلح الشهابي التركي** لَمْ أقف له على ترجمة.

٣ ـ **أبو غالب بركة بن أحمد بن عبدالله الواسطي**.

٤ ـ **أبو الفتح عبد الواحد بن علوان بن عقيل الشيباني** سمع أبا نصر أحمد ابن محمد بن حسنون وعثمان بن دُوْست وآخرين.

مولده سنة ٤٠٣ هـ، وعن شجاع الذُهلي أنه توفي في رجب سنة ٤٩١هـ

انظر سير أعلام النبلاء ١٩/١٢٨

والمنتظم ٩/١٠٦ ـ ١٠٧

٥ ـ **فلان بن هبة الله بن محمد بن أحمد بن أبي موسىٰ الهاشمي**.

لم أقف له على ترجمة.

٦ ـ **أحمد بن الحسين بن الحسين بن أبي قلاذ الحريمي**

لَمْ أقف له على ترجمة

٧ ـ أبو الحسن علي بن أبي القاسم الدينوري الزاهد

سمع أبا الحسن القزويني وأبا طالب بن غيلان. . وحدّث عنه كما يذكر الذهبي أبو طاهر السلفي، وتوفي سنة ٥٢١ هـ

سير أعلام النبلاء ١٩/٥٢٥ ـ ٥٢٦

المنتظم ١٠/٧ وشذرات ٤/٦٤

٨ ـ محمد بن الحسين بن عبدالله بن هريسة البزار

لَمْ أقف له على ترجمة.

٩ ـ الحسين بن أحمد بن أيوب العكبري لَمْ أقف له على ترجمة.

١٠ـ هبة الله بن عبد الرزاق بن محمد بن عبدالله بن الليث الأنصاري الأوسي الأشهلي ثم السَّعْدي البغدادي.

سمع جزء الحفار من صاحبه هلال بن محمد بن جعفر وسمع من أبي الحسين بن بشران. . وأجاز للسلفي.

ولد سنة ٤٠٢ هـ وتوفي سنة ٤٩١ هـ وكان من ذوي الهيآت ومن قُرّاء المواكب، صحيح السماع

تذكرة الحفاظ ٤/١٢٢٩، سير أعلام النبلاء ١٩/٤٤ـ٤٥ شذرات ٣/٣٩٧

ومِمَّنْ لَمْ أَقِفْ لهم على ترجمة من شيوخ البصرة.

١١ـ أبو طاهر محمد بن محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن علي بن مضر بن حباب العبدي الزاهد، ويُعْرف بابن محموية.

ومن شيوخ مكة

١٢ـ أبو زيد الحسن بن علي بن الفضل الطبري [الآمُلي]

١٣ـ نَبْت بن عبد الرحمن بن محمد النهدي اليمني

يقول عنه السلفي: «نبت من الأسماء المفردة ولا أعرف له سمياً. . ولد

في اليمن وقطن مكة. . ولم يبرحها إلى أن توفي بها.

وقد كان حياً في سنة ٥٢٦هـ كما يذكر السلفي.

ومن شيوخ الموصل:

١٤ـ أبو القاسم نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان الذهلي الموصلي ـ لم أقف له على ترجمة.

ومن شيوخ همذان:

١٥ـ عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بندار ـ لم أقف له على ترجمة.

١٦ـ أبو الفرج محمد بن علي بن محمد بن المعرم ـ لم أقف له على ترجمة.

١٧ـ عبد الغفار بن محمد ـ لم أقف له على ترجمة.

١٨ـ محمد بن جابار بن علي ويعرف بوفا

ذكره الذهبي في المشتبه ١/١٢٥ وذكر أنَّه زاهد من أصحاب الشبلي.

١٩ـ نصر بن محمد بن علي بن زِيْرَك

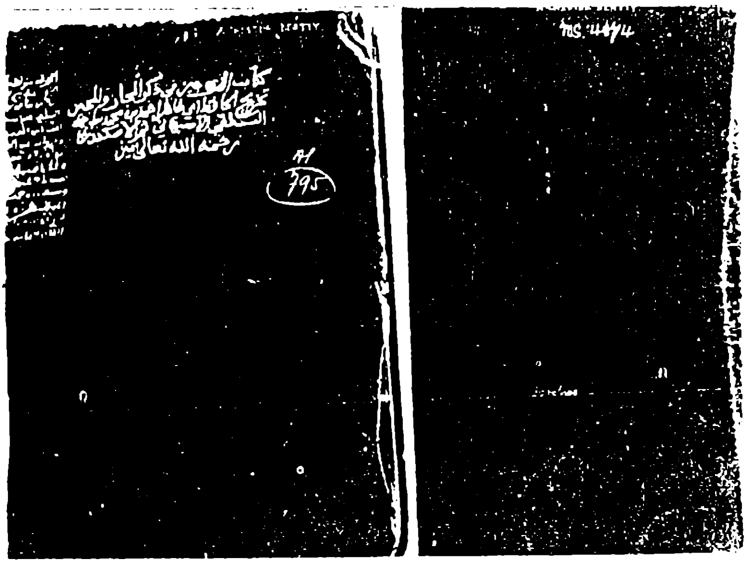
ترجمة والده في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٣٣ ـ ٤٣٥.

وإنّي أذكر في نهاية هذه التعليقات الأماكن التي ورد فيها ذكر للسلفي في معجم الأدباء لياقوت الحموي ط. دار المأمون.

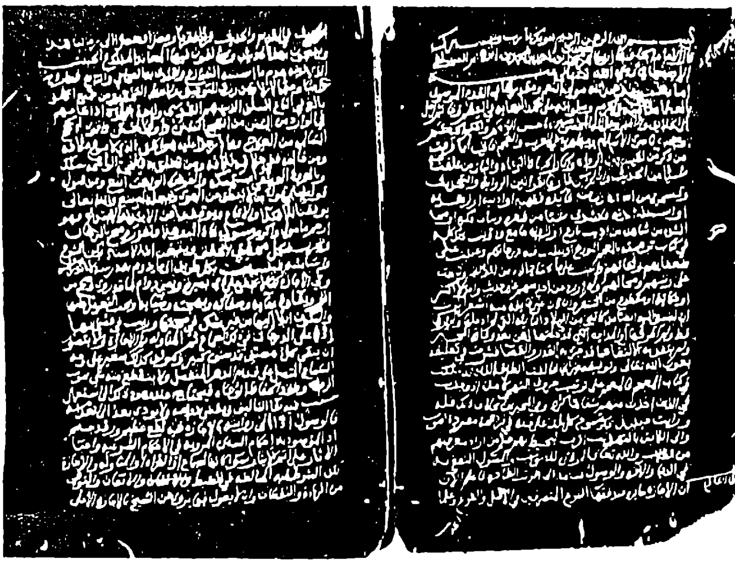
١/ ١١١، ١٥٤، ٢٠٢ ـ٤/ ٣٣، ٥٣، ٨٢، ٢٥٠، ٢٥٦ ـ ٥/ ٦١ ـ ٦/ ١٢٨ ـ ٧/ ٣٢، ٢٤٧ ـ٨/١٢، ٢٣٣، ٢٥١، ٢٥٨ ـ١٠/ ٢١٨ ـ ١١/ ٨١، ٢٣٥ ـ١٢/ ٢٧، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٧ ـ١٣/ ٣٢، ٢٥٩ ـ ١٤/ ٨، ٩٨، ٢٤٥ ـ ١٥/ ٦٧

هذا ما انتهى إليه جهدي، جهد المُقِلّ في التعقب على مقالة الأستاذ جورج فاجدا في تحليل كتاب «الوجيز في ذكر المجاز والمجيز» لأبي طاهر السلفي. وقد ذكرتُ أسماء الشيوخ الذين لم أقف لهم على ترجمة آملاً أنْ تنتهي إليّ ملاحظات قرّاء مجلة مجمع اللغة العربية الأردني حَوْل ما صنعت، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

محمد خير البقاعي



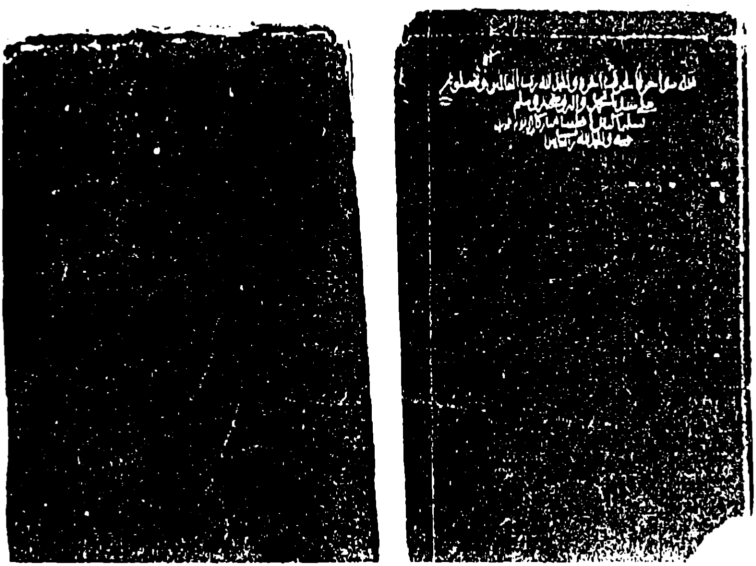
الورقة الأولى من كتاب الوجيز
«نسخة جستر بتي»
ويبدو عليها عنوان الكتاب



بداية الكتاب الورقة [٢]

من كتاب الوجيز

«نسخة جستر بتي»



الورقة الأخيرة من كتاب الوجيز

«نسخة جستر بتي»

ثالثاً: تعليقات ومناقشات

ديوان عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه -
نقد واستدراك

عبد الكريم الحبيب
جامعة البعث

تعود علاقتي بشعر الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة الأنصاري - رضي الله عنه - إلى أيام الدراسة الجامعية، حيث كنت أرى خللاً معيناً ينتج عن عدم التوفيق بين أخباره وأشعاره، فقد صورته المصادر التاريخية والأدبية شاعر الدعوة الإسلامية عندما تحدثت عن أخباره، فطالما أنشد الرسول ﷺ أشعاره وردّدها المسلمون، غير أننا إذا سألنا تلك المصادر عن أشعاره وجدناها قليلة لا تتناسب وأخباره، مما دفعني إلى الاهتمام بجمع شعره وتتبّع المظان التي ذكرته، ومن خلال ذاك السعي المتئد وقعت على ديوانه لدى أحد الأصدقاء وقد جمعه الأستاذ الدكتور حسن محمد باجودة، ففترت همة البحث لديّ، وعندما قرأته وعدت إلى بطاقاتي وجدت بعض المقطوعات الشعرية قد أسقطت من يد الباحث مما حدا بي إلى مواصلة البحث في المصادر والكتب التي لم يَعُدْ إليها الدكتور باجودة. وقد أخفيت ذلك سنوات حتى أشار عليّ بعض الأصدقاء إعداد هذا الاستدراك بمقالة تكون تتميماً للجهود السامية التي بذلها الدكتور باجودة، وتكمّل الديوان، مما جعلني أعود إليها وأضمّ شتاتها في ملاحظات واستدراكات، وفيها نفع إن شاء الله تعالى.

ملاحظات على الدراسة:

أولا : كان وقوف الدكتور باجودة على معالم شخصية ابن رواحة وقوفاً مقتضباً لا ينقع غلّة ولا يفي الدارس حاجته، ولا يكوّن صورة واضحة عن حياته الإسلامية خاصة، لأنه لم يستقصِ المصادر في ذلك فأضحت شخصيته

الإسلامية غائمة يكتنفها الغموض، في حين أطنب الباحث في دراسة مناقضاته مع قيس بن الخطيم في الجاهلية.(١)

ثانيا : لم يقف الأستاذ الباحث على حياته الاجتماعية، بل اكتفى بإيراد نسبه وشذرات بسيطة عنه كخؤولته للنعمان بن بشير(٢) ومما هو معلوم أن إضاءة جوانب حياة الشاعر يوضح كثيراً من شعره وشخصيته.

ثالثا : أجاد الأستاذ الباحث في دراسة شعر عبد الله من الناحية المعنوية والموضوعية، ولو تناوله من الناحية الفنية لاكتملت الدائرة وتمت الفائدة.

ملاحظات على الديوان :

أول ما يؤخذ على الباحث ترتيبه الديوان حيث قام بترتيبه هجائياً وهي طريقة علمية بحتة، ولكن لشاعرٍ في عصرٍ واحد، أما شاعر مخضرم كابن رواحة فينبغي أن يُشار إلى قصائده الجاهلية والقصائد التي قالها في الإسلام لتظهر للقارىء صورته وأبعادها، أو أن تكون القصائد الجاهلية مفردة عن القصائد الإسلامية، حتى يعرف القارىء سماته الموضوعية، غير أن الأستاذ الباحث خلط في ذلك فكانت تأتي المقطوعات وفق الترتيب الهجائي فضيّع علينا كثيراً من المتعة، دون قصد إلى ذلك.

ثانياً : لم يقف الأستاذ الباحث على كثير من مناسبات القصائد إلا ما تيسّر له الوقوف، ومناسبة النص توضح إشكالاته المعنوية كما هو معروف.

ثالثاً : وقف الأستاذ الباحث على بعض مصادر شعره ولم يستقصِ في ذلك، لأن الاستقصاء يوقفنا على كثير من الاختلاف في رواية الأبيات، كما سأبيّن إن شاء الله.

رابعاً : بالرغم من الجهود المشكورة التي بذلها الأستاذ الباحث في جمع الشعر إلا أنه قد فاته بعض شعره، وهو عبارة عن أبيات سقطت من المقطوعات التي أوردها(٣) أو مقطوعات كاملة ـ كما سيظهر من استدراكنا هذا إن شاء الله ـ لم يرد ذكرها في الديوان المجموع.

أولاً : مستدرك الدراسة

١ ـ بعض ما فات الباحث عن أسرة ابن رواحة ـ رضي الله عنه : ـ

★ لقد تحدثت المصادر أن لعبد الله بن رواحة أختاً اسمها عمرة بنت رواحة ويثبت ذلك تغزل قيس بن الخطيم بها في قوله :

أجـدّ بـعمـرة غـنيـانُها فتهجـر أم شـأننـا شـأنُها(٤)

وعمرة هذه أم الصحابي الجليل النعمان بن بشير كما أشار الأستاذ الباحث في بداية التعريف بشخصية ابن رواحة .

★ كذلك فلابن رواحة من الأخوة الصحابي الجليل أبو الدرداء وهو عويمر بن عامر ـ وقد أغفله الباحث ـ وهو أخوه من أمه كما يظهر من المصادر، وعويمر هذا روى عن الرسول الكريم ﷺ كثيراً من الأحاديث وشَهد أُحُداً، حتى قال فيه السيد الرسول عليه الصلاة والسلام «نِعْمَ الفارسُ عويمر» وقال عنه «هو حكيم أمتي»(٥).

★ ولابن رواحة أيضاً أخٌ من أمه كذلك يسمى ثابت بن قيس بن شماس، وهو ابن قيس خطيب الأنصار المعروف ومن أصحاب رسول الله ﷺ المقربين(٦)

٢ ـ بعض مافات الباحث عن حياة ابن رَواحة في الإسلام :

وهي مجموعة من الأخبار التي أوردتها المصادر تفصح عن قيمته السياسية والاجتماعية بالإضافة إلى قيمته الإسلامية وما اتصف به من ورع وتقوى وشاعرية سامية تدل على مكانتـه في الإسلام وجهـوده في نشر الـدعوة الشريفة، ومن ذلك أن الرسول الكريم ﷺ أرسله بشيراً إلى أهل العالية ـ وهم بنو عمرو بن عوف وخطمة ووائل ـ يـزفُّ إليهم البشرى بـالنصر يوم بدر(٧).

★ كذلك في غزوة بدر الآخرة فإن الرسول ﷺ قد استخلفه على المدينة أثناء غيبته التي دامت ستة عشر يوماً كان فيها ابن رواحة أميراً لا ينازعه في

ذلك أحد، وقد أثبت أنه أهلٌ للاستخلاف والأمانة(٨).

★ كما أرسله الرسول ﷺ خارصاً للتمر ـ أي مقدِّراً له ـ وشدّد في مهمته على اليهود فحاولوا أن يرشوه بحُلي زوجاتهم فلم يفلحوا في ذلك فأنّبهم وغاضبهم في حديث طويل(٩).

★ كما أرسله الرسول ﷺ إلى خيبر يستطلع أخبار أُسير بن رِزام اليهودي الذي أشار على اليهود بحيلة لقتل السيد الرسول صلوات الله عليه، وكان عبد الله في نفرٍ، فطلب من أُسير القدوم إلى رسول الله ﷺ ليستعمله على خيبر فطمع في ذلك. وبعد مسيره معهم فَطِنَ إلى الخطة فحاول الغدر بابن رواحة غير أن عبد الله سبقه وبَتَرَ قدمه ثم قتله وأصحابه جميعاً، وأصيب عبد الله في رأسه فدعا له الرسول ﷺ وأعطاه قطعة من عصاه وقال له «امسك هذه علامة بيني وبينك يوم القيامة، أعرفك بها، فجُعلت في قبره حين مات»(١٠).

★ ومما يروى عنه أنه كان صلب العقيدة سباقاً إلى العبادة، فقد حدّث أخوه أبو الدرداء قائلاً: «إنْ كنا لنكون مع رسول الله ﷺ في السفر، في اليوم الحار، ما في القوم صائم إلا رسول الله وعبد الله بن رواحة(١١).

★ وكان إذا دخل بيته صلّى ركعتين وإذا خرج صلّى ركعتين أيضاً كما قالت زوجته في حديث طويل. (١٢).

★ ومما يثبت رسوخ عقيدته وحسن منزلته في نفس السيد الرسول عليه الصلاة والسلام كثرة ما ذكره وما تمثّل من شعره كما تبيّن المقطوعات في الديوان وما استدركناه، كما أُثِر عن السيد الرسول أنه أكْثَرَ من الدعاء له في مواطن كثيرة كما تذكر المصادر، ومن ذلك أنه كان يقول دائماً «نِعْمَ عبد الله بن رواحة» ويقول «رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ»(١٣).

ولو حاولنا استقصاء ذلك لطال بنا المقام كثيراً، ويستطيع من أراد

الزيادة العودة إلى المصادر التي ذكرناها في إحالات هذا البحث وكلها تدل على معالم شخصية ابن رواحة ومكانتها السامية في الإسلام.

ثانياً : مستدرك تخريج الديوان

سأحاول أن أخرّج المقطوعات التي وردت في الديوان مراعياً ترتيب الأستاذ الدكتور باجودة من المصادر التي لم يَعُدْ إليها محاولاً استقصاء تلك المصادر متبعاً المنهج التالي:

١ ـ أذكر مناسبة القصيدة أو المقطوعة إن لم تكن مذكورةً في الديوان.

٢ ـ أذكر روايات الأبيات إلى جانب المصدر الذي أذكره مما لم يذكره الدكتور باجودة.

٣ ـ إذا كانت هناك بعض الشروح والتعليقات التي تفيد النص أذكرها في نهاية التخريج.

٤ ـ سأشير في بداية كل مقطوعة إذا كانت من شعره الجاهلي أو الإسلامي. وإذا كان هناك استدراك لبعض أبياتها سأذكر عبارة «انظر مستدرك الشعر».

والله أسأل أن يعصمني من الزلل

١ ـ المقطوعة (*) ص ٧٩

من شعره الإسلامي، قالها عندما خرج في سفره إلى مؤتة وكان قد أردف زيد بن أرقم على حقيبة رحله، وفي إحدى الليالي سمعه زيد ينشد الأبيات.

٢ ـ القصيدة (*) ص ٨١ ـ ٨٢ من شعره الإسلامي.

ورد في مناسبتها: أن عباس بن مرداس السلمي قال يمتدح رجال بني النضير عقب إخراجهم من المدينة سنة أربع للهجرة ويرد على قصيدة لخوات ابن جبير هجا فيها يهود المدينة ومطلع ما قاله عباس:

هجوت صريح الكاهنين وفيكم   لهم نعم كانت من الدهر ترتبا

وهي كاملة في السيرة ٣/٢١٢ .

فأجابه عبد الله بن رواحة. . . الأبيات. وهي في الروض الأنف ٦/٢٢١ وفي ديوان كعب بن مالك (١٧٦) وقد نسبت لهما.

٣ ـ القطعة (*) ص ٨٢ ـ ٨٣ من شعره الجاهلي.

عندما تحالفت قبائل اليهود، قريظة والنضير مع الأوس والخزرج في يوم بعاث فانهزمت الخزرج، ويقال إن الأوس قد امتنعت عن انتهاب بيوت الخزرج وإنما سلبهم بنو قريظة والنضير، فذكر قيس بن الخطيم ترفُّعَ قومه عن نهب خصومهم وقد قدروا على ذلك بقصيدته :

ردّ الخليط الجمال فانقضبا   وقطعوا من وصالك السببا

انظر ديوان قيس (١١١) وما بعدها. وانظر مستدرك الشعر.

٤ ـ الأرجوزة (*) ص ٨٧ من شعره الإسلامي.

وقد وردت في الكامل لابن الأثير ٢/١٦٠، وأسد الغابة ٣/١٥٨، والبداية والنهاية ٤/٢٤٥، وسيرة دحلان ٢/٢٧٣ .

٥ ـ الأبيات (*) ص ٨٨ ، من شعره الإسلامي.

وهي في الكامل ٢/١٥٨، ويروى البيت الأول ذات فرعٍ ، أي سعة. وفي البداية والنهاية ٤/٢٤٢، وفي حلية الأولياء ١/١١٩ برواية البيت الثالث: حتى يقولوا. . . أرشدك الله.

٦ ـ القصيدة (*) ٨٩ وما بعدها، من شعره الجاهلي.

مناسبتها: أن الأوس والخزرج التقوا في الجاهلية في يوم الفضاء وهو موضع بالمدينة لبني خطمة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى حجز الليل بينهم فأفضلت الأوس على الخزرج يومئذ فقال قيس:

صرمت اليوم حبلك من كنودا   لتبدل وصلها وصلاً جديداً

والقصيدة في ديوان قيس (٨٩)، ويروى حبلها حبلاً. . ويروى كلودا. وقد تداخلت هذه القصيدة مع شعر حسان وهي في ديوانه ٣١١ ـ ٣١٢ عدا البيتين السادس ص ٩١ والأول ص ٩٢ وفق ترتيب الديوان ويروى البيت ٨٩/٣ في ديوان حسان على الشكل التالي:

ترقب عودة الفتيان حتى تصيدهم وتنوي أن تصيدا

والبيت ٥ ص ٨٩ يروى. . يزيّن معقد اللبّات منها شنوفٌ. . والبيت ٣ ص ٩٠ يروى (مالئة رفودا)، والبيت ٦/ ٩٠ يروى (أكرمها وجودا) والبيت ٨ ص ٩٠ يروى (وأصدقها وأوفاها)، والبيت ٩ ص ٩٠ يروى (إذا دعوى بلدتنا استشتت) والبيت ٤ ص ٩٠ يروى (فما نبغي بقتلانا سواكم)، والبيت ٦ ص ٩١ يروى على الشكل التالي:

تركنا حجنا بغدير فقعٍ ظرابى في مجالسها قعودا

وانظر مستدرك الشعر.

٧ ـ البيتان (*) ص ٩٢ من شعره الإسلامي.

وهما في الاستيعاب ٥١٢/٣، والروض الأنف ١٨٢/٦.

٨ ـ القصيدة (* *) ص ٩٣ من شعره الإسلامي.

وهي في الروض الأنف ١١/٧، وأسد الغابة ١٥٧/٣، وتفسير القرطبي ٤٣/١، والأبيات (٢ ـ ٤ ـ ١) في البداية والنهاية ٢٤٢/٤ وسير أعلام النبلاء ١٦٨/١، و (٢ ـ ٣ ـ ٤) في سيرة دحلان ٢٧١/٢

٩ ـ البيت (*) ص ٩٥، من شعره الإسلامي.

وهو في ديوان حسان (١٠١)، والاستيعاب ٩٠٢/٣، وأسد الغابة ١٦٠/٣ وقد ورد في تلك المصادر مُرجَّحاً أنه لعبد الله بن الزبعرى وهو من أبياتٍ عدة يعتذر فيها للرسول ﷺ وقد جاءه مسلماً.

١٠ـ البيت (* * *) ص ٩٥ من شعره الإسلامي.

وهو في عيون الأخبار ١/٢٢٤ غير منسوب، وفي الإصابة: ٢/٣٠٧ . انظر مستدرك الشعر.

١١ـ البيت (*) ص ٩٦، من شعره الجاهلي.

وهو يتيم في الكامل لابن الأثير ١/٣٠٧.

١٢ـ الأبيات (* *) ص ٩٦، من شعره الإسلامي.

وقد ورد في تفسير القرطبي ٥/٢٠٩ ورواية البيت الأول فيه :

أتـــانــا رســـول الله يتلو كتــابــه   كما لاح مشهور من الصبح ساطع

وورد الثـاني فيه بـرواية: (أتى بـالهدى) ، وهي في البـداية والنهـاية ٤/٢٥٨.

١٣ـ البيت (* * *) ص ٩٦، من شعره الإسلامي.

وهو في البداية والنهاية ٤/٥٤، والاكتفاء، ٢/١٢٣، والروض الأنف ٦/١٠١ وروايته في تلك المصادر على الشكل التالي :

فسـرنـا إليهم جهــرة في رحـالهم   ضحيّـاً علينـا البيض لا تتخشـعُ

وانظر مستدرك الشعر.

١٤ ـ الأبيات (*) ص ٩٧، من شعره الإسلامي.

وردت في الأصنام (٤٤)، والأغاني ٤/١٥٢، وفي تهذيب ابن عساكر ٧/٣٩٣ ورد الأول والثاني ووردا أيضاً في سير أعلام النبلاء ١/١٧١.

برواية الثالث:

وإن أبــا يحيى ويحيى كــلاهمــا   لــه عمــل من ربــه متقبّــلُ.

وانظر مستدرك الشعر.

١٥ـ البيتان (* *) ص ٩٧، من شعره الجاهلي.

١٦ـ القصيدة (*) ص ٩٨، من شعره الإسلامي.

وردت في البداية والنهاية ٤/ ٥٩، وتفسير القرطبي ٤/ ١٨٩، والروض الأنف ٦/ ١٢٥، وسمط النجوم العوالي ٢/ ١١١، وفي الاستيعاب ١/ ٢٧٥، عدا البيتين (١٣ ـ ١٤) وفي الإصابة ١/ ٣٥٤ ورد الأول والثاني برواية (لحمزة ذاكم الرجل...) وورد الخامس في الاستيعاب برواية: (يخالطها نعيم) والخامس عشر (الواله العبرى الثكول)، وفي تفسير القرطبي ورد السادس عشر قبل الخامس عشر.

١٧ـ البيتان (*) ص ٩٩، من شعره الإسلامي.

وردا في تهذيب ابن عساكر ٧/ ٣٩٣، والروض الأنف ٧/ ١٤، والبداية والنهاية ٤/ ٢٤٣.

وانظر مستدرك الشعر.

١٨ـ البيت (*) ص ١٠٠، من شعره الإسلامي.

ورد في الروض الأنف ٧/ ١٢، وفي البداية والنهاية ٤/ ٢٤٢.

١٩ـ الأبيات (*) ص ١٠١، من شعره الإسلامي.

وردت في تفسير القرطبي ١٣/ ١٥١، وفي سير أعلام النبلاء ١/ ١٦٩، وفي البداية والنهاية ٤/ ٢٢٧، وفي شرح شواهد المغني ٢٩٠، وفي سمط النجوم العوالي ٢/ ١٦٧. وقد اختلفت رواياتها كثيراً حيث إنّه لا توجد أبيات مختلفة الرواية مثلها وقد ذكر بعضاً من ذلك الدكتور الباحث في الديوان.

انظر مستدرك الشعر.

٢٠ـ القصيدة (*) ص ١٠٢، من شعره الإسلامي.

مناسبتها: عندما نزل الناس في غزوة مؤتة في معان من أرض الشام ورأوا كثرة جيش العدو، قال الأبيات مُحَمِّساً إياهم.

وهي في تهذيب ابن عساكر ٧/٣٩٤، ما عدا الأخير، وفي الروض الأنف ٧/١٢.

وفي شرح شواهد المغني ٩٣٢، حيث يروى الأول ص ١٠٤:

وفقا الله أعينهم فجاءت عوابس والغبار لها يزيم

ويروى الثاني ص ١٠٤ فيه أيضاً: (برزت فوارسها النجوم)

٢١ـ القصيدة (*) ص ١٠٤، من شعره الإسلامي.

وهي في البداية والنهاية ٣/٣٣١ وقد نسبت لأبي خيثمة أيضاً.

٢٢ـ الأبيات (*) ص ١٠٦، من شعره الإسلامي.

وردت في أمالي اليزيدي ١٠٢ برواية البيت الثالث: (وتحمله ثمانية شداد). وفي سير أعلام النبلاء ١/١٧١.

٢٣ـ الأبيات (* *) ص ١٠٦، من شعره الإسلامي.

وردت الأبيات (١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٨ ـ ٩) في تهذيب ابن عساكر ٧/٣٩١. و ١، ٢، ٨، ٩ في تفسير القرطبي ٤/١٣٠، والبيتان الأولان في سير أعلام النبلاء ١/١٧٠، و (١، ٢، ٨، ٩، ١٠) في البداية والنهاية ٤/١٨٧، و (١، ٢، ٣، ٤، ٨، ٩) في الروض الأنف ٦/٥٠٠. وهي أيضاً في سيرة دحلان ٢/٣، وشرح شواهد المغني ٢٨٧ وسمط النجوم العوالي ٢/١٢٨، وفي إمتاع الأسماع ١/٢٢٢. وورد فيها خلاف كثير في الرواية تضيق مقالتنا عنه.

وانظر مستدرك الشعر.

٢٤ـ الأبيات (*) ص ١٠٨، من شعره الإسلامي.

وردت في صفة الصفوة ١/١٩٣، وورد السادس برواية (ويا نفس مالك تكرهين الجنة) ولا يقوم به الوزن. وفي أسد الغابة ٣/١٥٩ برواية الأول: (أقسم بالله لتنزلنه) والرابع (وقد أجلب الناس).

٢٥ـ الأبيات (*) ١٠٧، من شعره الإسلامي.

وكان يتمثل بها المسلمون في يوم الخندق، وهي في فتح الباري ٧/ ٣٠٤ وفي الروض الأنف ٦/ ٣١٠، وفي البداية والنهاية ٤/ ٩٧، وفي سمط النجوم العوالي ٢/ ١٢٩، وإمتاع الأسماع ١/ ٢٢.

٢٦ـ الأبيات (*) ص ١٠٩، من شعره الإسلامي.

وهي في الاكتفاء ٢/ ١٥٦، والروض الأنف ٦/ ٢٢٩، والبداية والنهاية ٤/ ٨٨، وفي ديوان حسان ٣٩٧ البيت السادس. وفي شرح شواهد المغني ٦٤١، حيث يروى البيت الأخير فيه:

أتانا فلم نعدل سواه بغيره نبي بدا في ظلمة الليل هاديا

كما نسبت لكعب بن مالك وهي في ديوانه ٢٩١..

ثالثاً: مستدرك الشعر

من خلال البحث في المظان التاريخية والأدبية عثرت على بعض المقطوعات الشعرية التي تنسب إلى عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ وقد خلا الديوان منها، بالرغم من الجهود العظيمة التي بذلها جامعُهُ الدكتور باجودة، وهذا ما جعلني آخذ عليه تسميته للديوان، لأن لفظة «ديوان» تشمل كل ما قاله الشاعر، لذا حبذا أن يطلق عليه تسمية «شعر عبد الله بن رواحة»، ولا أعتبر جهدي هذا إلا تتميماً لجهوده، لذا أقدمه هدية متواضعة له من أجل العلم والأدب والتاريخ، والفضل له في ذلك، ولا أدري قد تظهر كتب ومخطوطات تتمم عملنا هذا. والله ولي التوفيق في العلم والعمل.

أما عن ترتيب هذا المستدرك فإني سأقوم بترتيب المقطوعات التي خلا منها الديوان أولاً وفق ترتيبها الزمني لأنها جميعها من شعره الإسلامي. ثم أذكر الأبيات التي عثرت عليها وقد سقطت من مقطوعات الديوان، وسأشير إلى موضعها من حيث الترتيب في المقطوعات، وفي كلتا الحالتين سأذكر مناسباتها

إن وُجدتْ، والمصادر التي تضمها وما يتعلق بشروح بعض مفرداتها، وما يتطلبه التحقيق العلمي.

أ ـ الشعر الذي لم يرد في الديوان

١ ـ أورد القرطبي في تفسيره ٧٩/٧ البيت التالي منسوباً إلى ابن رواحة:

عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غيابات الكرى.

٢ ـ كان المسلمون منهمكين في بناء مسجد قُباء فور وصول الرسول عليه السلام إلى المدينة وقد أقام في قباء في بني عمرو بن عوف في يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس أسس خلالها مسجده.

وأثناء البناء كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ينشد هذه الأبيات والرسول الكريم عليه السلام يردد وراءه قافية كل بيت:

أفلح من يعالج المساجدا
ويقرأ القرآن قائماً وقاعدا
ولا يبيت الحليل عنه راقدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

تخريجها: الأبيات (١ ـ ٢ ـ ٤) في السيرة ١٤٢/٢. وقد ذكر ابن إسحق أن عليّ بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ كان يرتجز بهذه الأبيات عند بناء مسجد قباء، وعلق ابن هشام قائلاً: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا قول ابن إسحق فلا يُدرى أهو قائله أم غيره، وقال ابن إسحق: فأخذها عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ فجعل يرتجز بها.

كذلك الأبيات (١ ـ ٢ ـ ٣) في وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٢٥٣/١ ـ ٢٥٤

٣ ـ كان المسلمون مع رسول الله ﷺ في الخندق ينقلون التراب وهم ينشدون قول عبد الله رضي الله عنه.

لاهُـمَّ إن العـيش عـيش الآخــرةْ
فــارحـم الأنصــار والمـهــاجــرةْ
والعنْ إلهـي عَضَــلاً والـقــارةْ(١)
هــم كـلفــونــا ثـقــل الحـجــارةْ

التخريـــج :

الأبيات في السيرة ٢/ ١٤٢، وابن سعد ٣/ ٢٥٢ برواية (اللهم لا خير إلا خير الآخرة) (فـانصر الأنصـار والمهاجـرة). ، وفتح البـاري ٧/ ٣٠٣، وصحيـح البخاري ٣/ ١٤٣١، وصفـة الصفوة ١/ ٥١، والبـداية والنهـاية ٣/ ١٨٧ برواية: (لاهم إن الأجر أجر الآخرة) ووفاء الـوفا ٢٥٣، وسيـرة دحلان ٢/ ٣، وسمط النجوم ٣/ ١٢٨.

٤ ـ قال ابن رواحة يذكر حديث الإفك وما لقيه حسان بن ثابت إبّان غزوة بني المصطلق:

لقـد ذاق حسـان الـذي هـو أهله ... وحمنة إذ قالـوا هجيراً ومسـطحُ(٢)
تعـاطوا بـرجم الغيب زوج نبيّهم ... وسخطة ذي العرش الكريم فأترحوا
وآذوا رســول الله فـيهـا فـجلّلوا ... مخـازيَ تبقى عمّمـوهـا وفضّحـوا
وصبّت عليهم محصــدات كـأنها ... شـآبيب قطر من ذرا المـزن تسفح

---

(١) عضَل والقارة: بنوالهون بن خزيمة بن مدركة، قالوا للرسول ﷺ إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً يفقهونا في الدين فبعث معهم رسول الله ستة من أصحابه فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع غدروا بهم، والخبر بتمامه في المصادر الســابقة.

(٢) حمنة: هي حمنة بنت جحش، ومسطح بن أثاثة ممن أفصحا بالفاحشة مع حسـان. والهجير: الهجر وهو القول الفاحش.

التخريــج :

الأبيـات في السيرة ٣/٣٢١، والـروض الأنف ٦/٤٢٠، والبـدايـة والنهاية ٤/١٦٣، وسمط النجوم ٢/١٢٦، والتنبيه والإشراف (٢١٥) برواية الثاني: (فأبرحوا) من البَرَح وهو الشـدة، والاكتفاء ٢/٢٣٢ بـرواية الأول (الذي كان أهله).

٥ ـ في عمرة القضاء دخل الرسول ﷺ مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بمحجنة، والمسلمون يشتدون حوله وعبد الله بن رواحة يقول:

بسم الـذي لا دين إلا دينـه
بسم الـذي محمـد رسـولـه
أنـا الشهيـد أنـه رسـولـه

التخريــج :

الأبيات في البداية والنهاية ٤/٢٢٩، وفي الطبري ٣/٢٤ برواية البيت الثالث: (إني شهيد أنه رسوله).

٦ ـ وقـال ابن رواحـة :

عـدمـت بـنيّتي إن لم تـروهـا ... تـثـير النقـع من كـنفي كـداء

التخريــج :

البيت في تفسير القرطبي ٢٠/١٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٦٩.

وفي المصادر كلها نسبتـه إلى حسان من قصيـدة يهجو بهـا أبا سفيـان مطلعها:

عفت ذات الأصـابـع فـالجـواءُ ... إلى عـذراء مـنـزلهـا خـلاءُ

انظر القصيدة في ديوانه ١/١٧ والبيت: عدمنا خيلنا . . موعدها كداء. وانفرد القرطبي فقط بنسبة البيت إلى ابن رواحة. والله أعلم.

٧ ـ قال عبد الله يمدح أبا الهيثم مالك بن التيهان رضي الله عنهما عندما نزل الرسول ﷺ عنده وقدم له رطباً وطعاماً، فقال: (هذا ـ والذي نفسي بيده

ـ من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة):

فـلم أر كـالإسـلام عـزاً لأمـةٍ ... ولا مثـل أضياف الأراشيِّ معشـرا
نبـيٌّ وصـدّيـقٌ وفـاروق أمـةٍ ... وخـير بني حـواء فـرعـاً وعنصـرا
فـوافـوا لميقـاتٍ وقـدرٍ قضيـةٍ ... وكـان قضـاء الله قـدراً مقـدّرا
إلى رجـلٍ نجـدٍ يبـاري بجـوده ... شموس الضحى جوداً ومجداً ومفخرا
وفـارس خلق الله في كـل غـارةٍ ... إذا لبس القـوم الحـديـد المسمّـرا
فـفـدّى وحيّـا ثـمّ أدنى قـراهم ... فلم يقـرهم إلا سميناً متسمّـرا

التخريـج :

الأبيات في تفسير القرطبي ٢٠/١٧٥، والأول في الروض الأنف ٤/٩٥ وشرح المواهب اللدنية ١/٣٧٨. ويروى الثاني في القرطبي (وخير نبي جاء) ويروى الثالث: (وكان قضاء الله امراً مقدرا).

٨ ـ وقال يمدح النبي ﷺ:

تحمله النـاقـة الأدمـاء معتجـرٌ ... بـالبرد كـالبـدر جـلّى ليلة الـظلمِ
وفي عـطافيـهِ أو أثنـاء بـردتـه ... مـا يعلم الله من دينٍ ومن كـرمِ

التخريـج :

البيتان في العمدة ٢/١٣٦ منسوبان إلى كعب بن زهير وهما غير موجودين في ديوانه، ويروى الثاني (أو أثناء ريطته). وفي تحرير التحبير ١٠٨ والأول في البديع في نقد الشعر ٣٠ برواية (جلّى نوره الظلما).

٩ ـ وقـال :

بـدا لي أني لست مدركَ مـا مضى ... ولا سـابقٍ شيئاً إذا كـان جـائيـا

التخريـج :

في سيبويه ١/٨٣ و ١/١٥٤ وقد نسبه لصرمة الأنصاري مرة ولزهير بن أبي سلمى أخرى. وفي الخصائص ٢/٣٥٣ بدون نسبة. وفي الخزانة ٣/٦٦٦

ينسب لابن رواحة وأورد البغدادي أن ابن خلف قال: والصحيح أنه لابن صرمة.

ب : الشعر الساقط من مقطوعات الديوان

١ ـ في آخر القطعة (*) ص ٨٣، ورد البيت التالي :

نحن حماة الآطام في سالف الدهر وقِدْماً سقناكم حُنبا

وهو في حاشية ديوان قيس بن الخطيم (١١١) والأطام والآطام: الحصون، وقيل هي الدور المسطحة السقوف، وكانت الأوس والخزرج تتمنّع بها، والحنب، والتحنب: احديداب في الأضلاع ويقال : حنبه الكبر وحناه إذا نكسه.

٢ ـ في نهاية القصيدة (*) ص ٨٩ ورد البيت التالي:

تركن مجمّعاً وبني أبيه إماءً يحتلبن الضأن سودا

وهو في ديوان حسان ٣١٢ .

٣ ـ تتمة للبيت اليتيم (* * *) ص ٩٥ ورد البيت التالي:

فثبّت الله ما آتاك من حسنٍ قفوت عيسى بإذن الله والقدر

وهو في العقد الفريد ٥/٧٨.

٤ ـ تتمة للبيت اليتيم (* * *) ص ٩٦ ورد البيت التالي:

وجئنا إلى موج من البحر زاخرٍ أحابيش منهم حاسرٌ ومقنّع

وهُما في البداية والنهاية ٤/٥٤، والاكتفاء ٢/١٢٣، والروض الأنف ٦/١٠١، وديوان كعب بن مالك من قصيدة طويلة (٢٢٢)

والأحابيش: جماعات من قبائل شتى.

٥ ـ البيت الرابع والخامس من القطعة (*) ص ٩٧، هما:

وأن الذي عادى اليهود ابن مريم رسولٌ أتى من عند ذي العرش مرسلُ
وأن أخا الأحقاف إذ يعذلونه يجاهد في ذات الإله ويعدلُ

في ديوان حسان (١٨٦) وقد أشار المحقق إلى أنه ورد في هامش إحدى نسخ الأصل وهي نسخة الخزانة التركية تحقيق نصّه أنهما لابن رواحة مع الأبيات الثلاثة ص ٩٧.

٦ ـ تتمة للبيتين (*) ص ٩٩ ورد البيتان التاليان:

بعد الأول ص ٩٩ ورد وزيد داريّ الفلاة المجهل
والرابع فانقض زيد كانقضاض الأجدل(١)

والأبيات الأربعة في تهذيب ابن عساكر ٣٩٣/٧، والروض الأنف ١٤/٧، والبداية والنهاية ٢٤٣/٤.

٧ ـ وردت الأبيات التالية بعد البيت الثاني في القطعة (*) ص ١٠١

قد أنزل الرحمن في تنزيله
في صحف تتلى على رسوله
بأن خير القتل في سبيله

ورد البيت الأول في طبقات ابن سعد ٥٢٦/٣، وورد مع الثالث أيضاً في تهذيب ابن عساكر، وكلها في البداية والنهاية ٢٢٧/٤ وشرح المواهب اللدنية ٣٠٦/٢.

٨ ـ في آخر أبيات القطعة (* *) ص ١٠٦. وردت الأبيات التالية:

إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عوّلوا علينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا

---

(١) الأجدل: العقاب.

وهي في صحيح البخاري ٢/ ٢٧، وسمط النجوم العوالي ٢/ ١٥٦.
وفيها خلاف كثير جداً في الرواية تضيق مقالتنا به.

خاتمـــة

تلك محاولة متواضعة لإتمام الجهود المبذولة من قبـل الأستاذ الـدكتور باجودة، أضعها بين أيدي الباحثين وطلاب العلم، نبراسها الإيمان بإحياء هذا التراث العظيم وإنصاف السلف الصالح الذي سقى الليل ماء عينيه سهراً وتأليفاً، وأخلص لله وللعقيدة بقلبه ولسانه، فالأجدر بنا أن نخلص له عندما نحاول رسم معالمه وتكوين صورة أدبية معينة.

ولا أبالغ إذا قلت إنني أعتقد أن الأيام ستظهر من أكفانها أشياء لعلّ الجيل الآتي يتمم ما نصنع فتتآلف الجهود وتتفق الغايات ونعـوّض عما فات. وأعود فأقول إني أقدم هذا الاستدراك هدية متواضعة للأستاذ الباحث الدكتور باجودة، راجياً أن يصفح عما ورد من إشاراتٍ ومـلاحظات لم يكن هدفها إلا الحقيقة.

والله أسأل الصفح والغفران
وبه تتم الصالحات

إحالات البحث

(١) انظر الديوان ص ٣ وما بعدها.

(٢) الديوان ص ١

(٣) كما حدث في المقطوعة الثانية ص ٩٥ والتي بعدها والمقطوعة الأولى ص ٩٧ والثانية ٩٩ والأولى ١٠١ وغير ذلك.

(٤) الأغاني ١٦/٢٨، وديوان قيس ٦٦.

(٥) شرح شواهد المغني ٢/١٠٠.

(٦) سير أعلام النبلاء ١/٢٢٤.

(٧) الروض الأنف ٥/١٠٣.

(٨) التنبيه والإشراف ٢١٤، وتهذيب ابن عساكر ٧/٣٨٧.

(٩) انظر الخبر في ابن عساكر ٧/٣٩٢، وسير أعلام النبلاء ١/٧٠.

(١٠) إمتاع الأسماع ١/٢٧١.

(١١) سير أعلام النبلاء ١/١٦٧.

(١٢) سير أعلام النبلاء ١/١٦٧.

(١٣) سير أعلام النبلاء ١/١٧٠.

مصادر البحث

١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي نهضة مصر، القاهرة، بلا تاريخ.

٢ - أسد الغابة : ابن الأثير، جمعية المعارف، مصر.

٣ - الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، طبع دار صادر، بيروت.

٤ - الأصنام: ابن الكلبي، تحقيق أحمد زكي، دار الكتب المصرية ١٩٢٤م.

٥ - الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، ١٩٣٦م.

٦ - الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٨م.

٧ - أمالي اليزيدي: أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، حيدر آباد الهند، ١٩٣٨م.

٨ - إمتاع الأسماع: المقريزي، تصحيح أحمد محمد شاكر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٤١.

٩ - البداية والنهاية: ابن كثير، بيروت، ١٩٦٦م.

١٠- البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، طبعة القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد.

١١- تحرير التحبير: ابن أبي الإصبع، تحقيق حفني محمد شرف، القاهرة: ١٣٨٣هـ

١٢- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م.

١٣ـ التنبيه والإشراف: علي بن الحسين المسعودي، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، ١٩٣٨م.

١٤ـ تهذيب ابن عساكر: ابن بدران الشيخ عبد القادر الدومي الدمشقي الطبعة الأولى، المكتبة العربية بدمشق، بلا تاريخ.

١٥ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، الطبعة الأولى.

١٦ـ الخصائص: ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م.

١٧ـ ديوان حسان بن ثابت: تحقيق سيد حنفي حسنين، وحسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة: ١٩٧٤م.

١٨ـ ديوان قيس بن الخطيم تحقيق د. ناصر الدين الأسد، مكتبة العروبة، مصر، ١٩٦٢م.

١٩ـ ديوان كعب بن مالك؛ جمع وتحقيق سامي مكي العاني، مكتبة النهضة بغداد، بلا تاريخ.

٢٠ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: عبد الرحمن السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الركيل، دار الكتب الحديثة بمصر.

٢١ـ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين العصامي المكي، المطبعة السلفية، مصر.

٢٢ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، الجزء الأول بتحقيق صلاح الدين المنجد، نشر معهد المخطوطات، والثاني بتحقيق إبراهيم الأبياري، طبعة ذخائر العرب بمصر.

٢٣ـ سيرة دحلان: أحمد زيني دحلان، المطبعة الذهبية، مصر، ١٢٨٥هـ.

٢٤ـ السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري

عبـد الحفيظ الشلبي، الطبعـة الثـالثـة ١٩٧١م، دار إحيـاء التـراث العربي، بيروت.

٢٥ـ شرح شواهد المغني : جلال الدين السيوطي ، مطبعة دار الحياة ، بيروت .

٢٦ـ شرح المواهب اللدنية : الزرقاني، المطبعة الأميرية، مصر

٢٧ـ صحيح البخاري بشرح الكرماني. مصر. بلا تاريخ .

٢٨ـ صفة الصفوة: ابن الجوزي، حيدر آباد، الهند، ١٣٥٥هـ.

٢٩ـ الطبقات الكبرى: ابن سعد، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.

٣٠ـ العقد الفريد: ابن عبد ربـه، مطبعـة لجنة التـأليف والنشر، مصـر، ١٩٤٦م.

٣١ـ العمدة: ابن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر، ١٩٥٥م.

٣٢ـ عيون الأخبار: ابن قتيبة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.

٣٣ـ فتح الباري بشـرح صحيح الإمـام البخاري: ابن حجـر العسقلاني، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٢٥هـ.

٣٤ـ الكامل في التاريخ: ابن الأثير، المطبعة الأميرية، مصر ١٣٤٨هـ.

٣٥ـ الكتاب: سيبويه، المطبعة الأميرية، مصر ١٣١٦هـ.

٣٦ـ وفاء الوفا بأخباز دار المصطفى : نور الدين السمهودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر ١٣٧٤هـ.

رابعاً: أخبار مجمعية

مشروع قانون اللغة العربية

رفع الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، إلى دولة رئيس الوزراء، مشروع قانون اللغة العربية الذي أقره مجلس المجمع، في جلسته الثامنة والأربعين والمائتين، بتاريخ ٨/٧/١٩٩٠م، وذلك من أجل اتخاذ الإجراءات المناسبة بشأن تنفيذه. ويهدف القانون إلى تعزيز مكانة اللغة العربية في المؤسسات الرسمية والخاصة، وفي المؤسسات العلمية والتعليمية في الأردن، وفيما يلي مواد مشروع هذا القانون:

قانون رقم (   ) لسنة ١٩٩٠
قانون اللغة العربية
(صادر بموجب المادة الثانية من الدستور)

المادة الأولى :

يسمى هذا القانون (قانون اللغة العربية رقم (   ) لسنة ١٩٩٠) ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

المادة الثانية :

تلتزم الوزارات والدوائر الرسمية، والمؤسسات العامة والخاصة والمصالح والمحلات التجارية وسواها والشركات، والنقابات، والجمعيات، والمنظمات، والمصانع باستخدام اللغة العربية السليمة في وثائقها ومعاملاتها وتسمياتها.

المـادة الثالثة :

تلتزم المؤسسات التعليمية العامة والخاصة، في كل مراحل التعليم العام والعالي والجامعي باستخدام اللغة العربية السليمة لغة للتعليم والبحث العلمي، والحرص على تنشئة الطلبة على حسن التعبير بها لفظا وكتابة.

المـادة الرابعة :

تلتزم وسائل النشر والإعلام جميعها (صحافة وإذاعة وتلفزة) باستخدام اللغة العربية السليمة نطقاً وكتابة في برامجها جميعها ومنشوراتها وإعلاناتها.

المـادة الخامسة :

أ) تسمى بأسماء عربية :ـ

١. المدن والقرى والشوارع والمواقع.
٢. المؤسسات التجارية والمالية والصناعية والعلمية والاجتماعية ومؤسسات الخدمات والترفيه والسياحة وغيرها.
٣. المصنوعات والمنتجات الأردنية.

ب) يجوز للشركات العالمية التي أصبح لأسمائها أو أسماء منتجاتها أو مرافقها شهرة عالمية أن تحتفظ بالاسم الأجنبي بعد إضافته إلى اسم عربي.

المـادة السادسة :

أ) تكتب بالعربية السليمة :

١. الكتب الصادرة عن المؤسسات الرسمية، وغير الرسمية، العامة والخاصة.
٢. السجلات والوثائق والعقود والمعاهدات والاتفاقيات.
٣. البيانات والمعلومات المتعلقة بالمصنوعات والمنتجات الأردنية.

ب) يجوز أن ترافق ما ورد في هذه المادة ترجمة بلغة أجنبية، على أن تكون العربية هي المعتمدة.

المـادة السابعة :

أ) تكتب بالعربية :

١ . لافتات المؤسسات الأردنية الرسمية وغير الرسمية .

٢ . رؤوس أوراق المؤسسات الأردنية الرسمية وغير الرسمية ومطبوعاتها داخل الأردن وخارجه .

٣ . أوراق النقد والمسكوكات والطوابع والمداليات الأردنية .

٤ . تسجيل العلامات التجارية .

ب) يجوز أن تضاف إلى الكتابة العربية في كل ما تقدم ما يقابلها بلغة أجنبية، على أن تكون العربية أكبر حجما وأبرز مكانا .

المـادة الثامنة :

على الوزارات والدوائر والمؤسسات أن تستعين بمتمكنين من اللغة العربية كي تستوثق من سلامة العربية في رسائلها ووثائقها .

المـادة التاسعة :

يعتمد مجمع اللغة العربية الأردني في وضع المصطلحات العلمية والفنية، وتلتزم برأيه الجهات المختصة .

المـادة العاشرة :

يعاقب المخالف لأحكام هذا القانون بالعقوبات التالية :

١ . إذا كان المخالف موظفاً، وارتكب المخالفة في أثناء أدائه واجبات وظيفته فيعاقب، عند تكراره المخالفة على الرغم من التنبيه تحريراً، بإحدى العقوبات الانضباطية المنصوص عليها في التشريعات النافذة .

٢ . إذا كان المخالف غير موظف، سواء أكان شخصا طبيعياً أم معنويا، فينذر بإزالة المخالفة خلال مدة عشرين يوما من تاريخ

تبلغه بالإنذار وعند امتناعه يعاقب بغرامة لا تتجاوز خمسمئة دينار، وعند عدم إزالته المخالفة خلال مدة عشرة أيام من تاريخ تبلغه بالغرامة يعاقب بالغلق لحين إزالة المخالفة.

المـادة الحادية عشرة:

تعطى الجهات المعنية من المؤسسات العامة والخاصة التي ينطبق عليها هذا القانون مدة سنة لتصحيح أوضاعها وفقا لأحكام هذا القانون.

المادة الثانية عشرة:

يصدر مجلس الوزراء الأنظمة اللازمة لتنفيذ أحكام هذا القانون.

المادة الثالثة عشرة:

يلغى أي نص تشريعي يتعارض مع أحكام هذا القانون.

المادة الرابعة عشرة:

يجري الالتزام بهذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

المادة الخامسة عشرة:

رئيس الوزراء والوزراء مكلفون بتنفيذ أحكام هذا القانون.

قانون تعميم اللغة العربية في الجزائر

أصدر المجلس الشعبي الوطني الجزائري قانون تعميم اللغة العربية في الجزائر، وقد بعث الأستاذ عبد الكريم خليفة، باسمه واسم أعضاء المجمع برسائل تهنئة إلى سيادة الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية الجزائرية وإلى رئيس المجلس الشعبي الوطني الجزائري وإلى الأمين العام لجبهة حزب التحرير الوطني الجزائري، وفيما يلي نص الرسالة التي بعث بها إلى سيادة رئيس الجمهورية الجزائرية:

«سيادة الرئيس الشاذلي بن جديد حفظه الله»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فيسعدني أن أرفع إلى سيادتكم وإلى المجلس الشعبي الوطني الجزائري وإلى شعب الجزائر البطل، باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني، أسمى آيات التهاني وأصدق عبارات التحية والتقدير، على ما قام به المجلس الشعبي الوطني الجزائري بأكثريته الكاثرة، بإصدار قانون تعميم اللغة العربية، وإقرار سياسة التعريب الشامل، وجعله إحدى الثوابت الراسخة في بناء الجزائر الحديثة، بلد الجهاد والنضال والتقدم العلمي والحضاري، فالعربية هي لغة العروبة والإسلام، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهي لغة أمتنا في امتدادها الحضاري عبر ما يزيد على أربعة عشر قرنا، وفي امتدادها الجغرافي الحديث من المحيط إلى أقاصي المشرق. وإنه لا إبداع ولا مشاركة أصيلة في بناء الحضارة العربية الحديثة إلا من خلال العربية وإن إقرار هذا القانون في أعلى مؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية في القطر الجزائري الشقيق، القطر المجاهد، بلد المليون شهيد، لهو النموذج الذي نأمل أن تحذو حذوه الأقطار العربية الأخرى، التي ما زالت متخلفة عن اللحاق بهذه المرحلة التاريخية وقد جاء هذا القرار التاريخي ليثبت أن القضية اللغوية عند أية

أمة من الأمم هي قضية سياسية تتصل بهوية الأمة وجوهر كيانها، وإن تاريخ نشوء الأمم وتحررها، واضمحلالها أيضا، في القديم والحديث، لشاهد على الصلة العضوية بين اللغة والإرادة السياسية.

وأخيرا، أدعو الله سبحانه وتعالى، أن يوفقكم وأن يسدد إلى طريق الخير والفلاح مسعاكم، متمنيا لسيادتكم وللشعب الجزائري البطل دوام التوفيق والنجاح والسؤدد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

مشاركة المجمع في الحركة الثقافية والعلمية

أ ـ الموسم الثقافي التاسع لمجمع اللغة العربية الأردني

عقدت لجنة الندوات والمحاضرات في المجمع، برئاسة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع عدة جلسات من أجل تحديد المحور الرئيسي للموسم الثقافي التاسع للمجمع لعام ١٩٩١م، وعناوين ندواته ومحاضراته، وقد أقرت اللجنة ما يلي:

أولا : يكون المحور الرئيسي للموسم الثقافي التاسع للمجمع بعنوان «تعريب التعليم الجامعي في الأردن ضرورة قومية وتنموية».

ثانيا : يتألف الموسم الثقافي من ثلاث محاضرات وندوتين

أما المحاضرات فهي:

١ . المحاضرة الأولى «التعريب ضرورة تنموية»

٢ . المحاضرة الثانية « دور مجامع اللغة العربية في التعريب».

٣ . المحاضرة الثالثة «التعريب ووحدة الأمة».

أما الندوتان فالأولى بعنوان «واقع التعريب في الجامعات الأردنية» والثانية بعنوان «دور المؤسسات السياسية والعلمية والإعلامية في التعريب».

وسيبدأ الموسم الثقافي التاسع، الساعة الخامسة من مساء يوم السبت بتاريخ ٢٠/٤/١٩٩١ ويستمر إلى ١٨/٥/١٩٩١.

ب ـ تلقى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع، رسالة من زميله الأستاذ الدكتور إسحق أحمد فرحان عضو المجمع، ورئيس جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية ورئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر «نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة» يطلب فيها الموافقة على إقامة حفل افتتاح هذا المؤتمر في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع. وقد رحب الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة بذلك، وبدأ المؤتمر أعماله بتاريخ ٢/١/١٤١١ هـ الموافق ٢٤/٧/١٩٩٠م.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن هذا المؤتمر قد نظمته جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإسلامية في واشنطن وجامعتي اليرموك ومؤته.

وقد ألقى معالي الأستاذ إسحق أحمد فرحان، كلمة افتتاح المؤتمر، ثم ألقى رؤساء الوفود والهيئات المشاركة كلماتهم، وألقى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالي ضيف المؤتمر بحثا علميا مستفيضا حول موضوع المؤتمر.

ج ـ تعريب لفظة Facsimile

أقر مجلس مجمع اللغة العربية الأردني ثلاثة معان للفظة الأجنبية Facsimile وإيمانا من المجمع بتعميم استعمالات هذه المعاني في الوزارات والمؤسسات العامة والخاصة والجامعات الأردنية ومراكز البحث العلمي والنقابات المختلفة فقد رفع الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع رسالة إلى دولة رئيس الوزراء السيد مضر بدران وفيما يلي نصها:

دولة السيد مضر بدران الأكرم
رئيس الوزراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فيسعدني أن أرفع إلى دولتكم بأن مجمع اللغة العربية الأردني قد ناقش

مصطلح (Facsimile) في أثناء مناقشته مصطلحات الراديو والتلفاز والكهرباء العامة. ووجد أن هذا المصطلح يدل في أصله الأجنبي على ثلاثة معان هي:

١ ـ «Facsimile» بمعنى الأداة أو الجهاز الذي تتم بوساطته عملية الإرسال والاستقبال.

٢ ـ «Facsimile» بمعنى العملية نفسها.

٣ ـ «Facsimile» بمعنى النسخة المرسلة.

ومن الواضح أن اللفظة الأجنبية «Facsimile» تدل على معان مختلفة وأن تعريبها بكلمة «فاكس أو فاكسملي» لا يفي بالغرض المطلوب لأن اللفظة المعربة ليس فيها مرونة اشتقاقية تساعد على أن يشتق منها أفعال أو مصدر او اسم آلة أو غير ذلك من المشتقات، كما أن فيها مجانبة صرفية لأبنية العربية، فضلا عن ثقل اللفظ.

وبعد مناقشة دلالات هذا المصطلح أقر مجلس المجمع بأن تكون المقابلات العربية له على النحو التالي:

١ ـ نَاسُوخ، إذا قصد به الأداة، وهو على وزن فاعول باعتباره اسم آلة.

٢ ـ نَوْسَخَة، إذا قصد به العملية نفسها، والفعل منه نَوْسَخَ يُنَوْسِخُ.

٣ ـ نَسيخة، إذا قصد به النسخة المرسلة، وهو على وزن فعيلة، كما نقول: صحيفة.

ومن الملاحظ أن هذه المقابلات تتصف بمرونة الاشتقاق، ودقة الدلالة، وسهولة الاستعمال وسيؤدي ذلك كله وما تحمله هذه اللفظة من ظلال المعاني الموحية لهذه الآلة الحضارية الحديثة، إلى جعل هذه المقابلات العربية أكثر شيوعا، وأسهل استعمالا في الأوساط العلمية والعامة.

وبناء على توجيهات دولتكم وحرصكم على سلامة لغتنا وجعلها مواكبة روح العصر في مختلف المجالات التقنية والعلمية والفنية، وتعزيز مكانتها في

حياتنا العلمية والعملية، وتعميم استخدام هذا المصطلح لدى جميع مستخدميه في الأردن فإننا نأمل أن تتكرموا ـ دولتكم ـ باتخاذ ما ترونه مناسبا من أجل اعتماد المقابلات العربية الأنفة الذكر، في جميع المعاملات والمراسلات التي تصدر عن الوزارات والدوائر الرسمية والمؤسسات العامة والخاصة في الأردن.

ويطيب لي بهذه المناسبة أن أرفع إلى دولتكم باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني خالص شكرنا وعميق تقديرنا على جهودكم الطيبة التي تبذلونها من أجل رفعة أردننا العزيز في مختلف المجالات وعلى جميع الأصعدة، تحت قيادة صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم، حفظه الله ونصره.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام»

كما وجه الأستاذ رئيس المجمع رسائل إلى الجامعات العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمؤسسات العلمية في الوطن العربي تضمنت المعاني التي أقرها مجلس المجمع لكلمة «Facsimile» بِغية تعميمها والإفادة منها، حرصا على توحيد المصطلحات العلمية على مستوى الوطن العربي.

د ـ التقى الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني مساء يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩١/١/١ رئيس وأعضاء جمعية تعريب العلوم الطبية التابعة لنقابة الأطباء الأردنيين وهم الدكتور فتحي أبو مغلي رئيس الجمعية والدكتورة سرى سبع العيش والدكتور أحمد العرموطي.

وشارك في اللقاء أعضاء لجنة التأليف والترجمة للعلوم الصحية في مجمع اللغة العربية الدكتور قنديل شاكر مقرر اللجنة والدكتور أكرم الدجاني والدكتور عاصم الشهابي، وشارك في الاجتماع الدكتور عبد الحميد الفلاح الأمين العام للمجمع.

أثنى الدكتور خليفة على جهود أعضاء جمعية تعريب العلوم الطبية ونقابة الأطباء لتوجههم القومي وحرصهم على تأصيل العلوم الطبية باللغة العربية

مشيرا إلى جهود المجمع في مجال تعريب العلوم بصورة عامة والعلوم الطبية بصورة خاصة.

وقال إن تعريب العلوم المختلفة ضرورة حتمية وقضية قومية يفرضها تعدد مصادر المعرفة والمشاركة الفاعلة والمبدعة في الحضارة الإنسانية مشيرا إلى جهود المجمع في مجال تعريب التعليم العلمي الجامعي حيث أصدر ثمانية عشر كتابا من أمهات الكتب العلمية في الفيزياء والكيمياء والرياضيات والعلوم الحياتية وعلم طبقات الأرض كما أنه دعم نشر عدد من الكتب العلمية المؤلفة، ووضع مرادفات بالعربية لعدد كبير من المصطلحات العلمية المختلفة، ورفع مشروع قانون اللغة العربية إلى مجلس الوزراء لاتخاذ الإجراءات المناسبة بشأنه.

وتم خلال اللقاء عرض المشروعات التي أعدتها لجنة التأليف والترجمة للعلوم الصحية في المجمع في مجال تعريب المصادر الأساسية في الطب.

وناقش المجتمعون الأسس الرئيسية لوضع مشروع متكامل لتعريب العلوم الطبية والسبل الكفيلة بإنجاح هذا المشروع مؤكدين حرصهم على التنسيق والتعاون مع المجمع لتحقيق هذا الهدف.

هـ - زار عميد كلية الهندسة في جامعة العلوم والتكنولوجيا في السودان، ومدير مكتبتها مجمع اللغة العربية الأردني، والتقيا رئيس المجمع الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، وذلك من أجل معرفة الجهود التي بذلها مجمع اللغة العربية الأردني في مجال تعريب التعليم العلمي الجامعي، والإفادة من هذه الجهود فيما يبذله السودان الشقيق في مجال تعريب العلوم بعامة والعلوم الهندسية بخاصة.

وقد أطلع الأستاذ الرئيس الضيفين على جهود المجمع في هذا المجال، وأبدى الضيفان إعجابهما بهذه الجهود، وقد تم تزويدهما بثلاث نسخ من كل كتاب علمي أصدره المجمع في مجال التعريب.

مجمعيون في ذمة الله

١ . الأستاذ الدكتور جميل سعيد

نعى المجمع العلمي العراقي ببغداد المربي الفاضل والأستاذ الكبير الدكتور جميل سعيد، العضو المؤازر في مجمع اللغة العربية الأردني، وقد بعث رئيس المجمع ببرقية تعزية إلى السادة أنجال الفقيد وإخوته وعائلته وفيما يلي نصها:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإني أبعث إليكم باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني بأحر تعازينا وصادق مشاركتنا وعظيم إحساسنا بالمصاب الأليم والرزء الكبير بوفاة الأستاذ الجليل والعالم الأريب والمربي الكبير المرحوم الأستاذ الدكتور جميل سعيد. وقد كان لهذا النبأ الفاجع أعظم الأثر في نفوسنا، وعزاؤنا جميعا أن الأستاذ الفقيد قدم لنفسه بين يدي ربه من خدمة لغة القرآن الكريم والتراث العربي الإسلامي ما يخلد ذكره في الدنيا ويعلي درجته في الآخرة.

ونضرع إلى الله العلي القدير أن يحفظكم وأن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يلهمكم جميل الصبر وحسن العزاء وموصول الدعاء له. وأن يجعلكم من الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون».

كما بعث إلى الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي، رئيس المجمع العلمي العراقي، ببرقية التعزية التالية:

«الأخ الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي حفظه الله

رئيس المجمع العلمي العراقي / الوزيرية - بغداد

ص.ب (٤٠٢٣) - الأعظمية / العراق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقينا ببالغ الحزن وعظيم الأسى نبأ وفاة زميلنا المجمعي الجليل والعالم الكبير والأديب الأريب والمربي الفاضل الأستاذ الدكتور جميل سعيد،

وإنني لأبعث إليكم باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني بأحر التعازي، وأعمق مشاعر الحزن والألم بالفقيد الراحل الذي نعد فقده مصابا لنا جميعا وللغة العربية وللمجامع اللغوية العربية وللأدب والفكر والتراث العربي الإسلامي، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وألهمكم بعده الصبر والسلوان، وجعلكم من الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون».

ولد الفقيد سنة ١٩١٦ في عانة، وتلقى فيها دراساته الأولى، ثم التحق بدار المعلمين الابتدائية، ثم تابع دراسته في الجامعة المصرية، وبعد أن حصل على الإجازة الأولى (الليسانس) سنة ١٩٤٣ تابع تحصيله العلمي بإشراف المرحوم الأستاذ أحمد أمين فنال شهادة (الماجستير) في رسالته عن «تطور الخمريات في الشعر العربي» سنة ١٩٤٥ و (الدكتوراة) في رسالته «الوصف في الشعر العراقي» سنة ١٩٤٧، وكانت صلته بالتعليم الجامعي مبكرة، فقد عين في سنة ١٩٤٥ مدرسا بدار المعلمين العالية ببغداد، ثم انتقل إلى كلية الآداب والعلوم في أول تأسيسها سنة ١٩٤٩، وظلت صلته بها متتابعة، كان فيها أستاذا للأدب العربي، ورئيسا لقسم اللغة العربية، ومعاونا لعميدها، ثم تولى عمادة كلية الآداب سنة ١٩٦٤، بعد أن قضى سنة عميداً لكلية الشريعة.

وامتدت خدماته الجامعية إلى أقطار من الوطن العربي فقد قضى عدة سنوات أستاذا في جامعة الرياض سنة ١٩٧١ ثم انتقل إلى جامعة الإمارات العربية، فكان فيها أستاذا ورئيس قسم وعميدا، وتولى وكالة رئاستها بعض المدة، ولما انتهت خدماته فيها لبلوغه السن القانونية عاد إلى وطنه في بغداد إلى أن وافاه الأجل المحتوم.

شارك الفقيد خلال مسيرته العلمية بعدد من الندوات والحلقات الدراسية والمؤتمرات العلمية المعنية بموضوع اختصاصه وكانت صلته بالمجامع وثيقة، فقد عين عضوا في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٥ وظل فيه بعد إعادة تشكيله سنة ١٩٧٧ وكان أيضاً عضوا مؤازرا في المجامع العربية الثلاثة، في القاهرة ودمشق والأردن.

وقد أغنى المكتبة العربية بإنتاجه الغزير في مجال تحقيق التراث والتأليف والترجمة ومن أهم مؤلفاته :

تحقيق «ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات» وشارك في تحقيق «الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور» لابن الأثير، وتحقيق الجزء الخاص بشعراء العراق من «خريدة القصر»، للعماد الأصفهاني، ومن مؤلفاته أيضاً «نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق»، «وتاريخ الأدب العربي» و «دروس في البلاغة وتطورها».

وقد نشر عددا كبيرا من البحوث والمقالات الأدبية في كثير من الدوريات العربية المحكمة، كما أشرف على إعداد رسائل جامعية كثيرة ومتعددة.

وقد كان حافظاً للشعر، بارعا في الاستشهاد به، كما كان صاحب طبع هادىء ودماثة في الخلق رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

٢ . الدكتور إسحق موسى الحسيني

في يوم الاثنين ١٧/١٢/١٩٩٠، نعى مجمع اللغة العربية الأردني علما من أعلامه البارزين في الأدب والثقافة، عضو الشرف الأديب الكبير والمربي الفاضل الأستاذ الدكتور إسحق موسى الحسيني.

ولد الفقيد سنة ١٩٠٤، وتلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب سنة ١٩١١م. ثم التحق بالمدرسة (المنجكية) و (الرصاصية) و (الرشيدية)، و (يلوز سلطان سليم) و (نيتر الزراعية) و (الكلية الصلاحية) و (الفرير) وأتم تعليمه الثانوي في (الكلية الإنجليزية) سنة ١٩٢٣، وفي السنة نفسها التحق بالجامعة الأمريكية في القاهرة، ونال شهادة الدبلوم في الصحافة، ثم عاد إلى القدس عام ١٩٢٥ وعين مدرسا في المدرسة (الرشيدية)، وكان في الوقت نفسه طالبا في مدرسة الحقوق في القدس.

وفي عام ١٩٢٦م التحق بالجامعة المصرية في القاهرة، وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية في العام الدراسي ١٩٢٩/١٩٣٠، والتحق

في العام التالي بجامعة توبنجن بألمانيا وتخصص في اللغات السامية لمدة فصلين متتالين، ثم عاد إلى لندن حيث نال دبلوم مقارنة اللغات السامية، والدكتوراة من جامعة لندن عام ١٩٣٤م، وعاد في السنة نفسها إلى القدس، وعمل في المدرسة الرشيدية، ثم في الكلية العربية من (١٩٣٤- ١٩٤٦) ثم عين مفتشاً أعلى للغة العربية في إدارة المعارف العامة بفلسطين من (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨).

وغادر فلسطين قاصدا حلب عام ١٩٤٨م، وأقام فيها سنة واحدة، ثم غادرها إلى بيروت عام ١٩٤٩م، وعمل مدرسا في الجامعة الأمريكية من (١٩٤٩ ـ ١٩٥٤) وأعير عام ١٩٥٢ للتدريس في جامعة مكجيل في كندا لمدة عام واحد.

وغادر بيروت إلى القاهرة سنة ١٩٥٥م، حيث عمل أستاذا في معهد الدراسات العربية العالية، ثم رئيسا لقسم اللغة العربية في المعهد.

بدأت صلته بالمجامع اللغوية العربية سنة ١٩٦١، عندما اختير عضوا في المجمع العلمي في بغداد، ثم انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وانتخب عضوا في مجمع البحوث الإسلامية هناك عام ١٩٦٢. وفي عام ١٩٨٥ تمّ انتخابه عضوا في مجمع اللغة العربية الأردني.

وقد انتدب الفقيد للتدريس في جامعة مكجيل في كندا من (١٩٦٣ ـ ١٩٦٩) ورجع بعدها إلى القاهرة، وبقي فيها أستاذاً في الجامعة الأمريكية حتى سنة ١٩٧٣، وعاد إلى القدس واستقر فيها.

وفي عام ١٩٨٢ انتخب عضوا في مجلس أمناء كلية العلوم والتكنولوجيا، في جامعة القدس ورئيسا لكلية الآداب للبنات، وهي إحدى كليات الجامعة، ثم عميدا لكلية الآداب في الجامعة نفسها.

وله عدة مؤلفات في الفكر والأدب منها: «أبحاث في ماضي المسلمين وحاضرهم»، و «الأدب والقومية العربية»، و «أزمة الفكر العربي» و «الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه» و «تعريب العرب» و «عروبة بيت